

السفارات في اليمن القديم "دراسة في نصوص اللغة اليمنية القديمة"

تمهيد:

أشارت النصوص اليمنية القديمة إلى عدد من السفارات المتبادلة، سواء ما كان منها بين دول اليمن القديم أو ما كان منها على المستوى الإقليمي في محيط شبه الجزيرة العربية، أو ما كان منها على المستوى الدولي بين دول اليمن القديم ودول أخرى كمصر، والهند، والحبشة، وغيرهم. وقد تنوعت السفارات طبقاً لأهدافها، فكان منها سفارات عسكرية، وسفارات دبلوماسية، وسفارات اقتصادية، وسفارات سياسية، وسفارات ثقافية. فمن بين النصوص ما أظهرت وفوداً سافرت من اليمن القديم أو وفدت إليه لشن حملة عسكرية، ومن بين النقوش ما أشار إلى تاجر ارحل إلى بلد آخر مصدراً للمواد التي تاجر فيها أهل اليمن القديم، ومن بين النقوش ما أشارت إلى وفود تفاوضت لعقد معاهدات واتفاقيات للتصالح أو للهدنة، ومن بين النقوش ما سجلت وصول وفود لحضور مراسم تنصيب الملوك في اليمن القديم أو لحضور افتتاح أحد المشروعات الكبرى.

هذا وقد احتوت اللغة اليمنية القديمة على الكثير من المفردات التي عبرت عن الوفود المرسلة أو البعثات ومهامها، فعبرت عن كلمة الوفد المرسل في سفارة بكلمة بلان اب ل ت ن، كما في النقش (CIH 308/10). كما عبرت عن إرسال السفارة بكلمة نبل ان ب ل، والتي تعني أرسل (أحداً) في سفارة (بعثة) إلى أحد وذلك في النقش⁽¹⁾ (Jam 576/13). كما وردت نفس الكلمة بمعنىفاوض، أو أرسل. وجاءت الكلمة (تنبلت) ات ن ب ل

⁽¹⁾ أستاذ مساعد بقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم والدراسات / جامعة عين شمس

ت)، واثلاث) ات ب ل ت)، في النقش (Jam 923/6) ¹¹¹، بمعنى (وفد، ورسول)، أبعثة
ديبلوماسية)، وكذلك ظهرت في النقش (Jam 643/11)، ¹¹² وجاءت العبارة المعبرة عن إرسال
سفارة ما على النحو التالي:

وحم دم / بمت / نبل / وبلق / بعبرهو

أوح م د م / ب ذ ت / ن ب ل / و ب ل ت ن / ب ع ب ز هو أ

بمعنى: وحماً لأجل إرسال بعثة نحوه* (CIH 308/101). ¹¹³

وهكذا سجلت نقوش اللغة السنية القديمة (المستد)، وصول عدد من السفارات - لمثلي عدد
من دول الشرق الأدنى القديم والحضارات المعاصرة - إلى دول جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة،
وتنوعت هذه السفارات عبر عصور اليمن القديم بين سفارات سلمية، وعسكرية، وثقافية. وقد
نجم عن هذه السفارات الكثير من العلاقات الدولية والإقليمية، وامتد أثرها إلى الجوانب الثقافية
المتنوعة. وكان من أثر تلك السفارات إبرام العديد من عقود الولاء والمعاهدات الدولية، التي نال
بعضها التجديد في عهد الحاكم التالي لإعطائها حق الرجوع والاستمرارية. وقد نصت المعاهدات
الناجئة عن تلك السفارات على حقوق وواجبات الأطراف المتعاهدة، وهدف بعضها إلى تنظيم
العلاقات بين الدول المجاورة التي جرت بينها حروب، كالمعاهدات التي عقدها حكام سبأ مع
الحبيشة (CIH 155; CIH 308)، ومع ملك خصصن (Jam 576; Ry 525)، ومع المناذرة نقوش
وادي ماسل الجمع)، (Ry 509; 210). هذا ويمكن تسمية أنواع السفارات التي وردت في نقوش
اليمن القديم حسب أماكن خروجها وجهات قصدتها على النحو التالي:

أولاً- سفارات مبنية بمنية (تم تبادلها بين دول اليمن القديم وبين بعضها البعض).

ثانياً- سفارات متبادلة بين دول اليمن القديم والمناطق الحضارية المنتشرة داخل شبه الجزيرة
العربية.

ثالثاً- سفارات متبادلة بين دول اليمن القديم ودول العالم المعاصرة لها.

أولاً- سفارات مبنية بمنية (تم تبادلها بين دول اليمن القديم وبين بعضها البعض).

لقد فرض تزامن قيام بعض الممالك السنية القديمة ومجاورتها - في أغلب فتراتنا التاريخية
المعروفة - أسلوب التفاوض وتبادل السفارات فيما بينها، وذلك بحكم ما يجمع بين بعضها من

مصالح مشتركة أحياناً، ثم يحكم الصراعات المائلة بين بعضها البعض أحياناً أخرى، وقد تناولت النصوص اليمنية القديمة إشارات لتلك السفارات التي ألمعت عن اتفاقات بينية كثيرة ربطت بين دولة وأخرى، أو ربطت بين مجرعة دول مجتمعة في اتفاق مرحد.

وقد تحدث النقش (CIH 315/1-10) عن سفارة أدت إلى عقد حلف بين محلك جنوب الجزيرة العربية أسياً، وحضرموت، وقتبان، وسيرا، في الفترة من عام ١٨٥-١٩٠ م. حيث جاء فيه أن عدداً من أبناء الشعب (سمعي) قاموا بمفاوضات ألفت بين ملوك أسياً، وذي ريدان، وحضرموت، وقتبان، على البحر العالقي:

نص النقش:

- ١- (ي ارم / أي امن / او ابرج / يبحرب / ابني / أوملت / رقم ابن
- ٢- امين / أقول / شعبين / سمعي / ثلثين / ذحشدم / اهنتي
- ٣- شي امهمو / قالب / اريم / اهل / ترعت / اشق / اسلمن /
- ٤- يوم / حوشهمو / شميمو / قالب / اريم / اهل / ترع
- ٥- ت / يهسلمن / وحضد / واتم / اريم / ايمن / ابن / هندن /
- ٦- بين / املك / اسيا / وذيدين / وحضرموت / وقتبان /
- ٧- وأخصهمو / وأشميمو / بشر / اشا / وكون / اكلن /
- ٨- أرضن / بين / كل / املكن / وأحسن / وفتح / اريم / أ
- ٩- بين / ابن / هندن / أمراهو / أملك / اسيا / وصي / أذر
- ١٠- بين / وسار / أملكن / الهوت / اسلمن /

النص بالحروف العربية:

- ١- (ي ارم / أي امن / او ابرج / يبحرب / ابني / أوملت / رقم ابن / م / ب ن
- ٢- امين / أقول / شعبين / سمعي / ثلثين / ذحشدم / اهنتي / م / ب ن
- ٣- شي امهمو / قالب / اريم / اهل / ترعت / اشق / اسلمن / م / ب ن
- ٤- يوم / حوشهمو / شميمو / قالب / اريم / اهل / ترع / م / ب ن

- ٥- ست / ب / م / ن / و / ح / م / د / ا / و / ا / ت / م / ا / ي / ر / م / ا / ي / م / ن / ا / ب / ن / ا / م / د / ن /
 ٦- ب / ي / ن / ا / م / ل / ك / ا / س / ب / ا / و / ذ / ب / ي / د / ن / و / ح / ح / م / و / ت / و / ق / ت / ب / ن /
 ٧- و / ا / خ / م / م / و / و / ا / ش / ع / ب / م / و / ا / ب / ح / ر / ا / ش / ت / ا / و / ك / و / ن / ا / ب / ك / ل / ن /
 ٨- ا / ر / ح / ن / ا / ب / ي / ن / ك / ل / ا / م / ل / ك / ن / و / ا / خ / م / م / ن / و / ت / ق / ن / ح / ا / ي / ر / م / ا /
 ٩- ي / م / ن / ا / ب / ن / ا / م / د / ن / ا / م / ر / ا / و / ا / م / ل / ك / ا / س / ب / ا / و / ب / ن / ي / ا / ذ /
 ١٠- ي / د / ن / و / م / ا / ر / ا / م / ل / ك / ن / ل / و / ت / ا / س / ل / م / ن /

ترجمة النقش:

- ١- برم أمين ورج يهرجب أينا أرسلت رفشام) من
 ٢- همدان أمراء الشعب سمعي والثالث من (شعب) ذو جاشد، قدما
 ٣- لحاميهما (المعبد) تالب ريام سيد ترعت سنة قاتيل
 ٤- يوم أعانتهما حاميهما (تالب ريام) سيد ترعت
 ٥- (الأثنيهما أقاما) سلما، ووجد وجمع برم أمين من همدان
 ٦- بين ملوك سبأ وذو ريدان وحضرموت وقتبان
 ٧- وجنودهم وشعوبهم (من) الحرب التي قامت (ببنتهم)، وكانت في كل
 ٨- أرض، (وبين) كل الملوك وجنودهم، وأفتح برم
 ٩- أمين من همدان مآدته ملوك سبأ وبني
 ١٠- ذو ريدان وسائر الملوك بهذا السلم^{١١١}.

كما أشار النقش (CIH 308/15-17)، من عهد الملك (علهان بن نهقان)، وابنه (شعر أوتر) ملك سبأ، إلى سفارة تمت بين مملكة سبأ ومملكة حضرموت كان من نتائجها عقد تحالف بين ملك سبأ وملك حضرموت، (يدع أبو غيلان)^{١١٢}.

نص النقش:

- ١٥- / ح / ح / ن / س / ت / ك / م / ل / أ / ح / و / ن / ه / م / و / ب / ع / م / ي / د / ع / ا / ب / غ / ي / ل / ن /
 ١٦- ملك / حضرموت / ب / ق / د / م / ي / ذ / ت / ه / ق / ت / ي / ن / و / ح / م / م / ن / ب / ذ / ت / س / ت / و / ف / ي / ا / ك / ل / ا / ق / و / ل /

١٧- ومقتت/نبلو/أيسم/بغير/أخهو/ببحرن/وبسن/وكل/نشعت/أوزند/

١٨- بسرو/أيسم/ل أخهو/

النص بالحروف العربية:

١٥- ارجح ن / اس ت ك م ل / أخ ون و م و / با ع م / ي د ع أ ب غ ي ل ن /

١٦- م ل ك ا ح ح ضر م و ت / ب ق د م ي / ذ ت / ه ق ن ي ث ن / و ح م و م / ب ذ
ت / اس ت و ف ي / ك ل / أ ق و ل /

١٧- و م ق ت ت / ن ب ل و / أ ي س م / با ع ب ر / أخ و / ب ب ح ر ن / و ي ب
س ن / و ك ل / ت ش ع ت / و ز ب د /

١٨- ي س ر و / أ ي س م / ل أخ ه و /

ترجمة النقش:

١٥- كما استكملوا وحدتهم مع يدع أب غيلن

١٦- ملك حضرموت ومن أجل ذلك قدمنا هذا النذر، وحسنا لحماية كل الأمراء.

١٧- والمستولين الذين أرسلوا بعضهم لبعض من أجل الوحدة في البحر واليابس وكل مساعدة
وعطا.

١٨- قدمها بعضهم لبعض

وقد تحدث النقش (نامي ١٩)* (صورة ٥) أيضاً عن استمرار ذلك الحلف (السيهي الحضرمي)
حتى في عهد الملك الحضرمي (يدع إل) (١٧) الذي جاء بعد (يدع أب غيلان) وقد جاء فيه:

نص النقش:

٩- ويهوت/خرقن/تأ

١٠- تم/مرأهو/عظهن/ملك/مسأ/بع

١١- م/يدعإل/ملك/حضرموت/لثلو

١٢-...وتأخوهموا/بلدت/خليم/وتأ

١٣-خو/بوليم/تبعوت/خرقن

النص بالحرروف العربية:

٩-وب هوت/خرقن/تأ

١٠-تم/موأهم/واخلحن/ملك/سبأ/تأ

١١-م/يدع/إل/ملك/حضرمت/النتلو

١٢-...وتأخونهم/وابذت/اغيلم/وتأ

١٣-خو/ابوليم/وابهوت/خرقن

ترجمة النقش:

٩- "وفي هذه السنة

١٠- أهد سيدهم اعلهان لهلان) ملك سبأ مع

١١- يدع إل ملك حضرمت لمساعدة بعضهما.

١٢- وتأخيهما تم في مدينة ذات غيلم وتعاهدا

١٣- على الرعا. بهذا العام ..."

وقد أرسل ملوك دول اليمن وبدواً وسفارات لحضور احتفالات بعضهم البعض مثل السفارة التي أوقدها الملك أثاران يحب بهنعم) ملك سبأ وذي ريدان- في نهاية القرن الثاني الميلادي^{١١} - إلى حسن (أنود) * للمشاركة في تنصيب الملك العزيز بلطحا ملك حضرمت، والتي ذكرها النقش (Jam 923) ^{١٢} (صورة ١).

هذا ولم تهدأ السفارات العسكرية المتواصلة بين دول اليمن القديم في أغلب الفترات التاريخية. ولم تغفل النقوش تلك السفارات العسكرية بكل كانت الصراعات العسكرية موضوعاً أساسياً فيها. ومن ذلك يتحدث النقش (Jam 665/6-11) ^{١٣} من أواخر القرن الثالث الميلادي، عن سفارة عسكرية أرسلها الملك السبئي (هاسر بهنعم)، وابنه (ذراً أمراً)، ملكاً سبأ وذي ريدان، بقيادة

اسعد تالپ بتلف الجدلي، خلد دولة حضرموت حقت لهم انتصارات كبيرة بقتل وأسر مئات
الخصامة^{١١١}. وقد ورد أمر تجريد الحملة في النقش على الحجر التالي:

نص النقش:

٦- بكن / وقهه

٧- مو / مرأهمو / يسرم / يهنعم / وينيهو / ذر

٨- أ أمر / أيمن / ملكي / سبأ / وذريين / ورح

٩- حضرموت / وقت / لسبأ / وقلدن / مرأيهمو / يسر

١٠- م / وينيهو / ذرأ أمر / ملكي / سبأ / وذريين

١١- وحضرموت / وقت / عدي / أرض / حضرموت

النص بالحروف العربية:

٦- ب ك ن / و ق ه ه

٧- م و / م ر أ ه م و / ا ي س ر م / ا ي ه ن ع م / ا و ب ن ي ه و / ذ ر

٨- أ أ م ر / أ ي م ن / م ل ك ي / س ب أ / و ذ ر ي ي ن / و ر ح

٩- ح ن ر م و ت / و ي م ن ت / ل س ب أ / و ق ل د ن / م ر أ ي ه م و / ا ي س ر

١٠- م / و ب ن ي ه و / ذ ر أ أ م ر / م ل ك ي / س ب أ / و ذ ر ي ي ن

١١- و ح ح ن ر م و ت / و ي م ن ت / ع د ي / أ ر ض / ح ن ر م و ت

ترجمة النقش:

٦- حينما أمرهم

٧- سيدهم ياسر يهنعم وابنه ذراً

٨- أمر أيمن ملكاً سبأ وذريين ورح

٩- وهنت بالغزو والقيادة افي حملة سيدهم باسر

١٠- وابنه ذراً أمر ملكي سباً وذي ريدان

١١- وحضرموت وهنت إلى أرض حضرموت^{١٢٢}.

كما تناول نقش النصر الشهير الذي عُثر عليه في صرواح (RES 3945) الذي يعود إلى عهد الملك (كرب إل وتر) ابن (أزار علي) ملك سبأ، والذي يرجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد^{١٢٣}، سفارات عسكرية كبيرة سيرها ملك سبأ (كرب إل وتر) ضد دولة أوسان^{١٢٤}.

ويذكر نقش آخر (CIAS 47: 82/ 02)، حملة عسكرية سيرتها قتيان ضد سبأ^{١٢٥} والنقش لسيدتين (صورة ٤) من قتيان تدعيان (جن عم وحمد علي)، والابن (أبي كرب والابنة نعم جدا)، ويذكر النص أنهم تقريباً ينتمون إلى البرونز إلى سيدهم المعبود عم ذو دون في معبده حطب في ذي غيل (هجر بن حميد)، حسب الوعد من أجل سلامة سيدهم الملك القتياني (نبط يهنعم)، بعد غزوة الرجبة ضد ملك سبأ وذو ريدان، وذكر أن السيدتان وضعتا نفسهن تحت سلطة المعبود من أجل نجاح سيدهن ملك قتيان^{١٢٦}.

نص النقش:

١- جنعم / وحمد علي / ونسي / أب

٢- كرب / وولومجد / ذنو / مشفر (ث /)

٣- وتهشكن / وفقضتق / سقنين / (م)

٤- رأس (ن / عم / ذدوانم / عد / مع)

٥- رمس / حطم / بهجرن / (ذغ)

٦- يلم / صلح / ذهب / حج / م / لب /)

٧- ذم / شفتلس / لوقي / مرأس / ان / نبا

٨- طم / يهنعم / ملك / قتيان / يبو

٩- م / بس / سبأ / عد / رحبتق / عبر

- ١٠- ملك / سبأ / أرض / حبرم / وعم / ليز
 ١١- أ / صدقسن / بكل / منجو / بيكثرون / او
 ١٢- من / المحرجس / الوفي / امرأسن / نيظم / اي
 ١٣- عنعم / املك / قتين / اوفيسن / اوففي
 ١٤- أيرئسن / ارئسو / عم / اذدوئم / اصلم
 ١٥- ن / ينكل / مسنكرم / اين / ايرئس / ايج
 ١٦- نتر / اشرقن / وعم / اذدوئم / اوانسي
 ١٧- شيمن / اونشيت /
 ١٨- وعزين / امنضحو / ارب

النص بالحروف العربية:

- ١- ج د ن عم / و ح م د ع ل ي / ا و ب ن س م ي / ا ب
 ٢- ك ر ب / ا و ن و م ج د / ا ذ ت و / ا م ش ف ر (ت /
 ٣- و ت ه ث ك ن / ا و ف ق ط ر ت ن / ا س ق ن ي ن / ا م
 ٤- ر ا س (ن / ع م / ا ذ و) ن م / ا ع د / ا م ح)
 ٥- ر م س / ا ح ط ب م / ا ب ه ج ر ن / ا ذ ع)
 ٦- ي ل م / ا ص ل م / ا ذ ه ب م / ا ح ج / ا م ا ث ب / ا
 ٧- ذ م / ا ش ف ت ن س / ا ل و ف ي / ا م ر ا س (ن / ن ب)
 ٨- ط م / ا ي ه ن ع م / ا م ل ك / ا ق ت ب ن / ا ب ي و
 ٩- م / ا ب س / ا س ب ا / ا ع د / ا ر ح ب ت ن / ا ع ب ر
 ١٠- م ل ك / ا س ب ا / ا و ا ر ض / ا ح م ي ر م / ا و ع م / ا ل ي ز
 ١١- ا / ا ص د ق س ن / ا ب ك ل / ا م ن ج و / ا ب ي ك ت ر ب و ن / ا و

- ١٢- م ن / ت ح ر ج س / ل و ف ي / م ر أ س ن / ن ب ظ م / ي
 ١٣- ه ن ج م / م ل ك / ق ت ب ن / و و ف ي س ن / و و ف ي
 ١٤- أ ب ر ث س ن / ا ر ث د و / ع م / ذ د و ن م / ص ل م
 ١٥- ن / ب ن ك ل / م س ن ك ر م / ب ن / ب ر ث س / ب ع
 ١٦- ث ت ر / ش ر ق ن / و ع م / ذ د و ن م / و أ ن ب ي
 ١٧- ش ي م ن / و ن ش ب ت /
 ١٨- و ع ل ي ن / م ن ا ص ح و / ح ر ب

ترجمة النقص:

- ١- جدن عم وحمد علي وولداهما أبي
- ٢- كرب ونعم جد، من آل مشغرة
- ٣- وهشكان وقفتشان، تقرفا
- ٤- إلى سيدهما (عم أو دون) في جرمه
- ٥- حطب في مدينة ذي
- ٦- قبيل ثمالاً من البرونز طبقاً ل...)
- ٧- الذي وعدناه به من أجل سلامة سيدهما نبط
- ٨- بهنعم، ملك قتيان، يوم
- ٩- غزاً في الرحبة ضد
- ١٠- ملك سبأ وبلاد حمير، فليستمر عم في الاعتراف
- ١١- بحقهما في كل مناسبة تعشان
- ١٢- نفسيهما تحت سلطته من أجل نجاح سيدهما، نبط
- ١٣- بهنعم، ملك قتيان، ومن أجل نجاحهما ونجاح

١٤- مشروعاتهم. وقد وضعنا في حيازة عم ذي دون هذا التمثال

١٥- ضد كل من يغير مكانه. بجاء عشر

١٦- الشارق وعم ذو دون، وإسي

١٧- أعلم، ونسبة

١٨- والعزي، الألهة الخامية لـ (قصر) حرب^{١١٦}.

و يشير النقش من مارب، إلى معركة دارت بين سبأ وحضير^{١١٧}، (صورة ١٦)، ويقترب أوجهها في معركة ذي حرمة* وأصحاب النقش هم: (كوكب بندر) ابن (محيلى) وبنه يعلى بن (إيل شرح بحضب) وأخيه أبازل بينا، ملكي سبأ وذي ريدان. وقد تقربا إلى المقة تهبان يعلى وأوم، بنسائيل ثلاثة، لأنه حفظ سادته (إيل شرح بحضب)، وأخاه أبازل، بينا ملكي سبأ وذي ريدان، في كل الحملات التي شنوها، وكل الحروب التي خاضوها، وكل العداوات التي قاموا بها ضد حضير، في قاع ذي حرمة^{١١٨}.

وإذا كانت النقوش السابقة قد أوردت السلام كنهاية لحرب نشبت، أم اتفاق سلام تم فإن النقش (Jam 643) قد بدأ بمحاورات سلام أعقبتها حرب طاحنة بين ملك سبأ (كرب إيل بينا)، وملك حضرموت (يدع إيل)، ويمكن إدراكه أن هناك مهادنات سلام تمت في مارب لم يلق بها ملك حضرموت، الذي عاد وأرسل إلى ملك سبأ لإحياء ذلك الاتفاق. الأمر الذي رفضه الأخير. ثم أرسل ملك حضرموت إلى ملك سبأ (كرب إيل بينا)، لاقتناعه بأن يرسل إليه - إلى ملك حضرموت- وفقاً من الأسير، والأقبال للحوار مع ملك حضرموت^{١١٩}.

نص النقش:

ويقت / ملك / حضرموت / يعبر / كرب إيل / بينا / خلف / هجرن / حجين / قنعم / لهسرن / يعبرهو / بين /
أسان / وأقولن / شحيت / يعكرون / ملك / حضرموت / ييلن / نعم / ملك / سبأ

النص بالحروف العربية:

وبلن / ملك / حضرموت / يعبر / كرب إيل / بينا

إيل / بينا / خلف / هجرن / حجين / قنعم / لهسرن / يعبرهو / بين

هو / بين / أسان / وأقولن / شحيت / يعكرون / ملك / حضرموت / ييلن / نعم / ملك / سبأ

ك ر ب / م ل ك / ح ض ر م و ت / ت ب ل ت ن / ب ع م / م ل ك / م ب أ

ترجمة النقش:

لكن ملك سبأ أرسل نشأ كروب بن جرت وبعده ثلاثمائة جندي من شعب سهم، ولم يرسل
وقداً للتفاوض:

نص النقش:

وهيسر كروب إبل بين/عبدو/نشأ كروب/بن جرت/وبعده/ثلاثمائة/أسد/بن شعبن/
سهم

النص بالحروف العربية:

وهي من ر ك ر ب | ي ل ب ي ن | ع ب د ه و | ن ش أ

ك ر ب | ب ن | ج ر ت | و ب ع م | ت ل ت م | ا ن م | م د م | ب ن | ش ع ب ن | م س م ه

ر م

ترجمة النقش:

وأرسل (كروب إبل بين) عبده نشأ كروب بن جرت وبعده ثلاثمائة جندي من شعب سهم.
ويبدو أن ملك حضرموت أعاد نشأ كروب مع قوائمه ولم يتم الاتفاق، وقامت معركة بين الطرفين.
واللائحة للنظر هو أسلوب التعامل في مثل هذه المواضع حيث أظهر النقش في سطره الرابع عشر
أن نشأ كروب، قد عاد مفارصاً مرة أخرى:

نص النقش:

وخيا/نشأ كروب/بن جرت/ملك/حضر موت/عسبت/منجبت/ذكر/بعده/حجن/استأذن/بعم/
مرأهم

النص بالحروف العربية:

و ج ب أ / ن ش أ ك ر ب / ب ن ج ر ت / ل م ل ك / ح ض ر م و ت / م ت ب ت /

م ن ج ي ت / ذ ك ر / ب ع م ه / ح ج ن / ا س ت ا ذ ن / ب ع م / م ر ا ه م و

ترجمة النقش:

وقدم نَشَأ كَرِب بن جرت إلى ملك حضرموت، مزوداً بالوثائق التي توطين بأنه (مرسل) بإذن من ملكه (للتفاوض).^{١٢١}

وتؤكد كل هذه الفقرات المتخلصة من عدد من النقوش اليمنية القديمة حرص الملوك اليمنيين على إرسال سفارات للتفاوض وعلد المعاهدات فيما بينهم، وحرصهم أيضاً على تدوين تلك السفارات وتفاصيلها في نقشهم.

ثانياً - سفارات متبادلة بين دول اليمن القديم والمناطق الحضارية المنتشرة داخل شبه الجزيرة العربية.

هدفت بعض السفارات إلى تنظيم العلاقات بين الدول اليمنية، ومناطق حضارية في داخل شبه الجزيرة، وتوسعت ما بين السفارات السلمية، والعسكرية، وظهرت الوفود التي حاولت التوفيق بين المتنازعين أو المتحاربين، وبين القوى الكبرى في جنوب شبه الجزيرة العربية. وكان من بين هذه النقوش (Ry 509; 210) (Jam 576) (Ry 525) التي تحدثت عن العلاقة اليمنية بملك خصصان، والمناذرة. وقد أشارت بعض النقوش مثل (Jam 2110)، و (Zl 75) إلى وجود كيانات سياسية في الجزيرة العربية تتمتع بعلاقات دبلوماسية مع مملكة سبأ مثل أحسان، وأمسد، ووزار، ومذحج.^{١٢٢}

ويذكر النقش^{١٢٣} (Ry 506) - الذي يعود إلى عام ٥٤٧م^{١٢٤}، والذي أمر (أرهفة) بنقشه - سفارة قام بها (عمرو بن المنذر الثالث اللخمي)، للتفاوض مع ملك حمير (أرهفة)، وكان (أرهفة) وقادته قد اقتحموا مناطق تدخل في محيط نفوذ اللخمين (الخيرة)، الذين كانوا تحت طاعة الفرس. حيث هدفت الحملة إلى تأديب قبائل (معد) و(بني عامر)، الذين دخلوا في رباط وثيق مع اللخمين في الخيرة واعترفوا بالتحية لهم لأنه بعد هزيمتهم على يد أرهفة قُسموا على تقديم الرهائن، وذهب عمرو بن المنذر الثالث اللخمي، للتفاوض مع ملك حمير. وقد كانت هذه الحملة موجهة إلى (عرب الفرس)، ولقد فالتت حمير من أجل مصالحتها الاقتصادية التي تشابكت مع مصالح بئرنة، من أجل السيطرة على طريق التجارة الذي كان يُنقل عليه المر واللبان من بلاد العرب.^{١٢٥}

نص النقش:

١-ب-خ ي ن / ا ر ج م ن / ا و م س ج و / ا م ل ك ن / ا ب ر ه / ز ي ب م ن / ا م ل ك ا س ب ا /
و ذ ر ي ه ن / ا و ح ض ر م و ت

- ٢- وفنت / وأعرهفو / طودم / ونهت اسطن / كغزو /
- ٣- معدم / المزون / ربعنا / بورخ / اذتبق / كفسنو / كلى / ابني / اعرم
- ٤- وذكى / ملكن / أبجر / اعم / كدت / وعك / اوشرم / انحصنم / اعم
- ٥- معدم / اوم / اخ / ض / او / القمني / اجشن / اعلى / انصنرم / كدت / وعك / ودا / هرا / انا / ات / ارا / ابنا / اعم / امرد / اوسنم / ابود
- ٦- ينهج / اترين / اوهرجو / اوأ / رد / اوغتمو / اذعسم / اوسنض / ملكن / ابجلين / ابودنو
- ٧- انا / اي / ال / معدم / اورره / نو / اوج / دنهو / اوس / عهسو / اعرم / اين / املون /
- ٨- ورهسو / ابهو / اوستخلفهو / اعلى / معدم / اوقفلو / اين / اجل
- ٩- اب / ان / اب / اخيل / ارصن / اورخهو / اذلتني / ادسني / اوس
- ١٠- ث / ماتم

النص بالحروف العربية:

- ١- خ ي ل ا ر ح م ن ن ا و م س ح ه و ا م ل ك ن ا ا ب ر ه ا ز ي ب م ن ا م ل ك ا س ب ا ر و ذ ر ي ه ن ا و ح ض ر م و ت
- ٢- و ي م ن ت ا و ا ع ر ب ه م و ا ط و د م ا و ت ه م ت ا س ط ر ن ا ك ع ا ز ي و ا
- ٣- م ع د م ا ع ز و ت ن ا ر ب ع ت ن ا ب و ر خ ن ا ذ ت ب ت ن ا ك ا ق س د و ا ك ل ا ب ن ي ا ع م ر م
- ٤- و ل ك ي ا م ل ك ن ا ا ب ج ب ا ر ا ب ع م ا ك د ت ا و ع ك ا و ب ش ر م ا ب ن ا ح ص ن ا م ا ب ع م
- ٥- س ع د م ا و م ا خ ض ا و ا ق د م ي ا ج ي ش ن ا ع ل ي ا ب ن ي ع م ر م ا ك د ت ا و ع ك ا و و ا ه ر ا و ا ن ت ا ر ا ب ا ن ا ي ع م ا ا م ر د م ا د س ج د م ا ب و د
- ٦- ب م ن ه ر ج ا ت ر ب ن ا و ه ر ج و ا و ا س ا ر و ا و ع ن ا م و ا ذ ع س م ا و م خ ض ا م ل ك ن ا ب ا ج ل ا ب ن ا و د ن و

٧- إذا (أي ل/م) عد م/اور ر همن و/وب عد ن هرواوس اع هم و/اع م ر م اب ن/م
ذون/

٨- ور همن هم و/اب ن هرواوس تخ ل ل و/اع ل ي ام عد م او ق ل ل و/اب ن ا/ح ل

٩- اب ان/ اب أخ ي ل/ار ح م ن ن/اور خ هروا ل ل ت ن ي/اوس ت ي/اوس

١٠- ت/م أ ت م

ترجمة النش:

(١) بحول/ بقوة الرحمن ومسيحه. الملك أبرهة الذي (يبتد لغزاه حتى) اليوم/ المحيط، ملك
سبأ وذي يمدان وحضرموت.

(٢) هينة وأعرابهم في الطود/ نجد وتهامة، سطور/ زبرو هذا المستد عندما غزوا.

(٣) (قبيلة) معد. غزوة ربيعة (سلي الربيع) / الرابعة في شهر ذي القعدة (=أبريل) عندما
تقدوا / ثاروا كل بني عامر.

(٤) وأرسل الملك باهي الجبر مع (قبيلتي) كندة وعك، وأرسل بشر بن حصن مع

(٥) (قبيلة) سعد، وقد اكتسحا وشتاً حراً، قائداً الجيش، ضد بني عامر (على رأس) كندة
وعك، وأحرقوا/ ودمروا ت ر ب ن (مع قبيلتي) مراد وسعد في وادي

(٦) على طريق ت ر ب ن (تريان)، وقتلوا وأسروا وغنموا الكثير. وألحق الملك الدمار
بجليان، وأخضعوا

(٧) قبل معد وأخذوا رهائن. وبعد ذلك، أحاط بهم عمرو بن المنذر (= عمرو بن هند)

(٨) وأخذ رهائن منهم، ابته، فاستخلفه، (= أي أن عمرو بن المنذر استخلف ابته) على
(قبيلة) معد. وعادوا من

(٩) جليان بقوة / بحول الرحمن في شهره من عام اثنين وستين

(١٠) وستمانه^{١٢٥}.

ويذكر النش السني (Jam 547). أن الملك السني (إيل شرح بعضيا). كان له معركتين:
الأولى ضد الأحباش وذي سهرة في عقرهم في وادي ذي سهام، والثانية ضد جمعيات الأحباش

أيضاً في الواحات المزروعة في وادي مرود. وبعد انتصار الملك ونعودته إلى صنعاء - محملاً بالفتائم، أدركتهم رسل من متطوعين ومقدمين تعهداً بحسن السلوك، ووضعوا أولادهم وهائن ملك سبأ، وفي أوضاع سياسية مماثلة يذكر النقش السبئي (Jm ٥٧٧)، سفارة جاءت من أبناء بجران إلى الملك السبئي (ابل شرح بعضهم)، حيث جاؤا إليه بعد ثلاثة أيام من هزتهم متضرعين، وقدموا له أولادهم وبناتهم وهائن* تعبيراً عن أنهم سيحسنون التصرف في المستقبل^{١٢٦}.

ثالثاً- سفارات متبادلة بين دول اليمن القديم ودول العالم المعاصرة لها-

١- سفارات مرسلّة من اليمن القديم إلى دول العالم المعاصرة

أخذت التعاملات الدبلوماسية مكاناً في سياسة ملوك دول جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة تجاه الدول المعاصرة لها. ونتج عن ذلك تبادل للسفراء - بين هذه الدول وبين الدول التي تعاملت معها. وقد أسفرت تلك السفارات عن عقد الكثير من الاتفاقيات، وهناك عدة نقوش تؤكد إيجاد السفراء - من دول اليمن القديم إلى دول أخرى، كما أن هناك نقوش تتناول الاتفاقيات التي ما كان لها أن تتم إلا بعد تبادل السفارات للتفاوض بشأنها بطبيعة الحال. ومن ذلك:

يتحدث النقش (Wellcome Museum No. A 103664 1-5)،^{١٢٧} عن إرسال سفارة لعقد اتفاقية مؤاخاة بين عدد من أقبال اليمن وبين أكسوم. ويبدو النص في صورة نص قانوني لمرسوم أصدره الملك الحيشي (إلا أصبحت) نجاشي أكسوم:

نص النقش:

١- [[الأصحح/لجشت/أكسن/اسطر/ذن/م"ند/إن/ليقر/ولس/مع/كستخلفن/بأرض/حسبرم/أقولن/ل/حيبت/برخ/لم/وشرح]]

٢- [[بال/ومعدكرب/وسيفع/بسم/الهم/إو/رحمن/وب.../ر"م"غ/غبن/أو/منش/قدس/وليشعب/دن/هت]]

٣- [[قولن/لأملك/أكسن/وليقر/ولس/ع/إن/ملكن/كعدي/أهم/إو/لحيبت/و-/سبهو/عدي/م/أهم]]

٤- [[الأصحح/لجشت/أكسن/بأرض/ل/حشت/بن/صنعو/و/كضيا/ح/بل/أقولن/لحيبت/برخم/وشر/حبل/ل]]

٥- [[ومعدكرب/وسيفع/ل/و/أحزب/أكسن/ل]]

النص بالحروف العربية:

١- [إل اص بح هـ / نج ش ت / أكس م ن / س ط ر / ط ن / م س ٢ ن و ا ن /
ل ي ق ر / و ل م ن ا م ع / ك ي س ت خ ل ف ن / ب ا ر ض / ح م ي ر م / أ ق و ل ن / ل
ح ي ع ت / ي ر خ ا م / و ش و ا ح]

٢- [ب إل / و م ع د ك ر ب / و س م ي ف ج / ب س م / إ ل ه م ا و / ا ر ح م ن
ن / و ب ... / ا ر س ٢ ت م ٢ / غ ل ب ن / و م ن ف س / ق د س / و ل ي ت ج
ب د ن / ا ه م ت]

٣- [أ ق و ل ن / ل ا م ل ك / أكس م ن / و ل ي ق ر / و ل م ن ع ا / ن / م ل ك
ن / ك ع د ي / أ خ ه م ا و / ل ح ي ع ت / و - ب ن ي - ه و ا ع و ي ا م ر ا ا ه م]

٤- [إل اص بح هـ / نج ش ت / أكس م ن / ب ا ر ض / ا ح ب ش ت / ب
ن / ص ن ع و / و ك ض ب ا / ح إ ب ل / أ ق و ل ن / ل ح ي ع ت / ي ر خ م / و ش
ر ح ب إ ل /]

٥- [و م ع د ك ر ب / و س م ي ف ج / ا و ا ح ز ب / أ ل ا س م ن /]

ترجمة النص:

١- (إلا أصبح مجاشي أكسوم كتب هذا المستند ليقر وليعلن بأنه سبعين نوباً له على أرض
حمير: الأقبال لمجة برخم) بشر ا ح =

٢- (بئذ وبعد بكر ب وسيفع بإسم إلههم الرحمن و ...) السبع الغالب وروح القدس،
وليخضع أولئك

٣- (الأقبال ثلوك أكسوم وليقر وليعلن) هذا الملك بأنه عندما سار حليفهم المجة بسوه إلى
سبأ هم

٤- (إلا أصبح مجاشي أكسوم بأرض) الحشة من صنعاء أثناء الحرب أبرم اتفاقية (مؤاخاة:
الأقبال لمجة برخم وشرجيل)

٥- (بعد بكر ب وسيفع ا، والجماعات المسلحة بمديتهم مع الأكسوميين) وسيدهم مجاشي
أكسوم (...)^(١٨).

وقد تبادل الملك شعر أوتر ملك سبأ أيضاً السفراء مع النجاشي ملك الحبشة. وذلك بعد أن أخذ ملوك أكسوم يتدخلون في أحوال اليمن منذ أواخر القرن الثاني الميلادي^{٣٠١}. وفي النقش (Jam) (632) يذكر صاحبه القليل (تقطين أوكن) سفارة قام بها إلى أرض حبشت كما يلي:

نص النقش:

عبد / تقطين / أوكن / ابن / جرت / يكن / تيلهو / مرأهيو / شاعرم / أوتر / الملك / سبأ / ويأريدن / عدي / أرض / حبشت / يعبر / اجنرت / الملك / حبشت / واكسن / اوناولو / ينهو / يوليم / هو / اوكل / شوعمسو /

نص النقش:

عبد / ده / ق / ط / بن / أوكن / بن / جرت / ايكن / بن / بالهو / مرأه
م / شاعرم / أوتر / ملك / سبأ / وفري / دن / عدي / أرض / حب
شرت / ابعب / جرت / ملك / حبشت / واكسن / سم / ن / اوت / او
ل / و / بن / ده / اب / وفيم / هو / اوكل / شوعمسو /

ترجمة النقش:

عبد تقطين أوكن بن جرت أوفده شعر أوتر ملك سبأ وذي ريدان إلى أرض حبشت لدى جنرت ملك حبشت وأكسوم، وأنه جاء منها بالسلامة هو وكل مرافقهم^{٣٠٢}.

والى جانب تلك السفارات السياسية أوفد اليمنيون سفارات تجارية كثيرة إلى دول العالم القديم، تحدثت عنها عدة نقوش كما النقش (RES 3427) الذي عُثر عليه في سفارة بصر وهو نص لتاجر معيني بنسقى (زيد إل) وسعت تجارته في البحر مع المصريين فكمروهم ودفنوه في سفارة^{٣٠٣}. وكانت للسفارات التجارية وجهات أخرى كذلك التي تناولها النقش (RES 3022) والذي يذكر صاحبه (عم صدق بن حم عشتا و (سعد) أنهما قاما بسفارة تجارية إلى مصر وآشور^{٣٠٤}. ومثلهما فعل بعض التجار منهم أعم يدع. وعم كرب، وجيوم، وباسلم، وحمى إل، أبناء عم صادق) الذين ذكروا في تجارتهم مع مصر، وغزة، وآشور. في النقش (RES 2771) - التي وجد في قلعة (بهر) على الجانب الشرقي من اقترناوا معين، والتي بحره إلى عهد الملك المعيني إل يقع ريدا حوالي عام 3٦٥ ق.م^{٣٠٥}.

ب- سفارات والمدة إلى اليمن القديم من دول العالم المعاصرة

لقد وفدت إلى دول اليمن القديم سفارات كثيرة متنوعة الأهداف، كان منها سفارات عسكرية، وأخرى سياسية وأخرى دبلوماسية. وقد تحركت بعض السفارات بين الدول لعقد المعاهدات، إلا أن خروج بعض الأطراف وتقضيم المعهد أدى إلى تحرك السفارات العسكرية التي شاركت في عهد الحروب، كما ورد في النقش (Jam 576/3) الذي يشير إلى حادثة نكت الأحياس وملك حير (شمر ذي ريدان)، لمعاهدة عقدت بينهم وبين الجانب السني، وتقضوا بذلك اليمن التي أودها حين عقدت المعاهدة، وكان نتيجة هذا العمل أن شن الشرح يحضبا حريا ضروسا ضدهم ويشير نفس النقش (Jam 576/11)، إلى أن الملك الحميري لجأ إلى طلب العون من أعدبه، ملك أكسوم ضد الملك السني الشرح يحضبا، حليفه السابق ويبدو أن سياسة (شمر ذي ريدان)، الملك الحميري كانت غير مستقرة فتارة يحالف (الشرح يحضبا)، ثم يتفق مع الأحياس (Jam 576/11) ثم يعود لطلب السلم والصلح من الشرح يحضبا (CIH 314/13-17)، ثم في مرة ثالثة يعود شمر لتفرض المعاهدة (Jam 577/2)، وأخيرا يعود شمر ذي ريدان، للسلم والمعاهد (شرح يحضبا)، (أرياني ١٩٩)، ويبدو أن هذا التأخر الأخير قد دام مدة أطول^{١٢١}.

ويتحدث نفس للملك (علهان نهان)، ملك سبأ وبنائه (شاعر أوتر وبريم أمين)، عن شكر لغيرهم (نائب ريام)، لأجل هدانا لبلوها وعهد السلم الذي عقده مع (جدرت) ملك حبشت، (يدع أب غيلان)، ملك حضرموت، وذلك بإرسال سفراء بعضهم لبعض. ويتحدث النقش (CIH 508/10-15)، الذي يعود إلى الفترة من ٢٠٥-٢٣٠م، عن سفارة أرسلها (جدرت) ملك الأحياس لعقد هذا التحالف^{١٢٢}.

نص النقش:

- ١٠- وحندم / بذت / نبل / ويطاق / بهر هو
- ١١- جدرت / ملك / حبشت / لتأخون / بمهوو مستكمل / ها / أخون / بين
- ١٢- هو / وبين / جدرت / ومعتز / أحشين / والحجر من كوخد / ضر هو / وسلمه
- ١٣- هو / بهليكل / دنشان / بهر هو / وكبضم / وأسم / يتأخون / سلحن
- ١٤- ووزرن / وعلهن / وجدرت / كل / عبر هو / وحندم / بذت / مستكمل / أخون
- ١٥- هو / بع / ملك / حبشت /

النص بالخروف العربية:

- ١٠- و ج م د م / ب ذ ث / ن ب ل / ب ل ث ن / ب ع ب ه و
 ١١- ج ذ ر ت / م ل ك / ح ب ش ت ن / ل ت أ خ و ن / ب ع م ه و و س ت ك م ل / ه أ
 / أ خ و ن ن / ب ي ن
 ١٢- ه م و ا و ب ي ن / ج ذ ر ت / و م ع ن / أ ح ب ش ن / ا و ت ج ز م و ك و ح د ا ط
 و ه م و ا و س ل م ه
 ١٣- م و ا ب ع ل ي ك ل / ل ا ي ت ش ن / أ ن / ب ع ب ز ه م و ا و ك ب م ح م / أ م ن م ا ي
 ت أ خ و ن ن / م ل ح ن
 ١٤- و ز و ر ن / ا و ع ل ه ن / ا و ج ذ ر ت / ك ل / ا ع ب ر ت ه م و ا و ح م د م / ب ذ ث ا س
 ت ك م ل / أ خ و ن
 ١٥- ه م و ا / ب ع م / م ل ك / ح ب ش ت ن

ترجمة النقش:

- ١٠- وحدا لأجل إرسال بعثة نحوه
 ١١- من جدره ملك الحيشة لطلب الفأخي معه واستكمال هذه الأختوة
 ١٢- بينهم وبين جدرت وبين بلاد الأحباش، وأدوا السنين على وحدتهم وأصبحوا قرداً واحداً
 في الحرب والسلام
 ١٣- على كل من يعاديه من الصحة والأمن تأخى قصر سلحين
 ١٤- وقصر زورن وعلهان وجدرت كل من ناحيته، وحدا لأجل استكمالهم الوحدة
 ١٥- مع ملك الحيشة^(٣٣).

ومن السفراء الأحباش من خلف اسمه من نقوش ذكرتهم بالبناء والتعمير، ومن ذلك نقش
 جازيسى (Ga 12 d) ويرجع هذا النقش إلى عام ٦١٩ م / ٥٠٤ م. من عهد مرشد آل بنوف
 ومصدره بيت الأنول ظفار (صورة ١٣). ويتحدث النقش عن قيام سفارة حيشية (ت ن ب ل ت
 ن)، بتشييد (بيت شعان)، في العاصمة الحسرية ظفار^(٣٤). وهو يخلف ذكرى بناء قصر من

قبل السفراء الأحياش من منطقة ظفار. وقد جاء في النقش أنه "بانتصار الرحمن، رب السماء (وأبأمر) ... سيدهم الملك مرثد ألن بنوف شدج وأبنائه: ودقة وأصحاء، الساراء، بنوا وشيدوا وأهجروا بيت شعبان من أساسه حتى قمته، وقد بنوا مدخلاً من الحجر وحفظوه ولحتوه. وببركة الرحمن، في شهر ذو معون من سنة ستمائة وتسع عشر". ويتبين من أسماء أصحاب النقش أنهم سفراء من الحبشة وتاريخ النقش يعود إلى شهر ذو معون ٦٦٩ من التاريخ الحميري، المطابق لعام ٥٦١م^{١٢٤٥}.

وفي أرقى أشكال التعامل الدبلوماسية تشير بعض النقوش اليمنية إلى قدوم سفراء من عدد من الدول المحصور حفلات تنويج الملوك، في دول جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة. وكان احتفال التنويج يتم في موكب يضم نبلاء حضرموت ووقود من جهات شتى من داخل الجزيرة العربية، ومن خارجها، ليعلم عن تنويج الملك^{١٢٤٦}. وكان من بينهم المحصور في أحد حفلات التنويج سفيران من ندمر، ووفد مكون من شخصيتين كلدانيتين من جنوب العراق، ووفد مكون من شخصيتين من الهند، وفلدا جميعهم المحصور احتفال تنويج ملك حضرموت في العقلة^{١٢٤٧}، ويظهر ذلك في النقش الحميري (Jam 931) (صورة ١٣)^{١٢٤٨}.

نص النقش:

١- خيرى / وعذم / تدمري

٢- بهن / ذمترن / وقلقت

٣- كشدبيهن / دهرده / وم

٤- نده / هندبيهن / شوغو

٥- مرأسم / ألد / يلط / م

٦- لك / حضرموت

النص بالهروف العربية:

١- خ ي ر ي / و ع ذ م / ت د م ر ي

٢- ي ه ن / ذ م ت ر ن / و ق ل ق ت

٣- ك ش د ب ي ه ن / د ه ر د ه / و م

٤- ن د ه / ه ن د ي ي ه ن / ش و غ و

٥- م ر أ س د م / أ ل ج ذ / ي ل ط / م

٦- ل ك / ح ض ر م ت

ترجمة النقش:

١- خيرى وعزام التدمريان

٢- وذمتر وفلقت

٣- الكلكتانيان وداهدوا، وميندا

٤- الهنديان جاملوا

٥- سيدهم العزيط

٦- ملك حضرموت

وترسم النقوش السابقة في هذا المحور مدى ما تمتعت به دول وممالك اليمن القديم، من قدرة على تسيير السفارات، و الأخذ بالانفاقات، والمعاهدات، لتسيير أمورها سواء على المستوى الداخلى في اليمن، أو على المستوى الإقليمي داخل شبه الجزيرة العربية، أو على المستوى الدولى، ولم تمنع هذه المعاهدات إعادة الكرة في أي وقت على ناقضتها، كما توضح النقوش السابقة أيضاً مدى أهمية اليمن في المحيط الحضاري والسياسي الذي عاصرتة، حيث حرصت الكثير من دول العالم القديم على إرسال وفود مسلمة للمشاركة في المناسبات الرسمية، والوطنية، كمشاركة وفود من دول عديدة في احتفالات تنويج ملوك يمنيين^{١٥١}.

وتروي نقوش (أبرهة الحبشي)، شيئاً من العلاقات الدبلوماسية المشابهة، ففي النقش (CIH ١54)^{١٥٢}، ويعود النقش إلى تاريخ ذو معون، من العام ٦٥٨ من التاريخ الحبشيري الذي يتطابق شهر آذار / مارس ٥٤٩ ميلادية، ويصف النقش عودة الملك أبرهة الحبشي من العرم، إلى مدينة مأرب ومعه الأقبال الذين كانوا مواليين له فجدد بذكر اسم أكسوم، ذو معافر ابن الملك فيما بينهم، وبداية من السطر (٨٧-٩٢) من النقش فجدد يتحدث عن وفود الدول التي قدمت إليه وهم: سفراء النجاشي، سفراء ملك الروم، وفد ملك فارس، ورسول أمراء عرب^{١٥٣}، وتُعد الإشارة إلى وصول السفراء من روما وفارس والحيشة ورسول أميرين عربيين دليلاً على الاعتراف الدولى بأبرهة بوصفه ملكاً شرعياً لليمن^{١٥٤}.

وفيما يلي ترجمة فقرات من النقش:

٧٦- بعد أن أعطوا الإذن بالانصراف للقبائل، وصلوا

- ٧٧- الأقبال الذين محصنوا ، وقد
 ٧٨- وصلوا إلى الملك بصحبة الشرايا التي
 ٧٩- أرسلت لإخضاعهم وأعادوا محالفهم مع
 ٨٠- الملك. ومن هناك عاد الملك إلى
 ٨١- مدينة مأرب من العرم / السُد، والأقبال الذين كانوا
 ٨٢- متوحدين معه، منهم: أكسوم / يكسوم ذو معاهر
 ٨٣- ابن الملك ومرجوف ذو ذرائع و
 ٨٤- عادل ذو فائش وذو شولمان وذو الشعين و
 ٨٥- ذو زعين وذو همدان وذو الكلاع وذو عهدم و
 ٨٦- ذو ثات وعلمس ذو بزن وذو ذيبان وكبير
 ٨٧- حضرموت وذو قرنة / قرنة، ذلك لأنه وصلتهم
 ٨٨- سفارة النجاشي ووصلتهم
 ٨٩- سفارة ملك الروم والبعثة الدبلوماسية
 ٩٠- لملك فارس ورُسل المنذر ورُسل
 ٩١- الحارث بن جبلة ورُسل أبي كرب
 ٩٢- بن جبلة ٥٤.

وبعد وصول الوفود السالفة الذكر دليل على الاعتراف الدولي بأبهة بوصفه ملكاً شرعياً لليمن. ومن الواضح أن بيزنطة، وفارس، وحلفاؤها، قد تطلعا إلى الحصول على تعاون الملك أبرهة الحبشي، الذي أصبح ملكاً على اليمن واختار صنعاء عاصمة له. والسفراء الذين وصلوا إلى أبرهة كانوا في عهده النجاشي الحبشي، والإمبراطور الروماني، (جوستينيان)، وملك الفرس (خسرو كسرى الأول أبو شروان) * والمنذر (الأمير الفخمي حليف الفرس)، وكذلك حلفاء بيزنطة، الحارث بن جبلة والأمير الغساني وأخوه أبي كرب بن جبلة. وقد استمرت المنافسة بين القوتين من أجل السيطرة على الجزيرة العربية، وقد نال أبرهة دعماً بيزنطياً كبيراً في حروبه التي خاضها ضد العرب^(١١).

حضر موت (بدع إبل). وقدم المفاوضون الوثائق التي توضح بأنهم أرسلوا بإذن من ملوكهم مثل نشأ كرب بن جرت الذي جا - من ملك سبأ إلى ملك حضرموت. وهكذا أكد الكثير من النقوش اليمنية القديمة حرص الملوك اليمنيين على إرسال سفارات للتفاوض وعقد المعاهدات فيما بينهم، وحرصهم أيضاً على تدوين تلك السفارات وتفاصيلها في نقوشهم.

أما النوع الثاني من السفارات فهو السفارات التي أمتت العلاقات بين الدول اليمنية ومناطق حضارية في داخل شبه الجزيرة، وتنوعت ما بين السفارات السلمية والعسكرية. فكانت الوفود التي حاولت التوفيق بين المتنازعين أو المتصدين وبين القوى الكبرى في جنوب شبه الجزيرة العربية فتحدثت نقوش عن العلاقة اليمنية بملك حصص، والمناذرة. وقد أشارت بعض النقوش إلى وعود كيانات سياسية في الجزيرة العربية تمتعت بعلاقات دبلوماسية مع مملكة سبأ مثل (غسان، والأسد، ويزار، وضجج). وذكرت بعض النقوش سفارات جاءت من أبنا، بجران إلى الملك السبي (إبل شرح بعضهما، بعد ثلاثة أيام من هزيمتهم منضرعين، وقدموا له أولادهم وبناتهم رهائن تعبيراً عن أنهم سيحسنون التصرف في المستقبل.

أما النوع الثالث من السفارات الذي رصد هذا البحث فهو سفارات خارجية سارت في المجاهدين معاكسين أحياناً خرجت من اليمن القديم والأطرق اتجهت إلى اليمن القديم من الخارج، وقد لعبت هذه وتلك دوراً مهماً في سياسة ملوك دول جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة تجاه الدول المعاصرة لها وتنتج عن ذلك تبادل للسفراء بين هذه الدول وبين الدول التي تعاملت معها. وقد أسفرت تلك السفارات عن عقد بعض الاتفاقيات، وتنازلت عدة نقوش بإنقاذ السفراء من دول اليمن القديم إلى دول أخرى، وما نتج عنها من اتفاقات جاءت إثر تبادل السفارات للتفاوض كذلك السفارة التي نتج عنها عقد اتفاقية مزاخاة بين عدد من أقبال اليمن وبين أكسوم. فقد استقبل ملوك اليمن سفارات وقدمت إليهم كذلك التي استقبلها الملك (علهان تهفان)، ملك سبأ وابناه (شاعر أوتر ويريم أمين)، من (جدوت) ملك حبشت، لعقد تحالف بينهما، وكان من السفراء (الأحباش من جلد اسمه في نقوش ذكرتهم باليتا، والتعمير. من عهد مرثد ألن يتوف حيث شيداً قصرأ في منطقة ظفار. يسمى (بيت شعبان) وذلك في عام ٥١٠م. وفي أرقى أشكال التعامل الدبلوماسي تشير بعض النقوش اليمنية إلى قدوم سفراء من عدد من الدول المحيطة بحفلات تنويع الملوك. في دول جنوب شبه الجزيرة العربية القديمة. وكان احتفال التنويع يتم في موكب يضم نبلاء حضرموت ووفود من جهات شتى من داخل شبه الجزيرة العربية، ومن خارجها، ليعلن عن تنويع الملك. وكان من بينهم المحضرون في أحد حفلات التنويع سفيران من تدعر، ووفد مكون من شخصين كلديين

من جنوب العراق، وقد مكون من شخصين من الهند. ولدوا جميعهم لحضور احتفال تشويح أحد ملوك حترموت.

ويُعد وصول السفارات الدولية إلى ممالك اليمن القديم في مناسبات مختلفة لدليل كبير على ما تمتعت به الممالك اليمنية من أهمية كبيرة بين دول العالم، ويُعد ذلك أيضاً اختراقاً يلوكنها وإقراراً بأهميتها في الحياة السياسية، والنواحي الاقتصادية في العالم القديم. وهكذا بين هذا البحث من خلال تحليل النقوش اليمنية مدى ما تمتعت به دول وممالك اليمن القديم، من قدرة على تسير السفارات، والأخذ بالاتفاقات، والمعاهدات، لتسيير أمورها سواء على المستوى الداخلي في اليمن، أو على المستوى الإقليمي داخل شبه الجزيرة العربية، أو على المستوى الدولي.

الهوامش

- 1- Jumeir, A. Sabaeen inscriptions from Mahram Bilqis (Marib). Baltimore, 1962, p. 77.
- 2- Firenze, J. Feuilles de Shabwa 1. Les Témoins écrits de la région de Shabwa et l'histoire, Paris 1990, 106-107, Pl. LXX b.
- 3- p. 90 Beeston, A. F. & Others, Sabaic Dictionary, Editions Peeters, Louvain-la-Neuve, 1982.
- 4- التعيم، تورة بنت عبد الله بن علي، التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠م، ص ٦١٧.
- 5- * CIH, Tom. 1, PP. 323. لقد وقد وردت في النصوص اليمنية كثير من الألفاظ التي اختلفت باللفظ ومفادها مثل تعبيرها عن الإقناع في النفاوس بكلمة ويقع (ي ق ن ع)، بمعنى يقع (CIH 1315/8). وتعبيرها عن السلام الذي سُحرت من أجله العديد من السفارات بكلمة: سلمين (س ل م ن)، (CIH 315/5). وتعبيرها عن استكمال الوحدة بعبارة متكامل/أخوتهم (س ت ل م ل / أ ح و ن ه م و) (CIH 308/14:15).
- 6- التعيم، تورة بنت عبد الله بن علي، المرجع السابق، ص ٢٦٩ - ٢٧٠، ٦٠٩.
- 7- المرجع السابق، ص ٢٧٢-٢٧٣.
- 8- وهو على نصب من الحجر الكلسي عن الحلق المبرم بين سبأ وحضرموت في ذات جبل ٥ وهي البويرة حجر بن حميد) آخر عاصمة لمملكة قتيبان، شمال صنعاء، نهاية القرن الثاني، أو بداية القرن الثالث الميلادي، حجر كلسي، ارتفاع ٨م×٢٤م طول ٢٢م سمسلك، متحلب صنعاء، الوطني رقم (٢٥٤ YM).
- 9- Robin, Ch. "Saba' and the Sabaeans" Queen of Sheba, Treasures from Ancient Yemen, Edited by Simpson, ST. John, the British Museum Press, London 2002. P.62. fig. 29.
- 10- نعمان، طنبون هزاع عبده، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الملك شمر بهرحش، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص ١٩٧.

١٤ - كان الملوك الحضارمة يلبسون مراسم خاصة بالتنزيح عند توليهم الحكم واشتهرت أماكن خاصة بالتنزيح عُرف منها منطقة حصن (أنوه) (أنوه) التي تقع عند أسفل جبل العقلة من الناحية الشرقية. وكان الملوك يتخلون بهم لقباً بسيطاً يدلون به أسماءهم مثل (قلين) (ف ل ي ن) في (بدرج أب قلين) أحد ملوك حضرموت ومعناه القياض ولقب (ابن) (ب ي ن) في (بدرج إل بن) ملك حضرموت أي البني أو الواضح ولقب (المرزا) (ن م ر ن) في (رب شمس قرن) معناه (النسرا) ولقب (بامن) أي (م ن) في اسم الملك (أشأ كرب بامن) ملك سبأ ودوريدان. بمعنى (أمن وحصن) ولقب (ي ه ر ح ب) (بهرحب) في (أشأ كرب برحب) بمعنى (سبع وأرض) كما استخدموا الألقاب التي استحوها لعبودتهم مثل (بدرج) (ب ي ن) (ع الشفط) (بصقل) أي (ص د ق) الصادق أو العادل. و(أرقه) (و ه ه) بمعنى (الحبيب).

13 - Pirenne, J. Op. Cit., 106-107, Pl. LXX b.

14 - الأسيوطي، علي عبد الرحمن، الأعراب في تاريخ اليمن القديم، دراسة من خلال النقوش من القرن الأول ق.م. وحتى القرن ٦م. وزارة الصناعة والسياحة، صنعاء، ٤ - ٢٠٠٤ ص ١١٦.

15 - إسماعيل، فاروق، اللغة اليمنية القديمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م. ص ١٩٣.

16 - المرجع السابق، ص ١٩٨.

17 - De Maigret, A. Arabia Felix, An Exploration of the Archaeological History of Yemen, Stacey International, London, 2002 P. 205.

18 - الشبيبة، عبد الله حسن، دراسات في تاريخ اليمن، مكتبة الرضي النوراني، تعز، ٢٠٠٠م. ص ١٤.

* النص نقش على لوحة من الحجر الكلسي الارتفاع ٥٠ سم الطول ٢٤ سم وترجع إلى الملك القهباني لبط بنهم حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي محفورة بتحف عدن الوطني.

20 - Robin, Ch, Les Royaumes combattants, Yemen, Institut Du Mond Arabe, Paris 1997, P.182.

21 - Robin, Ch, "Saba' and the Sabaeans" Queen of Sheba, Treasures from Ancient Yemen, P.64, fig. 33.

22 - Ibid, P.62-63, fig. 30.

* - يعود إلى ٣٤٠م. حجر كلسي، ارتفاع ٦٢سم، طول ٢٣سم طول عشر عليه في معبد أروام، ومحفورة الآن بتحف بحران (BaM) ١٩ بشير، وتقع في حرمة في الأراضي الحميرية، على مسافة ١٠٠ كم جنوب صنعاء.

24 - Robin, Ch. Op. Cit. P.63, fig. 30.

- ٢٥ - السروزي، نبيل عبد الوهاب عبد الفتى، الحيلة العسكرية في دولة سبأ، دراسة من خلال نقوش محرم بقرص، سلسلة إصدار جامعة صنعاء، صنعاء ٤٠٠٤، ص ٨٦.
- ٢٦ - المرجع السابق، ص ٨٧.
- ٢٧ - الأشبه، علي عبد الرحمن، الأعراب في تاريخ اليمن القديم، دراسة من خلال النقوش من القرن الأول ق.م. وحتى القرن ٦م، وزارة الصناعة والسياحة، صنعاء ٤٠٠٤، ص ٦٥، ١٢٢.
- 28- Ryckmans, G. Inscriptions sud-Arabes, Le Muséon.1953, V. 66, PP. 275-284. P. 248. Beeston . A. Notes on the Mureghban Inscription. BSOAS, V. 16, P. 38.
- ٢٩ - السقاف، حمود محمد جعفر، أطوا- جديدة على التاريخ: تباهة وملوك اليمن، مركز عادي للدراسات والنشر، صنعاء ٤٠٠٤م، ص ١١٨.
- * عُثر على النقش (Ry 506) منقوش على صخرة قرب بئر مريغان على مسافة ١٣ كم إلى الشمال من الحيمة، و ١٧ كم إلى الجنوب الشرقي من بيضا، ويقع المريغان على الطريق التي تصل الجنوب الغربي بحكة.
- ٣١ - بيغوليفسكايا، لينا فكتورفنا، العرب على حدود بيزنطة وإيران، من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٥م، ص ٢١٢-٢١٣.
- ٣٢ - السقاف، حمود محمد جعفر، المرجع السابق، ص ١١٩-١٢٠.
- * ظهرت عادة الرهبان في النقوش - المعروفة حتى الآن- منذ القرن الثالث الميلادي حيث نراها منذ عهد الملك شاعر أولر بن عفهان لهما في النقش (Yim ٣٩١)، والذي يتحدث عن أخيه لرهان من مدينة عبادان. انظر: A. F. Beeston, Corpus Des Inscriptions Et Antiquites Sud-Arabes Tome 1- sec. 1- Edition peeters Louan 1977, Pl. 55.
- ٣٤ - السروزي، نبيل عبد الوهاب عبد الفتى، المرجع السابق، ص ٨٦.
- 35 - Beeston. A.F. L, The South Arabian Collection of The Wellcome Museum, in London, BAYDAN, 3, 1980, pp. 11-16. Fig. 3.
- ٣٦ - والكلمات والأحرف بين قوسين مزيين هي تكملة افتراضية قدمها حمود السقاف، بعد مقارنة هذا النقش بعدة نقوش وأعاد معالجته في كتابه تباهة وملوك اليمن -ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت وبنو وأعرابهم في الطود / نجد وتهامة- تاريخ اليمن من أسعد الكامل وحتى أيرهة الأشهر ٢٧٨ - حوالي ٥٧١م- دراسة لهليلية تاريخية ولغوية، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ الموافق ٤٠٠٤م، ص ٨٤-٨٤.

- ٣٧ - ياقبة، محمد عبد القادر، وآخرون مختارات من النقوش البصية القديمة، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥م، نقش رقم ٤٩، ص ٢١٥
- ٣٨ - المرجع السابق، ص ١١٥
- ٣٩ - السعيد، سعيد بن فايز إبراهيم، العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر، في جنو- النقوش العربية القديمة، الرياض، ٣-٢٠٠٠م، ص ٢٢-٢٣
- ٤٠ - الجرو، أسهان، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، القاهرة ٣-٢٠٠٣م، ص ٨٣-٨٤
- 41 - Hinzay Ancient history, Le Muséon, 77, 3-4, 19-64, p. 144. Wissman, Vanc
- ٤٢ - التميم، نورة بنت عبد الله بن علي، المرجع السابق، ص ٢٧٣-٤
- 43 - De Maigret, A: An Exploration of the Archaeological History of Yemen, Stacey International, London 2002, p. 240, Plate 45.
- ٤٤ - التميم، نورة بنت عبد الله بن علي، المرجع السابق، ص ٦١٧
- ٤٥ - السقاف، حمود محمد جعفر، تابعة وطرقة اليمن، ص ٣٣. نشر جازيني هذا النقش في: Garbinim G., Antichità Yemenite, AION 30, (1970), p. 546
- ٤٦ - شاجدا، إيلونا، جنوب الجزيرة العربية موحداً تحت راية حمير، من كتاب اليمن، ترجمة بدر الدين عروزي، مراجعة يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي بباريس، ١٩٩٩م، ص ١٩٢
- ٤٧ - ياقبة، محمد عبد القادر، وآخرون، المرجع السابق، ص ٣٢٦
- * - العفلة: تقع في السهل إلى الغرب من مدينة شبوة القديمة عاصمة مملكة حضرموت، بمسافة ١٥ كيلومتراً، وقد اشتهر هذا الموقع بعد اكتشافه من قبل الرحالة الإنجليزي (Phillippy, J. B). ثم زار المنطقة (البرت جاب) (Jamme, A). ونشر مجسوة لقرن العفلة في
- Jamme, A., The al-Uqlah Texts (Documentation Sud-arabe III) Washington, P. 66.
- 49 - Pirenne, J. Op. Cit., 106, Pl. LXX a.
- ٥٠ - رومان، كريستيان جوليان، التسلسل التاريخي ومشكلاته، حضارة الكتابة، من كتاب اليمن، ترجمة بدر الدين عروزي، مراجعة يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي بباريس، ١٩٩٩م، ص
- * - نصب أبرهة، ملك اليمن الحبشي، ذي الديانة المسيحية، منقوش على وجوه الأربعة تُحيط عليه بالقرب من

- سد مأربه. يعود إلى عام ٥٤٩م، وقد نقش على كتلة من الحجر الكلسي، يبلغ ارتفاعه ٢٥ X ٦٦سم طول، عليه طفرات: في السطور ٦٣-٦٦، من اليمن: زيمن، وفي الوسط: أربة، ومن اليسار: رماحس، والسطور ٧٠-٧٢، طفرات حبر الملكية، لتفاصيل هذا النقش انظر: باققيه، محمد عبد القادر، أربة... تبعاً، تأملات في عهده في حبر نقشه الكبير، دراسات عربية في حبر نقشه الكبير، ودراسات عربية في ذكرى محمد الفول، تصدير معاريف ابراهيم، جامعة اليرموك، ١٩٨٩م، ص ٩١.
- ٥٢ - باققيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ١٩٨٥، ص ١٦٦-١٦٢.
- ٥٣ - ميخائيل بيورولسكي، أسباب اختفاء الحضارات، كتاب اليمن، ص ٢١٩.
- ٥٤ - السقالب، حبره محمد جعفر، تباهة وملوك اليمن، ص ١١٢.
- * - تولى كسرى أنوشروان الحكم بعد وفاة والده أقبازا الذي يعني لقبه (الملك الجديد العادل) وقد حكم لمدة ٤٨ عام في الفترة من ٥٣١-٥٧٩. انظر: الكعبي، نصير عبد الحسين، الدولة الساسانية، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ٢٠٠٨م، ص ١٢١، ١٧٤.
- ٥٦ - شاجدا، إيفرنا، المرجع السابق، ص ١٩١.

المراجع العربية

- إسماعيل، فاروق، اللغة اليمنية القديمة، دار الكتب العلمية، تعز ٢٠٠٠م.
- الألبط، علي عبد الرحمن، الأعراب في تاريخ اليمن القديم، "دراسة من خلال النقوش من القرن الأول ق.م. وحتى القرن ٦م"، وزارة الصناعة والسياحة، صنعاء ٢٠٠٤م.
- يافقيه، محمد عبد القادر، أبرهة .. تبعاً، تأملات في عهده في ضوء نقشه الكبير، دراسات عربية في ضوء نقشه الكبير، "دراسات عربية في ذكرى محمد الغول، تصدر معاوية إبراهيم، جامعة اليرموك ١٩٨٩م.
- يافقيه وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية القديمة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٨٥م.
- يافقيه، محمد عبد القادر، تاريخ اليمن القديم، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء ١٩٨٥م.
- بيغوليفسكايا، لينا لكتورفنا، العرب على حدود بيزنطة وإيران، من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٥م.
- الجرو، أسهان، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، القاهرة ٢٠٠٣م.
- رويان، كريستيان التسلسل التاريخي ومشكلاته، حضارة الكتابة، من كتاب اليمن، ترجمة بدر الدين عرودكي، مراجعة يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي بباريس ١٩٩٩م.
- السروري، نبيل عبد الوهاب عبد الفتى، الحياة العسكرية في دولة سبأ، دراسة من خلال نقوش محرم بلقيس، سلسلة إصدار جامعة صنعاء، صنعاء ٢٠٠٤م.
- السعيد، سعيد بن فايز إبراهيم، العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر، في ضوء النقوش العربية القديمة، الرياض، ٢٠٠٣م.
- السقاف، حمود محمد جعفر، تباهة وملوك اليمن -ملوك سبأ وأبي زيدان وحضرموت وبنو وأعرابهم في الطود/ نجد وتهامة- تاريخ اليمن من أسعد الكامل وحتى أبرهة الأشرم ٣٧٨ - حوالي ٥٧١م- دراسة تحليلية تاريخية ولغوية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ الموافق ٢٠٠٤م.

- سعيد، نعمان أحمد، القوانين العربية في مملكتي قتيان والحضر، دراسة تاريخية مقارنة، المكتبة الجامعي الحديث، الإسكندرية ٢٠٠٤م.
- الشيبه، عبد الله حسن، دراسات في تاريخ اليمن، مكتبة الوعي الثوري، تعز، ٢٠٠٠م.
- غاجفا، إيقونا، جنوب الجزيرة العربية موطئاً تحت راية حمير، من كتاب اليمن، ترجمة بدر الدين عروذكي، مراجعة يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي بباريس ١٩٩٩م.
- الكعبي، نصير عبد الحسين، الدولة الساسانية، دار ومؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ٢٠٠٨م.
- ميخائيل بيوتروفسكي، أسباب اختفاء الحضارات، من كتاب اليمن، ترجمة بدر الدين عروذكي، مراجعة يوسف محمد عبد الله، معهد العالم العربي بباريس ١٩٩٩م.
- نعمان، خلدون هزاع عبده، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الملك شمر يهرش، وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، صنعاء ٢٠٠٤م.
- التميم، نورة بنت عبد الله بن علي، التشريعات في جنوب غرب الجزيرة العربية حتى نهاية دولة حمير، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ٢٠٠٠م.

المراجع الأجنبية

- Beeston . A. F; Notes on the Mureghan Inscription. BSOAS Vol. 16.
- Beeston. A. F, The South Arabian Collection of the Wellcome Museum, in London, RAYDAN, 3. 1980.
- Beeston. A. F; & Others; Sabaic Dictionary, Editions Peeters, Louvain-la-Neuve,1982.
- Garbinim: G: Antichità Yemenite, AION 30, (1970).
- Jamme, A; The Al-Uqlah Texts (Documentation Sud-arabe III) Washington.
- Jamme. A; Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis (Marib). Publications of the American Foundation for the Study of Man, Vol. 3. The Johns Hopkins University Press. Baltimore,1962.

- De Maigret, A: An Exploration of the Archaeological History of Yemen, Stacey International, London 2002.

- Pirenne, J: Fouilles de Shabwa 1. Les Témoins écrits de la région de Shabwa et l'histoire, Paris 1990.

- Robin, Ch: "Saba' and the Sabaean" Queen of Sheba, Treasures from Ancient Yemen, Edited by Simpson, ST. John, the British Museum Press, London, 2002.

- Robin, J. Ch: Les Royaumes combattants, Yémen, Institut Du Mond Arabe, Paris 1999.

- Ryckmans, G; Inscriptions sud Arabes. (Dixième série), Le Muséon 66, 1953.

- Himyar Ancient history, Le Muséon, 77, 1964. Wisman. Van,-

Abbreviations

-AION: Annali dell' Istituto Orientale di Napoli

- BR-M. Bāyhan 1-5: Bāfaḡh et Robins, Inscriptions inédites du Mahram Bilqis (Marib) au Musée de Bāyhan (1980).

BSOAS: Bulletin of the School of Oriental and African Studies (London University).

-CIH: Corpus inscriptionum Semiticarum, Pars Quarta, Inscriptiones Himyariticas et Sabaeas Continens, Tomes I-III, Paris, 1889-1932. Tabulate, Tomes I, II, et III, Paris, 1889-1932.

- CIAS: Corpus des Inscriptions et Antiquités Sud-arabes (Académie des Inscriptions et Belles-Lettres), Tome 1, Sections 1 et 2, Louvain (Peeters), 1977.

- GL: Inscriptions from Glaser. E; Collection.
- Jam: (550-851): Jamme. A. Sabaean Inscriptions from Mahram Bilqis, 1962.
- Jam: (1028-1031a): Jamme. A; Sabaean & Hasaean Inscriptions 1966.
- Ja (2834-2870): Jamme. A; Carnegie Museum 1974./ 1975.
- Mission: Mission Archéologique Française en République Arabe du Yémen.
- Muséon: Bibl du Muséon, Louvain. 1951.
- PSAS: Proceedings of the Seminar for Arabian Studies -
- RES: Répertoire d'épigraphie Sémitique, Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, Paris 1929- 1950.
- Ry: Ryckmans. G. Inscriptions sud Arabes. (Dixième série), Le Muséon 66, 1953.
- Sabaic Dictionary: Beeston. A. F. & Others. Sabaic Dictionary, Editions Peeters, Louvain-la-Neuve, 1982.
- YMN: Inscriptions published by Y.M. Abdallah in Dirasat Yamaniyyah. II-II. (1979).

الاختصارات العربية

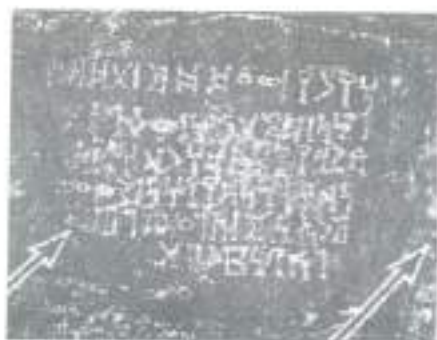
- إيراني: مطهر علي الإيراني، نقوش مستديرة وتعليقات، مركز الدراسات والبحوث البني
صنعا - ١٩٩٠م.
- نامي: خليل يحيى نامي، نقوش خربة معين، مطبعة المعهد الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة
١٩٥٢م.

ملحق الصور



صورة ١- النقش (ma] 923) يتحدث عن ولود حبة
تشارك في حفل تصيب ملك حضرمي

- Pirenne . J. Fouilles de Shabwa 1 . les Témoins
écrits de la region de Shabwa et l'histoire , Paris 1990,
pl. LXXb.



صورة ٢- النقش (ma] 931) يتحدث عن ولود من الهذ
تشارك في حفل تصيب ملك حضرمي

- Pirenne . J. Fouilles de Shabwa 1 . les Témoins
écrits de la region de Shabwa et l'histoire , Paris 1990,
pl. LXXa.



صورة ٣- النقش (Ga 12 d) سفارة حبشية في العاصمة الحميرية
- Garzaïm G., Antichità Yemenite, AION 30, (1970), p. 546



صورة 4- النقش (CIAS 47. 82/ 021). يتحدث عن سفارة عسكرية قتيبية
- Robin, Ch, Les royaumes combattants, Yémen, Institut Du
Mond Arabe, Paris 1997, P. 182.



صورة ٦- نقش سبأ يتحدث عن
سفارة عسكرية سنة ٤٤٠م

- Robin, Ch. "Saba' and the Sabaeans" Queen of Sheba, Treasures from Ancient Yemen, Edited by Simpson, ST. John, the British Museum Press, London 2002, fig. 30.



صورة ٥- النقش (نامي ١٥) يتحدث
عن معاهدة بين سبأ وحضرموت

- Robin, Ch. "Saba' and the Sabaeans" Queen of Sheba, Treasures from Ancient Yemen, Edited by Simpson, ST. John, the British Museum Press, London 2002, fig. 29.

الوفود والسفارات بين بلاد العرب والصين منذ ما قبل الإسلام وحتى أواخر العصر العباسي الأول

تقديم

لا شك أن الصين تلك البلاد البعيدة حظت منذ القدم باهتمام العرب والمسلمين . وكانت بالنسبة لهم مناطق غامضة يضرب بها المثل في البعد ولذلك دأب تجار العرب الأوائل منذ القدم على شق الطريق إلى هذه البلاد البعيدة ، مجتازين بذلك مسافات طويلة بين صحراء قاحلة وجبال وعرة ناهيك عن الأخطار التي كانت على طول هذا الطريق .

ولم يكن هداهم هو تحقيق الربح فقط وإنما حمل لواء الدعوة إلى الإسلام ورؤية هذه البلاد ومعرفة أخبارها وعجائبها وقد امتلأت كتب الرحالة العرب بالأخبار الغريبة والعجيب عن بلاد الصين .

ورغم بعد المسافة بين بلاد العرب والصين إلا أن التاريخ يشهد على عمق العلاقة بينهما وهي علاقة تميزت بكونها ودية لم يشهدها شائبة صراع أو خلاف جوهري مما جعلها نموذجاً طريداً للعلاقات بين الأمم.

والحقيقة أن الحديث عن الوفود والسفارات بين بلاد العرب والصين . يعتبر أمر شاق تحيط به عقبات كثيرة تشمل أولاً ، في أن المصادر العربية أغفلت ذكر معظم هذه السفارات والوفود . على عكس المصادر الصينية التي أسهبت في ذكرها بالتفصيل .

وثانياً : في أن المصادر الصينية التي ذكرت هذه الوفود والسفارات تميزت بكونها تواريخ رسمية للأزمات الصينية كتبت على شكل حوليات أرخت تاريخ الأسر الصينية الحاكمة وأن الصينيين القدامى أنشأوا لأنفسهم فلسفة خاصة بهم في تصورهم لنظام العالم^{١٦} وفي العلاقات الخارجية مع الأمم الأخرى ، تقوم على أن جميع الأمم والشعوب يجب أن تقدم للامبراطور الصيني الولاء والطاعة .

من هنا المنطلق ، فقد اعتبرت المصادر الصينية أن الوفود التي جاءت إلى بلاط أباطرة الصين ، سواء كانت وفود عربية أو غير عربية ، إنما جاءت لتعلن الطاعة والتبعية .

وهذا يتطلب منا أن ننظر بعين الحذر إلى النصوص الصينية التي تتعلق بالوفود والسفارات القادمة إلى بلاط أباطرة الصين .

ثالثاً وأخيراً : أن المصادر الصينية أغفلت نواحي مهمة تتعلق بالسفارات العربية ، فهي قد خلطت بين السفارات القادمة من بلاد العرب (عاصمة الخلافة) مباشرة ، وبين تلك القادمة من أقاليم آسيا الوسطى وبلاد ما وراء النهر ، التي كانت تابعة للدولة الإسلامية .

إلا أن ما يحسب للمصادر الصينية أنها أرخت كل سفارة أتت إلى الصين باليوم والشهر والعام الذي وصلت فيه ولا تزال هذه السجلات محفوظة ينهل منها كل من يريد دراسة تاريخ الصين .

ورغم الصعوبات السابقة الذكر إلا أن الكتابة في هذا الموضوع تعتبر شيقة ، لأنها تثبت تاصيل العلاقات الدبلوماسية بين بلاد العرب والصين وأن العلاقات المزدهرة في العصر الحديث إنما هي ثمرة لتاريخ طويل من التبادلات والسفارات بين هاتين الأمتين .

وقد حاولت قدر جهدي الاعتماد على المصادر الصينية بصورة أكبر لأنها كما ذكرت هي التي أرخت لهذه السفارات بوضوح .

ولا أدعي أن هذا البحث قد غطى هذا الجانب من العلاقات الصينية العربية في تلك الفترة وإنما أتمنى أن يفتح هذا البحث الباب لباحثين أفضل وأساتذة أقدر على الكتابة في هذا الموضوع .

ما هي الدبلوماسية

تعرف الدبلوماسية بأنها من إدارة العلاقات الخارجية ، أو هي أسلوب رعاية مصالح الدولة ورعاياها في الخارج ولدى الدول الأخرى ، وهي الأساليب السياسية والتي تتبعها الدولة في تنظيم علاقاتها بالدول الأخرى^(١) .

والدبلوماسية قديمة قدم التاريخ ؛ فهي ترتد إلى الجهود التي تتوفر للقبائل الأولى في محاولتها إيجاد بديل للحرب حين تطمع قبيلة في منطقة من مناطق الصيد ، أو مورد ماء لقبيلة أخرى ، وأساليب الدبلوماسية ارتبطت بحضارات الماضي ودوله ، وتتابع التطورات مع الزمن .

وإذا نظرنا إلى شبه الجزيرة العربية قديماً ، نجد فيها مناطق خصبة ، وتلالاً وعرة ، ومساحات شاسعة من الأراضي المجدبة ، والتي لا تصلح للمعيشة ، ولذلك كان البدوي ينظر إلى قبيلته على أنها وطنه وإلى القبائل الأخرى على أنها أعداء يحل له تهبها والإغارة عليها .

وإذا كانت الدول القديمة التي ظهرت في شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها ، والتي كانت تمثل منافذها قد ارتبطت قيامها وسقوطها بازدهار التجارة أو كسادها باعتبارها محور العلاقات بين القبائل الأخرى ، سواء التي تسكن بجوارها أو بعيداً عنها في الدول المجاورة .

ولقد كانت القوافل العربية تسير شتاء إلى الجنوب ، وصيفاً إلى الشمال ، وهي تسمى رحلة الشتاء . ورحلة الصيف ، فحضارة اليمن القديمة وقوتها ، تبعت أساساً من التجارة والاتصال بالخارج .

ولذا علينا أن نتساءل كيف وجدت الدبلوماسية وازدهرت ، وجغرافية بلاد العرب على هذا النحو الذي يجعل الحياة صعبة ، بالإضافة إلى سوء حال الطرق وصعوبة التنقل وعدم استقرار الأمن ، نتيجة الإغارات والسلب والنهب الذي كانت تتعرض له القوافل ، وكلها عوامل غير مشجعة على ظهور الدبلوماسية ؟

ولقد خصص العرب أربعة أشهر في السنة هي الأشهر الحرم ، يسود فيها السلام ، وتعتبر هذه الأشهر بمثابة هدنة مؤقتة يجتمعون في أسواق عكاظ وذى المجاز ، بالقرب من الكعبة ، يبيعون ويشتررون ، ويصاحب هذه الاجتماعات أعظم مظاهر البهجة .

وكانت هذه الاجتماعات تضم الرؤساء والحكام من ملوك غسان وحمير والحيرة ، وتجذب إليها الخطباء ، والكل يحاول أن يعرض ما عنده كل في اختصاصه .

كما كانت هذه الاجتماعات بمثابة مؤتمرات قمة ، يتقابل فيها الرؤساء والزعماء ، فتحل العلاقات ، وتعد الصفقات ، والصدقات ، ويزال كل ما يعترض العلاقات من عثرات أو سوء فهم .

ويحتفل تاريخ العرب بأخبار رسلهم إلى الملوك والرؤساء ، سواء في داخل شبه الجزيرة العربية ، أو خارجها ، وكان اختبار هؤلاء الرسل يخضع لمقاييس دقيقة ؛ فكان الرسول يتصف بالشجاعة وسرعة البديهة ، والحكمة ورباطة الجأش وذلك أن المهام التي كانت توكل إليه كانت مهام دقيقة ، فمن كان يقبل في مهمته ، يحكم عليه حكماً أبدياً بالنجرد من مركز الصدارة تماماً كما كان يفعل اليونان وقدماء المصريين مع رسلهم ، إذا كانوا يحكمون عليهم بالنفى والقتل في بعض الأحيان ، ومن كان ينجح كان يكافأ أحسن المكافآت ، ويرفع إلى مرتبة النبلاء .

وكان السفير يعد عنواناً لبلده في قوتها ونهضتها وثقافتها ، يعبر عنها ، وينقل صورتها إلى البلاد التي يذهب إليها .

وإذا كنا بصدد الحديث عن السفارات بين بلاد العرب والصين فهذا يستدعي أن نستنفر جهودنا ، ونستعد لرحلة شاقة وشيقة بين المصادر التاريخية لمعرفة بداية الاتصال بين بلاد العرب والصين ، والوقوف على أول تعارف بين هاتين الأمتين . وهذا ما سيتضح لنا من خلال الصفحات التالية .

العلاقات الدبلوماسية بين بلاد العرب والصين قبل الإسلام

لم تكن العلاقة بين بلاد العرب والصين وليدة لعصر الإسلام بل ابتدأت قبل الإسلام بقرون ، غاية الأمر أن عراها لم تكن قد توثقت كما في زمن الإسلام . لكن العلاقة كانت موجودة على طريق غير مباشر أولاً ، ثم تطورت إلى علاقة مباشرة عندما ظهر الإسلام .

لو أردنا معرفة كيفية اتصال الصين بالعرب قبل الإسلام ، يجب علينا أن ننظر إلى الوراثة بقرن من الزمان على الأقل قبل الميلاد ، وهو الوقت الذي نرى فيه على ضوء الوقائع التاريخية أن التجارة قد فتحت أبوابها بين بلاد الصين وبين البلاد التي تقع في غرب قارة آسيا ، ومنها شبه الجزيرة العربية ، وأن طرق القوافل قد سهلت تلك العلاقة إلى حد كبير¹¹ .

سفارة (جانغ جيانغ)

الروايات الوثيقة المدونة في تاريخ الصين القديم ، تهدينا إلى ابتداء الرابطة التجارية بين الصين والبلاد الغربية في قارة آسيا فتقول : أن الإمبراطور "ووتى Wuti" (١٤١ ق.م - ٨٧ ق.م) ^(١٧) إمبراطور أسرة هان الغربية (٢٠٦ ق.م - ٢٥ م) ^(١٨) بعث في سنة ١٨ ق.م (جانغ جيانغ) Zhang Chian رسولاً إلى المنطقة الغربية ^(١٩) لإقامة روابط مع بلادها ^(٢٠)

وكان الغرض من بعثته هو حث شعوب "بويه جيه" ^(٢١) على توحيد أنفسهم في مواجهة قبائل الهون ، التي تسكن شمال الصين ، والتي كانت دائما ما تشن حملاتها على الصين فتنهب وتدمر .

وكان الإمبراطور الصيني يعتقد بإمكانية النجاح في ذلك لأن الهون قتلوا ملك "بويه جيه" بل وأهانوا ذلك الشعب ، باستعمالهم جمجمة الملك كقدح للمشرب . ولكن الهون ولسوء الحظ أسروا "جانغ جيانغ" في رحلتي الذهب والإياب واحتجزوه حوالي عشرت سنوات ، ولكنه استطاع الهرب وعاد إلى الصين بمعلومات قيمة ^(٢٢) .

ولقد زار "جانغ جيانغ" أثناء سفره ست وثلاثين مملكة صغيرة كانت أو كبيرة ، منها ابلي والصغد ، والحتم ، خيوا ، وإيران ، والهند (شمال الهند) ^(٢٣) .

أهمية سفارة (جانغ جيانغ)

تكمن أهمية سفارة (جانغ جيانغ) في مقدرته على الاضطلاع بها ، برغم ما لاقاه ، وعودته سالما ، وبحوزته مجموعة ثمينة من النباتات ، والنواتج الطبيعية ، وبعد اتباعه طريقا اضطره للخوض في بلاد الأعداء مرتين ، ومع ذلك كانت لتلك البعثة أهمية أكبر من مجرد كونها مغامرة بطولية ، إذ أدت زيارة جانغ جيانغ إلى توسيع الامبراطورية الصينية غربا ، وفي فترات لاحقة ، ومن ثم إلى تأسيس الطريق التجاري الشهير الذي ربط منطقتي الحضارتين الصينية والفراسية ، وهو الطريق المعروف باسم "طريق الحرير القديم" ^(٢٤) .

ولقد سافر (جانغ جيانغ) إلى المنطقة الغربية بصفته مبعوثا إمبراطورياً مرتين الأولى عام ١٣٩ ق.م والثانية عام ١١٩ ق.م ، وكان خط سفره عن "تشانغان" ^(٢٥) إلى "كاسنو" ثم "انسي" حتى وصل إلى "دونهوانغ" ، ثم اتجه شمالا إلى "توربان" ، حتى وصل إلى "كاشغر" ، ومنها إلى فرغانه ، ثم "سمرقند وبخارى" حتى وصل إلى "مرز" (مدينة ماري بتركمنستان حاليا) ^(٢٦) .

لقد استطاع "جانغ جيانغ" أن يقدم لنا معلومات عن بلاد بعيدة مثل بارشيا (فارس) وسوريا ، وقد مهدت رحلته هذه ، السبيل لطريق الحرير القديم الذي استخدمه بعد ذلك عملاء "تشيانوس" تاجر الحرير الإغريقي بعد ذلك في رحلاتهم إلى الصين ، وهو الطريق الذي قام مع ذلك بدور أكبر من أن يكون مجرد معبر لتصدير الحرير الصيني إلى الغرب فقد استخدم أيضا من أجل واردات الصين ، خصوصا النباتات مثل الكرم والبرسيم الحجازي (*) والكسيرة والخيار والتين وغيرها^(١١١) .

وقد سجل هو ومرافقوه مآثر مشرقة على مرور الأيام ، إذ أنهم أول من رحلوا من الصين بصفة رسمية إلى تلك المناطق ، حيث قاموا بالاستطلاع الميداني ، وربطوا خطوط المواصلات بجهودهم المستمرة ، كما تعرفوا على أحوال البلدان التي تقع على امتداد الخط من الصين إلى بلاد العرب؛ وبهذا أقاموا وعززوا روابط الصداقة بين أسرة هان وأبناء آسيا الوسطى ومن بينهم أبناء الأمة العربية ؛ ودفعوا عجلة التبادلات الاقتصادية بين الشرق والغرب^(١١٢) .

سفارة "كانغ بنغ"

وقد واصل الصينيون اهتمامهم بمنطقة غرب آسيا ، فأرسل الجنرال "بانغ شياو" Pang Chiao^(١١٣) مساعده الجنرال كانغ يانغ Kiang Ying في مهمة رسمية للمنطقة الغربية وبالتحديد أكثر إلى بلاد (Ta Tsin) (سوريا) وذلك عام ٩٧م^(١١٤) .

وكانت مهمة كانغ يانغ هي إقامة علاقات تجارية مع الرومان ، وقد وصل إلى إمارة صغيرة في رأس الخليج الفارسي (*) ، وقد حاول كانغ يانغ إيجاد طريق تجاري مباشرة بين الصين وروما إلا أن الفرس كانوا عقبة في سبيل ذلك بنية احتكارهم التجارة الصين^(١١٥) .

ولقد قالوا له : "أنك إذا أردت العبور ، إذا كانت الريح مواتية سيستغرق الأمر ثلاثة شهور ، وإن لم تكن كذلك ، ستحتاج إلى عامين " ، كما أن الكثيرين قد فقدوا حياتهم فوق هذا البحر^(١١٦) .

ويبدو أن الطريق المائي الذي تحدثت عنه الرواية هو الفرات والذي كان سالكاً بين سوريا والعراق في ذلك الوقت^(١١٧) .

والحقيقة أن الرواية مشوشة إلى حد ما ، فهي تتحدث عن بحر بين العراق وسوريا ، ومع كون

المبعوث الصيني لم يركب البحر قبلها ، والصين تكاد تكون شبه جزيرة ، وتخترقها شبكة من الأنهار ، والبحيرات ، مع الأخذ في الحسبان أن الرواية نعتت على أن كانغ يانغ كان يقيم منذ فترة في آسيا الوسطى فيمكن أن يكون البارثيون قرر تعدوا تضليل المبعوث لأنهم لا يريدونه أن يذهب إلى تاتسن (سوريا) بسبب طمعهم في قصر متاجرة الصين معهم^(١١٨) .

ويؤكد هايد " في عمله القيم "تاريخ التجارة في الشرق الأدنى" على هذه النقطة فيقول :
"أن الفرس هم الذين كانوا يسيطرون على التجارة مع الصين ، وكانوا دائما ما يتلقون الحرير قبل غيرهم ، ويحرصون كل الحرص على ألا يصل إلى الرومان الشرقيين بطريق آخر غير الذي يجتاز بلادهم وبأيدي أخرى خلاف أيديهم^(١١٩) .

وقد بالغ البارثيون بدون شك في تصوير أخطار الطريق ، لكي يحولوا دون الاتصال المباشر بين الرومان والصينيين ، طالما أن ذلك لن يكون في صالحهم كوسطاء ، ويبدو أن تلك الخيلة كانت شائعة ، وكانت ناجحة لدرجة أنه لم يصل إلى روما نفسها أي ممثل للصين على الإطلاق^(١٢٠) .

على كل حال فقد قفل كانغ يانغ عائدا إلى بلاده دون أن يواصل رحلته إلى سوريا ، إلا أنه عاد بمعلومات قيمة عن أحوال البلاد العربية ومنطقة الخليج العربي^(١٢١) .

سفارة عام ١٢٠م :

ثم وردت سفارة أخرى حيث جاء وفد من العراق في السنة الأولى من حكم الإمبراطور (Yun -Ying) ١٢٠م ، وقدم رئيس الوفد هدية للإمبراطور الصيني عبارة عن طائر (Agui Baggie) "بيغا" يستطيع أن يفهم الكلام^(١٢٢) .

سفارة عام ٢٢٦م :

تتحدث رواية أخرى عن وصول تاجر سوري اسمه "تشين لون" إلى الصين عام ٢٢٦م واستقبله الإمبراطور "سون تشوان" إمبراطور دولة "و" التي حكمت من عام ٢٢٢ إلى ٢٨٠م في حقبة مجرئة تلت التوحيد الأول للصين وكانت للإمبراطور المذكور اهتمامات في الجغرافيا وأخطط ، فطلب من التاجر السوري تقرير عن بلاده وسكانها ، فقدمه له . وتقول الرواية أن عسكر الإمبراطور أسروا في هذه الأثناء جماعة من الأقزام السمراء وهم تشين لون ، فقال أنه لم ير مثل هؤلاء من قبل فأعطاه الإمبراطور عشرة ذكور وعشر إناث منهم . وأرسل معه ضابط يدعى

ليوشين ، مات قبل الوصول إلى سوريا وقد تعذر إرجاع تشين لون إلى اسمه الأصلي لمعرفة إن كان شخصي أرامي أو شخصاً آرامياً أو بيزنطياً أو عربياً ، وهي الأقوام التي كانت تشترك في استيطان سوريا يوم ذاك^(١٢٠) .

ورغم أنه لم يرد ذكر لأي وفد أو سفارة بين بلاد العرب والصين بعد ذلك وحتى ظهور الإسلام ، إلا أنه من الواضح أن الطرق كانت مفتوحة أمام الصينيين للتجارة وأن المواصلات أصبحت سهلة وميسرة ، مما دفعهم إلى إرسال وفود إلى بلاد العراق ، حيث يذكر ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه "العقد الفريد" ما يؤيد ذلك فيقول : "قدم النعمان بن المنذر على كسرى ، وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم ، فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم ، لا يستثنى فارس ولا غيرها"^(١٢١) .

السفارات المتبادلة بين بلاد العرب والصين في عهد أسرة تانج وعصر الإسلام .

تؤكد المصادر التاريخية الصينية أن الوجود العربي في الصين تزامن مع مجيء أسرة تانج (٦١٨-٩٠٧م) على حكم الصين .

وكان من المدعش حقاً أن نجد أن البلاط الصيني كان يتابع بشكل جديد ، التطورات المهددة في شبه الجزيرة العربية ، حينما كانت الدولة الإسلامية في بدايتها الأولى ، تواجه وحيدة قوى الشرك في الجزيرة العربية^(١٢٢) . في هذا الوقت المبكر ، كانت المصادر الصينية ، وبالطبع البلاط الصيني يرصد الأحداث الدائرة في قلب مكة .

يقول كتاب تاريخ تانغ القديم Old Tang Shu ، "كان الأمر في بلاد داشي Da Shi"^(١٢٣) الواقعة غرب أن شي an Shi (بلاد فارس) في يد قبيلة قريش التي يتفرع فيها بنو هاشم ، وبنو مروان ، ومن البيت الهاشمي ظهر رجل شجاع وذكي ، حارب خصومه ، وأصبح حاكماً على يثرب"^(١٢٤) .

ولم تكتف المصادر الصينية بذلك ، بل زعمت أنه تم اتصال بين الصين ، والدولة الإسلامية في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وأن النبي (صلى الله عليه وسلم) أرسل سعداً بن أبي وقاص الصحابي الجليل إلى الصين لنشر الإسلام ردًا على سفارة أمراطور الصين^(١٢٥) .

ولكن بالرجوع لأبسط المصادر التاريخية ندرك عدم صحة هذه الرواية لأن أحداثها وظروفها التاريخية لا تطابق الواقع^(١٢٦) .

أول اتصال دبلوماسي إسلامي صيني

تحفظ لنا المصادر التاريخية الصينية ، سجل لأول وفد دبلوماسي عن شبه الجزيرة العربية إلى بلاد الصين فنقول : "في سنة ٦٥١م قام ملك تاشي Tashi ولأول مرة بإرسال مبعوث محمل بالهدايا إلى بلاط الصين ، معلناً أن العرب قد انتظموا تحت إمرة ملك واحد قبل ٣٤ سنة تعاقب خلالها ثلاثة ملوك وأن ملكهم يلقب بـ (Damimuni) ^(١٣٩) داميموني .

وقد أبدت أغلب الكتب الصينية ^(١٤٠) هذه الرواية لأن أحداثها لا تخالف الواقع والحقائق ، فمثلاً عام ٦٥١هـ في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان "رضى الله عنه" ، وقد كانت قوة العرب في ذلك الوقت قد وصلت إلى أوج عظمتها ، وامتدت الفتوحات الإسلامية إلى أواسط آسيا وبلاد الهند .

ولكن ١١١ ما سبب إرسال الخليفة الراشد لهذه السفارة ؟

رغم أن المصادر الصينية تتجاهل الأسباب التي دعت الخليفة الراشد عثمان بن عفان إلى إرسال مثل هذا الوفد ، وأرجعت السبب في ذلك إلى ما ذكرناه سابقاً أن الصينيين كانوا يعتبرون أنفسهم قبلة العالم ، وأن السفارات تأتي إليهم لتخطب ودهم إلا أن الظروف التاريخية في ذلك الوقت توضح سبب إرسال هذه البعثة : فقد سقطت الامبراطورية الساسانية الفارسية على يد الجيش الإسلامي في معركة نهاوند عام ٢٢هـ (٦٤٣م) وفر (فيروز) بن يزيد ملك فارس إلى وسط آسيا ، ومنها إلى بلاد الصين ، حيث طلب من الإمبراطور الصيني مساعدته في استرجاع ملكه ، فقال له ملك الصين : "صف لي هؤلاء القوم الذين أخرجكم من بلادكم ، فإنني أراك تذكر قلة عددهم وكثرتكم " ، فلما وصفهم له ، رد حاكم الصين معتذراً عن تقديم المعونة بقوله : "إنه لم يمنعني أن ابعث لك بجيش أوله يمر وأخره بالصين الجهالة بما بحق لك على ، ولكن هؤلاء القوم الذين ذكرتهم لو يحاولون هدم هذه الجبال تهدمها ، ولو خلى سربهم أزالوني ما داموا على ما وصف لي ، فسالمهم وأرضى منهم بالمساكنة ، ولا تهيجهم ما لم يهيجوك " ^(١٤١) .

ولهذا يبدو أن ملك الصين قد أرسل وقدماً إلى الخليفة عثمان بن عفان ، وكان لهذا الوفد مهمتان أحدهما ظاهرة ، وهي التفاوض بشأن ملك فيروز بن يزيد ، والأخرى خفية ، وهي معرفة أوضاع هذه الدولة الناشئة الجديدة ومدى قوتها ، وعند عودة الوفد الصيني ، أرسل الخليفة عثمان بن عفان وقدماً رسمياً من الدولة الإسلامية ^(١٤٢) .

يقول "مارشال برومهول" Marchal Bromhol تعليقاً على هذا الحدث : "لم يسد الصينيون آذانهم كلية إزاء طلب فيروز بن يزجرد بإرسال الدعم العسكري من الصين ، إذ أنهم أوفدوا بعثة إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان ، وذلك من أجل المداخلة عن قضية الإمبراطورية الفارسية التي أفل نجمها ، وحتى لا يكون ذلك مصير الصين"^{١٣٣} .

وقد ضاعفت بعض الكتب الصينية رأي برومهول وذكرت أنه من وحي خياله^{١٣٤} .

ولكن الرحالة الفرنسي "دافريا جابريل" ، أكد على رأي برومهول فقال : "بعد أن سقطت دولة فارس الكبرى على يد (ناش) العرب ، ومات يزجرد بعد ٢١ عامًا من الحكم ، هرب ابنه فيروز (يقصد فيروز) نحو طبرستان ، ومنها إلى تركستان حتى وصل إلى الصين ، وأخير الإمبراطور الصيني بهذه الأحداث وطلب منه التوجة ، ولكن الحكومة الصينية صمت أذنيها نحو هذا النداء ، بعد أن أرسلت وفدًا إلى رؤساء العرب المنتصرين ، واستقبلت وفدًا منهم عام ٦٥١م^{١٣٥} .

لذا يتضح لنا أن البعثة التي أرسلها الخليفة عثمان بن عفان ربما كانت نتيجة لبعثة جاءت من إمبراطور الصين ورغم أنه لا يوجد ذكر لهذه البعثة في المصادر العربية الأصلية ، إلا أن ما ذكرته المصادر الأجنبية والصينية يعد شاهدًا قويًا إلى حد ما على وجود هذه البعثة .

ثم تسكت المصادر الصينية فترة عن ذكر أي سفارة من بلاد العرب وهي الفترة الممتدة بين عامي (٣٥-٦٢هـ / ٦٥٥-٦٨١م) أي نحو ست وعشرين سنة ، ويبدو السبب في ذلك واضحًا ، حيث أن أحوال الدولة الإسلامية لم تكن مستقرة بعض الشئ في ذلك الوقت ، نتيجة النزاع الذي كان دائرًا بين سيدنا علي بن أبي طالب وسيدنا معاوية (رضي الله عنهما) ، وبالتالي لم تكن الظروف تسمح بقيام أي علاقات خارجية لبلد مثل الصين .

وتذكر الحوليات الصينية التي تغطي -١٥ عامًا (٦٥١-٨٠٠م) خير أربعة وثلاثين سفارة عربية إسلامية إلى بلاد الصين تمتد في فترة الخلفاء الراشدين والدولة الأموية ، جزء من الدولة العباسية (٧٥٠-٨٤٧م) ، حيث أوفد في تلك الفترة كل من أبي العباس السفاح ، أبي جعفر المنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد بعثات إلى الصين^{١٣٦} .

وقد شهد عصر الدولة الأموية سبع عشرة سفارة وشهد عصر العباسيين خمس عشرة سفارة ، بالإضافة إلى سفارتين في عهد الخلفاء الراشدين^{١٣٧} .

وقد أرخت الكتب الصينية سنوات هذه السفارات على النحو التالي :

٦٥١ ، ٦٥٥ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٧٠٣ ، ٧١٣ ، ٧١٦ ، ٧١٩ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٨ ،
٧٢٩ ، ٧٣٣ ، ٧٤١ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٧ ، ٧٥٠ ، ٧٥٢ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ،
٧٥٨ ، ٧٦٠ ، ٧٦٢ ، ٧٦٩ ، ٧٧٢ ، ٧٧٤ ، ٧٨١ ، ٧٩١ ، ٧٩٨ ، ٨٠٠ ميلادية^(١٧٧) .

وهي توافق السنوات الهجرية التالية :

٣٠ - ٣١ ، ٣٥ ، ٦٢ ، ٨٤ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٦ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١١ ،
١١٥ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤١ ،
١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ،
١٨٤^(١٣٨) .

ويبدو أنه كان من بين هذه البعثات تجار كانوا يقدمون الصين بهدف التجارة تحت اسم "مهمة رسمية" وكان الرسل منهم يأتون الصين يهدون الحكومة الصينية ما يجلبونه من بلادهم من كافور "بورينوم" ، والفهود والخيول العربية الشهيرة ، وغيرها ، فتحسن الحكومة الصينية معاملتهم وتعقد عليهم الهدايا^(١٣٩) .

أهم السفارات المتبادلة بين الدولة العربية الإسلامية والصين في عهد الدولة الأموية:

سفارة عام ٦٦٢ هـ - ٦٨١ م

استؤنف النشاط الدبلوماسي عام ٦٦٢ هـ - ٦٨١ م بعد فترة توقفت دامت حوالي ست وعشرين سنة ، حيث توجد إشارة إلى سفارة عربية وصلت إلى الصين ، ويبدو أن هذه السفارة قد أرسلت في أواخر عهد معاوية^(١٤٠) وأنها وصلت متأخرة ، وأنها كانت من مسلمين جاؤا من أقاليم آسيا الوسطى المفتوحة حديثاً ، حيث لم يكن يزيد بن معاوية (الحاكم في ذلك الوقت)^(١٤١) في وضع يسمح له بالاهتمام بالشؤون الخارجية خلال مدة حكمه المشحون بالأحداث الجسام^(١٤٢) .

بعثة عام ٨٤ هـ - ٧٠٣ م

أما البعثة التالية فقد وصلت الصين عام ٨٤ هـ - ٧٠٣ م ويتضح من استعراض الأحوال الداخلية للدولة الإسلامية أن عبد الملك بن مروان^(١٤٣) تولى الخلافة بعد تنازل معاوية الثاني^(١٤٤)

عنها ، وقد امتلاً عهد عبد الملك بالحروب الأهلية والصراع القبلى والداخلى^(١١) ولم تكن هذه الظروف تسمح بإرسال سفارات إلى بلاد بعيدة مثل الصين ويبدو أن سفارة عام ٨٤هـ قد أرسلت فى أواخر عهد عبد الملك بعد توخذ حكمه ، واستقرار الأحوال فى الدولة الاسلامية ، وأنها جاءت من مكان قريب من بلاد الصين^(١٢) .

قتيبة بن مسلم الباهلى على أبواب الصين (٩٦هـ - ٧١٥م)

تبدأ المرحلة التاريخية فى العلاقات العربية الصينية فى التطور أبان خلافة الوليد بن عبد الملك^(١٣) وبالتحديد عام ٩٦هـ - ٧١٥م بغزو قتيبة بن مسلم الباهلى^(١٤) لتركستان الشرقية ، وهى إحدى المقاطعات المتحدة مع الصين اليوم .

وكان قتيبة قد عين حاكماً على خراسان فى أواخر عهد عبد الملك بن مروان ، وطيلة مدة حكم الوليد وقد نجح قتيبة فى فتح بلاد ما وراء النهر ، وعبر نهر سيحون ، وشرع فى سلسلة من الحملات الناجحة ، أخضع فيها مدن بخارى وسمرقند ومدن أخرى ، ومضى إلى الأمام فى فتوحاته حتى وصل إلى الحدود القريبة للإمبراطورية الصينية بذلك أرسل إليه : " أن ابعت لى وفداً ليتباحث معى " فأرسل قتيبة وفداً على رأسه هبيرة بن المشرج الكلابى^(١٥) .

وقد أورد كل من الظبى وابن الأثير هذه القصة بالتفصيل ، وهذا نصها كما ذكرها : " فى هذه السنة (٩٦هـ) غزا قتيبة كاشغر ، وامتدت فتوحاته حتى بلغ حدود الصين ؛ فكتب إليه ملك الصين أن ابعت لى رجلاً شريفاً يخبرنى عنكم وعن دينكم ، فانتخب قتيبة عشرة رجال لهم جمال السن ، وبأس وعقل ، وصلاح ، وأمر لهم بعدة حسنة ، ومتاع حسن من الخز والوشى وغير ذلك ، وخبول حسنة ، وكان من بينهم هبيرة بن المشرج الكلابى ، وقال لهم قتيبة : " إذا دخلتم على ملك الصين ، فاعلموه أنى قد حلفت أنى لا أنصرف حتى أظأ بلادهم وأختم ملوكهم ، وأجيبى خراجهم " .

فساروا وعليهم هبيرة ، فلما وصلوا دعاهم ملك الصين ، فلبسوا ثياباً بيضاء ، تحتها الغلال ، وتطيّبوا ، ولبسوا النعال والأردية ودخلوا عليه وعند عظماء قومه ، فجلسوا ؛ فلم يكلمهم الملك ولا أحد ممن عنده فنهضوا ، فقال لمن عنده كيف رأيتم هؤلاء ؟ فقالوا رأينا قوماً ما هم إلا نساء ، وما بقى من أحد منا إلا استشر ما عنده " ، فلما كان الغد دعاهم فلبسوا الوشى والمعائم ، والخز والمطارف ، وغدوا عليه ؛ فلما دخلوا قيل لهم ارجعوا ، وقال لأصحابه : كيف رأيتم هذه الهيئة ؟ فقالوا " هذه أشبه بهيئة الرجال من تلك " .

فلما كان اليوم الثالث دعاهم ، فنشدوا سلاحهم ، ولبسوا البيض المغافر وأخذوا السيوف والرماح والقسى ، وركبوا ، فنظر إليهم ملك الصين ، فرأى مثل الجبال مقبلة ، فلما دنوا ركزوا رماحهم ، وأقبلوا مشمرين ، فقبل لهم ارجعوا ، فركبوا خيولهم وأخذوا رماحهم ، ودفعوا خيلهم كأنهم يتطاردون ، فقال الملك لأصحابه : "كيف ترونهم ؟" فقالوا : "ما رأينا مثل هؤلاء".

فلما أمسى بعث إليهم أن ابعثوا إلى زعيمكم ، فبعثوا هبيرة بن المشرج ، فقال له الملك حين دخل عليه : "قد رأيتم عظيم ملكي ، وأنه ليس أحد يمنعكم مني ، وأنتم في يدي بمثل البيضة في كفي ، وأنى سائلك عن أمر فإن لم تصدقني فتلتكم" قال سل . قال : "لم صنعتكم بزيكم في اليوم الأول والثاني والثالث ما صنعتهم ؟" قال هبيرة : "أما زينا في اليوم الأول فلباسنا في أهلنا ، وأما في اليوم الثاني ، فزينا إذا أمنا أمرانا ، وأما في اليوم الثالث فزينا لعدونا ." فقال الملك : "ما أحسن ما دبرتم دهركم ، عودوا إلى صاحبكم ، فقولوا له ينصرف فإني قد عرفت حرصه ، وقله أصحابه ، وإلا بعثت إليكم من يهلككم ويهلكه".

فقال له هبيرة : "كيف يكون قليل الأصحاب من أول خيله في بلادك وآخرها في منابت الزيتون ؟" وكيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاق .
وأما تخويفك إيانا بالقتل ، فإننا لنا آجالاً إذا حضرت فأكرمها القتل ، فلبسنا نكره أو نخافه".

فقال الملك : "فما الذي يرضى صاحبك ؟" قال هبيرة : "إنه قد حلف ألا يتصرف حتى يظأ أرضكم ويختم ملوككم ويعطى الجزية" . فقال الملك : "فإذا نخرجه من قسمه تبعث إليه بتراب من ترابنا قبطاً ، وتبعث بعض غلماننا فيختمهم ، وتبعث إليه بجزية يرضاه".

قال فدعنا بصحائف من ذهب فيها تراب ، وبعث بحريز وذهب ، وأربعة غلمان من أبناء ملوكهم ، ثم أجازهم فأحسن جوائزهم ، فساروا فقدموا على قتيبة فقبل الجزية وختم الغلمان ورددهم ، ووطأ التراب .

فقال سودة بن عبدالله السلولى واصفاً ذلك :

لا عيب في الوقد الذين بعثتهم	للصين إن سلكوا طريق المنتهج
كسروا الجفون على القنى خوف الردى	حاشا الكريم هبيرة بن مشرج
لم يرض غير الحتم في أعناقهم	ورهانن دفعت بحمل مشرج
أدى رسالتك التسي استرعيتسه	وأتاك من حث اليمن بمخرج ^(١٣)

في التعقيب على هذه الرواية يجب أن أذكر ما قاله الأستاذ / هادي العلوي فهو في رأي أفضل من عقب على هذه الرواية فقال : " يبدو أن الوفد العربي قد أعد بعناية وأنه قام في تشايع أن بحركات استعراضية للتعبير عن الثقة بالقوة . ومن جهته فإن الإمبراطور "شوان تزونغ" كان يعرف ما وراء الوفد ، وحاول في نفس الوقت أن يناور بما لديه وما يمثله من قوة في المقابل ، ثم انتهى الطرفان إلى حل وسط ، وهذا الحل كان مرسوماً في ذهن الإمبراطور الصيني والقائد العربي ، فالإمبراطور الصيني يدرك أنه ليس من الحكمة التورط مع العرب ، أي مع جيش كان يعرف سلفاً أن أوله عنده وآخره في بلاد الشام ، وقتيبة بدروه أدرك أن التورط في الصين قد لا يكون له نهاية ، فكانت هذه الصفقة التي جسدت تعادل قوتين يديرهما قادة عقلاء يعرفون عواقب الأمور قبل وقوعها ، وهي من الدروس البليغة في تاريخ السياسة العالمية ، وفيها دليل على الحنكة السياسية لقيادة حضارتين ناهضتين تحكمهما مطامع توسعية متقابلة إنما مع تبصر في العواقب يتقدم فيه العقل السياسي على النزعة العسكرية ، فيضع للقوة معالم يمنعها من الانخراط في التهور ، ومن دون أن يترتب على الصفقة تنازل خطير في الاستراتيجية العليا لكل منها . وتمت إلى ذلك ناموس تاريخي يقف في نهاية المطاف وراء هذه الصفقة التي تمت بين حضارتين راسختين من جهة أو غير متناقبتين من جهة أخرى ، مما يفسر بدوره بقاء الحدود بين الإمبراطورية الإسلامية والإمبراطورية الصينية هادئة وغير ساخنة ، إلا في الاستثناءات القليلة ، مقابل تلك السحونة الدامية التي عاشتها الشعوب الإسلامية مع البيزنطيين والإفرنج ^(١٤١) .

ورغم أن المصادر العربية ذكرت خبر وفد قشمية بالتفصيل ، إلا أن المصادر الصينية أشارت إليه عابرة ، ولم تذكر تفاصيل ما حدث بين هبيزة بن المشمرج والإمبراطور الصيني وإنما ذكرت أن الوفد جاء لتقديم الهدايا (*) وأشارت إلى رئيس الوفد "هبيزة مشمرج" باسم "موموخو مو" وذكرت ما تمتع به من ذكاء وشجاعة وأنه اختير رئيساً للوفد بسبب ذلك ^(١٤٢) .

كما علقت الكتب الصينية المعاصرة على رواية الظبيري ، فذكرت أن من بروى هذه الحادثة هم المسلمون ؛ لذلك فلا بد أن يصفوا أنفسهم بالقوة ^(١٤٣) .

سفارة عام ٩٨ هـ - ٧١٦ م

لاستطيع أن تعرف من المصادر الصينية كم سفارة وردت من الخلفاء الأمويين إلى العاصمة الصين ؟ لأن كلمة (تاشي) في السجلات الصينية ولو أن المراد منها العرب ، لكن ليس من الضروري أن يراد بها العرب المقيمين بدمشق "حاضرة الخلافة الأموية" فمن المحتمل أن يطلق هذا اللقب على العرب الذين استوطنوا آسيا الوسطى ،

ويبدو أن السفارات التي جاءت إلى الصين من أمراء العرب ببلاد ما وراء النهر ، كانت أكثر من وردت من الخلفاء الأمويين في دمشق .

ولكن السفارة التي نعتقد إلى درجة كبيرة جدًا أنها بعثت من دمشق كانت في عام ٩٨هـ / ٧١٦م. لأن السجلات الصينية ذكرت هذه السفارة بوضوح ، حتى رفعت كل الشكوك عنها .

تقول الرواية : " في الشهر السابع من السنة الرابعة لعهد (كائي يونغ) وهي توافق عام (٩٨هـ) / ٧١٦م وردت سفارة من بلاد العرب بعثها أمير المؤمنين سليمان ، لتقديم الهدايا إلى إمبراطور الصين ، وكانت الهدايا عبارة عن عيادات منسوجة من خيوط الذهب ، والعقيق، ورشاشات العطور ، وأشياء نفيسة خاصة ببلاد العرب . ووصف الوعد بلادهم ، وقدموا بيانًا كافيًا عنها ؛ فأنعم الإمبراطور على السفير برتبة الفارس من الدرجة الأولى . ثم ودعه بغنائق الاحترام ومزيد من الإكرام^(١٧) .

لقد حددت الكتب الصينية في السفارة السابقة التاريخ الذي جاءت فيه والمكان الذي خرجت منه ، على عكس السفارات السابقة ، مما يؤكد أن أغلب السفارات الأموية قد جاءت من قبل الولاة والقواد المسلمين فيما وراء النهر وخراسان .

والحقيقة أننا يجب أن نتساءل عن الدوافع التي حدثت بالخليفة سليمان بن عبد الملك (*) لإرسال هذه السفارة التي أشاد بها الكتاب الصينيون ، واحتفوا بها أعظم احتفاء ، ولقيت منهم أعلى تقدير .

نحن نعلم أن سليمان بن عبد الملك لم يكن بالخليفة القوى ولم يتميز عهده بالفتوحات الخارجية، فقد أعقب سليمان أخاه الوليد ، الذي أراد تنحيته من ولاية العهد . وقد أيد في ذلك أغلب قواده ومنهم قتيبة بن مسلم ، فرما أراد سليمان بهذه السفارة استجلاب أصدقاء أقوياء ليقرى بهم على خصومه ، أو العكس أن هذه السفارة كانت ردًا على سفارة من إمبراطور الصين، أراد بها تدعيم أواصر الصداقة بين بلاده وبين الدولة الإسلامية ، التي كانت في أوج قوتها ، خاصة وأن الصينيين فيما يبدو مروا أعظم السرور بوفاء الوليد بن عبد الملك ومن بعده قتيبة ابن مسلم ، وإيقاف حركة الفتح الإسلامية التي هدوت كياتهم .

ثم يأتي عهد هشام بن عبد الملك^(١٨) والذي يذخر بالسفارات العربية إلى بلاد الصين ، حتى أنها تغطي مدة حكمه الطويلة (١٠٥-١٢٥هـ) / (٧٢٤-٧٤٣م) فوفقًا للمجدول الزمني السابق للسفارات العربية القادمة إلى الصين ، نجد أن ستًا منها كانت في عهد هشام بن عبد الملك ، ويجب أن نشر إلى أن بعض هذه السفارات جاءت من قرغانة وسمرقند وجنوب الهند^(١٩) .

سفارة عام (١٠٦هـ) / ٧٢٥م

أما السفارة التي وردت ٧٢٥م ، فهي من أحد قواد العرب بدون شك ، فقد ذكرت المصادر أن وفد العرب جا - إلى في هذه السنة مرتين خلال شهرين وهي مدة غير كافية لكي يقطع فيها الوفد ذهابا وإيابا مرتين من دمشق إلى الصين لذا فمن البدهي أن هاتين السفارتين قد جاءتا من منطقة قريبة من حدود الصين .

أما رئيس الوفد "سليمان" فمن هو ، وما علاقته بالعرب قيما وراء النهر ؟

يبدو من دراسة الوضع في تلك الفترة أنه "سليمان بن أبي السارى الذى اشترك في محاصرة "جند" (*) تحت قيادة سعيد بن عمر الحرشى (**) وذلك عام ٧٢٢م .

ويبدو أن الغرض من هذه السفارة هو كسب صداقة إمبراطور الصين وترغيبه عن مساعدة الأتراك الذين كانوا يعوقون طريق العرب وفتوحاتهم إلى الشرق^(١٩) .

والحقيقة أن غموض أسماء بعض الشخصيات التي ورد ذكرها في السفارات العربية إلى الصين ، يؤكد لنا أن أغلب هذه السفارات قد جاءت من قبل القواد العرب في بلاد ما وراء النهر .

سفارة عام ١١٠-١١١هـ / ٧٢٨-٧٢٩م

يظهر ما ذكرناه آنفا من غموض أسماء السفراء في هذه السفارة ، حين تذكر الكتب الصينية أن رئيس الوفد في هذه السفارة هو "ديدو" وقد جا - في ثمانية من أصحابه ، وقد أنعم عليه الإمبراطور برتبة فارس من الدرجة الأولى ، ثم ودعه مع أصحابه في حفاوة بالغة [١٠-] .

ويبدو أن "ديدو" هنا كان من أتراك سمرقند أو بخارى وكان يعمل تحت أمره نصر بن سيار (*) أو سعيد بن عمر الحرشى ، الذين تولوا حكم هذه الأقاليم في العهد الأموى .

سفارة عام ١١٥هـ / ٧٣٣م

تم تأتى سفارة عام ١١٥هـ / ٧٣٣م في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ، فتقول الكتب الصينية : " كان رئيس الوفد هو (مسلم ترخان) وكانت قادمة من سمرقند أرسلها قائد اسمه جنيد^(٢٠) " .

ويبدو أن (مسلم ترخان) كان شخص مسلم تركي ممن كانوا يسكنون سمرقند وكان يعمل تحت إمرة الجنيد .

سفارات عام ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ هـ / ٧٤١ ، ٧٤٤ ، ٧٤٧ م

أما السفارات التي وردت إلى عاصمة الصين في سنوات ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ هـ / ٧٤١ ، ٧٤٤ ، ٧٤٧ م فقد جاءت كلها من عمال العرب بأواسط آسيا فسفارة عام ٧٤١ ترأسها شخص يدعى (حسين) وجاء نصها كالآتي : " في العام التاسع الصينية (Hesa) (حسين) الذي جاء إلى الصين ، بصفة مبعوث التازيان البيض لقب يقائد الحرس الأيسر " وطلعت عليه الرداء المنفوح مع الخزام المطعم بالذهب"^(١٢١).

وتذكر بعض المصادر أن هذه السفارة قد وردت من بلاد الشاش^(١٢٢).

ويعتقد الأستاذ "جب" أن تصريحه عن سيار بعد أن استقر في سمرقند ، بعث عدة سفارات إلى الصين ، واحدة منها عام ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م ، وكان ذلك لتنظيم العلاقة التجارية تنظيمًا متقنًا ، وكان مع هذه السفارة وفود عن الصغد وتخارستان^(١٢٣) والشاش .

وأما السفارتان اللتان كانت في عامي (٧٤٥ ، ٧٤٧ م) فكانتا منه أيضًا لأنه شعر بأن أركان الحكومة بما وراء النهر ، تحتاج إلى دعم الطبقات المتوسطة خصوصًا طبقات التجار والزراعين^(١٢٤).

أهم السفارات المتبادلة بين الدولة الإسلامية والصين في عهد الدولة العباسية

بقيام الخلافة العباسية في سنة (١٣٢ هـ / ٧٥٠ م) نشطت العلاقة الدبلوماسية مرة أخرى ، بين خلفاء بني العباس وأباطرة الصين ، وأهم السفارات كانت من قبيل أبي العباس السفاح مؤسس الدولة العباسية ، وأبي جعفر المنصور ، مؤسس بغداد ، وهارون الرشيد وقد ميز الصينيون جيدًا بين الأمويين والعباسيين ، كما استوعبوا طبيعة التغيير الذي حدث في حكم الدولة الإسلامية . فوصفوا الأمويين بصفة (شي داشي) أي العرب ذوي الملابس البيضاء ، أما العباسيين فوصفهم بـ (شي داشي) أي العرب ذوي الملابس السوداء^(١٢٥).

وقد تعاقبت السفارات العربية إلى الصين في زمن العباسيين ، وهي كما ذكرتها المصادر خمس عشرة سفارة ما بين أعوام (١٣٢-١٨٢ هـ / ٧٥٠-٨٠٠ م)^(١٢٦).

معركة تالاس (١٣٣ هـ / ٧٥١ م)

ذكر ابن الأثير في أحداث سنة ١٣٣ هـ فقال : " في هذه السنة تحالف أخشيد قرغانه وملك الشاش فاستمد أخشيد ملك الصين ، فأمده بمائة ألف مقاتل فحاصروا ملك الشاش ، فنزل

على حكم ملك الصين ، فلم يتعرض له ولأصحابه بما سيؤهم ، وبلغ الخبر أبا مسلم (*) فوجه إلى حربهم زياد بن صالح (***) فالتقوا على نهر (طراز) فظفر بهم المسلمون ، وقتلوا منهم زهاء خمسين ألفاً وأسروا نحو عشرين ألفاً ، وهرب الباقيون إلى الصين ، وكانت الواقعة في ذي الحجة (٤٧) .

وقد ورد ذكر معركة تالاس في كثير من المصادر العربية والصينية والأوروبية ، لما لها من أهمية كبيرة في انتقال صناعة الورق إلى الشرق الإسلامي فيذكر "يدين فرانك" في كتابه القيم "طريق الحرير" فيقول : " في صيف عام ٧٥١م التقى الجانبان العربي والصيني على ضفاف نهر تالاس شمالي تركستان وهناك انكسر الجيش الصيني في واحدة من أكثر هزائمه تدميراً (٤٨) .

ووقع آلاف الجنود والصناع في الأسر ، حيث نقل الكثير منهم إلى سمرقند وكان لأسر هؤلاء مغزى خاص في تاريخ الحصار العربية ، إذ كان من بين الصناع المهرة كثيرون من صناع الورق الذين نقلوا سر صناعتهم إلى العرب (٤٩) .

أما الكتب الصينية فقد تناولت خبر هذه المعركة ولكن بأسلوبها هي فيقول المؤرخ الصيني "قوه ينغ ده" في كتابه "تاريخ العلاقات الصينية العربية" : لقد لحقت بالقوات الصينية هزيمة تكرا . وقتل السواد الأعظم منهم ولم يبق إلا بضعة آلاف لكن هذا النصر كان بسبب خيانة قبيلة "قارلوق" التشيد وانضمامها لجيش المسلمين (٥٠) .

ثم يعود المؤرخ الصيني "قوه ينغ ده" ليؤكد أن معركة تالاس كان لها نتائج هامة جداً فيقول : أسفرت معركة تالاس عن نتيجتين هامتين :

أولهما : أن الأديب الصيني "دو هوان" والذي كان مرافقاً للقائد الصيني "فاوشياو تشي" قائد القوات الصينية في المعركة ، قد وقع في الأسر ، ولكنه عومل معاملة طيبة ، إذ سمح له أن يجوب بلاد عربية كثيرة ، وعاد بعد أكثر من عشر سنوات (حوالي عام ٧٦٢م) إلى الصين ، وكتب كتاب أسماء : "مذكرات في ديار الغربة" وصف فيه بلاد العرب من حيث الجغرافيا ، والمناخ ، والعادات والتقاليد (٥١) .

سفارة عام ١٣٥هـ / ٧٥٢م

وفي عام ١٣٥هـ / ٧٥٢م وصل وفد صيني إلى أبي العباس السفاح وكان مقره في الأتبار (*) ويبدو أن السبب في قدوم هذا الوفد كان هو التباحث في مسألة الأسرى الصينيين (٥٢) .

ثم تحولت العلاقات بعد ذلك إلى علاقات ودية ، فوصلت ثلاث سفارات عباسية إلى الصين في سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م وكانت في عهد أبي العباس ، حملت معها هدايا ضمنها ثلاثون جواً عربياً هدية إلى إمبراطور الصين^(١٣٣) .

وتؤكد المصادر الصينية ذلك فتذكر أنه وصل في العام الثاني عشر من فترة "نيان باو ٧٥٣" إلى الصين ، خمسة وعشرون مبعوثاً من التازيات السود ، فتمنح البلاط الصيني كلاً منهم لقب "تشونغ لانغ" وخلق عليه الرداء البنفسجي والحزام المطعم بالذهب^(١٣٤) .

فتنة آن لوشان وجيش المنصور

بعد معركة نالاس السالفة الذكر ، وهزيمة الجيش الصيني ، ضعف مركز الإمبراطور الصيني (سوتسونغ) (*) فثار عليه الثوار بزعامة أحد الضباط وهو آن لوشان (**) وخرج آن لوشان يقود ثورة حاسمة ، هزم القوات الإمبراطورية ، وواصل زحفه نحو العاصمة تشانغان ، وفر الإمبراطور (سوتسونغ) وأفراد البلاط ، ثم تنازل الإمبراطور لابنه عن العرش ، وبدأ الإمبراطور الجديد في ترتيب أوراق البيت الإمبراطوري ، فبعث إلى الدول الصديقة يطلب المساعدة فبعث إلى الخليفة العباس أبي جعفر المنصور^(١) يطلب مساعدته وذلك عام ١٣٨هـ / ٧٥٥م ، فأمد المنصور بقوة مكونة من أربعة آلاف جندي ٤٠٠٠ جندي ساعدت مع قوات من الأتراك والأوغرة في القضاء على الثورة وعودة الأمن^(١٣٥) .

ورغم أنه لم يرد ذكر هذه الواقعة في المصادر العربية ، إلا أن المصادر الصينية والأوروبية لم تغفلها^(١٣٦) .

ورغم تأكيد المصادر التاريخية الصينية والأوروبية على أن الصينيين قد استعانوا بالعرب للقضاء على هذا الفتنة ، إلا أنه بالنظر إلى الأوضاع السياسية في الدولة الإسلامية في ذلك الوقت ، نجد أن أبا جعفر المنصور قد تسلم زمام الخلافة في عام ١٣٦هـ / ٧٥٤م ، وكان بداية عهده مليئاً بالحوادث والاضطرابات ، مثل خروج العلويين عليه ، وكذلك ثورات خراسان بعد غدرة أبي مسلم الخراساني ، والتي دامت حتى عام ١٤١هـ / ٧٥٨م واستطاع المنصور إخمادها بصعوبة بالغة .

لذلك يبدو أنه من الصعب في تلك الظروف أن يبعث المنصور قوات لمساعدة إمبراطور الصين في استرداد ملكه ، إلا إذا كانت هذه القوات من البلدان التابعة للدولة الإسلامية ، والقريبة في نفس الوقت من بلاد الصين .

وقد يتساءل البعض : ما هي الفائدة التي يجنيها المسلمون من مساعدة الامبراطور الصيني؟

للإجابة عن هذا السؤال نقول : " إنه مما لاشك فيه أن من مصلحة المسلمين أن تكون على حذرهم دولة متداعبة لهم فضل حمايتها ، وهذا الفضل ، يجعل انتشار الإسلام سهلاً حيث لا تنفق أمامه الدولة ، وهذا خير من أن تقوم دولة جديدة تستهضئ الشعب لقتال المسلمين وتحارب دينهم تعصياً وهوى " ١٦٧١ .

وقد استفرت هذه القوات المسلمة في الصين ، ولم ترجع إلى بلاد الدولة الإسلامية ، وقد تسبب هذا الأمر في نقاش كبير حول السبب الرئيسي في عدم عودة هذه القوات الإسلامية ، وقد ساق توماس أرنولد بعض الأسباب في ذلك فقال : " يبدو أن هذه القوات قد أكلت لحم الخنزير في الصين ، وخشت أن يعيدهم إخوانهم المسلمون إن عادوا ، فبقوا هناك . أو أنهم لما طالت مدة إقامتهم خشوا أن يعرّفوا إلى ديار الإسلام ، فيصبحوا محل شبهة لأنهم أقاموا في بلاد تأكل لحم الخنزير " ١٦٨١ .

في الحقيقة أنه ليس لهذا الكلام أي أساس من الصحة . والرأي الأقرب إلى الصحيح هو ما ورد من أن هذه القوات كانت من خراسان ، وكانت جنودها تتألف من الأتراك والفرس والعرب ، فلما انتهوا من مهمتهم التي أتوا إليها وردوا الأمر إلى نصابه أذن لهم الإمبراطور الصيني بالبقاء في الصين ، وتزوج هؤلاء الرجال بالصينيات ، وأنجبوا منهن ، ومن ذرية هؤلاء انتشر المسلمون في شمال الصين الغربي ومناطق أخرى من بلاد الصين " ١٦٩١ .

وقد أكد الرحالة الفرنسي (جايريل دافريا) هذا الكلام فقال : " في عام ٧٥٧م سقطت العاصمة (سيانجفو) (وهونان فو) في أيدي العصابات ، ولكن الإمبراطور استطاع بمساعدة قوات أجنبية أرسلها أبو جعفر المنصور وعدتها ٥٠٠٠ جندي قدمت من خراسان أن يقضى على العصابات ويعيد الأمور إلى نصابها " ١٧٠١ .

ويبدو أن مساعدة المنصور لإمبراطور الصين في القضاء على الفتنة قد عززت العلاقات بين الدولتين ووطدت من هيبة العباسيين في الصين .

سفارة المنصور ١٣٩-٧٥٦م

ثم أرسل المنصور سفارة تحمل الهدايا والتحف إلى الإمبراطور الصيني (سر جونغ) - ربما

كانت هي رد لرسالة شكر كان أرسلها الإمبراطور الصيني - وقد لقيت البعثة استقبالاً حافلاً ،
وحفاوة منقطعة النظر اعترافاً بالجميل^(٧١) .

سفارة عام ١٤١هـ / ٧٥٨م

تذكر المصادر الصينية أنه في عام ١٤١هـ / ٧٥٨م أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور سفارة
إلى بلاد الصين وكان الوفد مكون من ٦ أعضاء ، وقد اجتمعوا في وقت واحد مع سفارة من بلاد
الأوغرد (*) ، فكانت كل جماعة تريد أن تدخل قاعة التشرفات قبل غيرها ، فتنازعتا عند
الباب ، فإذا بأمين التشرفات يصلح بين الجماعتين بإدخال كل جماعة من باب مستقل (٧٢) .

ولقد كان الخليفة المنصور جاداً في تقوية علاقاته مع الصين وذلك لإدراكه الأهمية السياسية
والاقتصادية للشرق الأقصى وخصوصاً الصين وقد ذكر الطبري في أحداث سنة ١٤٥هـ أن المنصور
عندما وضع حجر الأساس لمدينة بغداد لتكون عاصمة للخلافة العباسية قال: " هذا موضع
معسكر صالح ، هذه دجلة ليس بينا وبين الصين شيء ، يأتيها فيها كل ما في البحر " (٧٣) .

ولقد كان نقل العاصمة العباسية إلى بغداد حدثاً سياسياً وتجارياً ، قهى بعيداً عن خصومهم
الروم الذين اتخذوا من البحر المتوسط مسرحاً لتجارتهم ، كما أنها قريبة من الفرس أصدقاء
العباسيين ، الذين ساعدوهم في الوصول للحكم ، كما أنها تطل على الخليج العربي ، والمحيط
الهندي ، حيث تمتد بلاد فارس والهند وسرنديب والصين^(٧٤) .

سفارة ١٧٥هـ ٧٩١م

وقد ظلت السفارات العباسية تترى إلى عاصمة الصين وكان أهمها السفارة التي أرسلها
الخليفة هارون الرشيد (*) الذي سماه الصينيون (ألون) .

يقول تيدعام : " في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادي أخذ التبتيون بهدور الصين ،
وجنود الدولة الإسلامية في آسيا الوسطى ، مما حدا بهارون الرشيد إلى إرسال مبعوث إلى
(تشانغآن) انتهى إلى عقد تحالف عربي- صين ضد الخطر التبتى عام ٧٩١م ، ويصادف ذلك
السنة الخامسة من حكم الخليفة الرشيد . والعاشرة من حكم الإمبراطور (ده تزونغ) (٧٧٩-
٨٠٥م)^(٧٥) .

ولقد شهد العصر العباسي علاقات متميزة مع بلاد الصين ، حيث ذهبت وفود كثيرة إلى أرض

الصين ، يبدو أن الهدف منها كان هو الدعوة للدولة العباسية ، وإظهار قوتها ، وعظمتها لدى حكومة الصين، كما كان الهدف منها هو الوقوف على الحالة الداخلية للصين ، وإزدهاد العلاقة التجارية بينهما .

ولقد أدرك العباسيون حقيقة أساسية هي أن التغلغل المدني في بلاد الصين يعنى زيادة مضطردة في واردات بيت المال ، ومن ثم دأبوا على تقوية هذه الثلات ولم يتقطعوا عن إرسال سفاراتهم إلى تلك البلاد^(١٧٦) .

ولقد سجلت المصادر الصينية الوفود العربية القادمة إلى بلاد الصين بكل عناية ، وحددت تواريخ وصولها إلى العاصمة الصينية . أما الوفود الصينية إلى البلاد العربية والتي جاءت لطلب المعونة العسكرية أو غيرها ، فلم نجد لها ذكر في المصادر العربية ، لكن هذا لا يعنى أنها غير موجودة ، ولكن ربما لم تذكر لسبب أو لآخر .

سفارة عام ١٨٢ هـ / ٧٩٨ م

تذكر السجلات الصينية ما يلي : " في الشهر التاسع من السنة الرابعة عشر أي في عام ٧٩٨ م بعثت خي داشي هانغ كوو ، ويانج جى ، ونشايي سفراء إلى بلاد الصين ، وبعد مقابلة الإمبراطور أنعم عليهم برتبة قائد الفرسان^(١٧٧) .

وقد تعرر رد أسماء السفراء إلى أصلها العربي فلا ندرى هل كانت هذ السفارة قادمة من بغداد أم من منطقة قريبة من بلاد الصين .

ولقد جاء القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى لتشهد الصين مرحلة اضطرابات داخلية أدت إلى انحسار العلاقات العربية الصينية قليلاً ، وقد واکب هذا الوقت نهاية العصر العباسى الأول الذى شهد ازدهارا في شتى المجالات ، ليظل علينا عصر آخر ظهر فيه خلفاء ضعاف نزع قوادهم السلطة من أيديهم . وبالمقابل لم يمض وقت طويل حتى سقطت أسرة تانج الصينية عام ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ لينتهى بذلك عصر أسرة عريقة امتد قرابة ثلاثة قرون واکب فترة ظهور الإسلام والنشاره إلى أواسط الدولة العباسية .

الخاتمة

خلصت هذه الدراسة إلى إثبات أن العلاقة الدبلوماسية بين الصين وبلاد العرب ، قديمة قدم التاريخ وأنها قد بدأت منذ قبل الميلاد . ومنذ بعثة (جانغ جيانغ) عام ١٣٨ ق.م ، ثم تلتها بعثة (كانغ يانغ) سنة ٩٧م وكيف كان الصينيون يهتمون باقامة علاقات مع المنطقة الغربية ومنها بلاد العرب .

ثم أكدت الدراسة أنه يظهر الإسلام في الجزيرة العربية وانتشاره أصبحت الظروف مهيأة لإقامة روابط مع بلاد الصين . وأكدت على أن أول اتصال دبلوماسي ثم بين الصين والدولة العربية الإسلامية كان في عام - ٥٣ هـ / ٦٥١م في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رضى الله عنه) . وكيف كانت الصين مهتمة بمتابعة الأحداث الجارية في منطقة الجزيرة العربية . وكيف كانت تنظر بعين الحذر والترقب إلى الدولة العربية الإسلامية الناشئة التي أطاحت بدولتي الفرس والروم . ورأت أنه من مصلحتها عدم التورط في صراعات مع هذه الدولة .

وأظهرت الدراسة أن العلاقات الدبلوماسية ازدهرت بين الصين والدول الإسلامية في عهد الدولة الأموية . والذي شهد إرسال سبعة عشر سفارة إلى بلاد الصين ، ثم تطورت العلاقات أكثر في عهد الدولة العباسية التي أرسلت خمسة عشر سفارة أيضا إلى بلاد الصين .

وأظهرت الدراسة كيف كان للعباسيين فضل في إخماد نار الفتنة التي قامكت في الصين ، عندما لبوا طلب الإمبراطور الصيني وقدموا له المساعدة للقضاء على ثورة "آن لوشان"

ووضحت الدراسة كيف كان حرص الخلفاء العباسيين على استمرار علاقاتهم مع الصين ، وازدهارها . وكيف كان الصينيون أنفسهم يحرصون كل الحرص على أن تبقى علاقاتهم بالعرب علاقة وطيدة ، حيث كانوا يرسلون السفارات تلو الأخرى ، وكانوا يستقبلون سفارات العباسيين بكل حفاوة وتكريم .

ومما سبق يتضح لنا أن العلاقات العربية الصينية المزدهرة في العصر الحديث ليست وليدة هذا العصر ، وإنما هي علاقة قديمة وأصيلة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ .

الهواش

(*) اعتبر الصينيون منذ القدم أن بلدهم الصين هي مركز العالم وأن كل البلاد تدور في فلكها، وهذا الاعتقاد ما زال موجوداً إلى الآن ولكن بنسبة أقل، حتى أن كلمة الصين نفسها في اللغة الصينية تعني "جونغ جوا" Zhong gua أي المملكة الوسطى أو البلد الوسطى.

١- محمد التابعي : الدبلوماسية في الإسلام . مركز النيل للإعلام القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٩ .

٢- سونج كيونج كون : الإسلام في الصين خلال القرنين الأول والثاني الهجريين ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ص ٥٠ .

٣- الإمبراطور (ووتى wutí) الإمبراطور الخامس لأسرة هان الغربية . ويعتبر عهد واحد من أهم حقب التاريخ الصيني لكونه نشر الاستقرار وبرع في إدارة الدولة واتبع سياسة خارجية مستتيرة . لمزيد من التفاصيل فضلاً أنظر جوزيف نيدهام : موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين ، ترجمة محمد غريب ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٥ م .

٤- أسرة هان الغربية (٣٠٦ ق.م / ٢٥ م) تأسست على يد زعيم يدهى تينيانغ Liu Bang وقد شهد عصر هذه الأسرة تطوراً في الزراعة والري والصناعة والنسيج الحريري ، كما ازدهرت التجارة وظهر عدد من المدن التجارية الهامة في الصين .

٥- المنطقة الغربية كما صورتها الكتب الصينية هي المنطقة الواقعة من حدود الصين الغربية . حتى بلاد العراق والبحر المتوسط . أنظر سونج كيونج كون : الإسلام في الصين ، ص ٥٢ .

٦- History : Compiled by the china hand book Editorial Commit , Translated by Danj Li . Foreign languages press Beijing , p. 19 .

٧- (بويه جيد) هو شعب كان يسكن منطقة "باكتريا" التي تشمل الآن جزءاً من شمال أفغانستان وأجزاء من طاجيستان وأوزبكستان في وسط آسيا . فضلاً أنظر ايرن فرالك ، ديفيد برالستون : طريق الحرير . ترجمة أحمد محمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ١٠ .

٨- جوزيف نيدهام : تاريخ العلم والحضارة في الصين ، ص ٧٤ .

٩- بدر الدين حي الصيني : العلاقات بين العرب والصين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ / ١٩٥٠ ، ص ٩ .

١- جوزيف نيدهام : تاريخ العلم والحضارة ، ص ٧٥ .

(*) تشانغآن : عاصمة الإمبراطورية الصينية القديم ، وهي الآن مدينة شيان عاصمة ولاية شنشى فى وسط الصين .

١١- قوه بنغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ترجمة تشانغ جيامين المركز العربى للمعلومات ، بكين ، ٢٠٠٤ ، ص ٤ .

(*) من نباتات المراعى ، وعلق الحيوان يشبه البرسيم العادى ، ويتميز عنه بتموه طوال العام .

١٢- جوزيف نيدهام مرجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين ، ص ١١٦ .

١٣- قوه بنغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ص ٤ .

١٤- جعفر كزار أحمد : العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين من ظهور الإسلام وحتى القرن العشرين ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، الكويت ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ١٣ .

(*) الجنرال بان شياو : جنرال صينى من أسرة معروفة فى الصين ، فأبوه هو من بدأ كتابة حوليات أسرة مان وأخوه من أنهاها وقد خرج عام ٧م مهمة لاستعادة مناطق غرب الصين والسيطرة عليها . فضلا أنظر ابيرين فرالك : طريق الحرير - ص ١٦٧ .

(*) هى مدينة شاركس التى استقلت عن بارثية ، وأصبحت مركزا تجاريا لنقل البضائع فى سفن من الطرق البحرية عبر الخليج العربى إلى طرق القوافل عبر الصحراء إلى البحر المتوسط انظر سواغ كيونج كون ، ص ٦١ .

١٥- سونغ كيونج كون الإسلام فى الصين ، ص ٦٢ .

١٦- جعفر كزار أحمد : الدور الحضارى للعنانيين فى الصين ، اللجنة الوطنية العمانية للتربية والثقافة الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٨ م ، ص ١٩ .

١٧- جعفر كزار أحمد : العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين ، ص ١٣ .

١٨- هادى العلوى : المستطرف الصينى ، دار المدى سوريا ، الطبعة الأولى ١٩٩٤ ، ص ٢٨٤ .

١٩- ف- هايد : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى ، ترجمة أحمد محمد رضا ، مراجعة : عز الدين فودة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥ الجز- الأول ص ١٧ .

٢٠- جوزيف نيدهام ، مرجز تاريخ العلم والحضارة فى الصين ، ص ١٢٣ .

٢١- جعفر كزار أحمد : العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين ، ص ١٣ .

٢٢- جعفر كزار أحمد : العلاقات التاريخية ص ١٣١ .

٢٣- هادي العلوي : المستطرف الصيني . ص ٢٨٥ .

٢٤- أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي : العقد الفرید تحقيق د. مفيد محمد قمبحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٤-١٩٨٣ ، ج ١ ، ص ٢٧٥ .

(*) في لقاء لي بالدكتور جعفر كزار الخبير في العلاقات الصينية العربية وسألني له عن أول وجود إسلامي في الصين أكد أن الوجود العربي الإسلامي في الصين تزامن مع مجيء أسرة تانغ لحكم الصين رغم ما برده الكتاب الغربيون من أن الإسلام لم يدخل الصين إلا مع الغزو المغولي حيث وصفوا الإسلام بأنه دين غامزى وقد استدلل الدكتور جعفر بالآثار العربية الموجودة في الصين والتي يعود تاريخها إلى أسرة تانغ وهو ما أكدته لي أيضا الدكتور دينج جون الأستاذ بجامعة لانجيو في شمال غرب الصين عندما التقيت به هناك .

٢٥- تاشي Tashi عرف الصينيون العبق باسم تاشي وهذا الاسم له عدة تفسيرات هي : أن كلمة تاشي تعني بالفارسية تاجر ، حيث عرف الصينيون العرب من خلال التجارة فأطلقوا عليهم هذا الاسم ، وهناك رأي آخر يقول أن كلمة تاشي مأخوذة من كلمة (تاز) الفارسية وهي تعني (عمامة) وقد أطلق الصينيون هذا الاسم على العرب لأنهم كانوا يرتدون العمامة .

وهناك رأي آخر يقول أن كلمة تاشي تحريف لتطلق كلمة (طون) وهو اسم القبيلة العربية الشهيرة ، والتي رفا وصل شئ من أخبارها إلى بلاد الصين لمزيد من التفاصيل انظر سونج كيونج كون : الإسلام في الصين . ص ١٧ ، ١٨ ، ١٩ .

٢٦- تاريخ ناتج القديم ، الفصل ١٤٨ ، ص ٤ .

٢٧- انظر محمود يوسف في هواين : الإسلام في الصين دار الهلال الأزرق للنشر ، هونغ كونج ، ص ٢ .
وانظر محمد تواضع الصيني الصين والإسلام ، دار النشر والطباعة الإسلامية القاهرة ١٩٤٠ ، ص ٥٥ ،
وانظر محمد مكين الصيني : تاريخ الإسلام في الصين ، الطبعة السلفية ، القاهرة ١٣٥٣هـ ١٩٣٣ ، ص ٦ .

ورغم أن هذه الرواية تعد من الأساطير ، إلا أن بعض الصينيين ما زالوا متمسكين بها ، وخاصة أهالي مدينة قوانغتشو في جنوب الصين والتي كانت قديماً باسم كانتون وبها مقام يدعى "مقام وقاص" يعتقدون أنه لسعد بن أبي وقاص - رضى الله عنه - وقد التقيت بالأستاذ لي هواين في بكين وسألته عن هذه النقطة فأخبرني بأن هذه رواية شائعة بين أهل قوانغتشو في جنوب الصين لكن المؤرخون الصينيون لا يقيمون لهذه الرواية وزناً ويعتبرونها أسطورة .

- ٢٨- فضلا انظر أسامة عبد السلام : الأثر الحضاري للإسلام في الحياة الاجتماعية والدينية في الصين ، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية الزقازيق ٢٠٠٥ م ، ص ١٥ .
- ٢٩- قوه بنغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ص ١٩ ، ١٨ الواضح أن كلمة (Damimamuni) هي نطق للقب أمير المؤمنين وانظر تاريخ تانغ القديم الفصل ١٩٨ ، ص ١٧ .
- ٣٠- تاريخ تانغ القديم ، الفصل ٢٢٢ ، ص ٦٢٦٢ . وكتاب العبر والعظات للأباطرة (تاريخ تانغ) ، فصل ٩٧ ، ص ١١٤٠١ .
- وانظر : بدر الصيني العلاقات بين العرب والصين ص- ١٨ ، إبراهيم فتح جون بقلان قن هو بين الإسلام في الصين ، ص ١١ ، سونغ كيونج كون : الإسلام في الصين ص ١١٣ .
- ٣١- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف ، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٤٨٤ هـ / ١٩٦٥ م ، ص ١٧٢-١٧٣ .
- وقضلاً انظر : حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم ، والسباعي محمد السباعي ، مراجعة د. يحيى الخشاب ط ٣ ، ١٩٩٥ ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .
- ٣٢- السعيد رزق حجاج : المسلمون في الصين في العصر الحديث ، مطبعة حسان ، القاهرة ١٤٠٥-١٩٨٥ ، ص ١٩ .
- ٣٣- Marshel Brom Hall - Islam in china Neglected Problem , London , Morgan and scotts , 1910 - p. 15
- ٣٤- المسلمون والعرب في عهد أسرة تانغ ، ص ٣ .
- ٣٥- M. Gabrid Daveria - Origin De L Islamisme En Chine , Lartinat for history of Arabic - Islamic science , Frank fourd univerality , 1996 , p. 306
- ٣٦- جعفر كزار أحمد : العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين ، ص ١٤ .
- (*) فضلا أنظر الملاحق فهناك تأريخ لهذه السفارات حسب ما ورد في المصادر الصينية .
- ٣٧- تاريخ تانغ القديم ، الفصل ١٩٨ ، وكتاب العبر للأباطرة ، فصل ٩٧٦ .
- ٣٨- فيصل السامر : الأصول التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ ، ص ١١٣ .
- ٣٩- قوه بنغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ص ١٩ .

(*) معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية (٤١ - ٦٠هـ) أسلم يوم فتح مكة وشهد حينئذ ، وكان أحد كتّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أسس الدولة الأموية . فضلاً انظر : جلال الدين السيوطي : تاريخ الخلفاء . مكتبة الصفا ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م . ص ١٦٤ .

(*) يزيد بن معاوية : تولى الحكم بعد أبيه بعد أن أكره الناس على بيعته ، قتل في عهد الحسين وجماعة من آل البيت حكم من (٦٠ - ٦٤هـ) فضلاً انظر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٧١ .

٤- فيصل السامر : الأصول التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى ، ص ١١٥ .

(*) عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصم بن أمية ، ولد سنة ست وعشرين للهجرة ، يربح بالخلافة سنة ٦٥ للهجرة وشهد عصره صراعاً شديداً مع عبد الله بن الزبير استثنى ترجمته لاحقاً ، وحكم حتى عام ٨٦هـ . فضلاً انظر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٧٧ .

(**) معاوية الثاني أبو عبد الرحمن ، ويقال له أبو يزيد ، استخلف بعهد من أبيه في ربيع الأول سنة أربع وستين . وكان شاماً صالحاً ، وقيل أنه استخلف أربعين يوماً وقيل شهرين أو ثلاثة ، ومات وهو ابن إحدى وعشرين سنة ولما احتضر قيل له ألا تستخلف قال: ما أصبت من حلاتها ، فكيف التحمل مراتها .

فضلاً انظر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٧٥ .

(***) شهد عهد عبد الملك بن مروان صراعاً شديداً على الحكم بينه وبينه عبد الله بن الزبير انتهى بقتل بن الزبير عام ٧٣هـ . عبد الله بن الزبير عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد صحابي ابن صحابي ، وأبوه أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ولد بالمدينة بعد عشرين شهراً من الهجرة ، يربح بالخلافة بعد موت يزيد . وأطاحه أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، ولم يبق خارجاً عليه إلا الشام ومصر . قتله الحجاج عام ٧٣هـ .

فضلاً انظر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

٤١- فيصل السامر : الأصول التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى ، ص ١١٦ .

(*) الوليد بن عبد الملك : (٨٦ - ٩٦هـ) ولي الخلافة بعد أبوه ، وشهد عصره فتوحات عظيمة ، فتحت الأندلس والهند وبلاذ ما وراء النهر . فضلاً انظر السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٢ .

(**) قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيع الباهلي هو الذي فتح خوارزم وبغارة وسمرقند وفرغانة وبلاذ الترك سنة ٩٥هـ ولي خراسان عشر سنين ولما بلغه موت الوليد بن عبد الملك نزع الطاعة فاختلف عليه جيشه وقتلوه في ذي الحجة سنة ٩٦هـ عاش ٤٨ سنة . فضلاً انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحديث شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة . الطبعة الحادية عشر ١٤١٧هـ ١٩٩٦م . ج ٤ ، ص ٤١ .

- ٤٢- توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة وعقل عليه د- حسن إبراهيم حسن ، د- عبد المجيد عابدين، إسماعيل النحراوى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٠، ص ٣٣١ .
- ٤٣- الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، ص ١٣١٠ ، ابن الأثير أبى الحسن على بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى) الكامل فى التاريخ - دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ط ٢ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ، ج ٤ ، ص ١٨٩-٢٠٩ .
- ٤٤- هادى العلوى : المستطرف الصيى ، ص ٢٩٣ .
- (*) وهذا تماشياً مع الفكر الصيى الذى ذكرناه سابقاً .
- ٤٥- هادى العلوى : المستطرف الصيى ، ص ٩-٣ .
- ٤٦- المسلمون والصينيون فى عهد أسرة تانغ ، ص ٨ .
- ٤٧- كتاب العبر للأباطرة ، فصل ٩٧١ ، ٩٧٤ .
- (*) سليمان بن عبد الملك أبو أيوب ، كان من خيار ملوك بني أمية ، ولى الخلافة بعهد من أبيه سنة ٩٦ هـ ، وكان قصيخاً مفوهماً مؤثراً للعدل مات عام ٩٩ هـ ، فضلاً انظر السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٨٤ .
- (*) هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) أبو الوليد ، ولد سنة تيف وسبعين واستخلف بعد أخيه يزيد ، وكان حازماً عاقلاً .
- فضلاً انظر السيوطى ، تاريخ الخلفاء ، ص ١٩٧ .
- ٤٨- فيصل السامر : الأصول التاريخية للحضارة العربية فى الشرق الأقصى ، ص ١١٩ .
- (*) خجند : بلدة مشهورة بما وراء النهر ، على شاطئ سيحون ، بينها وبين سمرقند عشرة أيام شرقاً ، فضلاً انظر ياقوت الحموى : معجم البلدان ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ .
- (*) سعيد بن عمرو الحرشى أحد قواد الأمويين ، وكان والياً على خراسان سنة ٤٠ هـ ، ولم يبق طويلاً فى الإمارة .
- فضلاً انظر الكردبى (أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود الكردبى) : زين الأخبار ، ترجمة د- عفاف زيدان ، دار الطباعة المحمدية ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ١٨٤ .
- ٤٩- بدر الدين الصيى : العلاقات بين العرب والصين ، ص ١٨٤ .
- ٥٠- _____ تاريخ الإسلام فى الصين ، دار الشعب / تبتغشيا ، ١٩٨٢م ، ص ٩٤ .
- (*) نصر بن سيار : صاحب خراسان الأمير أبو الليث المروزي نائب مروان بن محمد ، حدث عن مكومة وأبي

الزبير - خرج عليه أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية وماره فعمير عنه نصر . توفي بسارة سنة ١٣٦ هـ . فضلاً أنظر الذهبي . سير أعلام النبلاء . ج ٥ . ص ٤٦٣ . ٤٦٤ .

(**) المجتهد بن عبد الرحمن = ولي خراسان من قبل هشام بن عبد الملك . وقضى على ثورات الأتراك هناك وأمر الأمن . مات سنة ١١٦ هـ . فضلاً أنظر الكردبزي : زين الأخبار . ص ١٨٥ .

٥١- محمد مكين : تاريخ الإسلام في الصين . ص ٩٤ .

٥٢- تاريخ العبر للأباطرة . فصل ٩٧٥ .

وقوه بنغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية . ص ١٩ .

٥٣- فيصل السامر : الأصول التاريخية . ص ١٢ .

(*) تخارستان : هي بلاد كانت تقع في تركستان الغربية في ذلك الوقت .

٥٤- Gibb : Arab conquest on cantrel Asia p. 92

٥٥- بدر الدين الصبتي : العلاقات بين العرب والصين . ص ١٨٥ .

٥٦- فيصل السامر : الأصول التاريخية . ص ١٢٦ .

(*) أبو مسلم الخراساني : اسمه عبد الرحمن بن مسلم صاحب دعوة العباسيين وهازم جيوش الأمويين كان فصيحا بالعربية والفارسية . حلوا المنطق . زلوا للشعر . قيل ولد سنة ١٠٠ هـ . وتوفي ١٣٧ هـ . فضلاً أنظر الذهبي : سير أعلام النبلاء . ج ٦ . ص ٤٨ .

(*) زياد بن صالح الحارثي . من أمراء الدولة الأموية . وأحد القادة الشجعان . كان والي الكوفة عند قيام العباسيين في خراسان والعراق . ثم خرج عليهم وتبعه جمع كبير من الأمويين ليساً ورا . النهر . فعقد أبو مسلم الخراساني يريد قتاله وجد في طلبه . فلجأ إلى دهقان بعد أن تخلى عنه قواده فقتله الدهقان وحمل رأسه إلى أبي مسلم عام ١٣٥ هـ . فضلاً أنظر ترجمته في الزرطلي : الإعلام دار العلم للملايين . بيروت . لبنان الطبعة الرابعة عشر ١٩٩٩ الجزء الثالث . ص ٥٤ .

٥٧- ابن الأثير : الكامل في التاريخ . ص ٩٠-٩١ .

٥٨- ايرين فرانك ، ديفيد براونستون : طريق الحرير . ترجمة أحمد محمود المجلس الأعلى للثقافة . ١٩٩٧ . ص ٢٦٨ .

٥٩- قوه بنغ ده . تاريخ العلاقات الصينية العربية . ص ٢٥ .

وفضلاً أنظر سورغ كيونغ كون : الإسلام في الصين ص ١٤١ .

٦٠- قوه بنغ ده ، تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ص٢٦ .

الإسلام في الصين ، ج ١ ، ص ١٠ .

٦١- كتاب العبر والعظات للأباطرة ، فصل ٩٦١ ، ٩٦٥ .

(*) الأنبار ضمن محافظة الرمادي العراقية الحالية .

٦٢- هادي العلوي : المستنظف الصيني ، ص ٢٩٥ .

٦٣- قوه بنغ ده : تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ص ١٩ .

٦٤- تاريخ تانغ (العبر للأباطرة) ، فصل ٩٦١ .

(*) الإمبراطور سوتسوغ هو الذي كان قد قابل وفد هيرة بن مستنرج الكلاسي عام ٩٦ هـ ، ويعتبر عهد أطول عهد أباطرة أسرة تانغ .

(*) أن لوشان : تركي الاصل ، وقع في الأسر وبيع كعبد لضيابط صيني ، ثم ترقى في الوظائف حتى شغل رتبة ضابط وقد أعجبت به السيدة "يانج كوي في" زوجة الإمبراطور "موتسونج" وتبنته كأبن لها ، لرقى في الوظائف حتى أصبح نائباً للملك على ثلاثة من القادة المهددين في منتصف القرن الثامن الميلادي . وفي عام ٧٥٥ خرج في ثورة كاسحة ، وهزم القوات الإمبراطورية وواصل زحفه نحو العاصمة ، ففر الإمبراطور من أمامه .

فضلاً انظر هيلدا هوخام : تاريخ الصين ترجمة أشرف محمد كيلاني المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٢ ، الطبعة الأولى ، ص ١٧٦ .

(*) الخليفة المنصور : (١٣٦-١٥٨) أبو جعفر عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس . ولد سنة ٩٥ للهجرة وأدرك جده ولم يروى عنه ، ويرى عن أبيه ، يبيع بالخلافة بعهد من أخيه ، وكان فعل بنو العباس هيبة وشجاعة وحزمًا ورأياً وجبروتاً قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه . فضلاً انظر السيوطي تاريخ الخلفاء ، ص ٢٠٦ .

٦٥- هيلدا هوخام - تاريخ الصين ص ١٧٧ .

٦٦- تاريخ أسرة تانغ - فصل ٢١٤ ، سجلات العرب .

وباي شوني : تاريخ الاسلام في الصين ، ص ٨٧ .

وفضلاً انظر بدر الدين الصيني . العلاقات بين العرب والصين ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، وسونج كيونغ كون : الإسلام في الصين ص ١٤٧ ، وقوه بنغ ده تاريخ العلاقات ص ٢٥ .

٦٧- محمود شاكر : تركستان الشرقية ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط ١٤٠٩-١٩٨٨ م ، ص ٢١ .

- ٦٨- توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٣٣٣ .
- ٦٩- بدر الدين الصيني : تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر دار الانشا - والطباعة ، طرابلس ، ص ١٠٩ .
- ٧٠- M. Gabriel Daveria : Origine Di Islamisme En china p. 308 .
- ٧١- باي شويشي : تاريخ الاسلام في الصين ، ص ٩٦ .
- وفصل السامر : الأصول التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى ، ص ١٢١ .
- (٢) الأوغرة : قوم جدد تفرعوا عن التتار في أوائل القرن الثامن من الميلاد ، وأسلم رئيسهم بعد قتيبة بزمن قليل للمزيد فضلا انظر بدر الدين الصيني العلاقات بين العرب والصين ، ص ٣٦ .
- ٧٢- كتاب العبر والعظات للأباطرة ، فصل ٩٦١ .
- وسونج كيوتج كون : الإسلام في الصين ، ص ١٦٩ .
- ٧٣- الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج ٧ ، ص ٦١٤ .
- ٧٤- جعفر كزار أحمد : العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين ، ص ١٤١ .
- (٣) هارون الرشيد أبو جعفر بن المهدي استخلف بعهد من أبيه بعد موت أخيه ستة سبعة مائة . وهو أشهر خلفاء بني العباس ويعتبر عهده هو العهد الذهبي للخلافة العباسية . فضلا انظر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢١ .
- ٧٥- هادي العلوي : المسطوف الصيني ، ص ٢٩٧ .
- ٧٦- فيصل السامر : الأصول التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى ، ص ١٢٢ .
- ٧٧- تاريخ أسرة تانغ ، فصل ١٩٨ .
- تاريخ العبر والعظات للأباطرة ، فصل ٩٧٦ .

الملاحق

بيان بالسفارات العربية الواردة إلى بلاد الصين

أولاً : السفارات في عهدي الخلفاء الراشدين والدولة الأموية

(١) في الشهر الثامن من السنة الثانية من عهد حكم يون خوى (Yun Khyi) في السنة ٦٥١م / ٦٥١هـ قام وفد بلاد تاشيه (Ta shin) أي الدولة الإسلامية إلى قصر الإمبراطور لأول مرة وقدموا للإمبراطور الهدايا بعد مقابلته .

(٢) في الشهر السادس من السنة السادسة من عهد حكم يون خوى (Yun Khya) في سنة ٦٨١م / ٦٨١هـ قدم وفد الدولة الإسلامية إلى بلاد الصين وبعد أن قابلهم الإمبراطور قدموا له الخيول العربية وحاصلات البلاد الإسلامية .

(٤) في الشهر الخامس من السنة الأولى من عهد حكم يونغ تشون (Yung Chun) في سنة ٦٨٢م / ٦٨٢هـ قدم وفد الدولة الإسلامية للإمبراطور حاصلات البلاد الإسلامية .

(٥) في الشهر الثاني من السنة الثالثة من عهد حكم تشانغ آن (Chang an) في سنة ٧٠٣م / ٧٠٣هـ بعثت الدولة الإسلامية وفداً إلى بلاد الصين وبعد أن قابلهم الإمبراطور قدموا له الخيول المتميزة .

(٦) في الشهر الثاني عشر من السنة الثانية من عهد حكم جينغ يون (Jing Yun) في سنة ٧١١م / ٧١١هـ قدم وفد الدولة الإسلامية للإمبراطور حاصلات البلاد الإسلامية .

(٧) في بداية عهد حكم كاي يوان (Kai Yaun) في سنة ٧١٣م / ٧١٣هـ بعثت الدولة الإسلامية الوفد وبعد أن قابلهم الإمبراطور قدموا له حاصلات البلاد الإسلامية مثل الخيول العربية والجواهر وبعض أدوات الزينة الخاصة بالنساء .

(٨) في الشهر السابع من السنة الرابعة من عهد حكم كاي يوان (Kai Yuan) في سنة ٧١٦م / ٧١٦هـ بعث أمير المؤمنين للدولة الإسلامية سليمان الوفد إلى بلاد الصين وبعد أن قابلهم الإمبراطور قدموا له مذكراتهم ثم قدموا له الهدايا التي كانت مشتتة على عبايات منسوجة من خيوط الذهب والعقيق ورشاشات العطور وأشياء نفيسة خاصة بالبلاد الإسلامية . فأنعم الإمبراطور على رئيس الوفد برتبة الفارس من الدرجة الأولى ثم ودعه بفائق الاحترام ومزيد الإكرام .

(٩) في الشهر السادس من السنة السابعة من عهد حكم "كاي يوان" (Kai Yuan) في سنة ٧١٠ هـ / ٧١٩ م قدم وفد الدولة الإسلامية إلى بلاد الصين وبعد مقابلة الإمبراطور وقدموا له الهدايا .

(١٠) الشهر الثالث من السنة الثانية عشرة من عهد حكم "كاي يوان" (Kai Yuan) في سنة ٧٢٤ هـ / ٧٢٤ م قدم وفد الدولة الإسلامية إلى بلاد اليمن وبعد مقابلة الإمبراطور قدموا له الخيول العربية والعطور المستخرجة من أشجار سومطرة (Sumatura) وبورنيو (Burnei) للهدايا .

(١١) في الشهر الأول من السنة الثالثة عشر من عهد حكم "كاي يوان" (Kai Yuan) في سنة ٧٢٥ هـ / ٧٢٥ م بعثت الدولة الإسلامية اثني عشر عضواً برئاسة سليمان الذي كان قائد الجيش وقدموا حاصلات البلاد الإسلامية وأعطاهم الإمبراطور الفواكه والبذور والمنسوجات الصوفية وقشاط الفضة ورجعوا إلى بلادهم شاكرين .

(١٢) في الشهر الثالث من السنة الثالث عشرة من عهد حكم "كاي يوان" (Kai Yuan) في سنة ٧٢٥ هـ / ٧٢٥ م بعثت الدولة الإسلامية ثلاثة عشر عضواً برئاسة سليمان وبعد مقابلة الإمبراطور قدموا له حاصلات البلاد الإسلامية .

(١٣) في الشهر الثالث من السنة السادسة عشرة من عهد حكم "كاي يوان" (Kai Yuan) في سنة ٧٢٧ هـ / ٧٢٧ م جا - قائد من قواد الدولة الإسلامية تى بىاى دولياى (Ti Bei Dou) Lei بمرتبة الفارس من الدرجة الأولى ثم ودعه مع أصحابه بالحفاوة والإكرام ورجعوا إلى البلاد الإسلامية .

(١٤) في الشهر التاسع من السنة السابعة عشرة من عهد حكم "كاي يوان" (Kai Yuan) في سنة ٧٢٩ هـ / ٧٢٩ م قدم وفد الدولة الإسلامية إلى بلاد الصين وبعد مقابلة الإمبراطور قدموا له حاصلات البلاد الإسلامية وأعطاهم الإمبراطور مائة لفة حريرية ورجعوا إلى البلاد الإسلامية شاكرين .

(١٥) في الشهر الثاني عشر من السنة الحادية والعشرين من عهد حكم "كاي يوان" (Kai Yuan) في سنة ٧٣٣ هـ / ٧٣٣ م قدم مسلم ترخان من الدولة الإسلامية إلى بلاد الصين وبعد أن قابله الإمبراطور أعطاه الفواكه والبذور وأربعاً وعشرين لفة حريرية ورجع إلى البلاد الإسلامية .

(١٦) فى الشهر الثانى عشر من السنة التاسعة والعشرين من عهد حكم "كاي يوان" (Kai Yuan) فى سنة ١٢٤هـ / ٧٤١م قدم حسين من الدولة الإسلامية إلى بلاد الصين وبعد أن قابله الإمبراطور أنعم عليه برتبة القائد العسكرى وخلع عليه سببة مع منطقة منسوجة بخيوط الذهب ورجع إلى البلاد الإسلامية .

(١٧) فى الشهر السابع من السنة الثالثة من عهد حكم "تيان باو" (Tien Pao) فى سنة ١٢٧هـ / ٧٤٤م قدم وفد الدولة الإسلامية إلى بلاد الصين وبعد مقابلة الإمبراطور قدموا له الخيول العربية والجواهر .

(١٨) فى الشهر الخامس من السنة الرابعة من عهد حكم "تيان باو" (Tien Pao) وفى سنة ١٢٨هـ / ٧٤٥م قدم وفد الدولة الإسلامية وبعد مقابلة الإمبراطور قدموا له الهدايا .

(١٩) فى الشهر الخامس من السنة السادسة من عهد حكم "تيان باو" (Tien Pao) وفى سنة ١٣٠هـ / ٧٤٧م بعث خليفة الدولة الإسلامية وفداً إلى بلاد الصين وأرسل إليها ستة نور .

ثانياً : السفارات والوفود الواردة إلى الصين فى عهد الدولة العباسية

أما الوفود الإسلامية التى قدمت إلى "تشانغ آن" (Chang An) من سنة ١٤٥هـ / ٧٥٢م حتى سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م فتذكر المصادر الصينية ما يلى :

(١) فى الشهر الثانى عشر من السنة الحادية عشرة من عهد حكم "تيان باو" (Tien Pao) فى سنة ١٣٥هـ / ٧٥٢م قدم سيبا دووكيا من (Xie Duo ke Mi) من بلاد هياى تى تاشيه (Hei Ti Ta Shih) أى الدولة العباسية إلى بلاد الصين وبعد مقابلة الإمبراطور أنعم عليه برتبة القائد العظيم العسكرى .

(٢) فى الشهر الثالث من السنة الثانية عشر من عهد حكم "تيان باو" (Tien Pao) فى سنة ١٣٥هـ / ٧٥٣م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين وبعد مقابلة الإمبراطور قدموا له هدايا من حاصلات البلاد الإسلامية.

(٣) فى الشهر الرابع من السنة الثانية عشر من عهد "تيان باو" (Tien Pao) فى سنة ١٣٥هـ / ٧٥٣م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين .

- (٤) في الشهر السابع من السنة الثانية عشر من عهد حكم "تيان باو" (Tien Pao) في سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م بعثت الدولة العباسية خصماً وعشرين عضواً من زعماء المسلمين الكبار إلى بلاد الصين ويعد أن قابلهم الإمبراطور أنعم على رئيس الوفد برتبة قائد الفرسان كما أهدى إليهم المنسوجات الصوفية الحمراء وبعض الأحزمة المصنوعة من سبائك الذهب الخالص والأحزمة الجلدية المأخوذة من بعض الأسماك .
- (٥) في الشهر الثاني عشر من السنة الثانية عشرة من عهد حكم "تيان باو" (Tien Pao) في سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين ويعد مقابلة الإمبراطور قدموا له الخيول العربية .
- (٦) في الشهر السابع من السنة الثالثة عشرة من عهد حكم "تيان باو" (Tien Pao) في سنة ١٣٧هـ / ٧٥٤م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين .
- (٧) في الشهر السابع من السنة الخامسة عشرة من عهد حكم "تيان باو" (Tien Pao) في سنة ١٣٨هـ / ٧٥٥م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين ويعد مقابلة الإمبراطور قدموا له الهدايا .
- (٨) في الشهر السابع من السنة الخامسة عشرة من عهد حكم "تيان باو" (Tien Pao) في سنة ١٣٩هـ / ٧٥٦م بعثت الدولة العباسية خصماً وعشرين عضواً من زعماء المسلمين الكبار إلى بلاط الإمبراطور الصيني .
- (٩) في بداية عهد حكم "زي ديا" (Zi Del) في سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين ويعد مقابلة الإمبراطور قدموا له الهدايا .
- (١٠) في الشهر الخامس من السنة الأولى من حكم "كان يوان" (Can Yuan) في سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م قدم دوريس هاي أبور (Duo Yi Hai A Bou) بلاد الأوغرة مع ثمانين عضواً إلى بلاد الصين وقدم ناو ويان (Nao Wen) من رؤساء المسلمين الكبار مع ستة أعضاء من الدولة العباسية إلى بلاد الصين واجتمعوا في بلاط الإمبراطور فكانت كل جماعة تريد أن تدخل قاعة الشرفات قبل غيرها فتنازعتا عند الباب فإذا بأمين الشرفات . يصلح ما بين الجماعتين بادخال كل جماعة من باب مستقل .
- (١١) في الشهر الثاني عشر من السنة الأولى من عهد حكم "شانغ يوان" (Shang Yuan) في

سنة ١٤٣هـ / ٧٦٠م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين وكان مكوناً من ثمانية عشر عضواً .

(١٢) في الشهر الخامس من السنة الأولى من عهد حكم 'باو بينغ' (Pao Ying) في سنة ١٤٣هـ / ٧٦٢م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين .

(١٣) في الشهر الثاني عشر من السنة الأولى من عهد حكم 'باو بينغ' (Pao Ying) في سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين .

(١٤) في السنة الأولى من عهد حكم 'دالي' (Da Li) في سنة ١٤٨هـ / ٧٦٥م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين وبعد مقابلة الامبراطور قدموا له الهدايا .

(١٥) في الشهر الأول من السنة الرابعة من عهد حكم 'دالي' (Da Li) في سنة ١٥٢هـ / ٧٦٩م قدم وفد من الدولة العباسية إلى بلاد الصين وبعد مقابلة الإمبراطور قدموا له الهدايا .

(١٦) في الشهر السابع من السنة التاسعة من عهد حكم 'دالي' (Da Li) في سنة ١٥٨هـ / ٧٧٤م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين .

(١٧) في الشهر الأول من السنة السابعة من عهد حكم 'زهان يوان' (Zhen Yuan) في سنة ١٧٥هـ / ٧٩١م قدم وفد الدولة العباسية إلى بلاد الصين .

(١٨) في الشهر التاسع من السنة الرابعة عشر من عهد حكم 'زهان يوان' (Zhen Yuan) في سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م بعثت الدولة العباسية هانغ كوو (Hang Cuo) وباجي (Yang Ji) وشا بي (Sha Bi) إلى بلاد الصين وبعد مقابلة الإمبراطور أُنعم عليهم بمرتبة قائد الفرسان .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

- (١) ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن حمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني) : الكامل في التاريخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .
- (٢) الأندلسي (أحمد بن محمد بن عبد ربه) : العقد القريد ، تحقيق مفيد محمد قميص ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
- (٣) الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) : سير أعلام النبلاء ، تحديث شعيب الأرنؤوط ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الحادية عشر ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- (٤) الزركلي (خير الدين) : الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة عشر ، ١٩٩٩م .
- (٥) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر) : تاريخ الخلفاء ، مكتبة الصفا الطبعة الأولى ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .
- (٦) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك ، دار المعارف ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الخامسة ، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م .
- (٧) الكرديزي (أبو سعيد عبد الحى بن الضحاك بن محمود) : زين الأخبار ، ترجمة د. عفاف زيدان ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٢م .
- (٨) ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله) : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

ثانياً : المراجع الأجنبية :

- (١) السعيد رزق حجاج ، المسلمون في الصين العصر الحديث ، مطبعة حسان ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

(٢) بدر الدين حي الصين :

- العلاقات بين العرب والصين ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م .

- تاريخ المسلمين في الصين في الماضي والحاضر ، دار الإنشاء والطباعة ، طرابلس ، ١٩٤٤هـ / ١٩٥٠م .

(٣) جعفر كزار أحمد :

- الدور الحضاري للعنانيين في الصين ، اللجنة الوطنية العمانية للتربية والثقافة ، ط١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م .

- العلاقات التاريخية بين شبه الجزيرة العربية والصين من ظهور الإسلام وحتى القرن العشرين ، مجلة دراسات الخليج العربي والجزيرة العربية ، الكويت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

(٤) فيصل السامر : الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م .

(٥) محمد التابعي : الدبلوماسية في الإسلام ، مركز النيل للإعلام ، القاهرة ، ١٩٨١م .

(٦) محمد تواضع الصيني : الصين والإسلام ، دار النشر والطباعة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

(٧) محمد مكين الصبني : تاريخ الإسلام في الصين ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٣م .

(٨) محمود شاکر : تركستان الشرقية ن المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٧ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

(٩) هادي العلوي : المستطرف الصيني ، دار المدى ، سوريا ، ط١ ، ١٩٩٤م .

ثالثا : المراجع الأجنبية المترجمة :

(١) إبراهيم فنغ جين يوان : الإسلام في الصين ، تعريب محمود يوسف لي هواين ، دار الهلال الأزرق ، هونغ كونج ، ٢٠٠٣م .

(٢) ايرين فرانك ، ديفيد براوستون : طريق الحرير ، ترجمة أحمد محمود المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

(٣) توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ترجمة وتعليق د. حسن إبراهيم حسن ، و د. عبد المجيد عابد بن ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م . (٤) جوزيف نيدهام : موجز تاريخ العالم والحضارة في الصين ، ترجمة محمد غريب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م .

(٥) حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم ، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم ، د. السباعي محمد السباعي ، ومراجعة د. يحيى الخشاب ، ط٣ ، ١٩٩٥م .

(٦) ف - هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى ، ترجمة أحمد محمد رضا ، مراجعة عز الدين فودة ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٥م .

(٧) هيلدا هوخام : تاريخ الصين ، ترجمة أشرف محمد كيلاني ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

رابعًا : الرسائل العلمية :

(١) أسامة عبد السلام محمد : الأثر الحضاري للإسلام في الحياة الاجتماعية والدينية في الصين ، معهد الدراسات والبحوث الآسيوية جامع الزقازيق ، ٢٠٠٥م .

(٢) سونج كيونج كون : الإسلام في الصين ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

خامسًا : المراجع الأجنبية :

1- Gibb : Arab conquest on centrel Asia , Lanson 1925 .

2- Marshei Brom Hall : Islam in China Neglected Problem London , Morgan and Scotts , 1910 .

3- M. Gabrid Daveria : Origin De L Islamusme En Chine Lartitat for history of Arabic - Islamic Science , Frank fourd University , 1996 .

4- History : compiled by the China hand book Editorial Commit , Translated by Danj . Li , Foreign Languages Press Beiging .

المصادر والمراجع باللغة الصينية

- سجلات أسرة تانغ القديمة - تايبين طبعة ١٩٦٥ .
- هو كتاب كتب بمنهج موضوعي ويقع في ٢٠٠ مجلد كتبه ليو تشه وحنغ جاو بيه ويحتو على تاريخ منذ عام ٦١٨م إلى ٩٠٧م.
- العبرة والعظة للأباطرة - دار الكتاب الصيني ١٩٥٦م .
- مؤلف هذا الكتاب هو شوما قونغ عاش في أسرة سونغ الشمالية وألف هذا الكتاب في ١٩ عام وهو يحتوي من سنة ٣-٤ق.م إلى سنة ٩٥٩م ويضم تاريخ ١٦ أسرة ملكية .
- المقتطفات التاريخية للعبرة والعظة للأباطرة - دار الكتاب الصيني - بكين ١٩٥٦ .
- تم تأليف في عهد أسرة سونغ الشمالية بأمر من امبراطور سونغ حيث قام ١٨ عالما لتأليف هذا التاريخ ويقع في ١٠٠٠ مجلدة .
- تاريخ الاسلام في الصين - باي شو يي - دار الشعب ننج شيا ١٩٨٢م .
- المسلمون الصينيون في عهد أسرة تانغ - جاتغ ينغ منغ .
- تشو سو مين - تاريخ قومية هوي المسلمة في الصين - دار الشعب ننج شيا ١٩٩٢م .
- جعفر كزار أحمد - في جذور الثقافة الإسلامية في الصين - مجلة دراسات قومية هوي - ١٩٩٩م عدد ٢ .
- قوة ينغ ده - تاريخ العلاقات الصينية العربية .

سفارة الإمبراطور أنستاسيوس الثاني (أرتيموس)
إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبدالمك عام ٧١٤م/٩٦هـ
« في ضوء كتابات المؤرخين البيزنطيين »

عاشت الدولة البيزنطية فترة اضطراب سياسي في نهاية أسرة هرقل التي تنتهي من الوجهة الرسمية بقتل الإمبراطور جستنيان الثاني عام ٧١١م وتولية باردانس الأرمني Bardanes عرش الدولة البيزنطية متخذاً اسم فيليبكوس Philippicus، وتم التخلص من ذرية جستنيان الثاني بقتل ابنه الصغير تبهيريوس Tiberius، وبذلك كانت نهاية بيت هرقل الذي اشتهر بالرعب وسفك الدماء^(٢).

امتلات فترة حكم فيليبكوس (٧١١-٧١٣م/٩٢-٩٤هـ) بالصراع الديني خاصة بين أتباع المذهب المونوفيزيتي الذي مال إليه الإمبراطور وبين أتباع المذهب المونوثلستي، وفي نفس الوقت كانت حركة عبادة الصور آخذة في الانتشار، ومن ثم ساد الدولة البيزنطية في تلك الفترة اضطراب شديد، و زاد الأمر سوءاً موقف البابا في الغرب الأوروبي من سياسة الإمبراطور فيليبكوس الدينية^(٣).

وقد زاد من اضطراب الأحوال بالدولة البيزنطية في تلك الفترة تلك الإغارات التي قام بها كل من المسلمين والبلغار، مما أدى إلى قيام ثورة عامرة بالفسطاطينية ترعها قادة الجيش،

تلك الثورة التي انتهت بعزل فيليكوس وسجل عينيه في ٣ يونيو عام ٧١٢م / ٤ رمضان عام ٩٤هـ، وعلى الرغم من أن هذه الثورة قام بها القادة العسكريون، فقد تقرر أن يتولى عرش الدولة البيزنطية أحد رجال الإدارة المدنية المسى أرتيموس Arthemius والذي اتخذ اسم أنستاسيوس الثاني Anastasius II (٧١٣-٧١٦م / ٩٤-٩٧هـ)^(٣١).

أما أنستاسيوس الثاني هذا فقد كان يعمل بالخدمة المدنية قبل اعتلائه العرش، وقد تميز بقدراته غير العادية في الإدارة المالية (٤). إلا أن عهده امتلأ بالفوضى الشاملة، وزاد من هذه الفوضى ضغط المسلمون على أراضي الإمبراطورية البيزنطية، خاصة في أقاليم آسيا الصغرى^(٣٢).

أخذ المسلمون بوالون هجماتهم على أراضي الإمبراطورية البيزنطية وهو ما عُرف بالصوائف والشوائب^(٣٣)، سواء كانت هذه الهجمات في عمق الدولة البيزنطية أو على مناطق الثغور^(٣٤). فقد تزامنت فترة حكم الإمبراطور أنستاسيوس الثاني لحكم الخليفة الأموي الوليد بن عبدالمك بن مروان (٨٦-٩٦هـ / ٧٠٦-٧١٦م) الذي وصف عصره في كتب التاريخ بأنه كان "عصر الفتوح العظام"^(٣٥)، وكما يقول أبو الفدا "فتحت في أيامه الفتوحات الكثيرة"^(٣٦)، حيث أحيى مرة أخرى أيام الفتوحات الكبرى، وأخذت غزوات المسلمين لأراضي الإمبراطورية البيزنطية تشتد بصورة أكبر مما كانت عليه فيما مضى^(٣٧).

ومن بين تلك الغزوات ما قام به مسلمة بن عبدالمك عام ٨٦هـ / ٧٠٦م من غزو لبلاد الروم، ثم ما قام به أيضاً مسلمة عام ٨٧هـ / ٧٠٦م من حملة عسكرية ضخمة على أراضي الدولة البيزنطية وإنزاله الهزيمة بالجيش البيزنطي عند مرسنة، وفتح عدة حصون^(٣٨). كذلك ما قام به مسلمة والعباس بن الوليد عام ٨٨هـ / ٧٠٧م من مهاجمة أنطاكية، وإنزاله الهزيمة بجيوش البيزنطيين لدرجة أنه قتل منهم ما يقرب من "خسین ألفاً"، واستولى المسلمون على جرثومة وطوانة^(٣٩).

وفي العام التالي (٨٩هـ / ٧٠٨م) قام مسلمة بن عبدالمك بحملة كبيرة على عمورية حيث أنزل هزيمة ساحقة بالحامية البيزنطية بها^(٤٠). وفي عام ٩٢هـ / ٧١١م قام مسلمة بن عبدالمك وعمرو بن الوليد بغزوان أراضي الدولة البيزنطية، واستطاع مسلمة خلال هذه الغزوة الاستيلاء على ثلاثة حصون من الحصون البيزنطية^(٤١)، أما في عام ٩٣هـ / ٧١٢م فقام العباس بن الوليد بن عبدالمك بغزو أراضي الدولة البيزنطية حيث فتح عدة حصون كان أهمها حصن سمسة وأماسية وحصن الحديد^(٤٢)، وفي نفس الوقت استولى مروان بن الوليد على جنجرة وهي إحدى بلاد الروم^(٤٣).

كذلك قام مسلمة بن عبد الملك في نفس عام ٧٩٣/٧١٢م بمتابعة غزواته على بلاد الروم، حيث استولى على بعض حصون ملطية^(١٧٧)، أما في عام ٧٩٤/٧١٣م فقد قام العباس بن الوليد بغزو أراضي الدول البيزنطية حيث افتتح أنطاكية، وقارطة، وفي نفس العام غزا عبدالعزيز بن الوليد أراضي الدولة البيزنطية حيث بلغت جيوشه غزاة^(١٧٨).

وفي عام ٧٩٥/٧١٤م قام العباس بن الوليد بغزو بلاد الدولة البيزنطية، حيث افتتح ثلاثة حصون من أكبر الحصون البيزنطية وهي طولسي والمرزبانية وهرقل^(١٧٩).

ومعنى ذلك أن إغارات المسلمين لم تقطع على أراضي الدولة البيزنطية طيلة عصر الوليد بن عبدالله وقبل تولي أنستاسيوس عرش الدولة البيزنطية، وبعد توليه حكمها، وكانت هذه الإغارات ليست من أجل السلب والنهب، وإنما من أجل استقطاع البلاد والاستيلاء على الحصون^(١٨٠). وبدور أن هدف الخليفة الوليد بن عبد الملك من وراء هذه الغزوات هو التهيؤ للقيام بغزو القسطنطينية نفسها، وهو يعيد بذلك إلى الأذهان محاولة جده الأكبر معاوية بن أبي سفيان في محاولة الإغارة على القسطنطينية والاستيلاء عليها^(١٨١). ولذلك أخذ الخليفة الوليد في إعداد العدة لتحقيق هذا الهدف الكبير.

وقد فطن إلى ذلك الإمبراطور أنستاسيوس الثاني، وذلك بحكم خبرته الطويلة في إدارة الدولة البيزنطية، ومن ثم رأى أن يرسل سفارة إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك في ظاهرها طلب عقد اتفاقية وهدنة بين الدولة الإسلامية والدولة البيزنطية ووقف تلك الإغارات السنوية على بلاده، ولكن في حقيقتها أن يقف على ما يدور داخل الدولة الإسلامية من استعدادات^(١٨٢)، ويتأكد مما ذاع خبره من أن الوليد بن عبد الملك عازم على غزو القسطنطينية والاستيلاء عليها. وقد زود أنستاسيوس الثاني هذه السفارة بأوامر سرية للوقوف على حقيقة نوايا المسلمين وما هم عازمون عليه من غزو القسطنطينية^(١٨٣).

ولا شك في أن أنستاسيوس الثاني كان محقاً في ذلك، لأن تهديد المسلمين للقسطنطينية تهديد للإمبراطورية البيزنطية كلها، وأن فتح المسلمين لعاصمة الدولة البيزنطية سيتبعه سقوط الدولة البيزنطية نفسها، وإنسياب المسلمين في كل الأراضي البيزنطية، وما سيتبع ذلك من انتشار الإسلام في كل أرجاء الدولة البيزنطية، ولا شك أيضاً في أن البيزنطيين استحووا بتذكرون محاولة معاوية بن أبي سفيان السابقة في فتح القسطنطينية؛ لكل ذلك خشي أنستاسيوس من

تكرار هذه المحاولة، وما يتبعها من سقوط القسطنطينية في يد المسلمين، ومن ثم عمل على التحقق من هذه الأخبار حتى يعمل سريعاً من أجل الصمود في وجه هذه الحملة المرتقبة.

أما أخبار هذه السفارة فقد ذكرها لنا اثنان من مؤرخي الدولة البيزنطية القريبين من أحداث هذه الفترة، وهما المؤرخ ثيوفانيس Theophanes (المتوفى عام ٨١٨م)^{١٤١}، والمؤرخ نيكفوروس Nikephoros (المتوفى عام ٨٢٨م)^{١٤٢}، وهما معاصران لبعضهما البعض، وقد ذكرا أحداث هذه السفارة وما اشتملت عليه من أخبار، وجاءت روايتهما متقاربتان في معنيهما، ولا يحتمل أن يكون أحدهما قد نقل عن الآخر، لأن كليهما كان قريباً من صانعي الأحداث بالدولة البيزنطية، وكانا على علم بحجرات الأمور بالدولة البيزنطية، وهما قريباً العهد بهذه السفارة فكلاهما ولد عند منتصف القرن الثامن الميلادي، فقد ولد نيكفوروس عام ٧٥٠م أي بعد أحداث السفارة بحوالي خمسة وثلاثين عاماً، أما ثيوفانيس فقد ولد عام ٧٦٠م أي بعد أحداث هذه السفارة بما يقرب من خمسة وأربعين عاماً، ولا شك أن أحداث هذه السفارة وما نتج عنها من نتائج كانت حديث الأوساط السياسية بالقسطنطينية، وكيف أنها أنقذت الإمبراطورية البيزنطية وعاصمتها من السقوط في يد المسلمين، وهو الأمر الذي تأخذ منه هذه السفارة أهميتها بالنسبة للدولة البيزنطية.

ومن الملفت للنظر أنه على الرغم من أهمية هذه السفارة إلا أنه لم يذكرها أحد من المؤرخين المسلمين - سواء المتقدمين أو المتأخرين - أو يشير إليها مجرد إشارة^{١٤٣}، والذي ذكرها لنا هم المؤرخون اليونان (البيزنطيون المعاصرون لهذه الفترة)^{١٤٤}. وقد ذكروا أخبار هذه السفارة وما اشتملت عليه من أحداث.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا أهمل المؤرخون المسلمون ذكر هذه السفارة في مؤلفاتهم في حين تحدث عنها المؤرخون اليونان ؟ إن معظم المؤرخين المسلمين أرخوا للأحداث الهامة، وذكروا كل ما كان له أثر على تاريخ الدولة الإسلامية، أما تلك الأحداث التي لم تؤثر في سير أحداث الدولة الإسلامية لم يبيروها أي اهتمام، لدرجة أن مؤرخي الحوليات أهملوا ذكر سنوات بعينها لأنه لم يحدث بها شيء يؤثر على سير أحداث الدولة الإسلامية، وهذا بالطبع من وجهة نظرهم^{١٤٥}. وهذه السفارة لم ينتج عنها اتفاقية أو عقد هدنة أو أسفرت عن فك أسرى، ومعنى آخر لم تؤثر في سير أحداث الدولة الإسلامية في حينها، ولم ينتبه إلى حقيقتها القائمون على أمور الدولة الإسلامية، لذلك لم يؤرخ لها أحد من المؤرخين ويذكر شيئاً عنها. ومن ناحية أخرى فإن هذه السفارة قد تزامنت مع أحداث جسام وقعت داخل الدولة الإسلامية، حيث تزامنت مع وفاة الخليفة

الوليد بن عبدالمملك (توفي ١٥ جمادى الآخرة عام ٩٦هـ / ٢٦ فبراير ٧٤٥ م)^{١٩١} حيث حدثت هذه الوفاة بعد وصول السفارة بشهر على أكثر تقدير ، وقد اهتم المؤرخون المسلمون بالحدث عن وفاة الوليد وأعماله ، وتولية أخيه الخليفة سليمان بن عبدالمملك ، مهملين ذكر أية أحداث لم يكن لها في نظرهم دور أساسي في صنع التاريخ ، لذلك أهملوا ذكر أخبار هذه السفارة التي لم ينتهوا إلى تصدها أو هدفها الأساسي ، لذلك لم نجد لهذه السفارة ذكر في مصادرنا الإسلامية .

أما مؤرخوا الدولة البيزنطية فكانوا يعلمون حقيقة هذه السفارة ، وأهميتها بالنسبة لتاريخ الدولة البيزنطية ، لذلك لم يهملوا الإشارة إليها .

يقول المؤرخ ثيوفانو عند ذكره لأحداث عام ٦٢٠٦ لخلق العالم الموافق عام ٧١٤م/٩٦هـ^{١٩٢} ولما كان العرب يعدون العدة ويتسلحون للإغارة على بلاد الرومان عن طريق البر والبحر ، لذلك أرسل الإمبراطور - أنتناسيوس الثاني - إلى الخليفة الوليد بن عبدالمملك - بسوريا عدداً من كبار الموظفين أصحاب المقام الرفيع بحجة التفاوض من أجل السلام ، وكان من بينهم البيطريك دانيال سينوبيت Danil Sinopites والى المدينة الذي تلقى الأوامر بأن يقف على حقيقة الأمر ويعلم جيداً ما يحدث بشأن التجهيزات ضد أراضي الدولة الرومانية وقوة العدو^{١٩٣} .

وعلى هذا النحو يقرر المؤرخ ثيوفانو أن سبب هذه السفارة هو ما نرى إلى علم الدولة البيزنطية عن قيام الخليفة الوليد بن عبدالمملك بالاستعداد للقيام بحملة بحرية وبرية على أراضي الدولة البيزنطية ، لذلك سارع الإمبراطور أنتناسيوس الثاني بتجهيز وفد من كبار موظفي الدولة البيزنطية وأرسله إلى الخليفة الوليد بن عبدالمملك ، وكما يقرر ثيوفانو أن هذه السفارة كانت بحجة التفاوض من أجل السلام ، ولكن حقيقة الأمر أنها كانت بحجة الوقوف على ما يجري داخل الدولة الإسلامية من استعدادات عسكرية للقيام بهجوم كبير على الدولة البيزنطية ، فقد تلقى رئيس هذا الوفد البيطريك دانيال سينوبيت الأوامر بأن يقف على حقيقة الأمر ، ويعلم جيداً ما يحدث بشأن التجهيزات التي يعزم المسلمون القيام بها ضد أراضي الإمبراطورية البيزنطية ، والتعرف على مدى هذه القوة .

وهكذا يتضح لنا أن الهدف الأساسي من وراء هذه السفارة هو التجسس على الدولة الإسلامية ، ومعرفة الاستعدادات التي يقوم بها الأمويون ، ومدى قوة تلك الجيوش والأساطيل التي سوف تهاجم أراضي الدولة البيزنطية .

ويتابع ثيوفانو حديثه عن هذه السفارة وما شاهده رئيسها داخل الدولة الإسلامية بقوله :
 " عندما ذهب هذا الرجل - يقصد دانيال سينيوت - وعاد إلى الدولة البيزنطية، قدم تقريراً إلى
 الإمبراطور بشأن قواتهم العسكرية الضخمة في البر والبحر^{١٣١٠} .

ويتضح من حديث ثيوفانو أن مهمة هذه السفارة كانت منحصرة فقط في التعرف على مدى
 الاستعدادات التي يقوم بها الخليفة الأموي الوليد بن عبدالمك من أجل الإغارة على أراضي
 الدولة البيزنطية، والعودة فوراً لينقل إلى الإمبراطور هذه المشاهدات في تقرير مفصل حتى تأخذ
 الدولة البيزنطية كافة الاحتياطات اللازمة من أجل إنقاذ الإمبراطورية البيزنطية من هذا الخطر
 المحدق.

ولعل هذا الأمر الأخير هو الذي لم يلتفت إليه القائلون على أمر الدولة الإسلامية، فلم يعيروا
 هذه السفارة أي اهتمام. فقد جاءت كما هو في الظاهر من أجل عقد سلام بين الدولتين، ثم ما
 لبثت أن غادرت العاصمة الأموية - دمشق - بالسرعة التي جاءت بها، وذلك بالطبع بعد أن جمع
 دانيال كل المعلومات عن الاستعدادات التي يقوم بها الأمويون من أجل مهاجمة أراضي الدولة
 البيزنطية، وبعدها غادر العاصمة فوراً ليقدم تقريره إلى الإمبراطور.

وقد ورد عند المؤرخ البيزنطي البطريرك نقفور Nikephoros نفس هذا الخبر ولكن بشيء
 من الاختصار، دون أن يُحدد سنة معينها، فقد تحدث عنها عند حديثه عن أعمال الإمبراطور
 أنستاسيوس حيث قال : " بعدما علم - أي أنستاسيوس - أن حاكم المسلمين ينوي غزو بلاد
 الرومان، أرسل إليه البطريرك دانيال مواطني مدينة سينوب الصغيرة، وكانوا واثقاً آنذاك على
 العاصمة الإمبراطورية، بحجة التفاوض على السلام، ولكن في الحقيقة ليطلع على استعدادهم
 ضد الرومان، وعندما عاد هذا الرجل، أعلن أن هؤلاء الدخلاء - يعني الأمويين - على وشك أن
 يشنوا هجوماً برياً وبحرياً كبيراً على الدولة الرومانية^{١٣١١} .

ومرة أخرى نؤكد أن هذه السفارة كانت سفارة تجسس قام بها البيزنطيون للوقوف على ما يدور
 داخل الدولة الإسلامية من نشاط عسكري، والمعروف أن العلاقات الحربية بين الأمويين والبيزنطيين
 كانت على أشدها في تلك الفترة، فكما سبق توضيحه كان عصر الخليفة الوليد بن عبدالمك عصر
 " الفتوح العظام "، فلم يخل عام من أعوام حكمه إلا وقامت الجيوش الإسلامية بالهجوم على
 أراضي الدولة البيزنطية والإستيلاء على بعض الحصون البيزنطية، لذلك خشى القائلون على أمر

الدولة البيزنطية وفي مقدمتهم الإمبراطور أنتاسيوس الثاني من تكرر ما حدث زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان (٤٠-٥٦٠هـ / ٦٦٠-٦٨٠م) من مهاجمة القسطنطينية ذاتها^(٣٣).

ويبدو أنه قد وصلت إلى أسماع الإمبراطور أنتاسيوس أنباء الاستعدادات الكبرى التي يقوم بها الخليفة الوليد بن عبد الملك لمهاجمة القسطنطينية، بعد أن مهد لذلك بإغاراته المتتابعة في السنوات السابقة على الثغور والدروب المؤدية إلى القسطنطينية^(٣٤)، لذلك خشي الإمبراطور أنتاسيوس الثاني من تكرر ما حدث زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان ومهاجمة القسطنطينية، فأراد التحقق من هذه الأخبار لكي يتخذ التدابير اللازمة من أجل حماية العاصمة البيزنطية من هذا الهجوم المتوقع، من هنا جاءت هذه السفارة.

وتشير كل الدلائل التاريخية أن الخليفة الوليد بن عبد الملك كان ينوي فعلاً توجيه حملة ضخمة إلى القسطنطينية وذلك استكمالاً للفتوح الكبرى التي قام بها في شمال أفريقية والأندلس وبلاد ما وراء النهر^(٣٥)، منتهزاً فرصة الاضطرابات التي سادت الإمبراطورية البيزنطية منذ عام ٧١١م/٩٢هـ والتي استمرت لمدة ست سنوات، وتولى خلالها ثلاثة من الأباطرة، وذلك ليقيم بهجوم شامل على القسطنطينية^(٣٦)؛ استكمالاً لما بدأه جده الأكبر معاوية بن أبي سفيان.

والمعروف أنه منذ أن تولى الخليفة معاوية بن أبي سفيان مقاليد حكم المسلمين كان تفكيره منصّباً نحو فتح القسطنطينية، ففي عام ٥٤٩هـ/٦٦٩م جهّز معاوية حملة كبيرة برية وبحرية وجهها إلى القسطنطينية، لكن هذه الحملة سُيِّت بالفشل. فأعاد معاوية المحاولة مرة أخرى عام ٥٥٤هـ/٦٧٤م، حيث حاصرت القوات الإسلامية البرية والبحرية القسطنطينية، واستمرت هذه الحملة لمدة ست سنوات، حتى عام ٥٦٠هـ/٦٨٠م وكان الفشل أيضاً من نصيب هذه الحملة^(٣٧).

وعلى هذا النحو كان الإمبراطور أنتاسيوس محقّقاً في محاولة الوقوف على أخبار الاستعدادات العسكرية التي يقوم بها المسلمون للقيام بغزو القسطنطينية، فأرسل هذه السفارة إلى الخليفة الوليد التي هي في ظاهرها التوصل إلى سلام بين الدولتين، ولكن في باطنها التعرف على ما يقوم به المسلمون من استعدادات عسكرية^(٣٨).

كان الشغل الشاغل لرئيس هذه السفارة البطريرك دانيال سيتويت هو التعرف على ما يدور داخل الدولة الإسلامية من استعدادات عسكرية، ولذلك لم يدخل في مفاوضات مع المسؤولين بالدولة الإسلامية من أجل عقد الهدنة وتحقيق السلام الذي ادعى أنه أتى لتحقيقه، ولذلك مجرد

أن جمع المعلومات الخاصة بتلك الاستعدادات العسكرية التي كانت تجري داخل الدولة الإسلامية إلا وسارع بالعودة إلى القسطنطينية ليقدم تقريراً وافياً إلى الإمبراطور البيزنطي أنستاسيوس الثاني شارحاً له ما يقوم به الأمويون من استعدادات عسكرية لغزو القسطنطينية.

وهنا نؤكد مرة أخرى أن القائمين على الأمور بالدولة الإسلامية لم يتفكروا على حقيقة هذه السفارة، وأنها إنما كانت سفارة تجسس، ولم يكن هدفها عقد الهدنة وتحقيق السلام بين الدولتين، والدليل على ذلك أنه لو تحقق المسلمون من الهدف الحقيقي لهذه السفارة لما أهمل الحديث عنها خاصة أن المؤرخين المسلمين كانوا يؤرخون للأحداث يوم بعد يوم، التاريخ الحولي.. ولكن للأسف الشديد لم يفتن إليها أحد من القائمين على أمر الدولة الإسلامية، ولا من المؤرخين الذين أرخوا لهذه الفترة.

كان لهذه السفارة وذلك التقرير الذي قدمه السفير البيطريك دانيال سبنويت إلى الإمبراطور أنستاسيوس الثاني نتائج خطيرة، فبمجرد معرفة الإمبراطور أنستاسيوس الثاني بتلك الاستعدادات العسكرية التي يقوم بها المسلمون والتي كانت تجري في البر والبحر من أجل غزو القسطنطينية، إلا واتخذ مجموعة من الإجراءات الحاسمة للحفاظ على القسطنطينية ولتجعلها تقف صامدة في وجه هؤلاء المعتدين - على حد قول المؤرخ نفقور - وكان أول القرارات التي أصدرها الإمبراطور أنستاسيوس هو أن يخزن مواطنو القسطنطينية ما يكفيهم من مؤن لمدة ثلاث سنوات. وأن أي شخص مقيم داخل القسطنطينية ليست لديه المقدرة والدخل الذي يتفق منه خلال هذه المدة عليه أن يغادر مدينة القسطنطينية^(٤٩).

ولكن لماذا أصدر أنستاسيوس أوامره بأن يتم تخزين مؤن تكفي لمدة ثلاث سنوات؟ سبق أن ذكرنا أن الإمبراطور أنستاسيوس تمتع بخبرة مالية وإدارية كبيرة وكان عالماً إلماماً كبيراً بظروف الدولة البيزنطية، وعلى علم تام بتاريخ هذه الدولة، خاصة مع جيرانها وأهمهم الجيران المسلمون، وبحكم خبرته مع المسلمين، فإن المسلمين سبق قيامهم بمهاجمة القسطنطينية وامتد حصارها لفترات طويلة، كان آخرها التي قام بها معاوية عام ١٧٤هـ/٦٧٤م واستمرت حتى عام ١٦٠هـ/٦٨٠م، ولذلك توقع أنستاسيوس أن يستمر حصار المسلمين للقسطنطينية مدة طويلة، لذلك كان قراره بتخزين مؤن تكفي لمدة ثلاث سنوات.

ولم يقف أنستاسيوس عند حد إصدار الأوامر فقط، وإنما قام بتعيين عدد من المشرقيين لتنفيذ

هذا القرار، وهم الذين يقومون بالإشراف على تخزين المؤن والغلال ويقومون بإخراج من يثبت عدم قدرته المالية على الصمود أمام الحصار المقبل للعاصمة. وفي ذلك يقول ثيوفانو: " كما عين عدد من المشرقيين"^{١٤٠}.

ولم يكتف أنستاسيوس بذلك وإنما قام بتحسين القسطنطينية تحصيناً يجعلها قادرة على الصمود في وجه المسلمين، كما أخذ في تجهيز السفن اللازمة لصد الغارات المتوقع القيام بها، يقول ثيوفانو: " وشرع في بناء أبراج لقذف النيران، وبناء السفن البيريم Biremes وهو نوع من السفن، والسفن الكبيرة ذات المجاديف، كما جدد الأسوار المطلّة على البحر، وكذلك الأسوار المشرفة على البر، وأقام بالأبراج مجاتيقي لقذف السهام والحجارة، وأنشأ غير ذلك من الألات"^{١٤١}.

وعلى هذا النحو أخذ الإمبراطور أنستاسيوس الثاني في الاستعداد لمواجهة جيش وأسطول المسلمين، وكان أول تعليماته كما جاء في النص هو بناء الأبراج لقذف النيران والمعروف أن الدولة البيزنطية استخدمت تلك النار التي حُرقت في كتب التاريخ باسم " النار الإفريقية ". وقد أطلق البيزنطيون عليها اسم " النار السائلة"^{١٤٢}، وقد أثبت استخدام النار الإفريقية فاعليته أثناء حصار المسلمين للقسطنطينية في المرات السابقة، وكان سبباً في فشل حصارهم لها وعدم قدرتهم في الاستيلاء عليها، ولذلك كانت أول قرارات أنستاسيوس العسكرية هو إعادة بناء أبراج تقذف تلك النيران"^{١٤٣}.

كذلك أصدر أوامره ببناء عدد من السفن الكبيرة ذات المجاديف"^{١٤٤}، خاصة تلك التي عرفت باسم البيريم Bireme"^{١٤٥}، وذلك لتقوية الأسطول البيزنطي ليصبح قادراً على الصمود ومواجهة الأسطول الإسلامي المتوقع وصوله ومحاصرته للقسطنطينية.

بالإضافة إلى ذلك وكما جاء في النص فإن تعليمات الإمبراطور كانت واضحة في ضرورة تجديد كل الأسوار المحيطة بالعاصمة، سواء المطلّة على البحر أو البر، وذلك حتى يزيد من مناعة القسطنطينية ويجعلها قادرة على الصمود في وجه المسلمين، والمعروف أن البيزنطيين اهتموا اهتماماً كبيراً بإقامة الحوائط والأسوار ليس فقط داخل العاصمة، وإنما أيضاً في مختلف مناطق الحدود والثغور التي اعتاد المسلمون مهاجمتها وتزويدها بما يلزمها من وسائل الدفاع، وإقامة المراكز المحصنة والقلاع الصغيرة حتى تصمد أمام هجمات الأعداء"^{١٤٦}.

وقد أمر أنستاسيوس بأن يتم تجديد ما بهذه الأسوار من أبراج توضع بها المجانيق التي تنذف السهام والحجارة، وذلك حتى يتسنى للحامية البيزنطية الدفاع عن القسطنطينية والحيلولة دون سقوطها في يد المسلمين.

ويشير ثيوفانو في نهاية حديثه عن الاستعدادات التي قام بها أنستاسيوس والأوامر التي أصدرها بهذا الشأن بقوله : " وبعد أن حصن المدينة كما استطاع قام بتخزين كميات كبيرة من المنتجات في المستودعات الإمبراطورية وبذلك أنقذ نفسه"^{١٤٦}.

ومعنى ذلك أن الإمبراطور أنستاسيوس الثاني لم يكتف بأن يقوم أهالي القسطنطينية بتخزين ما يلزمهم لمدة ثلاث سنوات، وإنما قام كذلك بملء مستودعات الدولة بكميات كبيرة من المنتجات، والمعروف أن القسطنطينية اشتهرت بوجود مجموعة كبيرة من المخازن الحكومية التي كان يخزن بها البقول والحبوب وغيرها من المنتجات التي تستخدم في أوقات الأزمات الاقتصادية^{١٤٧}. وكان هدف أنستاسيوس من هذا القرار هو جعل القسطنطينية قادرة على الصمود في وجه حصار المسلمين المتوقع مثلما حدث من قبل^{١٤٨}.

أما عبارة " وبذلك أنقذ نفسه " التي جاءت في نهاية حديث ثيوفانو، فهو تعليق لذلك المؤرخ، على أن هذه الإجراءات التي قام بها أنستاسيوس الثاني أنقذت الإمبراطور والإمبراطورية من خطر حصار المسلمين للقسطنطينية، وإن كان أنستاسيوس قد تم عزله عن عرش الإمبراطورية قبل أن تصل الحملة الإسلامية المتوقعة على القسطنطينية كما سيبحث فيما بعد.

لم يكتف الإمبراطور أنستاسيوس باتخاذ الإجراءات الوقائية لصد حملة المسلمين المتوقعة على القسطنطينية، وإنما عمل على القيام بعدة أعمال من شأنها إعاقه التجهيزات العسكرية الإسلامية، وكان أول هذه الأعمال هو تتبع تحركات الأسطول الإسلامي، فيشير كل من ثيوفانو ونقفور (٥٠) أنه عندما علم أنستاسيوس أن هناك بعض السفن الإسلامية قد خرجت من الإسكندرية وانجهدت إلى منطقة فونيكس Phonix من أجل الحصول على خشب السرو الصالح لصناعة السفن، كما يؤكد ذلك المؤرخ نقفور بقوله " من أجل خشب السرو المناسب لصناعة السفن"^{١٤٩} For The Sake of Cypress Wood Suitable For Ship building

وقد يادر أنستاسيوس كما يذكر نقفور أيضاً أنه " انتقى مجموعة من المراكب السريعة الحركة وانتخب فريقاً من جيش إقليم الأبيق Opsikien وأرسلهم إلى جزيرة رودس، ويشير نقفور

أيضاً أن أنستاسيوس أخذ في وضع الترتيبات اللازمة لإرسال أسطول بيزنطي آخر إلى تلك المنطقة^(٤٧). ويبدو أن أنستاسيوس كان يفكر في اتخاذ جزيرة رودس قاعدة بحرية تقوم بالدفاع عن القسطنطينية وشواطئ آسيا الصغرى من أي هجوم إسلامي. لذلك وضع على رأس هذه القوة البحرية قائد منفصل عن ثغر الأيسيق^(٤٨) وهو اللغثيت Logothete حنا وهو كما يقول نقفور " كان شامساً بالكنسية العظمى - أيا صوفيا - ومراقب حسابات "، أي أنه لم يكن عسكرياً وإن كان يتمتع بخبرة محنكة^(٤٩).

ويبدو أن اختيار اللغثيت حنا كان موافقاً لمزاج أنستاسيوس الذي هو ينتمي أصلاً إلى الطبقة المدنية وليس للطبقة العسكرية وله أيضاً خبرات طويلة في الإدارة المالية بالإمبراطورية وهو في نفس مجال حنا ولا يستبعد أن يكون حنا هذا من الرجال المخلصين لأنستاسيوس، لذلك وضع في يده قيادة هذه القاعدة البحرية، غير أن اختيار حنا قائداً للقاعدة العسكرية برودس لم يأت على هوى جند ثغر الأيسيق الذي تألف أسطول حنا منهم، لذلك ما أن وصلوا إلى جزيرة رودس حتى تمردوا على حنا ولم يقف الحد عن إعلان العصيان على حنا، بل إنهم قتلوه " ضرباً بالسيف "، وتنادوا بعزل الإمبراطور أنستاسيوس نفسه واختاروا أحد الرجال الذي وصف بأنه كان من جياة الضرائب وهو ثيودسيوس وعندما رفض ثيودسيوس قبول تولي عرش الإمبراطورية أجبروه على ذلك، وبمساعدة جند الأيسيق استطاع ثيودسيوس إخفاء الفتنة التي نشبت بالقسطنطينية والتي استمرت لمدة ستة أشهر لجأ خلالها أنستاسيوس إلى نيقية، وتولى بعدها ثيودسيوس الحكم في نهاية عام ٧١٥م متخذاً اسم ثيودسيوس الثالث، أما الإمبراطور أنستاسيوس فاختار الدير ليكون مأوى وملجأ له^(٥٠).

غير أن ما أمله الإمبراطور أنستاسيوس في إعاقة المسلمين عن التزود بخشب السرو من فونيكس لم يتم، فيشير ثيوفانو أن الإمبراطور كان قد أصدر تعليماته إلى الجنود الذاهبين إلى رودس بأنهم بعد التجمع هناك عليهم الذهاب إلى فونيكس و " القيام بحرق الغابات والمعدات الخاصة بالمسلمين التي يجدونها هناك"^(٥١).

" To Burn The Timber and the arimament the Hagarance that was there".

لكن لرفض جند الأيسيق تنفيذ أوامر الإمبراطور ومقتل حنا نفسه، لم يتم تنفيذ أوامر

الإمبراطور بالذهاب إلى فونيكس وإحراق ما بها من غابات السرو وإعاقة المسلمين عن التزود بما يلزمهم من أخشاب. وبذلك لم يتجح أنتاسيوس في تنفيذ هذه الخطة واستطاع المسلمون التزود بما يلزمهم من أخشاب أعانتهم في صنع المزيد من السفن.

وإذا كان الخليفة الوليد بن عبد الملك قد تولى في منتصف جمادى الآخرة عام ٩٦هـ/ ٢٦ فبراير ٧١٥م^(١٢٧)، فإن خليفته سليمان بن عبد الملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٥-٧١٧م) والذي عاصر الفتنة التي نشبت بالقسطنطينية وانتهت بعزل الإمبراطور أنتاسيوس، انتهز هذه الأحداث المضطربة التي مرت بها الدولة البيزنطية ونفذ ما عزم عليه أخيه الوليد من غزو القسطنطينية وفتحها، وبالفعل أخذ الخليفة سليمان يشرف بنفسه على الاستعدادات الأخيرة لهذه الحملة وتذكر المصادر الإسلامية أن الخليفة سليمان بن عبد الملك اهتم بهذه الحملة اهتمامًا كبيرًا لدرجة أنه غادر دمشق واتخذ دابق مركزًا لإقامته ليتسنى له الإشراف على الاستعدادات الأخيرة للحملة^(١٢٨). وقد أوكل مهمة القيادة العامة إلى مسلمة بن عبد الملك صاحب الخيرات الطويلة في غزو بلاد الروم، وأمره "أن يقيم عليها حتى يفتحها أو يأتيه"^(١٢٩). في حين أوكل مهمة قيادة الأسطول الإسلامي إلى عمر بن هبيرة الفزازي^(١٣٠). وكان سليمان قد أقسم ألا يبرح دابق حتى "يدخل الجيش الذي وجهه إلى الروم القسطنطينية"^(١٣١).

وبالفعل خرجت الحملة الإسلامية الضخمة متوجهة إلى القسطنطينية في شهر صفر من عام ٩٨هـ/ سبتمبر ٧١٦م^(١٣٢)، وهي في كامل الاستعدادات العسكرية^(١٣٣)، حاملة معها موزن تكفيها حصار طويل، إذ يشير الطبري أنه كان من كثرتهم "مثل الجبال"، وما أن وصلوا إلى القسطنطينية حتى قرعوا عليها حصارًا شديدًا برًا وبحرًا^(١٣٤).

غير أن القسطنطينية استطاعت الصمود أمام هذا الحصار الشديد وذلك بفضل عاملين أساسيين الأول هو تلك الإجراءات التي اتخذها سابقًا الإمبراطور أنتاسيوس عندما علم عن طريق سفارة المجاسوسية التي قام بها البيطريك دانيال واستطاع عن طريقها أن يقف على حجم الاستعدادات التي يقوم بها المسلمون لغزو القسطنطينية. والعامل الثاني هو تولي القائد ليو الأيسوري Leo Isaurian أمر الدفاع عن القسطنطينية والذي كان يمتلك من المواهب العسكرية الشيء الكثير^(١٣٥). وذلك بالإضافة إلى مجموعة العوامل المساعدة مثل حصانة القسطنطينية وأهمها النار الإغريقية، وعدم استطاعة المسلمين البقاء مدة طويلة في متاح شديد البرودة، ومساعدة البلغار للدولة البيزنطية، كل ذلك ساعد على عدم استطاعة المسلمين اقتحام القسطنطينية^(١٣٦)، وأدى إلى طول الحصار الذي استمر إلى نحو ستة كاملة^(١٣٧)، مات خلالها الخليفة سليمان بن

عبدالمك، وأمر خليفته الخليفة عمر بن عبدالعزيز القائد مسلمة بن عبدالمك برفع الحصار عن القسطنطينية والعودة إلى دمشق عام ٧٩٩هـ/٧١٨م^{١٦٨}.

وعلى هذا النحو تم إنقاذ القسطنطينية من السقوط في يد المسلمين وذلك بفضل تلك السفارة التي أرسلها الإمبراطور أنستاسيوس الثاني إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبدالمك عام ٧٩٦هـ/٧١٤م وهي سفارة تجسس من الدرجة الأولى، وهو سلاح هام استخدمه البيزنطيون الذين اشتهروا بالدبلوماسية والدها.

هوامش البحث

1- Ostrogorsky (G.) : History of The Byzantine State, Copright 1957, p. 127; Mango (C.) : The Oxford History of Byzantium, Oxford, 2002, p. 137.

٢- السيد الياز العرني : تاريخ الدولة البيزنطية، بيروت ١٩٨٢م، ص ١٨٣.

3- Jenkins (R.) : Byzantium, London, 1966, p. 60; Ostrogorsky : History of The Byzantine State, p. 136

انظر أيضاً :

حسن محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٨٣م، ص ١٠٩.

4- Ostrogorsky : History of The Byzantine State, p. 136. انظر أيضاً.

ناهد عمر صالح : سياسة الدولة البيزنطية في حوض البحر المتوسط، رسالة ماجستير غير منشورة، آداب القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٥٧.

٥- سيد أحمد علي الناصري : الروم، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٢٣٧.

See Also : Warren Treadgold : The Struggle For Survival, in The Oxford history of Byzantium, Oxford, 2002, p. 137.

٦- البلاذري : فتوح البلدان، بيروت ١٩٧٨م، ص ١٦٧. ويقول البلاذري : " كانت بنو أمية تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشائية مما يلي تغور الشام والجزيرة، وتقسيم المراكب للغزو "، ص ١٦٧. ويبدو أن الذي استن نظام الصوائف والشواتي كان معاوية بن أبي سفيان. انظر : وسام فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، الإسكندرية ١٩٨١م، ص ٨٨.

٧- وعن هجمات المسلمين على مناطق الشغور، انظر : علية عبدالسميع المنزوي : الشغور البرية الإسلامية، القاهرة ١٩٧٩م.

٨- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، القاهرة ١٩٦٧م، ج ٦، ص ٤٩٦.

٩- أبو القدا المختصر في أخبار البشر، القاهرة، للطبعة الحسينية د.ت، ج ١، ص ١٩٨.

10- Jenkins : Byzantium, p. 60.

يذكر ابن خلدون أنه بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان تعطلت الصوائف نتيجة حدوث الفتن، واستمرت كذلك إلى أيام عبدالملك بن مروان، وفي أواخر أيامه بدأت تعود مرة أخرى.

انظر : العمر وديوان المتأخر والجزيرة، بيروت ١٩٧١م، ج ٣، ص ٧٠.

١١- ابن الأثير : الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٥م، ج ٤، ص ٥٢٨، ٥٦٩.

سوسة إحدى نواحي المصيصة، والمصيصة على شاطئ جبحان من تخوم الشام بين أنطاكية وبلاد الروم، واشتهرت بأنها تضم عدة ثغور هامة. انظر : باقوت : معجم البلدان، بيروت، ١٩٥٧م، ج ٥، ص ١٤٥.

١٢- خليفة بن خياط : تاريخه، بيروت ١٩٧٧م، ص ٣٠٢، انظر أيضاً : ابن الأثير : الكامل، ج ٤، ص ٥٣١.

See Also : Jenkins : Byzantium, p. 60.

جرثومة وطوائفهما من ثغور المصيصة.

باقوت : معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٩، ج ٤، ص ٤٥.

١٣- خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٢-٣، انظر أيضاً : ابن الأثير : الكامل، ج ٤، ص ٥٣٥.

عمورية : إحدى بلاد الروم، وسيت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح، ياقوت : معجم البلدان، ج ٤، ص ١٥٨.

١٤- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٤٦٨.

١٤- اليعقوبي : تاريخه، بيروت، د. ت. ج ٢، ص ٢٩٢، الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٤٦٩.

١٦- خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٣٠٥، الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٤٦٩.

- جندرة : يقول عنها ياقوت الحموي هي ناحية من بلاد الروم، معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٩٢.

١٧- خليفة بن خياط : تاريخه، ص ٥-٣.

- ملطية : إحدى بلاد الروم المشهورة، تناطح الشام، باقوت : معجم البلدان، ج ٥، ص ١٩٢-١٩٣.

١٨- خليفة بن خياط : تاريخه، ص ١٣٠٦، الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٤٨٣.

- لم نجد في المصادر الجغرافية ذكر لهذا الحصن. والمعروف أن الحدود بين المسلمين والبيزنطيين كانت تتألف من سلسلة جبال طوروس، وطوروس الداخلة، وكان يحمي هذه الحدود، خط طويل من القلاع والحصون. عُرفت عند المسلمين باسم الثغور، وهي تمتد من ملطية على الفرات الأعلى، إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط، وكانت هذه الحصون تتأرجح بين المسلمين والبيزنطيين، ومعظم أسماء هذه الحصون لم يذكر تعريف لها في المصادر الجغرافية إلا القليل منها.

انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الإسلامية، بيروت ١٩٨٥م، ص ١٦٠.

١٩- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٤٩٢، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٥٩١.

- لم نجد ذكر في المصادر الجغرافية لكل من طولسي والمرزبانية، أما هرقل فقد عُرفت عند الروم باسم هرقليا Heraclia، وذكر ياقوت أنها قرب صفين من الجانب الغربي (معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٩٨، ٣٩٩). وصفين موضع بقرب الرقة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي، بين الرقة وبالس.

ياقوت : معجم البلدان، ج ٣، ص ٤١٤.

20- Jenkins : Byzantium, p. 60.

٢١- ويشير جنكينز Jenkins أن المسلمين أدركوا القيمة الحقيقية من وراء سياسة هرقل السابقة في إعادة توطين السكان في الثغور Themes، ولذلك عزموا على تحطيم تلك السياسة بتحركاتهم في تلك المناطق. انظر: Byzantium, p. 60

22- Jenkins : Byzantium, p. 60.

وانظر أيضاً : عائشة أبو الجدايل : الإمبراطورية البيزنطية، الرياض ١٩٩٥م، ص ١٩٧، ١٩٨.

٢٣- ويعلق كثير من المؤرخين أن البيزنطيين اشتهروا عبر تاريخهم الطويل في استخدام الدبلوماسية والدهاء الذي يعتبر من أهم العوامل الجوهرية المساعدة لتحقيق سياستهم. انظر :

Mark Whittow : The making of Byzantium 600-1025, Los Anglos 1996, p. 134.

وعن الدبلوماسية البيزنطية انظر :

Halden | J. F. | : Byzantine Diplomacy, Paper From The Twenty - Fourth Spring Symposium of Byzantine Studies, The Promotion of Byzantine Studies, Hampshire 2003.

24- Theophanes Confessor : The Chronicle, Oxford 1997, pp. 384-385.

25- Nikephoros : Short History, Washington 1990, p. 117.

وانظر أيضاً : الترجمة العربية، هاني عبدالهادي البشير : التاريخ المختصر، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٩٠.

٢٦- على سبيل المثال، انظر :

خليفة بن خياط : تاريخه، بيروت ١٩٧٧م، ص ٣٠٩-٣٠٧ : الملادري : فتوح البلدان، بيروت ١٩٧٨م، ص ٢٧٨-٢٧٩ : اليعقوبي : تاريخه، بيروت د.ت، ج ٢، ص ٢٨٣-٢٩٢ : ابن الأثير : الكامل في التاريخ، بيروت ١٩٦٦م، ج ١، ص ٥١٣-٥٩١ : ابن طباطبا : الفخرى في الآداب السلطانية، بيروت د.ت، ص ١٢٧ : أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر، القاهرة د.ت، ج ١، ص ١٩٨-١٩٩ : النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٧٦م، ج ٢١، ص ٣٣٤-٣٣٥.

٢٧- تولى نقفوروس كرسي بطريركية القسطنطينية عام ٨٠٦م، وظل شاعراً لهذا المنصب حتى عام ٨١٥م حيث عزل عن كرسي البطريركية وتم نفيه إلى دير الشهيد ثيودور في أعلى البسفور. وخلال هذه الفترة شارك مشاركة فعالة في سياسة الدولة البيزنطية، كما كان قبل تولي هذه الوظيفة يشارك في أحداث الدولة البيزنطية لأنه كان من رجال الدين العلمانيين، حيث عمل داخل البلاط الإمبراطوري وشغل عدة وظائف مدنية، وكان على مقربة من رجال الدولة، وشارك في المعارك الدينية خاصة ما أثير حول عبادة الأيقونات، وكان من أشد المدافعين عن عبادة الأيقونات حتى أطلق عليه لقب المعترف Confessor أي المعترف بعبادة الأيقونات، انظر المقدمة التي كتبها كيريلوس مانجو Cyrillus Mango عند نشره لكتاب مختصر التاريخ لنقفوروس-

Nikephoros : Short history, Washington 1990, pp. 1-12.

أما المؤرخ ثيوفانس فهو ينتمي إلى إحدى العائلات الكبيرة بالقسطنطينية وكان ابناً بالمعسودية للإمبراطور ليو الخامس حيث نشأ في ظلّه ونحّت رعايته، وكان والده إلى جانب المتأهدين بعبادة الصور بما أدى إلى نفيه إلى جزيرة سانتوراس Sanothrace حيث توفي بها عام ٨١٨م، ومعنى ذلك أن ثيوفانس هو الآخر كان قريب من صانعي الأحداث بالدولة البيزنطية. انظر : دونالد نيكول : معجم التراجم البيزنطية، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٢١ والمقدمة التي كتبها كيريلوس مانجو Cyrillus Mango عند نشره حولية ثيوفانو :
The Chronicle of Thephanes Confessor Oxford 1997, pp. 43-49

٢٨- حامد زيان : دراسات في علم التاريخ، القاهرة د.ت، ص ١٩٤-١٩٥.

٢٩- التبري : نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٧٦م، ج ٢، ص ٣٣٥.

30- Theophanes : The Chronicle, p. 384

النص باللغة الإنجليزية :

" And as The Arabs Were Preparing an armament against The Roman Country by Land and by Sea, The emperor Sent a number of dignitaries to Oualid in Syria on The Pretext of negotiating Peace, (among Them) Daniel Sinopites, The Patrician and Prefect of The City, Whom he instructed to inform himself thoroughly concerning the expedition against The Roman Country and The enemy's Strength. "

31- Theophanes : The Chronicle, p. 384.

32- Nikephoros : Short History, p. 117

وانظر أيضاً الترجمة العربية، البطريرك نقفور : التاريخ المختصر، القاهرة ٧-٢٠٠٧م، ص ٩.

النص كما ورد عند البيهقي باللغة الإنجليزية :

" Having been informed That The King of The Sarscens was intending to invade The Roman Country, he Sent to him The Patrician Daniel, a native of The Town of Sinope. Who was at The Time prefect of The Imperial City, on The pretext of negotiating peace, but in reality to observe their preparations against The Romans. "

٢٣- قام معاوية بن أبي سفيان بغزو القسطنطينية مرتين الأولى عام ٤٩هـ / ٦٦٩م، والثانية عام ٥١هـ / ٦٧٤م، والغزوة الأخيرة دامت قرابة خمس سنوات.

وعن غزوة معاوية للقسطنطينية انظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك، القاهرة د.ت، ج ٥، ص ٢٣٢، انظر أيضاً : وسام فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ٨٨، حسين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٨٣م، ص ٨٩ :

See Also : Vasiliev : History of The Byzantine Empire, Madison 1961, vol I, pp. 212-215.

٢٤- علية عبدالمسيح الجزائري : التغير البرية الإسلامية، ص ٢٥-٢٦ : وسام فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ١١٢-١١٣، فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية، القاهرة ١٩٦٦م، الكتاب الأول، ص ٣٦٥-٣٧١.

٢٥- الطبري : تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٤٦٨-٤٩٣، ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٢٦-٥٩١ : ابن العسري : تاريخ مختصر الدول، بيروت ١٩٨٣م، ص ١٩٤-١٩٥.

٣٦- حسين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٠١ :

See Also - Ostrogorsky : History of The Byzantine State, PP. 140-142.

تولى خلال تلك الفترة ثلاثة من الأباطرة هم :

٧١٣-٧١١	Bardanes	١- باردانس الأرمني
٧١٥-٧١٣	Anastasius II	٢- أنستاسيوس الثاني
٧١٧-٧١٥	Theodosius III	٣- ثيودوسيوس الثالث

انظر : Vasiliev (A.A.) : History of The Byzantine Empire, Madison 1952, p. 194.

Baynes (N.) : The Byzantine Empire, London 1958, p. 47

٣٧- كان أهم أسباب فشل هذه الحملة هو استخدام البيزنطيين للنار الإغريقية، والإمدادات التي وصلت إلى الدولة البيزنطية من الغرب الأوربي بالإضافة إلى مساندة البلغار للبيزنطيين.

انظر : حامد زيان ، دراسات في تاريخ العالم الإسلامي ، القاهرة ٧٠٠٧ م ، ص ٧٠ :

See Also : Ostrogorsky : History of The Byzantine State, P. 112.

٣٨- العدوي : الأمويون والبيزنطيون ، القاهرة ١٩٥٣ م ، ص ١٨٤ :

See Also : Jenkins : Byzantine, P.60.

39- Theophanes: The Chronicle, p, 384, Nikephoros: Short history, p. 117.

وانظر أيضاً الترجمة العربية : مختصر التاريخ ، ص ٩٠.

النص باللغة الإنجليزية اعتماداً على ثيوفانو :

" Then The emperor Commanded That each man Should Store provisions For himself up to a period of three years, and anyone not having the means to do so should leave The City ."

40- Theophanes : The Chronicle, p, 384.

41- Theophanes : The Chronicle, p, 384.

النص باللغة الإنجليزية كما ورد عند ثيوفانو :

" He appointed Overseers and started building dromones, (Fire – Carrying) biremes (and great Triremes). He restored The Sea Walls and likewise The Land Walls, and Set up on The Towers Catapults for darts and stones and Other engines "

٤٢- قسطنطين السابع : إدارة الإمبراطورية البيزنطية ، بيروت ١٩٨٠ م ، ص ٩٨ .

النار الإغريقية هي مزيج من النفط والزيت والكبريت بعلاً ذلك المزيج في أنابيب من النحاس ذات فوهة توفد منها تلك الأنابيب، توضع في أسطوانة مستديرة داخل صناديق المصنوق. حيث تقذف على سفن الأعداء. وهي اختراع لمهندس يدعى كاليينكوس Calinicus قيل أنه سوري الأصل. عاش في مدينة هليوبوليس المصرية " عين شمس"، وليست الواقعة بهلاء الشام، وبذلك تعتبر النار الإغريقية اختراع مصري. انظر :

Hussey (J.M.) : The Government and Administration of The Byzantine Empire, in The Cam. Med. Hist. vol IV, part II, London 1978, pp49-50.

انظر أيضاً : سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٢٣١، القرد بتلر : فتح العرب لمصر، القاهرة، ١٩٩٠م، ص١٥١.

٤٣- كانت النار الإغريقية إما تقذف في قنابل يدوية تتفجر وتشتعل عند اصطدامها بسفن الأعداء.. وإما تقذف عن طريق المجانيق حيث توضع في أوعية قنابل بهذه المادة، وتقوم المجانيق بقذفها على سفن الأعداء.

انظر : زسيما : الحضارة البيزنطية، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٨٢.

٤٤- عرفت البحرية البيزنطية أنواع كثيرة من السفن، كان أشهرها هي المعروفة باسم "الدرمونة" أو "العلاءة"، وهي سفينة ثنائية أي ذات صفيين من المجاذيف تحمل عدداً كبيراً من الرجال يتراوح ما بين مائتين إلى ثلثمائة رجل.

انظر : زسيما : الحضارة البيزنطية، ص١٨٠.

٤٥- سفينة البيرم Bireme هي سفينة ثنائية أي ذات صفيين من المجاذيف، وكانت تشتهر بسرعتها الفائقة.

انظر : زسيما : الحضارة البيزنطية، ص١٨٠.

46- Baynes : The Byzantine Empire, pp. 132-142.

وانظر أيضاً : فتحي عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية، الكتاب الأول، ص٢١٢.

47- Theophanes : The Chronicle, p. 384.

النص باللغة الإنجليزية كما ورد عند ثيوفانو :

" Having fortified The City as much as he was able, he stored a great quantity of Produce in the imperial depots and so made himself Safe".

٤٨- وسام فرج : السياسة المالية الدولية البيزنطية في أواخر القرن السادس الميلادي، ضمن كتاب : "بيزنطة قراءة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي"، القاهرة، ٢٠٠٣م، ص١٩.

49- Jenkins : Byzantium, p. 60.

50- Theophanes : The Chronicle, p. 385; Nikephoros : Short History, p. 117.

51- Nikephoros : Short History, p. 117.

- أما موقع فونيكس Phoenix فهو يوجد على ساحل آسيا الصغرى، ويشتهر بوجود أشجار السرو المستخدمة في صناعة السفن.

انظر - وسام فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، الإسكندرية، ١٩٨١م، ص ١٢٢.
هامش ٢ : انظر أيضاً : لويس أرشيبالد : القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط، القاهرة، د.ت، ص ٩١.

52- Nikephoros : Short History, p. 117; See Also : mango : The Oxford history of Byzantin, p. 137.

٥٣- يعتبر نجر الأيسين Opsikien من أقدم الثغور التي أقامتها الدولة البيزنطية، حيث أصبح له صفة إدارية مستقلة منذ عام ٦٦٨م، وكان جند هذا الإقليم يشلون ما هو معروف باسم الحرس الإمبراطوري الخاص.

وعن نظام الثغور بالدولة البيزنطية، انظر : السيد البار العربي : أجناد الروم، القاهرة ١٩٥٦م، ص ٦-٧ .

See Also : Brooks : Arabic history of Byzantin Theme, Journal of The Hellenic Studies, vol CCI, 1901, p. 67.

54- Nikephoros : Short History, p. 117

- اللغثيث Logothete هو منصب رفيع الشأن، تولى صاحبه لفترة زمنية معينة صلاحية الإشراف على الحكومة المركزية والتنسيق بين إدارتها المختلفة ومراقبة أوائها.

انظر : وسام عبدالعزيز فرج : الألقاب والمناصب الحكومية في بيزنطة بين الاستمرارية والانتقاع، ضمن كتاب بيزنطة قراءة في التاريخ السياسي والإداري، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٤٤.

55- Theophanes : The Chronicle, p. 385; Nikephoros : Short History, p. 117-118.

وانظر أيضاً : السيد البار العربي : الدولة البيزنطية، ص ١٨٥-١٨٦.

56- Theophanes : The Chronicle, p. 385.

٥٧- الظري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٤٩٥؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء، القاهرة ١٩٦٩م، الطبعة الرابعة، ص ٢٢٤؛ في حين يذكر ابن أبي اليم الحموي أن وفاته كانت في جمادى الأولى. انظر التاريخ المظفر، القاهرة ١٩٨٥م، الطبعة الأولى، ص ٢٦٤.

٥٨- اليعقوبي : تاريخه، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ٢٩٩؛ الظري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٥٣.

- دابق : قرية تقع بالقرب من حلب بينها أربعة قرى. انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٢، ص ٤١٦.

- أرجعت بعض الروايات سبب حياطة سليمان بن عبد الملك لهذه الحملة إلى أن جاعة من العلماء أخبروه

أن الذي سيفتح القسطنطينية اسمه سيكون اسم نبي. ولما كان الخليفة سليمان اسمه على اسم النبي سليمان من هنا كانت حساسته. انظر : وسام فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ١٢٣.

٥٩- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ١٥٣ : ابن كثير : البداية والنهاية، ج ٩، ص ١٧٤.

٦٠- المسعودي : التنبيه والإشراف، ص ١٤١.

- عمر بن هبيرة الفزاري : هو عمر بن معاوية بن سكين أبو المنى الفزاري الشامي. توفي عام ٧٠٧ هـ. انظر : الذهبي : سير أعلام النبلاء، بيروت ١٩٨٥م، ج ٤، ص ٥٦٢.

٦١- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٥٣١.

- ومن الجدير بالذكر فإن الخليفة سليمان بن عبد الملك لم يرح فِعلاً دابق حتى كانت وفاته بها في العاشر من صفر عام ٧١٨/٥٩٩م. انظر : الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٥٤٦ : السيوطي : تاريخ الخلفاء، ص ٢٢٦.

٦٢- النويري : نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٤٧. انظر أيضاً : محمد مختار باشا : كتاب التوقيعات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالستين الألفية والليبية، القاهرة ١٩٨٠م، ص ١٣٠.

٦٣- أبو الحسن : النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٢٣٥ : النويري : نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٨٧ : قسطنطين السابع : إدارة الإمبراطورية البيزنطية، ص ٨٧.

- أشار المسعودي أن عدد سفن الأسطول الإسلامي بلغ ١٢٠٠ سفينة في حين ذكر بعض المؤرخين أن عدد الأسطول الإسلامي المشارك في هذه الحملة بلغ ١٨٠٠ سفينة تم جلبها من كافة أنحاء أقاليم الدولة الإسلامية من مصر والشام وشمال أفريقيا. انظر : لويس أرتشبالد : القوى البحرية، ص ١٠٤ : وسام فرج : العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة الأموية، ص ١٢٤. ويذكر ماججو أن عدد الأسطول كان يتراوح ما بين ١٢٠٠ سفينة إلى ١٨٠٠ سفينة. انظر :

The Oxford history of Byzantium, p. 138.

٦٤- تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٥٣٠.

٦٥ (١) كان ليو الأيسوري قائداً لشعر الأثانوليك، وهو من أسرة فقيرة قيل أن أصوله تعود إلى إقليم أيسوريا بجنوب شرق آسيا الصغرى، واستطاع بحالفة القائد أرتاباسدوس Artabasdus قائد شعر الأرمنياد التغلب على الإمبراطور تيودسيوس الذي كان بحالفة جند شعر الأيسيق، واستطاع القفز على عرش الإمبراطورية البيزنطية في مارس عام ٧١٧م. انظر :

Ostrogorsky : History of The Byzantine State, pp. 137-138.

وعن حياة ليو وتغل أسرته وعلاقته بالمسلمين، انظر :

Jenkins : Byzantium, p. 61.

٦٦- حسين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٠٤ : محمد مؤنس عوض، تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ٧-٢٠ م، ص ٢١٢-٢١٣ :

See Also : mango : The Oxford history of Byzantin, p. 138.

٦٧- أمر الخليفة سليمان بن عبد الملك القائد مسلمة بن عبد الملك برفع الحصار عن القسطنطينية، بعد توليه الخلافة مباشرة في شهر صفر من عام ٩٩ هـ / سبتمبر ٧١٧ م.

انظر : النويري : نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٥٨ : ويشير المؤرخ شارل دبل أن الحملة استمرت من أغسطس عام ٧١٧ م إلى أغسطس عام ٧١٨ م. انظر :

History of The Byzantine Empire, London 1925, p. 57.

وعن هذه الحملة، انظر أيضاً :

Brooks : The Campaign of 716-718 from Arabic Sources, Journal of Hellenic Studies, XXI, 1899, pp. 21-22.

ويذكر المؤرخ Warren Treadgold أنه في ربيع عام ٧١٨ م / ٩٩ هـ أرسل الخليفة أسطول وجيش جديد لتدعيم الحملة، لكن عندما وصل هذا الأسطول فإن مجموعة كبيرة من ملاحيه الذين كانوا يتألفون من المصريين أو الأقارقة المسيحيون فروا لاجئاً إلى الإمبراطور، انظر :

Warren Treadgold : The Struggle for Survival, p. 138.

ولكن بمراجعة ما ورد في معظم المصادر الإسلامية المعاصرة عن هذه الحملة لم نجد إشارة واحدة إلى مثل هذه الحادثة، ولا تدري من أين أتى تراود جولد بهذه المعلومة. انظر :

الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٥٤٦-٥٥٤ : اليقطيني : تاريخه، ج ٢، ص ٢٩٩-٣٠٩، المسعودي : التنبيه والإشراف، ص ١٤١.

٦٨- الطبري : تاريخ الأمم والملوك، ج ٦، ص ٥٥٣ : المسعودي : التنبيه والإشراف، ص ١٤١ : انظر أيضاً : عبدالرحمن أحمد سالم : سياسة عمر بن عبدالعزيز تجاه الروم، بحث ألقى في ندوة التاريخ الإسلامي، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، ١٩٩٣ م، ص ٢٦٤-٢٨٥ :

Ostrogorsky : History of The Byzantine State, pp. 404-405; Canard : Les expeditions des Arabs Contre Constantinople, Journal Asiatique, CCVIII, 1926, pp. 80-102.

“ السفارات والهدايا المتبادلة بين هارون الرشيد وشارلمان ”

في ضوء المصادر الأجنبية

دراسة تحليلية نقدية

(١٨٠ - ١٩١ هـ / ٧٩٧ - ٨٠٧ م)

يتناول هذا البحث صفحة غريبة من العلاقات السلمية بين الشرق والغرب كان بطلاها الخليفة العباسي "هارون الرشيد" (٨٠٩، ٧٨٦ م / ١٩٣، ١٧٠ هـ) وإمبراطور الفرنجة "شارلمان" Charlemagne (٨١٤، ٧٦٨ م / ١٩٩، ١٥١ هـ). وقد أفاضت المصادر الأجنبية^(٢) في سرد تلك العلاقات سرداً تفصيلياً. وتأتي في صدارة هذه المصادر على الإطلاق الحوليات الملكية الفرنجية Annales Regni Francorum، تلك الحوليات التي نقلت عنها معظم المصادر الفرنجية الأخرى؛ أما البعض الآخر، فقد أضاف الجديد.

وإذا تفحصنا المصادر الإسلامية، فكان من الطبيعي أن تتجاهل هذه الأحداث، لا اعتقادها أنها تهدف إلى تحالف إسلامي مسيحي ضد مسلمي الأندلس؛ وهذا لا يتفق على الإطلاق مع الشريعة الإسلامية. ومع ذلك تفوح من قراءة ما بين سطور المصادر الأجنبية، مدى صحة هذه السفارات القائمة. والهدايا المتبادلة والتي كان هدفها الأساسي تنشيط العلاقات التجارية بين الطرفين ليس إلا.

١- أستاذ مساعد التاريخ الوسيط - كلية التربية - أربح - جامعة صنعاء.

٢- إختصاراً لصفحات البحث نكتفي بذكر المصادر والمراجع كاملة حين ترد لأول مرة، وبالتالي سوف لا نخضع حيناً خاصاً يشمل العديد من الصفحات لقائمة المصادر والمراجع.

ولقد حاول "شارلمان" القضاء على الوجود الإسلامي في الأندلس لكونه الامتداد الجغرافي الطبيعي لمملكة الفرنجة، إذ إن مسلمي الأندلس يشكلون خطراً أساسياً على خططه الهادفة لتحقيق وحدة أوروبية مترامية الأطراف من ناحية، والحفاظ على كيان مملكته من السقوط في قبضتهم من ناحية أخرى. وقد تيقن "شارلمان" بحكم الاحتكاك الإسلامي السابق مع مملكة الفرنجة، حين تمكن المسلمون من فتح ناربون^(١١) Narbonne، وإقامة مسجد على نصف كنيسة القديس "رستيك" rustique كما أثبت ذلك المؤرخ والأثري الفرنسي "جان لكام"^(١٢) Jean Lacam في كتابه "المسلمون في أواخر العصور الوسطى الفرنسية" Les Sarrazins dans le haut Moyen Âge Français بعد إجرائه حفريات أثرية في ناربون، إضافة إلى ذلك وصولهم إلى أواسط بلاد الغال La Gaule، وإندلاع معركة "بلاط الشهداء" سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م. ورغم انتصار "شارل مارتل"^(١٣) Charles Martel (٧١٩، ٧٤١م / ١٠٠، ١٢٣هـ) في هذه المعركة، إلا أن "شارلمان" تيقن تيقناً تاماً أن المسلمين عازمون - لا محالة - على مواصلة الفترحات الإسلامية من أوروبا غرباً إلى أوروبا شرقاً، وهذا يتعارض تعارضاً تاماً مع سياسته القائمة على إحياء البيت المسمى "الإمبراطورية الرومانية الغربية"، ليرجع على عرشها الذي أطيح به سنة ٤٧٦م، ويقبم لنفسه عرشاً جديداً كإمبراطور على أوروبا بكاملها. ولم يبق له إلا إقتلاع أخطر الأعداء - إن أجلاً أو عاجلاً - ألا وهم جيرانه من المسلمين في الأندلس. لذا، حرص حرصاً شديداً على إذكاء الفتن الداخلية، والتواصل مع الشائرين - حكام شمال الأندلس - على أمير قرطبة ومناصرتهم.

محققاً لغايته تلك، حاول التفرّب والتودد إلى الخليفة العباسي لربما يناصره في حربه تلك، ولم يضع في الاعتبار أن هذا يتنافى مع الإسلام، لكونه يجهل تماماً أن الشريعة الإسلامية تحرم تحالف المسلم مع غير المسلم ضد المسلم. وليس هذا التودد بجديد على السياسة الفرنجية، فقد سعى إلى تلك الغاية والده "بين القصير"^(١٤) Pépin le Bref (٧٤٧ - ٧٦٨م / ١٣٠ - ١٥١هـ) فسار "شارلمان" على خطاه.

وما يذكر أن "بين القصير" كان قد وضع أساس تلك السياسة الودية مع الخلافة العباسية^(١٥)؛ إلا أن حوذية "فريدجير" Frédegaire - لمؤلف مجهول - إذعت أنه في أول الأمر وقّدت سفارة من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور^(١٦) (٧٥٤ - ٧٧٥م / ١٣٦ - ١٥٨هـ) إلى بلاط "بين القصير" في "سال" Sals المطلة على شاطئ نهر "الوار" Loire، فاستقبلها أحسن استقبال، وسلمته الهدايا المرسلّة من قبل "المنصور"، واستضاف "بين" السفراء في مدينة "متز" Metz

حيث أمضوا فصل الشتاء. وبعد مضي ثلاث سنوات عاد السفراء المسلمين وبعثتهم سفراء* بين القصير "محملين بهدايا قيمة إلى سيدهم الخليفة أبي جعفر المنصور بعد إبحارهم من ميناء "مرسيليا" وذلك سنة ٧٦٨ م / ١٥١ هـ^{١٣١}.

واستمرت علاقات الود بين البلاطين العباسي والكارولنجي، وتوثقت بين العاهلين هارون الرشيد وشارلمان، خاصة وأن الخليفة العباسي كان شديد التسامح مع المسيحيين؛ وقد أكد ذلك المؤرخان يحيى بن سعيد الأنطاكي^{١٣٢} (١٠٦٦ م / ٤٥٨ هـ) و"وليم الصوري" (ت حوالي عام ١١٨٤ م / ٦٧٩ هـ) فقد أورد يحيى الأنطاكي:

«أن الرشيد وهب ببلطيان بطرك الإسكندرية الملكي أي البطريرك البيزنطي الملكاني المعين من قبل الإمبراطور البيزنطي مالا جزيلاً، وكتب له منشوراً لكل كنيسة في بلد البطريركية بما أخذوها وتغلبوا عليها أن ترد إليهم، فرجع ببلطيان البطريرك إلى مصر وأسترد الكتائب»^{١٣٣}.
أما "وليم الصوري"^{١٣٤} فقد جاء في مصدره:

«... أن السلام رُفِرَ بجناحيه على شعب الله إبان عهد ذلك الحاكم الجدير بكل ثناء، وأعني به هارون الملقب بـ"الرشيد" الذي دان له الشرق...»

وفي موضع ثانٍ، أعترف بتسامح وعطف الخليفة العباسي حين قال:

«... لا زال تسامحه وعطفه النادران المثال وطبيعته الرائعة محل تقدير عميق وثنا، لا ينقطع في الشرق حتى اليوم...»

وفي موضع ثالث، أرجع ذلك إلى الود القائم بين هارون الرشيد وشارلمان وكان بليغاً في تعبيره حين قال:

«... إن مسيحي الشرق كانوا يعيشون في راحة وأمن وأمان كأنهم في ظل حكم شارلمان... حقيقة الأمر، اتسمت سياسة شارلمان الخارجية بالحكمة والبراعة البالغة؛ إذ أقام علاقات^{١٣٥} كريمة وطيبة على أساس من التفاهم الرائع... كذلك كان شارلمان يؤثر على سائر ملوك الدنيا وحكامها»^{١٣٦}.

السفارة الأولى سنة ٧٩٧م / ١٨١هـ :

وبالفعل أوردت الحوليات الملكية الفرنجية^{١٧١} أول إشارة إلى السفارات المتبادلة بين شارلمان وهارون الرشيد، إذ أدرجتها تحت أحداث سنة ٧٩٧م / ١٨١هـ^{١٧٢}؛ وقيل إن من بين أهدافها جلب فيل حتى يضمه شارلمان إلى حديقة حيواناته النادرة؛ لذا، يادر شارلمان بأن أوقد سفارة إلى الخليفة العباسي ضمت كرتيين من الفرنجة هما: "لانترفرد" Lantfried و "سجسموند" Sigismond؛ ورافقهما شخص ثالث من اليهود يدعى "إيزاك" Isaac (إسحق)^{١٧٣}، كلف بالترجمة إلى العربية. إذ جاء في المصدر سالف الذكر تحت أحداث سنة ١٨٥هـ / ٨٠٦م - أي بعد أربعة أعوام من السفارة الأولى - ما يلي:

«...أخبروا شارلمان أن اليهودي إيزاك Isaac [إسحق] عاد بمفرده من سفارته إلى بلاط ملك الفرس أما رفيقه لانترفرد Lantfried و"سجسموند" Sigismond فقد توفي أثناء الرحلة...»^{١٧٤}.

وقد ادعت بعض المصادر الفرنجية أن سبب سعي شارلمان إلى إقامة علاقات طيبة مع هارون الرشيد، راجع إلى أن مسيحي بيت المقدس أسس معاملتهم على يد بعض ولاة الخليفة العباسي. كان ذلك في سنتي ٧٩٦م / ١٨٠هـ و ٧٩٧م / ١٨١هـ^{١٧٥}.

لذا، كان من بين أهم أهداف سفارته - على حد زعمهم - استعراض أحوال مسيحي الشرق، كما نقلت بعض المراجع الأجنبية^{١٧٦} هذا الادعاء استناداً إلى المصادر الفرنجية سالف الذكر.

السفارة الثانية سنة ٧٩٩م / ١٨٣هـ :

على أية حال، انتهت السفارة الأولى ب وفاة مبعوثيه، وعودة المبعوث الثالث اليهودي المدعو "إيزاك" فيما بعد، وذلك سنة ٨٠٢م / ١٨٦هـ. ولكن أعقب السفارة الأولى سفارة ثانية سنة ٧٩٩م / ١٨٣هـ، ترأسها أحد رهبان القدس، وكان موقفاً من قبل بطريرك بيت المقدس، بإذن من الخليفة العباسي هارون الرشيد، فقد وافق عليها لكونها ستعود بالفائدة على رعاياه المقيمين في بيت المقدس.

ويشول الراهب أمام شارلمان، أهداه بعض الهدايا الدينية، ونقل إليه تحيات البطريرك "جورج"^{١٧٧} Georges (٧٩٧ - ٨٠٧م / ١٨١ - ١٩١هـ) وأعلمه أيضاً بتدني الأحوال المعيشية لمسيحي بيت المقدس ومعاناتهم من الفقر^{١٧٨}، ربما بسبب ضعف حركة الحجاج المسيحيين آنذاك، مما أدى

إلى تدنى عائدات السياحة الدينية، وانعكس ذلك بالتالي على المسيحيين الشرقيين من سكان الأراضي المقدسة.

والواقع أن تلك السفارة نتج عنها إغداق الهبات التي خصصها شارلمان لمسيحي بيت المقدس. اتضح ذلك حين عاد الراهب الموقد من قبَل البطريرك وذلك سنة ٨٠٠ م / ١٨٤ هـ، إذ حمل معه شهادة نجاح المهمة المكلف بها وهي هبات شارلمان إلى الأراضي المقدسة.

السفارة الثالثة سنة ٨٠٠ م / ١٨٤ هـ :

ورد عليه الملك الفرنجي بأن أوفد إليه في العام التالي - أي عام ٨٠٠ م / ١٨٤ هـ - أحد قساوسة قصره ويدعى " زكريا " Zacharie^(١١٠) حاملاً هبات وهدايا للأماكن المقدسة.

وبتفحصنا مصدر إينهارد فيما يتعلق بتلك الأحداث، نلاحظ أنه أورد :

« أن العلاقات الودية سادت بين شارلمان وهارون الرشيد ملك الفرنس^(١١١) الذي كان يحكم بلاد المشرق بكاملها تقريباً باستثناء الهند. ولقد توطدت العلاقات بينهما حتى إنها فاقت كل ملوك وأمرأه الأرض كافة، وكانت قائمة على الكرم والاحترام المتبادل. اتضح ذلك جلياً عندما تشلَّ مبعوثو شارلمان بين يديه أ أي بين يدي هارون الرشيد أ حاملين بهدايا سيدهم أ أي شارلمان أ وقد كلفوا من قبله بزيارة الضريح المقدس والأماكن المقدسة المسيحية التي شهدت حضى المسيح - عليه السلام - . وقد لبى أ الخليفة العباسي أ مطالبهم بل وأنعم على شارلمان بحن السيادة على الأماكن المسيحية المقدسة. تلك الأراضي المباركة التي شهدت فداء وتضحية المسيح من أجل خلاص البشرية »^(١١٢).

والحقيقة أن هارون الرشيد لم يمنح شارلمان سلطاناً على الأراضي المقدسة على الإطلاق، ولا حتى على كنيسة الضريح المقدس؛ - كما ادعى إينهارد - بل منحه فقط سيادة شكلية على قبر السيد المسيح؛ علماً بأن تلك المساحة لا تتجاوز سبعة أقدام طولاً، وتكفي فقط لشخص نائم على ظهره. أوضح ذلك الأسقف " أركولف " Arculf^(١١٣) الذي زار الأراضي المقدسة حوالي سنة ٦٧٠ م، إذ قاس ببديه تلك المساحة. علماً بأنه قيل أن بطريرك بيت المقدس قد وهب هذا الموضع إلى الإمبراطور " جيوم الثاني " Juillaume II^(١١٤) ت ٨١٢ م / ١٩٧ هـ. إبان رحلته الشهيرة إلى فلسطين.

على أية حال، لا يمكننا تفسير هذه العلاقة على أساس الحصول على امتيازات سياسية في الأراضي المقدسة، إذ يتعارض ذلك مع الشريعة الإسلامية. لذلك لم يكن باستطاعة البيطريك من الناحية الشرعية أن يتفاوض مع حكام "دار الحرب" في أمور تتعلق بدار الإسلام^(١٢١). وهذا ما يؤكد ما ذهبنا إليه، ويتوافق مع قول "لوي برييه" Louis Bréhier وغيره من المؤرخين أن الرشيد وافق على حماية الأراضي المقدسة من قبل شارلمان^(١٢٢).

وإذا قبلنا أن شارلمان حظي بالسيادة السياسية على بيت المقدس، فإن هذا القول يُعد افتراضاً بعيداً عن الحقيقة والواقع. فكيف نعتقد أن الخليفة العباسي تخلى بالكامل أو عن جزء من أراضيه إلى إمبراطور مسيحي ينظر إليه على أنه من الكفار. فتلك الأرض الآسيوية زويت يدماً، الفاتحين المسلمين؛ كذلك ينبغي أن نضع في الاعتبار المسافة البعيدة التي تفصل بين فلسطين ومملكة الفرنجة؛ لذا فالافتراض السابق القائل بممارسة السيادة الفرنجية على الأراضي المقدسة، وما يتطلب ذلك من التزامات أو حماية حيوية، يُعد دزناً من الخيال.

مما تقدم، يُعدُّ من الاستحالة أن يتنازل هارون الرشيد عن سيادة المسلمين على بيت المقدس لصالح شارلمان، ويفقد بذلك - وعن طيب خاطر - ضياع أولى القبيلتين وثالث الحرمين الشريفين.

ويانتهى، السفارة سالفة الذكر، بعد أن حققت نجاحاً تاماً في أداء مهمتها، أراد الراهب العودة ثانية إلى بيت المقدس، فاصطحبه شخص يدعى "زكريا" وهو أحد قساوسة قصر شارلمان، حاملاً الهبات^(١٢٣) والهدايا إلى الأراضي المقدسة^(١٢٤). كما سبق القول - كان ذلك في نوفمبر ٨٠٠م / شوال من عام ١٨٥هـ. وهكذا اتخذت تلك السفارة طابعاً دينياً بحتاً.

تستخلص مما تقدم أن شارلمان أفاد مسيحي الشرق الفقراء بمساعدة مادية عينية منظورة وذلك بأن أنعم عليهم بالهبات والهدايا؛ إضافة إلى مساعدات غير منظورة بتشجيعه وتنشيطه رحلات حج الغربيين إلى القدس، وبالتالي ستزدهر الصناعة والتجارة المرتبطة بكافة أنواع المظاهر الدينية المسيحية التي لا مثيل لها في الغرب الأوربي. ومن المؤكد أن هارون الرشيد كان بعيد النظر كذلك، إذ أدرك مدى الفائدة التي ستعم على رعاياه من المسيحيين الشرقيين، ويؤكد ما ذهبنا إليه ساحه يسفر أحد الرهبان للقاء شارلمان. ولقد أدرك هارون الرشيد ما سيجنيه مسيحيو بيت المقدس من ثمار تلك العلاقة الطيبة، وإلا لما سمح لشارلمان ببناء "تُرْكُل"^(١٢٥) جديدة في الأراضي المقدسة لإقامة الحجاج القادمين بكثرة من الغرب الأوربي.

السفارة الرابعة سنة ٨٠٦ م / ١٨٥ هـ :

هذا عن سفارة سنة ٨٠٠ م / ١٨٤ هـ والتي أعقبها في العام التالي سفارة أوردت نصها الحوليات الملكية الفرنجية؛ إذ جاء فيها أنه أثناء تواجد شارلمان في مدينة "بافيا" Pavie، علم بوصول إثنين من سفراء ملك الفرس^{١٣١}. أي هارون الرشيد. إلى ميناء "بيزا" Pise، وكان أحدهما من بغداد، أما الثاني؛ فقد أوفده إليه أمير الأغالبية "إبراهيم بن الأغلب"^{١٣١} حاكم إفريقية آنذاك. تسميه الحوليات الملكية الفرنجية "Amirati Abraham". والمقيم في القصر القديم^{١٣١} في القيروان^{١٣١}. وعلم المبعوثان آنذاك أن اليهودي "إبراك" الذي سبق أن أوفده شارلمان إلى هارون الرشيد، قد فقد رفيقيه "لانفرد" و "سجسوند"^{١٣١}.

وبوصول إبراك إلى الشمال الأفريقي محملاً بالهدايا الثمينة، أنتظر على الشاطئ إلى أن تأتي إحدى السفن الفرنجية لتصحبه إلى بلاط الفرنجية؛ حينئذ أصدر شارلمان أوامره إلى الموثق "إركمبالد" Ercambald بأن يُعد سفناً لتقل الغنم والهدايا الأخرى التي كانت في معية اليهودي إبراك، كان ذلك في أكتوبر من عام ٨٠٦ م / ١٨٥ هـ^{١٣١}.

هكذا تأكد لنا من تلك السفارة، الدوافع التجارية بين قطبي الشرق والغرب؛ إذ حمل إبراك في طريق عودته - إضافة إلى الغنم - هدايا كثيرة وقيمة حسب ما ورد في الحوليات الملكية الفرنجية. وأورد ما احتوت عليه هذه الهدايا المؤرخ المعاصر إينهارد الذي انفرد يذكر:

>>> أنها كانت منسوجات فاخرة وعطور وبعض الثروات الأخرى مما تفيض بها بلدان الشرق...^{١٣١}

يتضح من رواية إينهارد، تأكيداً على الأهداف التجارية لسفارات الرشيد، إذ هدف الخليفة العباسي تعريف الغرب الأوربي المتخلف اقتصادياً آنذاك ببعض الخيرات الأخرى مما تزخر به بلدان الشرق؛ وسيعقب ذلك طلب الغرب ما يروق له من تلك المنتجات الشرقية.

ومن الغريب تحديد الحوليات الملكية الفرنجية بدقة بالغة لمقر حكم إبراهيم بن الأغلب في القصر القديم Casrcadym الواقع على بعد ثلاثة أميال جنوب غرب مدينة القيروان؛ مما يؤكد وجود علاقات بين هارون الرشيد وشارلمان. فكيف لتلك الحوليات أن تعرف بدقة هذا المقر الصغير. وبذلك فنحن أقوال كل من أكد تأكيداً قاطعاً - دون الأمل بالمصادر الأجنبية المعاصرة - باستحالة

معرفة المصادر اللاتينية شخصية هارون الرشيد؛ وكان من رأيهم، كيف لمؤلفي تلك المصادر المقيمين في أقصى الغرب أن يسمعوا عن هارون الرشيد خليفة بغداد، الواقعة في أقصى الشرق. علماً بأن تلك المصادر أوردت اسمه ولقيه تارة بـ "ملك الفرس" <<Regis Persirum>>، وتارة ثانية بـ "هارون ملك المسلمين" <<... Aaron Rex Sarracenorum...>>، وتارة ثالثة بـ "أمير المؤمنين ملك المسلمين" <<... Amarmamoli Regem Sarracenorum...>>. بل إن هذه المصادر تعرف أيضاً أمير الأغالبة إبراهيم بن الأغلب "Amirati Abraham"، وذكرته بالاسم، وكذا مقر إقامته أيضاً. كما أسلفنا. وقد سبق أن أكدنا على تلك العلاقة حين سمح هارون الرشيد لشارلمان بإقامة تزك حراً منته على راحة الحجاج والمسافرين.

هكذا نستخلص من رواية المؤلف المجهول للحوليات الملكية الفرنجية أن هارون الرشيد أراد أن يوثق علاقاته الودية مع شارلمان، فبعث إليه بهدايا قيمة تظهر مدى قوة الحضارة الإسلامية آنذاك، خاصة وأن المبادرة الأولى كانت من شارلمان وبطلبيه، وبالذات بعد أن تحول من ملك إلى إمبراطور؛ وأصبح يمثل ثقلاً في الغرب الأوربي، بينما يمثل هارون الرشيد ثقلاً في الشرق، وهما قطبا العصر آنذاك. أما الإمبراطورية البيزنطية - وريثة الإمبراطورية الرومانية القديمة - فقد انتابها الشيخوخة، وأقل نجمها وزادت ضعفاً بتولي امرأة العرش؛ ألا وهي الإمبراطورة إيرين Irene.

السفارة الخاصة سنة ٨٠٢ م / ١٨٦ هـ :

وإذا انتقلنا إلى سفارة سنة ٨٠٢ م / ١٨٦ هـ، فقد سجلت الحوليات الملكية الفرنجية أنه في شهر يوليو، وصل إيزاك إلى قصر الإمبراطور شارلمان في "أكس لا شابيل" Aix la Chapelle، وقدم إليه هدايا الرشيد الثمينة وخاصة الفيل. ذلك الحيوان المعروف في الغرب اسماً فقط، وكان الفيل يسمى "أبا العباس"^{١٣٧}، على حد إدعاء - المؤلف المجهول للحوليات^{١٣٨} - هنا بينما اختصرت كل من حولية "مواساك" Annales Moissiac وحوليات "لورسهامتنس" Annales Laureshamenses هذا الحدث نقلاً عن الحوليات الملكية في أقل من سطر. إذ ورد في حولية مواساك تحت أحداث سنة ٨٠٢ م، أن هذه السفارة أرسلت:

<<... إلى ما وراء البحر، إلى فارس، من أجل الفيل...>>^{١٣٩}.

نخلص من النص السالف الذكر أن مواساك لم يأت بتجديد، وقصر مهمة السفارة على الإتيان

بالفيل. في حين أوردت حوليات "لورسهامنسس" *Laureshamenses Annales* أنه في هذا العام (أي عام ٨٠٢م):

«... جاءت أفيال إلى بلاد الفرنجة»^(١٤١).

هكذا، لى هارون الرشيد طلب شارلمان؛ علماً بأن الفيل كان قد سبق أن أهداه أحد حكام الهند^(١٤٢) إلى الخليفة العباسي "المهدي" (٧٧٥ - ٧٨٥م / ١٥٨ - ١٦٩هـ). ولم يستغن عنه شارلمان على الإطلاق، وكان له رد فعل قوي ومؤثر في ربوع بلاد الفرنجة لغرابته^(١٤٣).

السفارة السادسة سنة ٨٠٢م / ١٨٦هـ :

والجدير بالملاحظة أن كل من "إكبهارد" *Ekkéhard* في مصدره المعتون بحولية سيرة "سان جال" *Saint-Gall*^(١٤٤) ووليم الصوري الذي أختصر روايته، إنفردا بذكر سفارة أرسلها شارلمان إلى هارون الرشيد وذلك تحت أحداث سنة ٨٠٢م / ١٨٦هـ^(١٤٥). وأورد إكبهارد أن شارلمان أهدى الخليفة أصوافاً فريزية نادرة، عديدة الأنواع، وذات ألوان زاهية لا تقارن^(١٤٦). وأوضح صراحة - كما أوضح وليم الصوري الذي يبدو أنه نقل عنه - أن هدف شارلمان من تلك العلاقات الودية جعل هارون الرشيد يتنازل عن السيادة الإسلامية على الأراضي المقدسة، ويدعي أن الخليفة العباسي لى عليه^(١٤٧). وقد فندنا تلك الرواية.

هكذا، كان شارلمان على علم تام بأن تلك الأصواف كانت نادرة وثمينة للغاية في المشرق الإسلامي، ولا تقارن بغيرها من الأصواف؛ فقد احتل الجوخ مكانة بالغة الأهمية في "فلاندر" *Flandre*. خلال العصر الوسيط؛ أما أصواف "فريزيا" فقد ذاعت شهرتها وجودتها في المشرق منذ عهد شارلمان، أي منذ أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الميلاديين. والجدير بالتسجيل أن سفن جنوة والبندقية كانت عادةً تمحر إلى فلاندر لطلب البضائع ونقلها بحراً إلى المشرق الإسلامي^(١٤٨).

نخلص مما تقدم، أن العلاقات بين شارلمان وهارون الرشيد اتسمت بطابعين: طابع ديني، وطابع تجاري. الطابع الديني، كان يهدف شارلمان من ورائه تشجيع الحجاج الأوربيين لزيارة الأماكن المقدسة، وما سيصاحب ذلك من تنشيط للتجارة وبالتالي سيعود بالفائدة المادية على سكان القدس من المسيحيين الشرقيين هذا من ناحية، ورعاية مسيحي المشرق بتوزيع الهبات والهدايا

على الفقراء منهم من ناحية ثانية. أما الطابع التجاري، فتأكد وأتضح جلياً من رواية راهب "سان جال" من ناحية، والهدايا التي أرسلها هارون الرشيد لشارلمان من ناحية أخرى. من بينها "بعض الخيرات الأخرى مما تفيض به بلدان الشرق". على حد قول إيشهارد. مما يؤكد أن الهدف هو الرواج التجاري لسلع المشرق الإسلامي في الغرب الأوربي. ذلك الغرب الذي تحول إلى إمبراطورية ضمت - إلى حد ما - أراضي الإمبراطورية الرومانية الغربية بكثافتها السكانية الهائلة. ومن المؤكد أن تلك الهدايا كان هدفها إثبات مدى تقدم الخلافة العباسية حضارياً؛ إذ فاقمت آنذاك حضارة أوروبا في عصور ظلامها.

السفارة السابعة سنة ٨٠٦ م / ١٩١ هـ :

ثم أوفد شارلمان سنة ٨٠٦ م / ١٩١ هـ سفارة إلى هارون الرشيد ترأسها شخصاً يدعى "راتبيرت" Ratbert مَثَّلَ أمام الخليفة العباسي. وقدم إليه هدايا شارلمان، كما قدم إلى بيت المقدس "هبات الإمبراطور الفرنجي"، ولم يتجاسر العودة على سفن الأسطول البيزنطي التي كانت في حرب آنذاك مع الخلافة العباسية. لذا، أبحر في عام ٨٠٦ م / ١٩١ هـ من البندقية، بعد أن أتم كافة المهام المكلف بها. إلا أنه توفي قبل وصوله إلى اكس لا شابل للعثول أمام سيده الإمبراطور^{١٤٨}.

ومع ذلك، فقد حدث ما عكس صفو تلك العلاقة. إذ أورد ذلك الطبري تحت أحداث سنة ٨٠٦ م / ١٩١ هـ^{١٤٩}. وقد أكد رواية الطبري. ابن الأثير الذي ينقل عنه الكثير^{١٥٠}. إذ أورد أن الرشيد شدد الحنق على أهل الذمة.

ويرجع سبب ذلك، كما ذكر العالم الفرنسي "ماريوس كانار" Marius Canard في بحثه بعنوان "غزو هرقله والعلاقات بين الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور "تقفور". إلى خشية هارون الرشيد من المجذاب أهل الذمة نحو البيزنطيين ومحسبهم لصالحهم^{١٥١}.

السفارة الثامنة سنة ٨٠٧ م / ١٩٢ هـ :

ومع ذلك عاد الصفا - ثانيةً بين العاهلين إذ أوفد الخليفة العباسي سنة ٨٠٧ م / ١٩٢ هـ سفارة أوردت تفاصيلها الحوليات الملكية الفرنجية، إذ جاء فيها :

>>>... مَثَّلَ أمام الإمبراطور [شارلمان] عبدالله مبعوث ملك الفرس وبصحبته راهبان من بيت

المقدس مكلفان من قِبَل البطريرك توماس. وهما الراهبان "جورج" و"فيلكس"، وكان الأول رئيس دير جبل الزيتون جرمانى الجنسية، واسمه الحقيقي "إجيبالد" Egibald؛ قدما إلى شارلمان الهدايا التي أرسلها إليه ملك فارس، والتي كانت تتكون من خيمة ذات ألوان زاهية تتسم بالاتساع البالغ وبالجمال الفائق، وكانت مصنوعة من الكتان، وبها ستائر، وكذا حبال، وكانت متنوعة الألوان. ومن بين تلك الهدايا التي أرسلها ملك فارس، كمية كبيرة من الملابس الحريرية النسيجة وعبور وأطياب وبلاسم وساعة من البرونز مطلية بالذهب، مصنوعة بفن بيعت على الإعجاب، وكانت من عجائب ميكانيكا العصر، إذ إن الماء كان يسجل الاثنتى عشرة ساعة. وفي لحظة اكتمال الساعة، يسقط عدد مساري من الكرات النحاسية الصفراء، مساوٍ لعدد الساعات، فوق ناقوس يوضع أسفلها فيرن نتيجة هذا السقوط. إضافة إلى ما تقدم، كان هناك اثنا عشر فارساً، قبايقضا، اثنا عشرة ساعة يخرج هؤلاء الفرسان من أثني عشرة نافذة^{١٤٦} في منتصف النهار ومنتصف الليل؛ عقب ذلك تتغلق النوافذ بمجرد خروجهم. ويعجب المرء كثيراً من بعض روائع تلك الساعة، لكن من الصعب مره تفاصيلها هنا.

ومن بين تلك الهدايا أيضاً شمعدانان^{١٤٧} من النحاس ذات جمال رائع وحجم ضخم^{١٤٨}. ولقد استعرض الإمبراطور كل تلك الهدايا في قصره في اكس لا شابيل، بعد أن استضاف لبعثة أيام سفير ملك فارس والرهبان، ثم قام بإرسالهم إلى إيطاليا حيث انتظروا الوقت المناسب للإبحار والعودة ثانية إلى بلادهم تنفيذاً لأوامره...^{١٤٩}

نخلص مما تقدم أن الخليفة هارون الرشيد أرسل شخصاً يدعى "عبد الله" وصحبه مملنان للبطريرك الجديد المسمى "توماس" Thomas (٨٠٧ - ٨٢٠م) بطريرك بيت المقدس. وهما الراهب "فيلكس" Félix والراهب "جورج" الجرمانى الأصل رئيس دير جبل الزيتون، وكان هذا الدير في عداد أديرة اللاتين الكاثوليك^{١٥٠}.

انطلقت القافلة في رحلتها، بحرسها مقاتلين فرجة ومبعوثين مسلمين وراهبان لاتين. أي كاثوليك. من بيت المقدس، ولم تصل إلى اكس لا شابيل إلا في أوائل عام ٧-٨م/ ١٩٢هـ.

حملت تلك السفارة إلى قصر اكس لا شابيل هدايا من قبل الخليفة تذكرنا بالتى حملها اليهودي المسمى إيزاك؛ ضمت تلك الهدايا أهدع مصنوعات الشرق التي أثارت إعجاب الجميع منها؛ خيمة من الكتان^{١٥١} مجللة بأنواع من الحرير ذات ألوان زاهية، تتسم بالاتساع، وبالجمال

الفائق، إضافة إلى بساط ديباج من طبرستان؛ وأقمشة حريرية فاخرة من الوشي، أي من الحرير الملون المثقل بالذهب، وهو نوع من الأقمشة كان يصنع في اليمن والعراق ومصر؛ ومسك وصندل وأعواد تد من الهند، وعطور^(١٤٨) ولباس^(١٤٩) وشمعدانين رائعين من النحاس الأصفر، وساعة^(١٥٠) هيدروليكية^(١٥١) "مائية" من البيرونز المطلي بالذهب صنعت في بغداد، تدق كل ساعة. ومن بين روائع تلك الساعة اثنا عشر فارساً ينطلقون منها في منتصف النهار ومنتصف الليل من اثنتي عشرة نافذة تنغلق وراهم في الحال، وكانت من عجائب ميكانيكنا العصر^(١٥٢).

هذا وقد أورد جميل نخلة المدور: " أن من الهدايا شطرنج "

>> المنقوش، وهو صناعة بغداد كحال الساعة، صناعه نقاش من النصارى اسمه يوسف الباهلي، ورسم اسمه على الأداة التي تمثل الشاه^(١٥٣) [أي الملك]، وقد حظيت بإعجاب كل من ينظر إليها فتأملوا صناعتها. وقد مثل هذا النقاش الماهر قبلاً يلف خرطوميه على فارس وعلى رأسه جندي قد أخذ بزمامه. ومن حوله ثمانية فرسان يُراد بهم الرمز إلى البيادق الثمانية الذين يناضلون عن الشاه. وعلى ظهره هودج مزخرف بأنواع الرسوم، قد استوى فيه ملك على رأسه تاج مثل تيجان ملوك حمير وقد بلغت مهارته حد الشاء، حين مثل أصحاب القبيلة كما هم وجعل في أذانهم أقراطاً وعلى زنودهم أساور وعلى أيديهم القراطق وهي لباس الهنود، واتخذ عُدد الخيل مزخرفة وصنع لها السروج والأزمة، وقلد الفرسان شيئاً من السلاح ما عدا الجندي الذي أخذه الغيل بخرطوميه فأنه يعالج بنفسه للخلاص مما هو فيه، وقد طرح سلاحه على الأرض وعليه سمة التوجع والانكماش^(١٥٤).

ويلاحظ، على كتاب الحوليات الملكية الفرنجية على وجه الخصوص، اهتمامهم البالغ بوصف الهدايا التي أثار إعجابهم، والتي تؤكد على تقدم المشرق الإسلامي تقدماً هائلاً آنذاك. وتثبت تخلف الغرب الأوربي بسبب هيمنة رجال الدين الكاثوليك على الفكر، ومقدرات البشر.

ولقد أثمر هذا الود القائم بين الطرفين، فقد أشرف شارلمان على الأديرة والأماكن الدينية في بيت المقدس إشرافاً شكلياً لا أكثر، دون أن يكون له السيادة على الأماكن المقدسة، كما ادعى إينهارد وإكيبهارد ووليم الصوري^(١٥٥). قدير جبل الزيتون أصبح عامراً بالراهبان اللاتين الفرنجية، فكان به على سبيل المثال رئيس الدير وهو "جورج" (جيورجيوس Georgius) الفرنجي الذي كان عضواً في السفارة التي أرسلها هارون الرشيد إلى شارلمان عام ٨٠٧م، كما سبق القول.

وكان اسمه الحقيقي "إجيبالد"^(١١١) Egibald . ونستخلص من تغيير اسمه أن رجال الدين الغربيين، حين كانوا يقيمون في الأراضي المقدسة، كانوا يتخذون أسماء يونانية.

هكذا، كان لشارلمان أعمال عظيمة في الأراضي المقدسة، وكانت سيادته شكلية شرقية وليست رسمية، تمت بموافقة خليفة بغداد. وكانت سياسته الشرقية قد انضحت ليس فقط في بلاد الشام، ولكن أيضاً في مصر وتونس والإسكندرية وقرطاجة. حسب إدعاء إبنهارد - أي في غالبية المواضع التي وجد فيها آنذاك مسيحيون شرقيين؛ إذ سعى شارلمان لتخفيف الأهم " حسب اعتقاده". لذا، كانت مبادرته طيبة، هدف منها إقامة علاقات صداقة مع الحكام المسلمين فيما وراء البحار هادفاً من كل ذلك أن يعيش مسيحيو الشرق في ظل أحوال أفضل تحت السيادة الإسلامية^(١١٢)، ويتعشرون مادياً نتيجة ازدياد حجاج الغرب الأوربي وما سيصاحب ذلك من سياحة دينية تعود على سكان القدس ومعظمهم من المسيحيين الشرقيين آنذاك، بلوائد مادية لما سيصاحب ذلك من ازدهار صناعي وتجاري.

ولم يكن تبادل الهدايا جديداً على الخلافة العباسية؛ إذ ذكر الطبري تحت أحداث سنة ٨٠٥م / ١٩٠هـ أن الخليفة هارون الرشيد، أهدى الإمبراطور البيزنطي "تقفور الأول" (٨٠٢ - ٨١١م) سرادقاً وعطوراً وأصنافاً أخرى^(١١٣).

لذا، كانت الهدايا المتبادلة بين هارون الرشيد وشارلمان من الأمور المألوفة آنذاك. وأن إنعام هارون الرشيد على شارلمان بحق الرعاية الشرقية للحجاج المسيحيين القادمين من الغرب الأوربي، واغداق الهبات على المحتاجين من المسيحيين الشرقيين، لا يعني على الإطلاق تنازل الرشيد عن السيادة الإسلامية على شبر من أراضيه - كما سبق القول - علماً بأن مسيحيي الشرق نعموا برعاية الخلفاء - تطبيقاً للشرعية الإسلامية في مراعاة أهل الذمة. فقد نظر إليهم الخليفة العباسي نظرة الرعايا، تماماً كرعاباه من المسلمين، حتى أن البعض منهم بلغ مكانة رفيدة في البلاط العباسي.

هكذا، قمنا بنمحيص مصنف الحوليات الملكية الفرنجية، كما أقدمنا على مقارنته - قدر الاستطاعة - بمعظم المصادر الفرنجية. و إذا انتقلنا إلى المصادر الإسلامية نجد أنها تجاهلت الإشارة إلى تلك العلاقات بين زعيم يدين بالإسلام ويزعمه ويسعى حثيثاً إلى دعوة العالم أجمع لاعتناقه، وآخر يدين بالمسيحية ويتبناها في ربوع العالم، وينصب نفسه مدافعاً عنها وعن معتقبيها.

وفي تعقيب على تجاهل المصادر الإسلامية لتلك العلاقات، فمن المؤكد أن المؤرخ المسلم آنذاك، لم يرق له على الإطلاق ذكر تلك العلاقة التي تعتبر من وجهة نظره شائنة ولا تروق له، لكون هذا العصر قمة مجد الإسلام هنا من ناحية؛ ولربما كان المؤرخ المسلم ينظر إلى العالم الإسلامي الممتد آنذاك من المحيط الأطلنطي إلى بلاد الصين وسير أمور خليفة عباسي يتمتع بشأن وتفوذ بالعين؛ سبقت من شأنه ومكانته وتفوذه مثل وجود تلك العلاقة مع عدو عقيدته الإمبراطور شارلمان، وبالتالي يزداد حجم شارلمان ويكبر على حساب خليفة المسلمين. وربما أيضاً كان سبب هذا التجاهل أن تلك العلاقات اتسمت بطابع السرية، فلم تفتح وانحتها لكونها كانت بين قطبين مختلفين في العقيدة. لذا، حرص البلاط العباسي على سريتها التامة، بينما لم يجرؤ مؤرخ مسلم على سردها في مصدره، حتى لو علم بتفاصيلها خوفاً من بطش السلطة. هذا بينما أوردت تلك المصادر تبادل الهدايا بين العباسيين والبيزنطيين، إذ أورد الطبري - كما سبق أن ذكرنا - أن هارون الرشيد أرسل هداياه إلى نقفور الأول الإمبراطور البيزنطي، والسبب في ذكرها أن حدود الدولتين كانت مشتركة، وكانت العلاقات التجارية نشطة بهنهما حتى في أوقات الحرب.

وعلى النقيض تماماً من المصادر الإسلامية، نجد إفاضة عن تلك العلاقات في مصادر أجنبية معاصرة؛ ألا وهي الحوليات الملكية القرنجية وإينهارد وحولية مواساك وحولية سان جال وحوليات لورانسس وحوليات لورسهايمنس. كما سبق شرحها.

أما سبب تضخيم شأن هذه العلاقات في المصادر اللاتينية المعاصرة منها والقريبة من الأحداث، فمن الواضح أنها أرادت تعظيم شارلمان وصاواته بالخليفة العباسي من ناحية؛ وتضخيمه أكثر فأكثر حين أوردت محاولاته الزواج بالإمبراطورة إيرين، وتوحيد العالمين المسيحيين آنذاك في الشرق والغرب - رغم ما بينهما من خلاف مذهبي وعدا - ضارباً منذ زمن بعيد - والترجع على عرش موحد يفوق في اتساعه الخلافة العباسية الفتية، والتي كانت تزداد اتساعاً وتفوذاً يوماً بعد يوم، وبالتالي سيزداد شأن شارلمان حتى يصبح القوة العظمى المسيرة للأحداث شرقاً وغرباً آنذاك؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، بعد خلع الزوجة المرتقبة من العرش وإسدال الستار على زواج المصلحة - سالف الذكر - رأى شارلمان ضرورة تدعيم وتوثيق العلاقة مع الخليفة العباسي هارون الرشيد، حتى يهرب الإمبراطور البيزنطي ويعترف بتتويجه إمبراطوراً على الإمبراطورية الغربية.

ولا يغرب عن بالنا أن العصر الذي نتناوله بالبحث أسماء "ول ديورانت" "عصر الإيمان"^(١٩١) بدلاً من تسميته العصور الوسطى، فقد هيمنت المسيحية الكاثوليكية بتزمتها البالغ وتعصبا

على مُقدّرات الأوربيين وفكرهم آنذاك. فتتج عن ذلك أن أصبحت العصور الوسطى اليابكة تسمى "عصور الظلام" كما أسماها إسحق عبيد^(١٧)، وسبقه إلى هذا المؤرخون الأوربيون على سبيل المثال لا الحصر "شارل أومان" في كتابه "العصور المظلمة"^(١٨) و"كبير" "العصور المظلمة"^(١٩) من هذا المنطلق. أظهرت المصادر الفرنجية أن شارلمان حرص - عن طريق علاقاته الودية مع هارون الرشيد - على بسط سيادته على المقدسات المسيحية من ناحية، ورعاية مسيحي الشرق والحجاج المسيحيين الأوربيين القادمين للأراضي المقدسة من ناحية ثانية. ووصل الأمر بتلك المصادر إلى المبالغة في مساحة الخليفة العباسي - من منطلق الدافع الديني الذي يحثه على التسامح مع أهل الذمة - إلى القول إن هارون الرشيد اعترف بسيادة شارلمان على المقدسات المسيحية.

هكذا ترى أن شارلمان كان أول من أوفد سفارة إلى هارون الرشيد ليس حياً فيه، ولكن يدافع المصلحة الدينية والتجارية معاً. الدينية وتمثل في اقتناعه الكامل - كما سبق أن ذكرنا كثيراً - بأنه "حامي حصى المسيحية والمسيحيين"؛ بل وكان يحق "حامي اليابوية" ذاتها من أطماع المبياديين. وتقتل ذلك يوضح بالغ في إعادة البيا "ليون الثالث" إلى السدة الرسولية. من هذا المنطلق أيضاً حرص على اغداق الهبات لمسيحي الشرق طبقاً لإقتناعه الديني بمساندة الفقير عن طريق تخصيص العشور لسد عوزة. وكان يعيد البصر إلى أقصاه، حين حرص على تشجيع حركة حج الأوربيين إلى الأراضي المقدسة، خاصة بعد أن ساد حرب أوروبا الأمن والأمان والسلام.

وبالفعل نتج عن حركة الحج تلك، نشاط صناعي وتجاري شهده سكان الأراضي المقدسة من المسيحيين الشرقيين، نتيجة إقبال الحجاج على اقتناء الهدايا الدينية والمتشكلة في الصلبان والتماثيل والأيقونات واللوحات والمسابح والسجاجيد والملابس. والهدايا العديدة والمتنوعة التي سجلونها إلى الغرب الأوربي كهدايا لذويهم وأحبائهم. ويستتج عن ذلك ازدهاراً صناعياً وتجارياً معاً، سينعكس بالتالي بالفائدة المادية على مسيحي الأراضي المقدسة. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، لم يمانع الخليفة العباسي في تشجيع شارلمان على ذلك. ومن الطبيعي أن يدرك تماماً مدى الفائدة التي ستعود على رعاياه من مسيحي الشرق نتيجة السياحة الدينية. ونهتج هذا الرأي بأن التجارة كثيراً ما تسير السياسة والأحداث.

ختام القول، أكد هذا البحث المتواضع على وجود سفارات وهدايا متبادلة بين هارون الرشيد وشارلمان إذ تتبعت المصادر الأجنبية سنوات تلك السفارات. وسجلت القاباً عديدة للخليفة العباسي. وأشارت إلى أمير الأشغالبة إبراهيم بن الأغلب وإقامته في القصر القديم، كما أوردت

أن هارون الرشيد سمح لشارلمان بإقامة نُزُلٍ حراً على راحة الحجاج. وخلصنا إلى أن العلاقات بين القطبين اتسمت بظاهرين ، أولهما: دني يهدف إلى تشجيع الأروبيين لزيارة الأراضي المقدسة؛ وثانيهما: تجاري إذ مستنشط التجارة والصناعة القائمة على السلع ذات الطابع الدني؛ إضافة إلى أن معظم السفارات أكدت الدوافع التجارية للعلاقة بين الطرفين، ورغبة هارون في إظهار ما نعمت به الخلافة العباسية من ازدهار حضاري فاق الغرب المتخلف آنذاك. كما فندنا قول إنهارد وغيره من المراجع القائل بأن الخليفة العباسي منح شارلمان حق السيادة على الأراضي المقدسة.

وسجلنا كذلك سبب تجاهل المصادر الإسلامية لتلك العلاقات السلمية بين الخلافة العباسية ومملكة الفرنجة، إذ لم يرق لها ذلك لاعتقادها أنها تهدف إلى إقامة حلف مشترك ضد أمير قرطبة. فكيف لأمر المؤمنين أن يتحالف مع إمبراطور الكفار ضد شقيقه أمير قرطبة المسلم؛ وبالتالي فتلك العلاقة تتنافى مع الشريعة الإسلامية.

هوامش البحث

١- عاصمة المقاطعة "الناربونية" La Narbonnaise أي ميتانيا، يقال لها السبعة لاشتمالها على مدن سبع. وهي منطقة ساحلية من البيزنطية غرباً إلى مصب نهر الرون شرقاً. واسمها اليوم "الريفيرا الإيطالية". وتطل على البحر المتوسط جنوب فرنسا. انظر: Le Petit Larousse, Paris, ١٩٩٦, P. ١٦٧٥.

٢- Lacam, J., Les Sarrazins dans le Haut Moyen Âge Français, Paris, 1965, P. 46 - ٢

٣- أنعم البابا "جرجوار الثالث" Grégoire III على شارل مارتل بلقب "كنصل" Consul، كما منحته أيضاً لقب "مطرقة الله" Marteau de DIEU لأنه حطم كل الممالك المجاورة. والتحق هذا اللقب باسمه طوال القرن التالية إلى يومنا هذا. انظر: Devosse, J., et Roy, J. H., La Bataille de Poitiers, Paris, 1966, PP. 122-123. ولزيد من التفاصيل. انظر: حجة الطلي، ما بعد بلاط الشهداء - صنعاً. ٢٠٠١م، ص ٥٤، حاشية رقم ٨٧.

٤- "بين القصير" Pépin le Bref هو ابن شارل مارتل. اقتسم حياجة القصر في مملكة الفرنجة مع أخيه كارلومان، إلا أن هذا الأخير تنازل لأخيه كي يحكم البلاد كلها. وفي سنة ٧٥١م أعلن بين نفسه ملكاً على الفرنجة في اجتماع خطط له من قبل، عقد في "سواسون" وحضره أنصاره من كبار النبلاء ورجال الدين. للتفاصيل انظر: نعيم فرج، تاريخ أوروبا في العصور الوسطى - دمشق ١٩٧٨م، ص ٤٥ - ٤٦، سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا في العصور الوسطى - القاهرة ١٩٨٦م، ص ١٩٦ حجة الطلي، ص ٢٠٣، حاشية رقم ٢-٢.

٥- أورد حسن إبراهيم حسن أن من بدأ العلاقات مع العباسيين من الفرنجة هو شارل مارتل، إذ أورد:

«... وقد أفاد شارل مارتل ملك الفرنجة من الخلال الذي ساد بين العباسيين في الشرق والأمويين في بلاد الأندلس فتقرب إلى الخليفة المهدي العباسي ليكسب شيئاً من النفوذ في بلاده ويهدد بذلك منافسه إمبراطور الدولة البيزنطية وقد جنى شارلمان ثمار هذه السياسة فاكسب محبة هارون الرشيد.»

(انظر: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي - العصر العباسي الأول (٧٥٠-٨٤٧م / ١٣٢-٢٣٢هـ) - القاهرة ١٩٤٥م - ص ١٨٣) علماً بأن شارل مارتل توفي في سنة ٧٤١م أي قبل سقوط الدولة الأموية، بينما تولى المهدي الخلافة العباسية سنة (٧٧٥، ٧٨٥م / ١٥٨ - ١٦٩هـ).

٦- أبو جعفر المنصور - أسماه "قريش" - "أمور موني" Amormuni (وما قصد "أمير المؤمنين") أي المنصور. انظر: Frédégaire, Continuation Ed. Bruno Krusch, MM. GG. SS. RER. انظر: Mérov., T. II, P. 119; Recueil des Historiens des Gaules et de la France, Paris 1869, T. V, Ch. CXXXIV, P. 8

Frédégaire, *Continuatio* (Ed. Bruno Krusch, MM. GG. SS. RER. Mérov., T. II, P. 119; -Y aris 1869, T. V, P. 8 des Gaules et de la) (dans R. H. G. F., Paris 1869, T. V, P. 8 France

إذ جاء في هذا المصدر:

« Inde ad Regnam suam ad Sellus veniens, Legationem Sarracenorum, quam Mettis ad hyemandam miserat, ad Sellus castrum ad se venire praecepit: et ipsi Sarraceni munera, quae Amormuni transmiserat, ibidem praesentant. Iterum Rex ipsis Sarrenis, qui ad ipsum missi fuerant, munera dedit, et usque ad Maasiliam cum multo honore adduci praecepit. Sarreni vero navali evectone per mare redeunt ad propria. »

ويؤخذ على "موشيه جيل" Moshe Gil في كتابه المعنون بـ "تاريخ فلسطين" (١٩٦٤-١٩٩٠ م) والذي نقله من العبرية إلى الإنجليزية "إثيل برويدو" Ethel Broide

أنه تحليلاً - لرواية المؤلف المجهول المكمل لحولية فريديج - بدأت العلاقات العباسية الفرنجية في عام ٧٦٢م أي في عهدي المنصور وبين القصير " (انظر: A History of Palestine (634-1099), LON, 1992, P. 285 | don, 1992, P. 285 علماً بأنه عند مراجعتنا لحولية فريديج لاحظنا أن تلك الأحداث أدرجت تحت سنة ٧٦٨م. غارن: Frédégaire, dans R.H.G.F., T. V, P. 8. مع Moshe Gil, P. 285. كما ذكر في نفس الصفحة أن بين القصير هو جد شارلمان، وصحة ذلك أنه والده.

٨- انظر: يحيى بن سعيد الأنطاكي: "صلة كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق" - بيروت ١٩٠٩م، ص. ٥٢.

٩- "وليم الصوري" عربي فلسطيني معاصر لأحداث النصف الثاني عشر الميلادي إذ ولد في بيت المقدس سنة ١١٣٠م، وذهب لدراسة الآداب في الغرب الأوربي وعقب عودته إلى وطنه فلسطين، حظي بثقة الملك الصليبي "عموري الأول" Amaury I (١١٦٢ - ١١٧٤م) ملك مملكة بيت المقدس الصليبية، فتكفنه بتربية أبنه "بدوان" Baudouin، وكلفه أيضاً بمهمات عديدة في سفارات إلى بلاط الإمبراطور البيزنطي "مانويل الأول كومنين" Manuel I Comnène (١١٤٣ - ١١٨٠م) في سنة ١١٦٨م، وكذا إلى السدة الرسولية. وفي سنة ١١٧٤م، أصبح رئيساً لأساقفة صور، وحضر مجمع "اللاتران" المنعقد سنة ١١٧٨م، وفيه رفض الاعتراف بسيادة "هرقلوس" بطريرك بيت المقدس الذي حاول أن يدس له الاسم سنة ١١٨٤م. وفي عام ١١٨٨م حمل على عائقة الدعوة لحرب صليبية بين سكان أوروبا وتوقى حوالي عام ١١٨٤م، وألف مصادر عديدة كان من أهمها "تاريخ الأحداث التي وقعت فيما وراء البحار" (انظر: Bouillet, Dictionnaire d'Histoire et de Géographie, Paris, 1871, P. 815. واعتمد "وليم" على وثائق

ومصادر معاصرة، مما حين له الفرصة بأن يكون بارزاً في الكتابة التاريخية، حتى عند العالم الإنجليزي "ستيفن رنسمان" واحد من أعظم مؤرخي العصور الوسطى على الإطلاق. هذا إلى جانب إتقانه الكثير من اللغات وفي مقدمتها اللاتينية وفرنسية العصور الوسطى واليونانية. كذلك إتقانه اللغة العربية وإطلاعهم على مصادرها والأفادة منها. (انظر: Runciman, St., A History of the Crusades, Cambridge, 1951-1954, T.II, P. 437. انظر أيضاً: ستيفن رنسمان، "تاريخ الحروب الصليبية" نقله إلى العربية السيد الباز العربي - بيروت ١٩٦٧م - ج ١، ص ٤٧٢؛ ج ٢، ص ٧٧٢). وتعد مصنف "وليم الصوري" مصدراً بالغ الأهمية في تقصي طبيعة العلاقة بين هارون الرشيد وشارلمان إذ تحدث عن ذلك بإقاضة في الفصل الثالث من كتابه الأول المعنون "تاريخ الأحداث التي وقعت فيما وراء البحار". وقد أكد تأكيداً قاطعاً على وجود علاقات بين العاهلين، وأنها كانت قائمة على أساس من التفاهم المتبادل بينهما. وأن تلك العلاقة الوطيدة أرسى دعائمها شارلمان عن طريق استمرار سفارته ذهاباً ورجوعاً، كما أرجع ذلك إلى ود "هارون الرشيد".

١- أنكر يارنولد أن يكون شارلمان قد فاض هارون الرشيد مستنداً في رأيه هذا "على سكوت المصادر العربية والمسيحية الأخرى عند المصادر اللاتينية" (انظر: دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى - ترجمة عزيز حداد - بغداد ١٩٧٣م، ص ٢٤). وفي صفحة ١٠٣ ذكر أنه لا يوجد أي دليل للشك في صحة ما يلي: "أن رهايا شارلمان الكبير قد قاموا بزيارات وأسفار إلى دولة هارون الرشيد، كما قام رعايا الخليفة بأسفار إلى دولة شارل - أن حكومة شارل اعتمدت هذه الزيارة (العلاقات) وكأنها تبادل سفارات. ولم تعثر في المراجع الأوروبية الغربية ولا في المصادر الشرقية على أي حجة أو دليل مقنع يدعم الفرضية القائلة بأن ممثلي الحكومة والمجتمع الإسلامي قد عرفوا بوجود شارل وحكومته، أو أن سفارات قد أرسلت من الخليفة العباسي إلى شارل تناسب مقامه، أو أن الخليفة هارون الرشيد قد أحاب رعايا ملك الفرنجية. أعلماً بأن المصادر الإسلامية الشرقية منها والأندلسية قد أشارت إلى ثورة سليمان بن يقطان على أمير قرطبة واستنجاهه بشارلمان. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، القاهرة ١٣٥٧هـ، ج ٥، ص ٦٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب - تحقيق ج. س. كولان ولبيغي بروفسال - بيروت، د. ت. ج ٢، ص ٥٦، ٥٧؛ مؤلف مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم - تحقيق محمد زينهم عزب - القاهرة ١٩٩٤، ص ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩؛ النوري: نهاية الأرب في فنون الأدب - القاهرة، د. ت. ج ٢٣، ص ٣٤٨). مما يؤكد معرفة المصادر الإسلامية بشارلمان. ويبدو أن سليمان ضفيوع الرحلي - كعادته - نقل عن يارنولد الكثير إذ أورد: "لم تشر المصادر الإسلامية إلى أي نوع من الصلات بين ملوك الفرنجية وخلفاء العباسيين الأوائل، كما سكنت عن ذلك المصادر النصرانية المعاصرة في الشرق سوا. في ديار الإسلام، أو في الدولة البيزنطية" (انظر: العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجية في عهدي الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان - الرياض ١٩٨٧م، ص ٣٨). وفي بحث ثانٍ له نشر في أتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة سنة ١٩٩٩م، حصاد (٧) لم يأت بجديد في بحث بعنوان "نقد الآراء التاريخية حول علاقة الإمبراطور شارلمان بفلسطين" (انظر: العرب وأوروبا عبر العصور

ص ١٦٠. إذ أورد " أنه لا توجد أية إشارة لهذه البعثات في المصادر الإسلامية والنصرانية الشرقية، كما أنه لم يعثر على سجلات البطركية (صحتها سجلات بطاركة بيت المقدس عن تلك الفترة.. علماً بأن كل من بارتولد والرهبلي كانا قاطعين في موضوع كهذا كأنهما تفحسا كافة المصادر الإسلامية والنصرانية الغربية منها والشرقية. دون أن يعلما أن وليم الصوري الخاضع في الموضوع.

١١- " وليم الصوري": الحروب الصليبية (١٠٩٤ - ١١٨٤م). ترجمة حسن حياشي - القاهرة ١٩٩١م - ج ١، ص ٦٧.

١٢- يرى "حسين مؤنس" أن الحوليات الملكية الفرنجية ويسمبها (الأخبار الملكية) كانت مقتضبة، ولا تساعد على تحديد العلاقات بين شارلمان وهارون الرشيد. (انظر: حسين مؤنس: أثر الإسلام في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البحر المتوسط - بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية - المجلد الرابع، العدد الأول - مايو ١٩٥١م، ص ١٥٩: "تاريخ المسلمين في البحر المتوسط" - بيروت ١٩٩٣م، ص ١٢٨). وقد سبقه في ذلك مجيد خنوري الذي أورد: " أن ما جاء في (الأخبار الملكية الفرنجية) جد مقتضب ولا يشفي قليل الباحث في تعيين طبيعة تلك الصلات". (انظر: الصلات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان - بغداد ١٩٣٩م، ص ٤٤). مما يؤكد عدم رجوعهما إليها كما يتضح من بحثهما. علماً بأن تلك الحوليات أفاضت في سرد تفاصيل تلك العلاقة، وكانت المصدر الأساسي لكافة المصادر اللاتينية الأخرى وخاصة إينهارد. ١٣- أشار "عبد الجبار الجومر" إلى أن أول مؤرخ لاتيني أشار إلى تلك السفارات كان " إينهارد" (انظر: هارون الرشيد - بيروت ١٩٥٦م - ج ٢، ص ٢٨٤). دون أن يعلم بأن هناك العديد من المصادر التي سبقت إينهارد أشارت إلى تلك المعلومة، بل ولصفتها تفصيلاً، مثل الحوليات الملكية الفرنجية التي نقل عنها إينهارد بإيجاز. فاعتدلت قيمة مصدره.

١٤- ذكر "عبد الجبار الجومر" أن إسحق صحتة "إيزاك" كان يتكلم العربية والفرنسية. (انظر: هارون الرشيد، ص ٣٨٢). بينما كانت اللغة اللاتينية هي السائدة آنذاك. وفي سطر ثالث أورد أن المؤرخ الذي ضم إيزاك - سالف الذكر - انطلق من فرنسا. وصحة ذلك أنه انطلق من مملكة الفرنجة، فاسم فرنسا نتج عن تقسيم "معاهدة فردان" سنة ٨٤٣م.

١٥- إذ جاء في هذا المصدر :

«... qui Isaac Judæum, quem Imperator ante quadriennium ann. (797) ad Regem Persarum cum Lantfrido et Sigimundo miserat, reversum cum magnis muneribus nuntiaverunt. Nam Lantfridus ac Sigimundus ambo defuncti erant...».

انظر: Annales Regni Francorum, dans Recueil des Historiens des Gaules et de la France,

Paris 1869, T. V, P. 53 ; Éd. Kurze, dans M. G. H., Hannoverae, 1895, PP. 114, 116

16- Annales Regni Francorum, T. V, P. 53 ; Éd. Kurze, P. 116 ; Annales: للتفاصيل انظر: Mettenses, dans R. H. G. F., T. V, PP. 350 - 351

17- Amann, E., Histoire de l'Eglise, L'Époque Carolingienne, Paris, 1947, T. VI, P. 198 ; Kleinclausz, A., Charlemagne, Paris, 1934, P. 342

18- أخطأ سليمان ضفيدع الرحيلي حين أكد أن بطاركة بيت المقدس كانت لهم صلوات بشارلمان وكانوا يدينون بالمسيحية على المذهب الكاثوليكي. بل خلط بين بطاركة وبطاركة. (انظر : العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة في عهدي الخليفة هارون الرشيد والإمبراطور شارلمان، ص ٧٢). وقد وقع في هذا الخطأ نتيجة نقله عن مجيد خدوري (انظر: الصلات الدبلوماسية بين هارون الرشيد وشارلمان، ص ٢٠، ٣٢، ٣٣، ٤٢، ٨٠). فالأول مفرد "بطريرق" Patrice وهو من ألقاب الشرف الرفيعة في الدولة البيزنطية ولم يكن حامله وظيفة معينة، وقد أُنعم به أباطرة بيزنطة على القادة الجرمان مثل: "أدواكر" Odoacra و"ثيودريك" Théodorice. انظر: فايز نجيب إسكندر - أرمينية بين البيزنطيين والأثرياق السلاجقة - الإسكندرية ١٩٨٣م، ص ١٧٢، حاشية رقم ١١٠). أما الثاني ومفرده بطريك، فهو أكبر رجال الدين المسيحي مرتبة في الشرق، يقابله في الغرب الأوربي - الكاثوليكي "بابا" روما. أما الخطأ الثاني فقد ذكر الرحيلي وفي نفس الصفحة السابقة أن بطريك بيت المقدس كان يدين بالكاثوليكية. وصحة ذلك أنه كان يدين بالمسيحية على المذهب الأرثوذكسي وفق رأي بارتولد (انظر: دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى، ص ٦١). والملاحظ في عصورنا الحالي أن بطريك بيت المقدس يدين بالمسيحية على المذهب الكاثوليكي.

19- Annales Regni Francorum, T. V, P. 52 ; Éd. Kurze, P. 108 ; Annales Moissiac, dans R. H. G. F., T. V, P. 78

20- ترجم في كتاب "بارتولد" إلى "زخاريو". انظر: دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى، ص ٦٠. وصحة ذلك ما ذكر في المتن.

21- اعتادت المصادر الفرنجية (مثل: Éd. Kurze, Annales Regni Francorum, T. V, PP. 53,56 ; Annales Mettenses, dans R. H. G. F., T. V, P. 350 ; Annales Éginhard, P. 114, 116 ; Annales Mettenses, dans R. H. G. F., T. V, P. 350 ; Annales Éginhard, P. 47 ; Ekkéhard, Sasibus Monast. Saint-Gall, dans M. G. H. SS., T. II, P. 752 والبيزنطية مثل: Theophanes, dans R. H. G. F., T. V, P. 665. على سبيل المثال) أن تلبس الخليفة العباسي "هارون الرشيد" بلقب "ملك الفرس" Regis Persiarum. أما "وليم الصوري"، فيسميه "ملك الفارسيين" (انظر: الحروب الصليبية - ج ١، ص ٦٧). وسبب ذلك أنه حين أنتقلت الخلافة الإسلامية من دمشق في بلاد الشام إلى بغداد، تلك المدينة الداخلية الواقعة غربي آسيا، كانت بغداد آنذاك

تزال مدينة فارسية في أفكارها وثقافتها، وكانت تتجه نحو وسط آسيا والمحيط الهندي لا صوب البحر المتوسط. لذا، كان المؤرخون الأجانب أتاك على حق، في أن يلقبوا الخليفة العباسي هارون الرشيد بـ "ملك الفرنس". إذ نجد أن الشطر العريض الذي صُنِعَ في بغداد كانت القطعة التي تمثل "الملك" يطلق عليها كلمة "الشاه". (انظر: جميل نخلة: حضارة الإسلام في دار السلام - القاهرة ١٩٣٢م، ص ٢٣). إلا أن المجلدات الملكية الفرنجية تطلق عليه أيضاً اسم "هارون ملك المسلمين" Aaron Rex Sarracenorum (Annales Regni Francorum, T. V, P. 59; Éd. Kurze, P. 131 - Amarmamoli Regem Sarracenorum... - Chronique Mois... - Chronique trans. Chabot, J. B., Le Roi des Taiyayé - Paris, 1899, T. I, PP. 15-20, 23).

Eginhard, P. 47.

-٢٢-

٢٣- قام "أركولف" Arculf برحلة إلى مصر وبلاد الشام والقسطنطينية خلال القرن السابع الميلادي. وقد واجه العديد من الصعوبات خلال ارحاله إلى فلسطين لزيارة الأماكن المقدسة؛ أوضح ذلك في سرده عن رحلته تلك. (انظر: Runciman, T. I, P. 42). (انظر أيضاً: عزيز سوريال: "العلاقات بين الشرق والغرب - تجارة ثقافية صليبية"، ترجمة فليب صابر سيف - القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٢م، ص ١٣) ونفس الصفحة في الطبعة الثانية مع تغيير العنوان تحت اسم "الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب"، ترجمة فليب صابر سيف - القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٠م.

٢٤- كان "جيدوم الثاني" أميراً على أكتانيا. وفي أول الأمر شهِر السلاح في وجه شارلمان وتوكلن من استعادة اللاتجدوك من المسلمين، فكافأه شارلمان بأن عينه حاكماً على تولوز. وأنعم عليه بلقب "دوق أكتانيا". وفي عام ٨٠٨م اعتزل الحياة وترهب في "جلون" Gellone بالقرب من "لوديف" Lodève، حيث شيد ديراً في الصحراء، سُمي بدير "سان جالوم" Saint-Guilhem. وأمضى حياته في تقوى وعبادة. وتوفي في ٢٨ مايو ٨١٢م. (انظر: Bouillet, P. 813).

٢٥- الماوردي: كتاب الأحكام السلطانية، القاهرة ٩-١٩م، ص ٤٤-٤٥.

٢٦- Louis Bréhier, Les Origines des Rapports entre la France et La Syrie, Le Protectorat de Charlemagne, Chambre de Commerce de Marseille, Congrès Français de la Syrie, Sources Travaux, Fasc. II, Marseilles, 1919, PP. 28-33. والآراء والنظريات وما يتعلق بهذا الموضوع انظر: Kleinclaus, A., La Légende du Protectorat de Charlemagne sur la terre Sainte, Syrie 1926, Vol. V, PP. 211-233; Joranson, E., The Alleged Frankish Protectorate in Palestine, American Historical Review, Vol. XXXII, Jan, 1927, P. 244.

٢٧- الملاحظ أن بعض الخواريات الأخرى أوردت أن شارلمان أرسل مساعداته وجدقاته إلى مسيحي آسيا وأفريقيا، ووجعها تحت إمرة الخليفة العباسي. انظر: Annales-Laurissenses Majores, dans Pertz, T. I, P. 186; Eginhard, PP. 47-49. والمقصود هنا الشمال الأفريقي وبالتحديد القيروان. إذ أورد "وليم الصوري" أن شارلمان أرسل العون السخي إلى بلدان ما وراء البحار ومنها مصر والإسكندرية. إضافة إلى بلاد الشام وبيت المقدس وقرطبة. انظر: وليم الصوري، الحروب الصليبية، ص ٦٨. كما ذكر أن شارلمان أرسل صدقاته إلى المسيحيين الفقراء في القدس والإسكندرية والقيروان. (انظر أيضاً: Heyd, W., Histoire du Commerce du Levant au Moyen Âge, Trad. Par Furcy Raynaud, Amsterdam, 1967, T. II, 90, n.5 وكذلك: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى - ترجمة أحمد محمد رضا - ج١ - القاهرة ١٩٨٥م، ص ١٠٧ - حاشية رقم ١)؛ في حين جاء في مصنف "ب. جوث" Guth, P. أن شارلمان جمع الصلقات والتبرعات من ربوع مملكته وأرسلها إلى بلاد الشام والإسكندرية وبيت المقدس وقرطاج Carthage، كمساعدة منه للتكفل بتفقات الصرف على الكنائس والمستشفيات. انظر: Histoire de La Douce France, Paris 1968, P. 265 وفي الأقوال السابقة مبالغة واضحة، وتضخيماً لأعمال شارلمان.

٢٨- الجدير بالتسجيل أن "وليم هايد" أورد نقلاً عن "هوتفيي" (Hautefeuille, Histoire des Origines) أن شارلمان أوفد مبعوثيه إلى بيت المقدس حوالي سنة ٨٠٠م. وحين ظنوا بالقبول في بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد، رسمهما العاهل الفرنجي كأول تناصر مسيحيين يثقلونه. انظر: Heyd, T. I, P. ٨١. n. ٢). والملاحظ أن الترجمة العربية مجاهلت ترجمة هذه الحاشية. لذا، ينبغي الرجوع إلى الأصل قدر الاستطاعة بحثاً عن الدقة. كذلك استعصى علينا العثور على المصنف الذي استقى منه هايد معلوماته السالفة. والجدير بالملاحظة أن الخواريات الملكية الفرنجية أوردت أن شارلمان أوفد مبعوثاً واحداً إلى هارون الرشيد. انظر: Annales Regni Francorum, T. V, P. 52; Éd. Kurze, P. 108.

٢٩- أشار إلى النزول والراهبات مصدر بعنوان "الطريق إلى القدس ووصف الأراضي المقدسة" انظر Bernardus monachus Francus, Itinera Hierosolymitana et Descriptiones Terrae Sanctae Ed. Tobler, Molinier, A., Geneva, 1879, T. I, P. 303.

٣٠- الغريب أن عادل زيشون، في ترجمته لمصدر إينهارد، جلق على لقب ملك الفرس تعليقاً يدل على عدم إطلاعه الكافي على مصادر فرنجية وبيزنطية وغيرها. إذ أورد الآتي:

«والمواقع أن هذا اللقب الذي يطلقه إينهارد على هارون الرشيد منحير للغاية ولا يتفق إطلاقاً مع الحقائق التاريخية. بل هو وهم وقع فيه إينهارد كما وقع فيه غيره من كتاب العرب الأوربي في العصور الوسطى». انظر: إينهارد "سيرة شارلمان"، ترجمة عادل زيشون، دمشق ١٩٨٩م، ص ١٠٤ - حاشية

رقم ٣. انظر أيضاً: Eginhard, P. 47. وقد نقل إبنهارد اسم "هارون A'aron" دلالة على هارون الرشيد. من الحوليات الملكية الفرنجية. انظر: Annales Regni Francorum, P. 59; Ed. Kurze. P. 114.

٣١- ذكر عبد المنعم ماجد أن أحد هؤلاء المبعوثين كان "إبراهيم بن الأغب". انظر: العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى - بيروت ١٩٦٦م. ص ٧٤. وصحة ذلك ما أثنىءه في المثلث. أنه كان مبعوثاً من قبل "إبراهيم بن الأغب" وليس هو شخصياً.

٣٢- أنشأ إبراهيم بن الأغب "القصر القديم" على بعد ثلاثة أميال جنوب غرب القيروان. وكان حصناً للأغالبة. وانتقل إلى هذا القصر بصحبة أهله وأمواله وحرسه الخاص وجنده، وحوله إلى قاعدة عسكرية. انظر: ابن وردان: "تاريخ مملكة الأغالبة". تحقيق محمد زينهم عزب. القاهرة ١٩٨٨م. ص ٣٣-٣٤. انظر أيضاً: حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس - القاهرة ٤-٢م. ص ٩٧-٩٨.

٣٣- عن القيروان. انظر: الزهري: "كتاب الجغرافية". تحقيق محمد حاج صادق. القاهرة ١٤٠٤. ص ٩-١١٢. الحسيري: "الروض المعطار في خبر الأقطار". تحقيق إحسان عباس. بيروت ١٩٨٤م. ص ٤٨٦-٤٨٨.

٣٤- عدم ذكر كافة المصادر الإسلامية لأحداث العلاقات والسفارات القائمة بين هارون الرشيد وشارلمان. وإنكار غالبية المراجع العربية لتلك العلاقة؛ إلا أنه يتناها العجب حين يذكر عبد الجبار الجومرد دون سند مصدري إسلامي، ومكتفياً بالإشارة إلى إبنهارد دون ذكر سواه. ذكر ما لم يذكره إبنهارد عنى الإطلاق بما يؤكد عدم إطلاعهم عليه. والغريب أنه أورد تفاصيل استقبال هارون الرشيد لهذا الوفد في مجلس خاص لأرهابهم بع الإسلام، وجلاله، وأنه الخليفة، والأكثر غرابة قيامه بوصف هذا المجلس بتفاصيل تنقلنا إلى روايات ألف ليلة وليلة. إضافة إلى قيام هارون الرشيد بالتحديث إلى السفراء طويلاً؛ إلا أن الجومرد فإنه ذكر تفاصيل الحديث الدائر بينهم. كل هذه الرواية الخيالية دون ذكر مصدر إسلامي نقل عنه؛ بل إن إبنهارد - سنده الوحيد - لم يذكر كلمة عما أورده في روايته الخيالية. انظر: هارون الرشيد: ص ٣٨٢-٣٨٣.

٣٥- Annales Regni Francorum, P. 53, Éd. Kurze, P. 116; Annales Mettenses, P. 351.

٣٦- Eginhard, PP. 47-49.

٣٧- Annales Regni Francorum, P. 53, Éd. Kurze, P. 117. والملاحظ أن الحوليات الملكية الفرنجية في مجموعة مؤرخي بلاد الغال وفرنسا تذكر إن اسم القبل هو "أبو لبط" Abulabat (انظر: Annales Regni Francorum, P. 53. بينما أورده طبعة "كورز" Kurze المنقحة تحت اسم "أبو العباس" Abul Abaz).

انظر: Ed. Kurze, P. 117. وربما كان اليهودي هو الذي أطلق على القبل اسم "أبا العباس" لأنه من الاستحالة على الخليفة العباسي أن يسمي القبل باسم مؤسس الخلافة العباسية.

Annales Regni Francorum, P. 53, Éd. Kurze, P. 117. - ٣٨

<<... Trans mare in Persida propter elephantum ...>> - ٣٩

Chronico de Moissiac dans R. H. G. F., T. V, P. 80

<<... Et ea anna Perrenit elefans in Franca ...>> - ٤٠

Annales Laureshamenses, dans R. H. G. F., T. V, P. 383. ونلاحظ أن "هابد" قال إن الرشيد أهدى إلى شارلمان "أفيال عديدة". (انظر: Heyd, T. I, P. ٩٠, ٤٠٠. انظر أيضاً: الترجمة العربية: ج١، ص ١٠٦، حاشية رقم ٦). وربما أخذ هذه المعلومات عن حوليات Annales Laureshamenses وصحة ذلك ما أثبتته كل من: الحوليات الملكية الفرنجية انظر: Annales Regni Francorum, P. 53. وإينهارد ووليم الصوري الذي نقل عنه انظر: Eginhard, P. 49. انظر أيضاً: وليم الصوري: الحروب الصليبية - ج١، ص ٦٨.

٤١- أورد المسعودي في مصدره: "مروج الذهب ومعادن الجوهر: أن الأفيال في الشمال الأثريفي قد اخفت بحلول القرن السابع الهجري. انظر: مروج الذهب ومعادن الجوهر - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - بيروت ١٩٨٧ - ج١، ص ٦٠٧. والعجيب أنه يذكر ألوان اللبنة ومنها الأسود والأبيض والألق والأخضر: انظر: ص ٨.

Annales Regni Francorum, PP. 53 - 54; Éd. Kurze, P. 116; Eginhard, P. 49; Annales - ٤٢
Mettenses, P. 351. والملاحظ أن غالبية التفاصيل التي أوردها إينهارد عن السفارات المتبادلة بين هارون الرشيد وشارلمان. نقلها باختصار عن الحوليات الملكية الفرنجية. قارن في هذا الصدد أحداث ٧٩٩م.

٤٣- يؤخذ على الحوليات الملكية الفرنجية إغفالها ذكر سفارة أرسلها شارلمان إلى هارون الرشيد وذلك تحت أحداث سنة ٨٠٢م. وأنفرد إكبهارد. ونقل عنه وليم الصوري. بذكرها، رداً على السفارة التي ترأسها إسحق والذي عاد بمفرده في يوليو من سنة ٨٠٢م. بعد وفاة رقيقه. وبصحته القيل والهدايا الأخرى التي كان قد أرسلها الخليفة العباسي للإمبراطور الكارولنجي. انظر: Ekkéhard, livre des Malheurs, de Saint-Gall, dans M. G. H. SS., T. II, P. 752. أنظر أيضاً: وليم الصوري - ج١، ص ٦٧. وجاء في الرحلي " أن الرشيد هو الذي أرسل هدايا إلى شارلمان أحتوت على سائر السلع الشرقية المعروفة على سبيل المائعة ولأجل تعظيم قدر شارلمان المهدي إليه" (انظر: العلاقات السياسية، ص ٦٠. نقد الآراء التاريخية حول علاقة الإمبراطور شارلمان بفلستين، ص ١٥٨. ونقل ذلك عن هارتولد.

ص ١٤٠، ويرجعنا إلى باز تولد لم نحصل على تلامذ المعلمة. علماً بأن الصحيح ما أبتداء في القرن وهو أن شارلمان هو الذي أرسل هذه الهدايا وليس الرشيد. وكانت أصواقاً من قريزيا. انظر: Ekkéhard, T. II, P. 752.

٤٤- Ekkéhard, T. II, P. 752. انظر أيضاً، ولیم الصوري: ج١، ص ٦٧، ٦٨.

٤٥- Ekkéhard, T. II, P. 752.

٤٦- Ekkéhard, T. II, PP. 753-754. انظر أيضاً، ولیم الصوري: ج١، ص ٦٨.

٤٧- Piloti E., L'Égypte au Commencement du Quinzième siècle, Le Caire, 1950, P. 64; Cf. Heyd, T. I, PP. 91-92; T. II, P. 719; Buckler, "Harunu' Rashid and Charles the Great", Cambridge, 1930, P. 34. انظر أيضاً: هايد - ج١، ص ١٠٧، ١٠٨.

٤٨- Annales Regni Francorum, P. 56. Éd. Kurze, PP. 120-121. أكتفينا بمطابقة المصادر التالية ما يتعلق منها بسفارة "راتبيرت" Ratbertus، فقط، تحجياً للإطالة فقد أوردت حوليات متنس:

«Iterum XI Kal. Sept. eclipsis Lunæ facta est hora noctis tertia, Sole posito in V parte Virginis, et Luna in V parte Piscium. Ratbertus Missus Imperatoria, qui de Oriente revertebatur, defunctus est»

انظر: Annales Mettenses, dans R. H. G. F., T. V, P. 353 والملاحظ أن حوليات متنس نقلت حرفياً عن الحوليات الملكية الفرنجية بما فيها سفارة عبد الله والبطريك توماس الذي بعث براهين وهما جورج وفيلكس. انظر: Annales Regni Francorum, P. 56. م. Mettenses, PP. 353-354. أما الحولية الثانية وعنوانها: Annales Francorum Auctiores: فقد جئت إلى اختصار الأحداث. انظر: Annales Francorum Auctiores, T. V, PP. 25-26. وقارنه مع Annales Regni Francorum, P. 56, Éd. Kurze, PP. 123-124 ما عدا ما يتعلق بـ"راتبيرت" فقد نقلت نقلاً يكاد يكون حرفياً.

إذ أوردت:

«Iterum mense augusto XI Kal. Septemb. Eclipsis Lunæ facta hora noctis tertia, Sole posito in VI parte Virginis, et Luna in IV Piscum. Sicque ab anni superioris Septembrio usque ad anni præ sentis Septemrium, ter Luna obscurata est, et Sol semel. Ratbertus Missui Imperatoris, qui de oriente revertebatur, defunctus est.»

انظر: *Annales Francorum Auctiores*, P. 25. في حين كانت الحولية الفالفة أكثر اختصاراً فيما يتعلق
بـ "راثيرت" إذ أوردت:

«... Uno eodemque anno ter Luna obscurata est, et Sol semel; et acies miræ magnitudinis
visa. Ratbertus Missus Imperatoris, qui de Oriente revertebatur una cum Legatis
... regis Persarum, defangitur

انظر: *Annales Regni Ex. Adonis Chronico*, dans R. H. G. F., T. V, P. 322. وقارنه مع
Francorum, P. 56; Éd. Kurze, PP. 123-124. أما فيما يتعلق بمبعوث الخليفة العباسي وسبعوثي
توماس بطريك القدس فكانت الحوليات سالفة الذكر أكثر إفادة من سابقتها رغم أنها لم تشر إلى
اسماء السفراء. فارج: *Ex. Adonis Chronico*, dans R. H. G. F., T. V, P. 322. وقارنه مع: *An-*
nales Francorum Auctiores, PP. 25-26; Ed. Kurze, PP. 123-124

٤٩- الطبري: تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٦٩م - ج ٨، ص ٣٢٤.
٥٠- ابن الأثير: ج ٥، ص ١٢٧. انظر أيضاً: وديع فتحي عبد الله: العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق
الأدنى الإسلامي (٧٤١ - ٨٢٠ م / ١٢٤ - ٢٠٥ هـ) - الإسكندرية ١٩٩٠م ص ٢٠٧. حلية عبد الله
الجزيري: التنوير النبوية الإسلامية على حدود بيزنطة في العصور الوسطى - القاهرة ١٩٧٩م. ص ١٦٧؛
فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري - الكتاب الثاني في
التاريخ الحربي - القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م، ص ١٦٣.

٥١- Canard, M., *La Prise d' Héraclée et les relations entre Harun Ar- Rashid et*
l'Empereur Nicéphore, Byzantion, XXXII, Bruxelles, 1962, PP. 361-362

٥٢- أورد علي السيد علي في ترجمته لكتاب "موريس بيشوب" «... أن الساعة المثابة محمد الوقت من
خلال الكرات البلورية المتساقطة بطريقة ميكانيكية تخرج على هيئة فرسان، كل واحد منهم يدل على
ساعة معينة، وعندما يخرجون من خلال الأبواب التي تنغلق خلفهم...» (انظر: تاريخ أوروبا في
العصور الوسطى - ترجمة علي السيد علي - القاهرة ٢٠٠٤م، ص ٣٢). علماً بأن هذه الترجمة غير
دقيقة ويؤكد ذلك ما أوردته الحوليات الملكية الفرعية. انظر: *Annales Regni Francorum*, P. 56;
Ed. Kurze, PP. 123-124

٥٣- أخطأت بعض المراجع العربية في ترجمتها للمراجع الأجنبية إذ ورد فيها أن هارون الرشيد أهدى إلى
شارلمان "شمعدانات نحاسية" انظر: الرحيلي: العلاقات السياسية، ص ٥٩؛ نقد الآراء التاريخية حول
علاقة الإمبراطور شارلمان ببلسطين، ص ١٥٧؛ السيد الباز العربي: بعض معالم عهد شارلمان - المجلة
التاريخية المصرية - المجلد الثامن - القاهرة ١٩٥٩م، ص ١٤٨؛ موريس بيشوب: ص ١٣٢. والصحيح

أنهما شمعدانان. وأمثال الرحلي "أن الشمعدانات - حسب قوله- صنعت من البرونز ومحللة بقطع من الزجاج المختلف الألوان عليها صورة كسرى الأول بتاجه". وصحة ذلك أن الشمعدانين كانا من النحاس.

٥٤- يتضح مما تقدم أن هدف هارون الرشيد إظهار مدى ازدهار الحضارة الإسلامية مقارنة بالغرب من ناحية وتنشيط العلاقات التجارية بين الخلافة العباسية والإمبراطورية الكارولنجية، أو بمعنى أدق تنشيط العلاقات التجارية بين الشرق والغرب آنذاك. فتلك الهدايا كانت بمثابة عينة تجارية سيعقبها تبادلاً تجارياً نشطاً تحيي الخلافة العباسية ثماره بالانتعاش الاقتصادي هائل. ولما ١٧ فالسياسة مصلحة اقتصادية.

Annales Regni Francorum, P. 56; Ed. Kurze, PP. 120 - 121 - ٥٥

Annales Regni Francorum, P. 56; Ed. Kurze, P. 123; Éginhard, P. 44 - ٥٦

٥٧- في بارثولم والرحلي حزمة من الفظن. انظر: دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى: ص ٧٤، العلاقات السياسية بين الدولة العباسية ودولة الفرنجة: ص ٥٩.

٥٨- نلاحظ أن "هايد" ذكر أصنافاً من الهدايا تختلف عما جاء في الحوليات الملكية الفرجية، إذ أورد "أن هدايا الخليفة إلى الإمبراطور شارلمان شملت حيوانات نادرة (فيلة وقرود) وقطعاً ميكانيكية وآلات موسيقية ونجف، وأقمشة حريرية وخيمة يستأثرها وأدوية وثوابل وعطوراً (بلساً، وعطر ناردين)، انظر: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى - القاهرة ١٩٨٥ - ج١، ص ١٠٦، حاشية رقم ٦، انظر أيضاً: Heyd, Histoire du Commerce du Levant au Moyen Âge, Trad. Par Furcy, Raynaud, Amsterdam, 1967, T. II, P. 90, n. 4. ونتيجة لغرابة واختلاف نوعية الهدايا التي وردت في الترجمة العربية لمصنف "وليم هايد" رجعنا إلى النسخة الفرنسية اعتقاداً منا، كعادة الكتب المترجمة. وجود أخطاء عديدة، فلم نعتز على خطأ في الحاشية المترجمة، إذ جاء في النسخة الفرنسية: «Animaux rares (Éléphants)» أي حيوانات نادرة أقبال بدلاً من فيل واحد. «Singes» و(قرود). «Pièces Mécaniques» قطع ميكانيكية بدلاً من ساعة هندوليكية (مائية). «Instruments de Musique» أي (آلات موسيقية). «Lustres» أي نجف بدلاً من شمعدانين. «Étoffes de Soie» أي أقمشة حريرية. «Tente avec Rideaux» خيمة يستأثر، «Remèdes» أي أدوية. و«Épices et Parfums (Baume, Nard)» أي ثوابل وعطور البلسم وعطر ناردين). انظر: Heyd, T. I, P. 90, n. 4. حاشية رقم ٦، على أية حال، بعد فحص المصادر، وبعد عتنا - بالتحقق، وجدنا أن وليم هايد نقل هذه المعلومات عن سيرة القديس جال: انظر: Eickhard, P. 751 كما أن عتانا ذكر أن من بين الهدايا قرود وفيل انظر: سواقف حاسمة في تاريخ الإسلام - القاهرة ١٩٣٤ م - ١٣٢٠. والملاحظ أن الحوليات الملكية الفرجية أكتفت بذكر

فيل واحد ولم تذكر أن من بين الهدايا قروداً ولا قطعاً ميكانيكية؛ ولربما يقصد هاید الساعة المائية. كذلك ذكر هاید آلات الموسيقى وأدوية ونوابل ولحف بدلاً من شمعدانين.

٥٩- مما يذكر أن البلمس كان عظيم الأهمية بالنسبة للغرب الأوربي حتى وصل - على حد قول ابن أبياس - إنهم كانوا "يشترونه بثقله ذهباً". ويرجع سبب ذلك استخدامه في طقوس المعمودية. انظر: بدائع الزهور في وقائع الدهور - تحقيق محمد مصطفى - القاهرة ١٩٨٤ - ج ٤، ص ١٤٩.

٦٠- الجدير بالذكر أن البابا "بوليس الأول" قد سبق أن أهدي "بين القصر" أول ساعة بالتروس" شهدتها بلاد الفرنجة لأول مرة. وهذا يؤكد أن الفرنجة كانوا على علم ببعض الساعات منذ عهد بين القصر. انظر: Bouille, P. 1444.

٦١- لشدة إعجاب حاشية شارلمان بتلك الساعة الدقيقة، ظنوا إنها من سحر المسلمين آنذاك. واسم تلك الساعة "كليسيدرا" Clepsidra، ومعنى هذا الاسم "ساعة مائية". والملاحظ أن تلك الساعة كانت معروفة منذ زمن بعيد، إذ عرفها اليونان والرومان، فالفيلسوف أفلاطون الذي عاش في القرن الرابع قبل المسيح عليه السلام قام بإصلاحها حتى تدل على ساعات الليل والنهار. انظر: حسن حجاب: ساعة هارون الرشيد - مقال في المقتطف - المجلد التاسع والحسين - القاهرة ١٩٢١م - ص ٦٠٢ - ٦٠٣. ولم تعرف من أين استقى معلوماته تلك.

٦٢- جميل نخلة: ص ٢٣٠ - ٢٣١، ماجد، ص ٧٤، ٧٥. Annales Regni Francorum, P. 56; Ed. Kurze, P. 123; Eginhard, P. 44. انظر أيضاً:

٦٣- نستخلص أن الطابع الفارسي كان لا يزال غالباً في بغداد، وكذا حال المؤثرات الهندية.

٦٤- أتفرد "جميل نخلة" بذكر هذا النص الممتع الذي أبدع في وصف تلك الهدايا، ويبدو من الأسلوب أنه نقل عن مصادر إسلامية لم يذكرها، ونقل عنه حربياً - عبد المنعم ماجد في كتابه "تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب" مع إغفال بعض التفاصيل المهمة، دون الإشارة إليه. انظر: جميل نخلة المدور: حضارة الإسلام في دار السلام - القاهرة ١٩٣٢م، ص ٢٣٠، ٢٣١ وقارنه مع ماجد: ص ٧٤، ٧٥. وكذا نقل عنه إبراهيم أحمد العنوي بإيجاز أكثر. انظر: المسلمون والجرمان - القاهرة ١٩٦٠م، ص ٢٦٦ - ٢٦٧. السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى - القاهرة ١٩٥٧م، ص ٩٦ - ٩٧. والملاحظ أن المؤرخين الأجانب أيضاً نقلوا عنه. انظر: على سبيل المثال: بكلر: Buckler الذي أعد بحثاً بعنوان هارون وشارلمان. انظر: Harun' L - Rashid and Charles the Great, Cambridge, 1931, P. 25.

٦٥- Eginhard, Vita Karoli, P. 44. انظر أيضاً، ولیم الصوري: ج ١، ص ٦٨.

٦٦- Annales Regni Francorum, P. 56; Ed. Kurze, P. 123

- Eginhard, P. 47. -٦٧
- الطبري: تاريخ الرسول والملوك - ج ٢ - ص ٣٢١. -٦٨
- ول ديورانت: قصة الحضارة (عصر الإيمان) - ترجمة محمد بدران - المجلد الثامن - القاهرة - ١ - ٢٠٠٠. -٦٩
- إسحق عبيد: العصور الوسطى الأوربية (عصر القلام) - القاهرة (د . ت) . -٧٠
- Oman, Ch., The Dark Ages, 476-918, London, 1962. -٧١
- Ker, W. P., the Dark Ages, London, 1955 . -٧٢

السفارات والهدايا المتبادلة بين حكام الدولة الرسولية فى اليمن وحكام الهند والصين

تمهيد:

هذا البحث يرصد جانباً من جوانب علاقات البلاد العربية بعامة والجزيرة العربية بخاصة، مع بلاد الهند والصين وهي بلاد تتميز بأن لها وصيلاً حضارياً كبيراً فى الماضى، وثقلاً سياسياً واقتصادياً وحضورياً دولياً فى الحاضر، وهي مرشحة - وبخاصة الصين - لاحتلال مكانة أكبر وامتلان تأثير أعمق على المستوى الدولى فى المستقبل. ولهذا تكتسب دراسة جذور العلاقات مع هذه البلاد أهمية كبيرة، لأن الماضى هو أساس الحاضر وعمقه، والمستقبل هو امتداد الحاضر وثمرته، ودراسة التاريخ دراسة تحليلية عميقة هي أداة كشف الماضى، وإحدى وسائل تطوير الحاضر، ومفتاح من مفاتيح استشراف المستقبل.

والدولة الرسولية التى يعنى هذا البحث بجانب من تاريخها الدبلوماسى ممثلاً فى السفارات والهدايا المتبادلة بين حكامها وبين حكام الهند والصين، هذه الدولة حكمت اليمن مدة طويلة بلغت مائتين وأثنين وثلاثين عاماً خلال الفترة (٦٢٦ هـ - ٨٥٨ هـ / ١٢٢٩ م - ١٤٥٤ م)، ومؤسسها هو نور الدين عمر بن رسول الذى استقل بحكم اليمن عن الدولة الأيوبية واتخذ مدينة تعز عاصمة لدرته، ثم تتابع على الحكم بعده أربعة عشر سلطاناً من أبنائه وأحفاده آخرهم المسعود بن الأشرف الذى سقطت الدولة الرسولية فى عهده (٨٤٧ هـ - ٨٥٨ هـ /

١٤٤٣ م - ١٤٥٤ م (١) . بعد ان أدركها في آخر عمرها ما أدرك غيرها من عوامل الضعف والانقسام والصراع على السلطة ، وحلت محلها الدولة الطاهرية .

وتعد الدولة الرسولية من أقوى الدول التي حكمت اليمن في العصر الإسلامي الوسيط ، ومن أطولها عمرا ، وأخلدها ذكرا وأبعتها صينا ، وأوقرها ثرا ، وأكثرها تقدما حضاريا ، واستطاعت مد نفوذها على معظم أرجاء اليمن ، وقد حفل تاريخها بإنجازات كبيرة في ميادين العلم والتعليم ، والتجارة ، والزراعة ، والطب ، والعمارة ، فقد بنى سلاطينها مدارس كثيرة في أرجاء اليمن ، وشجعوا العلماء وأجزلوا لهم العطاء ، واستقدموهم من خارج اليمن ، وكان عدد من سلاطين بني رسول أنفسهم علماء وشعراء وأصحاب رأى ، ألفوا الكتب في فروع العلم المختلفة مثل التاريخ ، والطب ، والزراعة ، والبيطرة ، والفلك^(١) ، وأسروا المكتبات واستجلبوا لها الكتب من مصر والشام وغيرها .

ويذلولوا فيها الأموال الجزيلة . وقد بلغت مقتنيات مكتبة السلطان الملك المؤيد داود بن يوسف الرسولي (٦٩٦ هـ - ٧٢١ هـ / ١٢٢٦ م - ١٣٢١ م) وحدها مائة ألف مجلد^(٢) ولقد عاشت اليمن في عصر الدولة الرسولية حقبة من أزهى حقب تاريخها ، وبلغت منزلة عالية في التقدم الحضارى لم تبلغها من قبل ، ولا تزال مدينة تعز إلى يومنا هذا تتزين بمنجزات الرسولين الحضارية مثل حصن تعز وجامع المظفر ، وجامع ومدرسة الأشرفية ، وغيرها من المدارس .

والى جانب مدينة تعز العاصمة السياسية للرسوليين ، كانت مدينة زبيد مركز العلم وعاصمة الثقافة في عصرهم ، أما عدن فقد كانت مركز التجارة وعاصمة الاقتصاد ، وكان ميناء عدن في عصر الرسولين ميناءً عالميا مشهورا بعد من أبرز محطات طريق التجارة الدولية بين الشرق والغرب ، بل كان نقطة الإنقا . ومركز تبادل البضائع التجارية الترانزيت (القادمة من الهند والصين مع البضائع القادمة من أوروبا عبر بلاد مصر والشام وبضائع العالم الإسلامي ، ولذلك وصف بأنه باب الصين ، ومرفأ مراكب الهند ، وبلد التجارات^(٣) .

أما في مجال العلاقات الخارجية والاتصالات الدبلوماسية ، فقد كان للدولة الرسولية باع طويل ، وشأن رفيع ، ودائرة اتصالات دولية واسعة شملت عشرات الدول القريبة والبعيدة ، الإسلامية والأجنبية ، تبادلت معها الرسائل والهدايا ، واستقبلت السفراء ، وبعثت الرسل . وكان لها ثقل سياسي واقتصادي ، وتقدير دبلوماسي ، وحضور دولي على المستوى الإفريقي والدولي

لم تبلغه أى من الدول التى حكمت اليمن قبلها (٤). ونستطيع القول أن الدولة الرسولية تحتل مكان الصدارة فى سجل التاريخ الدبلوماسى لليمن فى العصور الإسلامية الوسطى . ولعل تتسع أخبار السفارات والهدايا المتبادلة بين حكام الدولة الرسولية وحكام بلاد بعيدة مثل الصين والهند وروسيا ، وهو موضوع بحثنا هذا خير دليل يؤكد بالوقائع التاريخية المستخلصة من بطون المصادر ما أشرنا إليه .

أولاً : السفارات والهدايا المتبادلة بين حكام الدولة الرسولية وحكام بلاد الهند أو شبه القارة الهندية بلاد واسعة تضم فى عصرنا الحاضر ثلاث دول هى الهند وباكستان وبنجلاديش . وكانت فى الفترة المعاصرة للدولة الرسولية تضم عدداً من الكيانات السياسية تعاصرت أو تعاقبت على حكم أقاليمها أبرزها : مجموعة الدول التى تعاقبت على حكم دلهي^(١) والأقاليم التى تتبعها وعرف حكامها بسلاطين دلهي ، وهى على التوالى : دولة المماليك الهندية ، والدولة الخلقية ، والدولة التغلقيه وتعد هذه الدول أقوى الدول الإسلامية التى حكمت فى الهند خلال تلك الفترة وأكثرها شهرة ، ثم مجموعة من الدول والإمارات الإسلامية التى قامت فى أقاليم أخرى من الهند منها : مملكة بنجاله ، والسند ، وكنابيه ، وبناته^(٢) ، إضافة إلى ممالك أخرى كان يحكمها غير المسلمين مثل كاليقوط ، وسيلان التى تعد من توابع الهند .

وبحكم الصلات التجارية القوية بين الهند وبلاد اليمن ، وباعتبار موانئ اليمن وبخاصة ميناء عدن الذى كان محطة السفن التجارية القادمة من الهند^(٣) ، ومركز التبادلات التجارية (تجارة إعادة التصدير) بين الشرق والغرب ، كما أنها محطة مهمة للحجاج المتوجهين إلى مكة المكرمة عن طريق البحر الأحمر ، وفى طريق عودتهم منها ، وفى المقابل كان للتجار اليمنيين مصالح كبيرة ومعاملات واتصالات مستمرة مع موانئ بلاد الهند ، لذلك كله وبحكم وجود مصالح مشتركة بين الطرفين ، حدثت اتصالات دبلوماسية وسفارات وتبادل للهدايا بين حكام الدولة الرسولية وعدد من حكام الدول المعاصرة لهم فى شبه القارة الهندية ، وتواخدت سفارات ورسول من أرجاء بلاد الهند إلى حكام بنى رسول مزودين بالهدايا النفيسة .

ففى سنة ٦٤٧ هـ - ١٢٥٠ م وصل إلى اليمن سفير من ملك الهند وتوجه إلى مدينة الجند^(٤) ، وهناك قابل السلطان نور الدين عمر بن على بن رسول (٦٢٦ هـ - ٦٤٧ هـ / ١٢٢٩ م - ١٢٥٠ م) مؤسس الدولة الرسولية . وسلم الرسالة التى كلف بإيصالها ، وقد حظى السفير بعناية السلطان فأكرمه وأنعم عليه^(٥) .

وهذه أول إشارة في المصادر التاريخية إلى وصول سفارة من الهند إلى الدولة الرسولية ، ولكن هذا لا يعنى القاطع بأنها أول سفارة قد يكون سبقها سفارة أو سفارات لم تدون المصادر أخبارها ، أو أن المصادر التي أشارت إليها لم تصل إلينا .

أما ملك الهند الذي بعث الرسالة فلم تبين المصادر اسمه ولم تحدد الدولة التي كان يحكمها ، ونرجح أنه سلطان دلهي السلطان ناصر الدين محمود شاه ، وهو أحد أبرز سلاطين دولة الماليك في الهند^(١١١) ، وقد تولى الحكم سنة ٦٤٤هـ / ١٢٤٧ م واستمر فيه حتى وفاته سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٥ م^(١١٢) .

والذي جعلنا نرجح أن المقصود بملك الهند الذي أرسل السفارة إلى اليمن هو سلطان دلهي ، أن سلطنة دلهي كانت أكبر دول الهند وأقواها في ذلك العصر ، ثم أن المصادر التاريخية اليمنية أطلقت بعد ذلك في أحداث تاريخية لاحقة لقب صاحب الهند أو ملك الهند على سلاطين دلهي ، أما الحكام الآخرين في بلاد الهند فنسبتهم إلى الأقاليم التي كانوا يحكمونها .

ويبدو أن إطلاق المؤرخين المسلمين لقب صاحب الهند أو ملك الهند على سلاطين دلهي يرجع إلى أن هؤلاء السلاطين اكتسبوا ميزة أضفوا على حكمهم صفة الشرعية حينما أرسل الخليفة العباسي المستنصر بالله (٦٢٣-٦٤٠ هـ / ١٢٢٦-١٢٤٣ م) تقليدا بحكم دولة الإسلام في الهند إلى سلطان دلهي ولقبه بـ (ناصر أمير المؤمنين) سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م ، وهذا التقليد والتأييد من الخليفة تسك به سلاطين دلهي وحرصوا على تجديده ، وبعد سقوط الخلافة العباسية في بغداد على يد المغول ، استمر سلاطين دلهي في التواصل مع الخلافة العباسية الاسمية التي ظهرت في مصر في ظل دولة الماليك ، وحرصوا على الحصول على تقليد من خلفائها^(١١٣) .

وما تجدر الإشارة إليه أيضا أن السلطنات الإسلامية التي تعاقبت على حكم دلهي في الفترة المعاصرة للرسوليين وهي (الماليك ، والخلجية ، والتغلقية) كانت حريصة على تنظيم الاتصالات والمراسلات والسفارات مع الدول الأخرى ، وكان من بين دواوين تلك الدول في دلهي ، ديوان المراسلات الذي كان يتولى المهمة ، واختصاصه وعمله يشبه ما تقوم به وزارة الخارجية في عصرنا هذا^(١١٤) .

ومهما يكن الأمر فإن أخبار السفارات والمراسلات بين حكام الهند والدولة الرسولية انقطعت

فترة طويلة حتى سنة ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م وفي هذه السنة لجد إشارة لها دلالتها فقد أرسل حاكم جزيرة سيلان^(١٤٤) سفارة إلى السلطان المملوكي قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠) تحمل كتابا ذكر فيه أنه يرغب فتح خط تجارة مباشرة مع دولة الماليك في مصر ، وقال إنه ترك مصاحبة صاحب اليمن محبة في سلطان مصر ، وبين السلع والبضائع التي تنتجها بلاده ، ومنها الجواهر والياقوت واللؤلؤ ، وأنواع القماش ، والتوابل ، وجاء في كتابه أيضا أنه على استعداد لتسيير عشرين مركبا إلى مصر كل سنة ، ولانعام هذا الأمر طلب من السلطان المملوكي أن يرسل إليه رسولا صحبة البعثة السلطانية التي وصلت إلى مصر ، كما طلب أمرا آخر وهو أن يرسل السلطان المملوكي رسولا من قبله يقيم في عدن ، وذكر في كتابه أيضا - وهو ما يهمننا هنا - أن رسول صاحب اليمن حضر في هذه السنة فردّه ولم يسلمه هدية محبة في السلطان المملوكي ورغبة في أن يكون تواصله معه وهداياهم إليه^(١٤٥) .

والذي يفهم من هذا الحيز أن السلطان المظفر الرسولي (٦٤٧-٦٩٤ هـ / ١٢٥٠-١٢٩٥ م) ثانی حکام دولة بنی رسول قد أرسل سفارة إلى حاکم سيلان في عام ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م . وأن موقف حاکم سيلان لم يكن إيجابيا ، بل مضمون الحيز يوحى بما هو أكثر من هذا فقيه إشارة ضمنية إلى أن وصول رسول من صاحب اليمن إلى سيلان لاستلام هدايا حدث قبل ذلك في سنوات سابقة ، والمختلف في هذه السنة أن حاکم سيلان رده ولم يسلمه هدية للأسباب التي ذكرها .

أما عن أسباب رغبة حاکم سيلان في ترك مصاحبة صاحب اليمن - كما يقول - وسعيه لفتح خط تواصل وتجارة مباشرة مع السلطان المملوكي ، فلعلها ترجع إلى توتر العلاقات بين الطرفين بسبب الرسول والفضرائب الكبيرة التي كان يفرضها الرسوليون على المتاجر التي تصل من سيلان ومن بلاد الهند عامة ، والتعسف في امتيقاتها ، وسوء معاملة التجار من قبل السلطات الرسولية التي كانت تتولى إدارة ميناء عدن^(١٤٦) .

أما طلب حاکم سيلان من السلطان المملوكي أن يرسل رسولا من قبله يقيم في عدن ، فهل يدل على أن المراكب التجارية القادمة من سيلان وبلاد الهند عامة لم يكن تقديرها في تلك الفترة اجتياز خليج عدن وباب المندب ، وتجاوز الموانئ اليمنية إلا بواقفة الدولة الرسولية ، ولهذا طلب حاکم سيلان أن يتولى المملوكي هذا الأمر لما تتمتع به دولة الماليك من مكانة .

على أي حال فإن هذه المحاولة من قبل حاكم سيلان للتواصل التجاري المباشر مع دولة الماليك في مصر على حساب الدولة الرسولية لم تنجح ، واستمرت المراكب التجارية القادمة من الهند وبلاد الشرق تتوقف في عدن^(١٤١).

ومرة أخرى انقطعت أخبار السفارات والمراسلات بين حكام بلاد الهند وحكام الدولة الرسولية فترة طويلة حتى سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م وفيها وصل رسول من (كتيابة)^(١٤٢) ، ورسول من ملك السند^(١٤٣) ، وكان كل منهما يحمل الهدايا والتحف للسلطان الرسولي الأفضل ابن عباس بن المجاهد (٧٦٤-٧٧٨هـ / ١٦٢-١٣٨٦م) ويقفهم من الخير أنهما قدما معا في التاريخ نفسه ، وكان من ضمن الهدايا التي أحضراها غرمامات من شجر اللؤلؤ الأحمر والأصفر والأزرق^(١٤٤).

وفي سنة ٧٦٩هـ / ١٦٦م وصل رسول ملك الهند ومعه الهدايا والتحف من الأشجار الفاخرة والملابس الحسنة الباهرة^(١٤٥).

ولم يبين المصدر من هو ملك الهند الذي بعث هذا السفير وهذه الهدية إلى السلطان الأفضل الرسولي ، فالهند كانت تقوم فيها عدة دول في ذلك التاريخ ، ويبدو أن المراد السلطان فيروز شاه التغلق سلطان دهلي الذي حكم الدولة التغلقية من سنة ٧٥٢هـ / ١٣٥١م حتى وفاته سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م^(١٤٦).

وفي سنة ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م وصلت هدية من صاحب كاليقوت^(١٤٧) إلى السلطان الأفضل الرسولي ، وكان ضمن ما حوته تحف غريبة ، وشئ كثير من غرائب الأشجار والطيور ، وقد أمر السلطان الأفضل بغرس الأشجار ، فغرس في أحد البساتين^(١٤٨).

وتكرار وصول أنواع من الأشجار ضمن هدايا حكام الهند لسلاطين بني رسول ، وذلك يؤكد ما عرف عن الدولة الرسولية من عناية بالزراعة وحرص على تطويرها وإدخال محاصيل وأشجار جديدة إليها .

وفي عهد السلطان الأشرف إسماعيل بن الأفضل (٧٧٨-٨٠٣هـ / ١٣٧٦-١٤٠٠م) وصلت عدة سفارات من أرجاء الهند ، ففي الخامس عشر من ربيع الآخر سنة ٧٧٩هـ / ٢٨ أغسطس ١٣٧٧م وصلت سفارة من صاحب الهند ومعه هدية تحتوي تحفا جلييلة وأشيا - نفيسة^(١٤٩).

وفي شهر جمادى الأولى من السنة التالية ٧٨٠هـ / سبتمبر ١٣٧٨م بعث السلطان الأشرف

سفارة مكونة من عدة أشخاص برئاسة القاضي بدر الدين حسن العجمي إلى ملك الهند صاحب دلي^(٣٦) (دهلي).

وصاحب دهلي في هذا التاريخ كان هو السلطان فيروز شاه تغلقى ويبدو أن هذه السفارة كانت ردا على السفارة التي قدمت من الهند في السنة السابقة ، وقد عرف عن السلطان فيروز شاه عنايته بالتنظيم والإصلاح في دولته ، ومن ذلك تنظيم شؤون التجارة^(٣٧) ولعل سفارته وهداياه إلى الدولة الرسولية جاءت في هذا الإطار ، بغرض توسيع دائرة التبادل التجاري مع اليمن والحصول على تسهيلات لتجار الهند في الموانئ اليمنية .

وفي شهر ذي الحجة من سنة ٧٨٣هـ / مارس ١٣٨٢م وصلت إلى السلطان الأشرف هدية من صاحب بنجاله^(٣٨) في الهند «فيها محف كثيرة من الدرر^(٣٩) متحدثة فصيحة^(٤٠) ذات ألوان غريبة ، وقماش ، وثياب رقيقة ، ومطعمات وملوحات مفتخرة»^(٤١) .

وصاحب بنجاله في التاريخ المشار إليه هو السلطان إسكندر شاه بن إلياس شاه ، تانى حكام أسرة إلياس شاه في بلاد البنغال (بنجاله) وكانت فترة حكمه من سنة ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م حتى سنة ٧٩١هـ / ١٣٩٠م^(٤٢) .

وفي السنة نفسها وصلت هدية من صاحب تانه في الهند^(٤٣) ، وتانه تقع في إقليم كجرات على الساحل الشمالي الغربي للهند ، وكانت قد ظهرت فيها إمارة إسلامية مستقلة بعد أن ضعفت الدولة التغلقية وخرجت بعض الأقاليم عن سيادتها ومنها إقليم كجرات^(٤٤) ، وكانت تربط هذا الإقليم صلات تجارية قوية ببلاد اليمن في ذلك العصر .

وفي شهر ربيع الآخر من سنة ٧٩٣هـ مارس ١٣٩١م وصلت هدية أخرى من صاحب بنجاله فيها من أنواع التحف ، والظفر ، والظيور ، والأفيال الملبسة بأنواع السندس^(٤٥) ، ولم يشر المصدر إلى الوفد الذي حمل هذه الهدية ولا يد أنه وفد كبير فالهدية تضم أفيالا ضخمة وطيورا وغيرها وكلها تحتاج رعاية وجهد في نقلها^(٤٦) .

أما صاحب بنجاله في التاريخ المشار إليه فهو السلطان غياث الدين أعظم شاه بن اسكندر شاه ابن إلياس شاه ، ويعد من أبرز حكام بنجاله كانت له عناية بالخرمين الشريفين ، ومكة والمدينة المنورة ، وأنشأ في كل منها مدرسة نسبت إليه عرفت بالمدرسة الغياثية البنجالية ، ووقف عليهما أوقافا كثيرة^(٤٧) .

ولاتتوفر لدينا معلومات عن أغراض هذه السفارات والاتصالات من جانب حكام إقليم بنجاله بالدولة الرسولية ، ولعلها تهدف إلى تعزيز الصلات التجارية ، وقد يكون من أغراضها أيضا تسهيل أمور حجاج بنجاله الذين يتوجهون إلى مكة عبر الموانئ اليمنية ، أو السعى لاعفاء ما يرسل إلى الحرمين من صدقات عينية وهدايا وأموال من الضرائب والعشور في موانئ اليمن . فقد عرف عن أسرة إلياس الحاكمة في بنجاله إرسال صدقات عينية وأموال توزع على فقراء مكة والمدينة ، وأعطيت للعاملين في الحرمين ، وهدايا لأشراف مكة^(١٣٨) .

وفي شهر رمضان من سنة ٧٩٥هـ / يوليو ١٩٢م وصل إلى اليمن وفد من كاليقوت يمثل المسلمين من أهلها والتجار المقيمين بها ، ومعهم كتاب حرره قاضي كاليقوت يطلبون فيه الأذن لهم بإقامة الخطبة للسلطان الرسولي الملك الأشرف في مدينتهم وفي إحدى عشرة بلدة أخرى تابعة لها في إقليم ملبار .

وقد استقبل السلطان الأشرف هذا الوفد ورحب بهم وقبل ما عرضوه بشأن الخطبة له في مساجد بلادهم ، وأنعم عليهم إنعاما تاما وأكرمهم ، وخص القاضى بهدية سنوية^(١٣٩) .

وقد أورد الخزرجي نص هذا الكتاب وهو كتاب طويل يقع في نحو ثلاث صفحات ، وما جا فيه : « من الملوك الأصغر والمحب الأكبر قاضى بلدة كاليقوت وجماعة رؤسها » ثم افتتح الكتاب بدعاء طويل للسلطان الرسولى وثناء عليه بعبارات أدبية مسجوعة ، وبعدها قال : « وينهى إلى علمه الشريف ورأيه المنيف ، بعد تقبيل تراب الحضرة العالية ، والدعاء لامتداد دولته القاصية ، أن جماعة بلدة كاليقوت منهم التجار الكرام والبدور العظام التمسوا من الداعى أن يشرف المنبر يذكر ألقاب مولانا السلطان الأعظم ... » ، وذكر أن خطباء إحدى عشرة بلدة أخرى طلبوا مثل ذلك أيضا^(١٤٠) . وأشار إلى جماعات من بلاد أخرى ، مثل : بنجاله وهرموز^(١٤١) وسومطرة^(١٤٢) ، طلبوا أن يخطب لسلطين بلادهم ويذلو الأموال لذلك لكن جماعة بلدة كاليقوت آثرت أن تكون الخطبة على منابر بلادهم للسلطان السيد الملك الأشرف ثم سرد أسماء عدد من أعيان كاليقوت ومحارها الذين طلبوا منه الكتابة للسلطان الرسولى^(١٤٣) .

أما عن أسباب رغبة قاضى بلدة كاليقوت وأعيانها والتجار المقيمين بها وبالبلاد التابعة لها الخطبة للسلطان الرسولى وتفضيله على غيره فلعله يرجع إلى أمور منها :

١- الصلات التجارية القوية التي تربط كاليقوت بـ عدن ، فمعظم المراكب التجارية التي كانت تنقل المتاجر بين الشرق والغرب كانت في ذلك العصر تنطلق من كاليقوت إلى عدن والعكس .

٢- تأثير التجار اليمنيين المقيمين في كاليقوت بصفة دائمة أو الذين ينتقلون بين كاليقوت وعدن.

- يبدو أن حاكم كاليقوت وتجارها قدروا أن هذا الأمر سوف يسهم في كسب مزيد من ود السلطات الرسولية ، وبالتالي الحصول على امتيازات تجارية وتسهيلات أكبر في الموانئ اليمنية.

ومهما يكن الأمر فإن هذا الطلب يدل على المكانة الرفيعة والمنزلة العالية التي حظيت بها الدولة الرسولية لدى المسلمين من أهل الهند والمقيمين بها من التجار العرب والمسلمين وبخاصة في إقليم ملبار المشهور بقناه وكثرة منتجاته .

كما أنه يدل على قوة الصلات وحسن العلاقات بين مملكة كاليقوت والدولة الرسولية على السويين الرسمي والشعبي فهذا الوجد وهذا العرض من أعيان كاليقوت المسلمين وتجارها لا بد أنه تم بموافقة حاكمها ، فلا يمكن أن يشاهد بسطان دولة أخرى على منابر مساجد كاليقوت والبلاد التابعة لها دون موافقة الحاكم ورضاه .

وفي شهر رمضان سنة ٧٩٨هـ / يونيو ١٩٦م وصل إلى بلاط السلطان الأشرف إسماعيل الرسولي ولد سلطان دهلي قارًا من الهند خرفًا من عمه الذي سبق أن التزح الحكم من والده ، فيما يمكن أن نعدده لجوءًا سياسيًا ، وقد بين المؤرخ المعاصر لهذه الأحداث أبو الحسن الخزرجي هذا الأمر بقوله : « وفي أثناء شهر رمضان المذكور وصل إلى باب السلطان ولد سلطان دلي^(١٤١) ، فأكرمه السلطان إكرامًا حسنًا وكساه كسوة حسنة . وقاد له رأسًا من جياذ الخيل كاملة العدة والآلة وذهب له أربعة آلاف درهم ، ولأنسه من نفسه أنسا تاما ، وكان يحضر مجلسه في كل ليلة من شهر رمضان أسوة بالجماعة المنسوبين لذلك ، وكان اسمه كرجر شاه بن طغر خان بن فيروز شاه سلطان الهند ، وكان لفيروز شاه المذكور عدة أولاد ، فلما توفي^(١٤٢) ذلك السلطان ولي الملك منهم طغر خان والد هذا الولد المذكور فأقام طغر خان في الملك أياما ثم تنازعه أحد إخوته وقتله وقتل عدة من أولاده واستولى على الملك ، وكان هذا الولد يومئذ صغيرا ولم يعلم به فلما شب خشي على نفسه فخرج من الهند وأعمالها إلى اليمن^(١٤٣) .

ولا تتوافر لدينا معلومات عن هذا الأمير الهندي التغلقي ، هل بقي في اليمن أم عاد إلى

الهند ولكن ما بهننا هنا دلالة لجوته إلى الدولة الرسولية في اليمن ، فهذا الأمر يؤكد ما سبق أن أشرنا إليه من مكانة عالية وشهرة عالمية واسعة لهذه الدولة ، كما أنه يدل على قوة الصلات التي تربطها ببلاد الهند .

وإضافة إلى حكام دول شبه القارة الهندية فإن حاكم جزيرة سيلان التي تعد من توابع الهند ، حرص هو الآخر على توطيد علاقاته مع الدولة الرسولية فأرسل سفارة إلى السلطان الأشرف الرسولي ومعها هدية جلييلة ، ووصل السفير ومرافقه وما يحمله من رسالة وهدية ، واستقبله السلطان في بلاطه في السادس عشر من شعبان سنة ٨٠٠ هـ / الحادي عشر من مايو ١٣٩٨م ورحب به وأكرمه ، واسلم رسالة حاكم سيلان وكانت مكتوبة على ورقة من الذهب الخالص ، وتضمنت بياناً بالهدية المرسله التي كان من حملتها : أربعة أفيال ، ونحف كثيرة ، وشتلات أشجار فاكهة^(٤٧) .

وقد أنعم السلطان الأشرف على سفير حاكم سيلان بكسوة فاخرة ، وأدخله إلى اصطبل خيوله فانتقى منها خمسة رؤوس من جياذ الخيل^(٤٨) .

ولا نعلم هل هذه الخيول هدية (منحة) خاصة للسفير ، أما أنها جزء من هدية لحاكم سيلان رداً على هديته المشار إليها وترجع أنها جزء من هدية لحاكم سيلان ، فهذه الخيول الخمسة الأصيلة مقابل الأفيال الأربعة التي تضمنتها هديته ، وإن صح هذا التقدير فهو يعنى أن السلطان الرسولي رد بارسال هدية لحاكم سيلان إما مع سفير سيلان نفسه ، أو مع سفارة رسولية توجّهت إلى سيلان لهذا الغرض كما تقضى الأعراف الدبلوماسية .

ومهما يكن الأمر فقد ذكر الخزرجي أن السلطان الأشرف أقام مأدبة في شهر رمضان سنة ٨٠٠ هـ / يونيو ١٣٩٨م حضرها رجوه أهل دولته ، كما حضرها السفراء من سائر الجهات : سفير صاحب مصر ، وسفير صاحب الهند وسفير صاحب مكة^(٤٩) .

وسفير صاحب الهند المشار إليه لا تتوافر عنه معلومات عنا هذه الإشارة لذلك لا يمكن القطع بهويته والجهة التي يمثلها ، فقد يكون هو نفسه سفير حاكم سيلان الذي وصل إلى بلاط السلطان في شهر شعبان ، ويكون الخزرجي قد أطلق عليه لقب سفير صاحب الهند تجاوزاً وقد يكون سفيراً للدولة التغلقية التي تحكم دهلِي وما يتبعها ، والتي درجت المصادر اليمنية على وصف حكامها بصاحب الهند ولعل هذا الاحتمال هو الأرجح فيما يظهر .

وبعد ذلك بستين وبالتحديد في السابع من شعبان سنة ٨٠٢ هـ / الحادى عشر من أبريل سنة ١٤٠٠م «وصلت هدية من صاحب الهند، ووصل سفير السلطان وهو الذى يسمى مفلح التركى»^{١٥١}.

ومرة أخرى لم يبين المصدر من صاحب الهند . ولعل المراد سلطان الدولة التقلبية فى دهلئ محمود شاه الثانى^{١٥١}، أما الإشارة الأخرى فى النص وهى وصول سفير السلطان مفلح التركى، فهى غير واضحة الدلالة أيضا ، فقد يكون المراد أنه هو الذى أحضر الهدية عن الهند ، ومعنى هذا أن مفلح التركى سبق أن سافر إلى الهند فى سفارة رسولية لم نشر المصادر إليها وما يعزز هذا الاحتمال أن مفلح التركى أرسل بعد ذلك فى سفارات إلى مصر ، ومكة المكرمة وأحضر فى طريق عودته هدايا من حكامها للسلطان الرسولى^{١٥٢}.

أما الاحتمال الآخر فهو أن يكون المراد أن مفلح التركى وصل من عدن إلى مقر السلطان فى تعز مرافقا للسفير المرسل من الهند ، تقديرا له ولحمايته وما يحمله من هدايا فى طريقه من الميناء إلى بلاط السلطان ، وهى مسافة طويلة تحتاج إلى مرافقين يعرفون الطريق ، ويوفرون الحماية .

وبعد هذه السفارة تصمت المصادر عن ذكر أخبار السفارات والهدايا المتبادلة مع حكام الهند مدة طويلة حتى سنة ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤م وفيها وصلت هدية للسلطان الناصر أحمد بن الأشرف الرسولى (٨٠٣-٨٢٧ هـ / ١٤٠٠-١٤٢٤م) من صاحب كتيابة بالهند ، وما حوته هذه الهدية جملة من التحف ، والأطياب ، والبز الفاخر ، والفرش ، والحريز وغير ذلك^{١٥٣}.

وأما الرسول الذى كلفه حاكم كتيابة بإيصال هذه الهدية فيدعى الناخوة^{١٥٤} «ناصه» ، وبعد وصوله إلى ميناء عدن رافقه القاضى شرف الدين إسماعيل بن عبد الله العلوى إلى حصن الفص^{١٥٥} حيث كان يقيم السلطان الناصر الرسولى فى ذلك التاريخ ، وكان وصولهما إلى الحصن ومقابلة السلطان وتسليم الهدية يوم الأربعاء الخامس والعشرين من جمادى الأولى سنة ٨٢٧ هـ م الثالث من ماير سنة ١٤٢٤م^{١٥٦}.

وتقطع بعد ذلك أخبار السفارات والهدايا المتبادلة مع حكام بلاد الهند حتى نهاية الدولة الرسولية سنة ٨٥٨ هـ / ١٤٥٤م ، ولا نعلم هل هذه الاتصالات توقفت أم أن أخبارها لم تصلنا ؟ لكننا نعلم أن الدولة الرسولية دخلت فى هذه الفترة مرحلة الضعف والاضطراب ، وكثرت فيها

الفتن والثورات والتخردات ، ولعل هذا أدى إلى انشغال حكامها بالشأن الداخلي وانحسار صلاتهم الخارجية .

وتنظرة فاحصة لهذه السفارات والهدايا التي وصلت إلى حكام الدولة الرسولية من نظرائهم في الهند من حيث تتابعها زمنيا ، وتوزيعها مكانيا على الدول والكيانات السياسية المعاصرة للدولة الرسولية في شبه القارة الهندية . والأغراض التي قدمت من أجلها تلك السفارات ، ومضمون الرسائل التي حملتها ، ونوع الهدايا المقدمة تخرج بما يلي :

أولاً : من حيث التتابع الزمني نجد أن الدولة الرسولية مضى على قيامها عشرون عامًا لم يذكر فيها أخبار عن سفارات وهدايا وردت من الهند أو أرسلت إليها ، وأول سفارة وصلت إلى الدولة الرسولية من الهند كانت سنة ٦٤٧هـ / ١٢٥٠م . ثم تقطع الاخير فترة طويلة حتى سنة ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م التي ورد فيها إشارة تفيد إرسال رسول إلى حاكم سيلان وتقطع الأخبار مرة أخرى فترة طويلة جدا بلغت سنة وثمانين عامًا لتظهر من جديد سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م والواقع أننا لا نجد تفسيراً لهذا الأمر . وبخاصة إذا علمنا أن النشاط التجاري وحركة الملاحة بين موانئ الهند وموانئ اليمن وعلى رأسها ميناء عدن كانت قوية ومتواصلة خلال تلك الفترة . والتجارة عامل ارتباط وتواصل ، ولعل السفارات والهدايا المتبادلة كانت موجودة لكن أخبارها لم تدون ، أو لم تصلنا .

بعد ذلك وخلال الفترة من سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م حتى سنة ٨٠٢هـ / ١٤٠٠م نجد أن وصول السفارات والهدايا والوفود من الهند إلى اليمن مر بمرحلة نشطة فقد وفد إلى اليمن اثنتا عشر سفارة خلال هذه الفترة التي لا تزيد عن أربعة وثلاثين عامًا ، أي أن هذه الفترة شهدت نشاطاً كبيراً قياسياً بما قبلها وأيضاً ما بعدها ذلك أن أخبار السفارات انقطعت مرة أخرى سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٤م ، ثم غابت تماماً حتى نهاية عصر الدولة الرسولية في اليمن سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤ .

ثانياً : من حيث التوزيع المكاني ، نجد أن السفارات والهدايا وردت عن ثمان دول وإمارات في الهند هي : دولة المطليح في دلهي وورد منها سفارة واحدة ، والدولة التغلقية في دلهي وورد منها أربع سفارات^{١١١} ، ومملكة بنجاله وورد منها سفارتان ، ومملكة كاليقوت وورد منها سفارتان إضافة إلى وفد يمثل مسلمي تلك البلاد . ومملكة كنيابة وورد منها سفارتان ، أما ممالك كل من سيلان ، والسند ، وتانه فقد ورد كل منها سفارة واحدة .

ثالثاً : يلاحظ أن أخبار السفارات والهدايا المرسلّة من حكام الدولة الرسولية في اليمن إلى حكام دول الهند قليلة جداً ، ويبدو إلى أن السبب يرجع إلى أن أخبارها لم تدون ، وليس لأنها لم تحدث بالفعل ، ذلك لأنه وفقاً للأعراف الدبلوماسية في التعامل بين الحكام والدول ، فكل سفارة أو هدية ترد من دولة أو حاكم ينبغي أن يرد عليها الطرف الآخر ، وبالتالي يتوقع أن يكون عدد السفارات والهدايا اليمنية المرسلّة إلى بلاد الهند مساوياً أو مقارباً للسفارات والهدايا الواردة إليها من تلك البلاد .

رابعاً : فيما يتعلق بأغراض السفارات ، ومضمون الرسائل التي حملها السفراء ، يلاحظ أن المصادر لا تقدمنا بمعلومات عنها في أغلب الأحيان ، وهذا أفقدنا معلومات مهمة ، وجعل الأمر مجالاً للاستنتاج والتقدير بنا ، على طبيعة العلاقات والمصالح المشتركة بين الطرفين .

ومثل ذلك ما يتعلق بأسماء رؤساء البعثات والرسول فقد أغفلتها المصادر في أغلب الحالات ، مع أنها أيضاً من الأمور المهمة في تدوين التاريخ الدبلوماسي .

خامساً : فيما يتصل بنوع الهدايا التي قدمت من حكام بلاد الهند إلى حكام الدولة الرسولية ، فإن المصادر أوردت معلومات جيدة عنها وبينت في أغلب الأحيان ما تضمنته الهدية ، وينظره شاملة نجد أن تلك الهدايا تتكون في الجملة من :

- شتلات أشجار مثل اللؤلؤ والورد ، وأنواع الفواكه .
- حيوانات أبرزها الفيلة .
- ظيور أبرزها البيغاوات المحدثّة ذات الألوان الزاهية .
- مخف (لم تحدد) ويبدو أنه يدخل تحتها أنواع عديدة .
- ملابس وأقمشة فاخرة .
- عطور وأطياب فاخرة .

أما الهدايا المرسلّة من حكام الدولة الرسولية إلى نظرائهم في دول الهند فلم يرد في المصادر معلومات عن ما تضمنته ، ويتوقع قياساً على الهدايا التي أرسلت من الرسولين إلى حكام

بلاد أخرى مثل مصر والصين ، أن يكون أبرز ما فيها المنتجات التي تشتهر بها اليمن والمناطق القريبة منها مثل الخيول العربية الأصيلة ، واللبان ، والعطور ، والأحجار الكريمة والحلى ، والتحف الزجاجية والمعدنية، وشتلات الأشجار التي تشتهر بها اليمن ولا توجد في البلاد المرسل إليها ، وبعض الحيوانات الفطرية مثل المها العربي ، والصقور المدية .

ثانيا : السفارات والهدايا المتبادلة بين حكام الدولة الرسولية وبين حكام الصين :

الصلات التجارية بين الجزيرة العربية وبلاد الصين قديمة ترجع إلى عصور ما قبل الإسلام ، ولما ظهر الإسلام وقامت دولته وتوسعت رقعتها ، وأصبحت قوة عالمية ، اتسعت دائرة الاتصالات بين العرب وبلاد الصين وتعددت مجالاتها . خاصة بعد أن وصلت الفتوحات الإسلامية إلى حدود بلاد الصين ، وأصبحت الصين دولة مجاورة للدولة الإسلامية ، تجمعها حدود مشتركة ، وترتبط بينهما مقتضيات حسن الجوار ، والمصالح المتبادلة .

وقد بدأت الاتصالات الدبلوماسية بين المسلمين وبلاد الصين ممثلة في السفارات والهدايا المتبادلة في وقت مبكر ، وأول خير يطمأن إلى صحته في هذا الشأن يرجع إلى عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضی الله عنه صادر التاريخية الصينية تشير إلى وصول وفد من العرب المسلمين إلى عاصمة بلاد الصين في السنة الثانية من فترة حكم (يونغ - هوى) وهي توافق سنة ٣٠ هـ / ٦٥١ م . وتقول هذه المصادر : «إن الوفد القادم من أرض بعيدة جدا نقل إلى الامبراطور أنباء جزيرة العرب التي شهدت ظهور نبي بعثه الله بين العرب داعيا إلى التوحيد » . وتذكر أيضا أن الوفد أبلغ الامبراطور أن ملكهم بلقب أمير المؤمنين ، وأنه منذ تأسست حكومتهم تولى الملك ثلاث ملوك^{١٤٨} .

وقد يكون هذا الوفد سفارة رسمية تحركت من الخليفة عثمان بن عفان ، وقد يكون من قبل أحد قادة المسلمين أو ولايتهم في المناطق التي وصلتها جيوش المسلمين في آسيا الوسطى في ذلك التاريخ^{١٤٩} .

ومهما يكن الأمر فقد تتابعت السفارات والبعثات بعد ذلك في العصر الأموي ، ثم في العصر العباسي ، ويذكر المؤرخ الصيني (ذانغ - هو) اعتمادا على السجلات التاريخية للأسر الصينية الحاكمة أن عدد السفارات والبعثات التي وصلت إلى الصين من بلاد اتا - شي ()

أى العرب) بلغ تسعا وثلاثين سفارة خلال الفترة من سنة ٦٥١-٧٩٨ م (٢-١٨٢ هـ) أثناء حكم أسرة (تانغ) الصينية^(١١) أما خلال الفترة من ٩٢٤-٧٠٧ م (٣١٢-٦٠٤ هـ) فقد بلغ ثلاثين سفارة^(١٢) .

هذا عن بداية الاتصالات الدبلوماسية مع مركز الخلافة الإسلامية وتطورها ، أما بالنسبة لبلاد اليمن بصفة خاصة فقد كان لها صلات تجارية قوية مع الصين ، وكان لموقع اليمن على طريق التجارة الدولي الذي يربط الشرق بالغرب المعروف بطريق التوابل أثر كبير في هذا الأمر ، فموانئ اليمن وبخاصة ميناء عدن كانت إحدى أهم محطات هذا الطريق ، وكانت السفن التجارية القادمة من الصين تلقى مراسيها في ميناء عدن باعتباره آخر محطة في رحلة ذهابها ، وهناك تفرغ بضاعتها من البضائع والسلع الصينية ، وتستبدلها بأخرى من بضائع أوروبا الواردة عبر البحر الأحمر ، ومنتجات بلاد اليمن ومصر والشام وشرق أفريقيا ، فعُدن كانت من أكبر مراكز تجارة المبادلات وإعادة التصدير (الترانزيت) في تلك الفترة ، وقد وصفها المقدسي بأنها : « دهليز الصين ومعين التجارات »^(١٣) ، أما بن خردادبة فذكر أنها من المرافق العظام وأن بها متاع السند والهند والصين والزرنج والحيشة وفارس والبصرة وجدة^(١٤) ، وذكر القلقشندي أن المراكب ترد إليها من الحجاز والسند والهند والصين والحيشة ، ويختار أهل كل إقليم منها ما يحتاج إليه إقليمهم من البضائع^(١٥) .

أما عن الاتصالات الدبلوماسية والسفارات المتبادلة بين الدول التي ظهرت في اليمن وبلاد الصين - كما هو معلوم - من أوائل الأقاليم التي انفصلت عن مركز الخلافة ، وقامت فيها دول إقليمية تعاقبت على حكمها منها : دولة بني زياد ، ودولة بني نجاح ، ودولة بني زريع ، والدولة الصليحية ، والدولة الأيوبية^(١٦) ، ثم دولة بني رسول ، وعندما نتتبع أخبار الاتصالات الدبلوماسية وتبادل السفارات والهدايا بين حكام هذه الدول وحكام الصين ، فإننا لا نجد عنها أخبارا قبل عصر الدولة الرسولية ، ومع أن التواصل التجاري مع الصين كان موجودا في عصر تلك الدول ، والتجارة عامل ارتباط وتواصل .

وترجع أول معلومات وصلتنا عن الاتصالات الدبلوماسية وتبادل السفارات والهدايا مع حكام الصين إلى عصر الدولة الرسولية الذي امتد خلال الفترة من ٦٢٦ هـ - ٨٥٨ هـ / ٢٢٢٩ م / ١٤٥٤ م ، وقد تعاقب على حكم الصين خلال تلك الفترة ثلاث أسر تعاصرت مع الدولة الرسولية هي أسرة

سونغ (٩٦٠-١٢٧٨ م / ٣٤٩-٦٧٧ هـ) وأسرة يوان (المغولية) (١٢٧٨-١٣٦٨ م / ٦٧٧-٧٧٧ هـ)
 و أسرة مينغ (١٣٦٨-١٦٤٤ م / ٧٧٠-١٠٥٤ هـ) .

وتجاوز حكم أسرة سونغ التي حكمت الصين فترة طويلة ثلاثة قرون ، وكانت في آخر سنوات عمرها حين قامت الدولة الرسولية في اليمن ، ورغم أنها تعاصرت مع الدولة الرسولية مدة بلغت نحو خمسين عاما إلا أنه لم يرد في المصادر ما يشير إلى وجود اتصالات دبلوماسية وتبادل للسفارات والهدايا بينهما . والمعروف أن أسرة سونغ كانت خلال تلك الفترة تعيش حالة ضعف ، إضافة إلى اشتغالها بالخطر المغولي الناهم الذي زحف نحو أراضيها بعد اجتياح المغول لشمال الصين ، ثم استمر توغلهم جنوبا على حساب أراضي دولة سونغ ، وانتزاعهم ولاياتها واحدة تلو الأخرى ، حتى تمكنوا من إسقاطها والسيطرة التامة على بلاد الصين^(١٦٦) .

وبعد أسرة سونغ حكمت الصين أسرة يوان المغولية ، ومؤسس هذه الأسرة هو القائد المغولي قوبلاي بن تولوي بن جنكيز خان ، وقد تم ذلك بعد أن زحف على رأس جحافل المغول نحو جنوب الصين سنة ٦٥٤هـ / ١٩٥٦ م وتمكن خلال بضع سنوات من انتزاع معظم أقاليمها من أسرة سونغ ، ثم أعلن نفسه امبراطور على الصين سنة ٦٥٨هـ / ١٢٦٠ م ، واستقل بحكمها عن امبراطورية المغول الكبرى ، وفي سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨ م استكمل سيطرته على بلاد الصين وقضى تماما على ما بقي من نفوذ لأسرة سونغ ، ووجد الصين تحت زعامته واتخذ مدينة خان بالي (بكين الحالية) عاصمة له^(١٦٧) .

ويرجع أول خير وصلنا عن الاتصالات الدبلوماسية والسفارات والهدايا المتبادلة بين حكام الدولة الرسولية وبين حكام الصين إلى سنة ٦٧٨هـ / ١٢٧٩ م في عهد السلطان المظفر يوسف بن عمر الرسولي (٦٤٧-٦٩٤هـ / ١٢٥٠-١٢٩٥ م) ثاني حكام الدولة الرسولية ، فقد ذكر الخزرجي في أحداث هذه السنة وصول هدايا من صاحب الصين تسلمها السلطان الرسولي في مدينة زيد^(١٦٨) .

وكان صاحب الصين في هذا التاريخ هو الامبراطور والقائد المغولي المشهور قوبلاي مؤسس أسرة يوان المغولية ، ولا شك أن إرسال هدية من صاحب اليمن ، الذي تعد بلاده إحدى القوى السياسية الكبرى المؤثرة في المجال السياسي والاقتصادي في ذلك العصر ، إلى السلطان الرسولي يدل على علو مكانة الدولة الرسولية ، واتساع دائرة اتصالاتها الدولية وتقدير القوى

الكبرى لها ، وأنها ليست دولة إقليمية متعزلة محدودة الاتصالات قليلة التأثير في المسرح الدولي ، كما قد يتصور البعض .

أما عن أسباب ودوافع هذا الاتصال الدبلوماسي فالمصادر لا تمدنا بمعلومات عنه ، وتربط الصين كما سبق أن أشرنا ، صلات تجارية قوية متواصلة مع بلاد اليمن فهما يمثلان طرفي الطريق التجارى البحرى الذى يربط شرق آسيا بغربها ، ولعل هذا من أهم أسباب الحاجة لوجود اتصالات دبلوماسية بينهما .

وقد ألمح الخزرخى نفسه حين روى خبر وصول الهدايا إلى شى ، من هذا فقد ذكر ، وصول عدد من الرسل والهدايا من البلاد الأخرى إلى السلطان المظفر الرسولى حدث بعد أن تمكن السلطان من الاستيلاء على ميناء ظفار^(١١١) والقضاء على الإمارة الخبوظية بها وانتشار خبر ذلك فى الأقطار^(١١٢) ، وهذا يعنى أن موانئ جنوب الجزيرة العربية المطللة على المحيط الهندى وخليج عدن أصبحت تحت سيطرة الدولة الرسولية وهى من أهم محطات الطريق التجارى الدولى الذى يربط الشرق بالغرب .

ويعلق الخزرخى على هذا بعبارة تحمل قدر كبير من المبالغة حين يقول : « ولما فتح السلطان رحمة الله - مدينة ظفار كما ذكرنا وقتل سالم بن إدريس^(١١٣) ، ارتعدت الأقطار القصبة هبة للسلطان ، وامتألت من خوفه قلوب ملوك فارس ، وأصحاب الهند ، والصين ، لما رأوا من علو هنته ، وعظيم نغمته»^(١١٤) .

ومهما يكن الأمر فالعامل الأساس فى التواصل بين اليمن وبلاد الصين فى ذلك العصر هو المصالح التجارية ، وحبل الاتصال هو الطريق التجارى البحرى الدولى (طريق القفل) الذى يربط البلدين ، يعزز هذا ما عرف عن الامبراطور الصينى قوبيلاي خاصة وأسرة يوان عامة من اهتمام كبير بتطوير التجارة الخارجية فسياسة هذه الأسرة فى مجال التجارة كانت تقوم على تنشيط التجارة الخارجية مع بلدان ما وراء البحار الواقعة على خط التجارة البحرى الدولى ومنها اليمن ، وفى سبيل ذلك كانت حكومة الصين تقوم من جانبها بتوفير السفن التجارية الكبيرة وتأمين متطلبات السفر والحماية للتجار الصينيين لممارسة التجارة الخارجية مع البلدان الأخرى ، مقابل انتزاع نسبة من الأرباح المحققة^(١١٥) .

ومن جانب آخر كانت حكومة (يوان) تعمل على جذب التجار الأجانب وعلى رأسهم التجار العرب للقدوم بمناجرهم إلى موانئ الصين وقد أصدر الامبراطور قوبيلاي مرسوما بخصوص السفن

الأجنبية والتجارة الخارجية جاء فيه لتأت السفن الأجنبية تتعامل معنا كما يحلو لها»^(١٧٠) . وقد خصصت حكومة الصين إدارة مستقلة لشؤون السفن الأجنبية والتجارة الخارجية . وأسندت الإشراف عليها إلى تاجر صيني من أصل عرس له خبرات واسعة في مجال التجارة الخارجية ، والشؤون البحرية ، واتصالات وثيقة بتجار بلاد ما وراء البحار يدعى (أبو تشو كينغ)^(١٧١) .

ولعل سفارة الإمبراطور الصيني وهداياه التي أرسلها إلى السلطان المظفر الرسولي تصب في سياق سياسة تشجيع التجارة الخارجية وجذب التجار الأجانب ، وتوطيد العلاقات مع حكومات دول ما وراء البحار ، ومنها الدولة الرسولية التي تحكم بلادنا يحتل موقعها استراتيجيا مهما على طريق التجارة الدولي البحري ، وتعد موانئه من أهم محطات ذلك الطريق .

ويتكرر الاتصال بعد ذلك بين الدولة الرسولية وحكومة الصين ، وهذه المرة عبر سفارة من السلطان المظفر الرسولي إلى إمبراطور الصين وقد تم ذلك بعد أن علم المظفر أن إمبراطور الصين حرم على المسلمين في بلده خنان أولادهم ، وما نالهم من عنت بسبب ذلك ، فكتب إليه كتاب شفاعة يطلب فيه الأذن لهم بتنفيذ هذا العمل الذي أمر به الشرع ، وأرسل إليه بهدية سنية توافق مراده ، فقيل للإمبراطور شفاعته وأذن لهم في ذلك^(١٧٢) .

وإمبراطور الصين الذي بعث إليه المظفر الشفاعة والهدية هو الإمبراطور قوبيلاي نفسه ، والمصادر التاريخية الصينية رغم أنها لم تشر إلى هذه الشفاعة والهدية ، إلا أن فيها ما يؤكد أن قوبيلاي تغيرت سياسته تجاه المسلمين في الصين فترة من الزمن نتيجة تأثره ببعض الوشائيات التي تحذر من المسلمين وتشكك في ولائهم وقد أدى ذلك إلى التضييق عليهم وتجريدهم من امتيازاتهم في ممارسة شعائر دينهم وتطبيق أحكامه ، والزامهم باتباع أحكام (اليساق)^(١٧٣) ، التي وضعها جده جنكيز خان ليطبقها المغول في شؤون حياتهم وتعاملاتهم ، ومنها منع الختان ، ومنع ذبح الأضنام وغيرها حسب الطريقة المشروعة ، والإلزام بأكل لحوم الخنزيرة على طريقة المغول^(١٧٤) .

وقد لقي المسلمون في الصين عنفاً شديداً جراء هذا الاضطهاد ، وهذا التدخل في شؤونهم الدينية وبعد سبع سنوات تراجع قوبيلاي عن هذا الحكم التعسفي القاسي ، بسبب ما أدى إليه من آثار سلبية على تجارة الصين الخارجية ، فقد قل ورود التجار المسلمين إلى الصين ، وخرج بعض التجار المسلمين المقيمين فيها إلى جزر الهند الشرقية ، وقد نتج عن ذلك ضعف النشاط التجاري في موانئ الصين ، وتراجع إيرادات الدولة من هذا النشاط وتبين للإمبراطور خطأ هذا القرار ، فتم إلغاؤه ، وعادت للمسلمين مكانتهم وحرمتهم في أمور دينهم^(١٧٥) .

والذي يهمننا هنا أن ما ذكرته المصادر الصينية من إلزام المسلمين بتطبيق أحكام اليساق المغولية ومنها منع الختان ، يؤكد ما ورد في المصادر العربية عن أسباب شقاعة السلطان الرسولي لمسلمي الصين لدى إمبراطور بلادهم .

وعلى أي حال فالخير عن هذه الشقاعة والهدية مقتضب ، فالمصادر لم تبين هل كانت هذه الشقاعة بطلب من مسلمي الصين ، أم بمبادرة من السلطان الرسولي حين علم بما تعرضوا له ، وهل الخير وصله عن طريق التجار اليمنيين الذين يذهبون إلى الصين ، أم من التجار الصينيين الذين يقدمون إلى موانئ اليمن ، كما أنها لم تذكر معلومات عن الوفد الذي حمل الرسالة والهدية إلى إمبراطور الصين ، ولا عن نوع الهدية وما حوته .

أما أسباب تراجع إمبراطور الصين عن قراره ، فترجعه المصادر الصينية إلى ما ترتب عليه من آثار اقتصادية في مجال التجارة وتذكر المصادر العربية أنه بسبب شقاعة السلطان الرسولي ولا تعارض بين الأمرين ، فيبدو أن قوبلاي ظهرت له الآثار السلبية التي ترتبت على قراره ، وفي الوقت نفسه وصلته شقاعة السلطان الرسولي ، الذي تربط بلاده علاقات تجارية قوية مع الصين ، فتم إلغاؤه القرار .

ومكانية السلطان الرسولي لإمبراطور دول كبرى بعيدة مثل الصين ، وشقاعته لدى إمبراطور ، وقبول الشقاعة كل ذلك يؤكد مرة أخرى علو شأن الدولة الرسولية ، وسعة دائرة اتصالاتها وعلاقاتها الدولية ، وتميؤها مكانا لا ثقافيا بين دول عصرها .

وإذا كانت تلك السفارات والهدايا المتبادلة بين السلطان المظفر الرسولي والإمبراطور الصيني قوبلاي تدل على وجود علاقات جيدة بين الطرفين وتقدير متبادل ، فإن ما أشارت إليه المصادر من بناء المظفر الرسولي جامعاً في بلاد الصين والدعاء له على منبره^{١٨١} ، يؤكد هذا الأمر أيضاً ، كما أنه يؤكد تواصل الدولة الرسولية مع الجاليات الإسلامية في الصين واهتمامها بشؤونهم ، وهذا أمر آخر يحسب لهذه الدولة وسلاطينها .

وتوفي الإمبراطور الصيني قوبلاي سنة ٦٩٣هـ / ١٣٩٤م^{١٨١} ، وتوفي معاصره السلطان المظفر الرسولي في السنة التالية^{١٨٢} ، ولاتقدينا المصادر بعد ذلك بمعلومات أو أخبار عن السفارات والهدايا المتبادلة بين حكام الدولة الرسولية وخلفاء قوبلاي من حكام أسرة يوان المغولية التي استمرت في حكم الصين حتى سنة ٧٧٧هـ / ١٣٦٨م ، إلا أن التواصل التجاري بين البلدين كان

مستمرًا ومن ذلك على سبيل المثال وصول تاجر من الصين إلى ميناء عدن سنة ٧٠٣هـ / ٣٠٣م ومعه سلع وبضائع عظيمة من الحرير ، والمسك ، والفخار الصيني ، والأواني المطعمة بالذهب ، والتياب المختلفة الألوان ، وقد بلغت رسوم (عشور) تلك البضائع التي حصلت في ميناء عدن ثلاث مائة ألف درهم^(٨٣) . واستمرار حركة التجارة بين البلدين ينهض - في حد ذاته - دليلا على استمرار العلاقات الطيبة بينهما .

وقد زار الرحالة المشهور ابن بطوطة بلاد الصين في أواخر فترة حكم أسرة يوان هذه وبالتحديد في سنة ٧٤٧هـ / ١٤٥م في عهد الإمبراطور (هيون- تي) آخر حكام أسرة يوان المغولية في الصين^(٨٤) . وتحدث ابن بطوطة عن أوضاع المسلمين في الصين بما يقيد أنهم كانوا يحظون بمنزلة رفيعة وتقدير كبير من حكومة الصين وشعبها ، وذكر أن أغلبهم كانوا يعملون في مجال التجارة ، وأشار إلى النشاط التجاري الكبير في موانئ الصين ، وقال إنها أكبر موانئ العالم وأعمرها بالبضائع^(٨٥) .

وانتهى حكم أسرة (يوان) المغولية للصين سنة ١٣٦٨م / ٧٧٠هـ وحلت محلها أسرة (مينغ) وهي من أصل صيني ، وقد استمر حكمها فترة طويلة قاربت ثلاثة قرون حتى سنة ١٦٤٤م / ١٠٥٤هـ^(٨٦) .

وكانت سياسة هذه الأسرة في مجال العلاقات الخارجية تقوم على اعتبار التجارة الخارجية جزءا من منظومة العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأخرى ، كما أنها كانت شديدة التمسك بالفلسفة والنظرة المتعالية التي ابتدعها الصينيون لأنفسهم في تلك العصور باعتقادهم أن بلادهم هي محور العالم ، وأن على جميع الأمم والدول الأخرى تقديم الجزية أو الاتاوة للإمبراطور الصيني ، فمفهوم الهدايا المتبادلة مع الدول الأخرى عندهم : أنها عندما تقدم من الإمبراطور الصيني لطرف آخر فهي تعنى الرضا والعطف ، وعندما تقدم من الطرف الآخر للإمبراطور فهي تعنى الرلا والطاعة^(٨٧) .

لذلك قامت سياسة هذه الأسرة على الربط بين التجارة مع البلاد الأخرى والهدايا المقدمة من تلك البلاد ، والمقدمة لها باعتبار هذه الهدايا في الحالتين تبرز مكانة الإمبراطور الصيني وعلو شأنه ، وتؤكد عظمة الامبراطور الصيني في نظرهم ، وكلما زادت الهدايا وتعددت مصادرها كان ذلك دليلا على اتباع دائرة نفوذ الامبراطور وعلو شأنه ، ومن هذا المنطلق حرمت أسرة (مينغ)

التجارة الفردية مع الخارج واعتمدت ما يمكن أن يطلق عليه التجارة الرسمية التي تنظمها الحكومة في حملات كبيرة تنطلق إلى البلاد الأخرى ، وتقدم الهدايا باسم الامبراطور لحكام تلك البلاد ، وقامس التجارة ، وفي المقابل كان على التجار الأجانب أن يقدموا هدايا للامبراطور باسم بلادهم حتى يسمح لهم بممارسة التجارة في الصين^{١٨٨} .

وفي سبيل تحقيق التواصل مع الدول الأخرى في ظل هذه الرؤية التي تقوم على أن الصين هي (الدولة السيدة) في حالتها تقديم الهدايا لها أو عنها ، أولت أسرة مينغ اهتماما كبيرا بأمر الاتصالات مع البلدان الأجنبية فأنشأت دارا للغات تعنى بإعداد المترجمين اللذين يصادون البعثات الصينية إلى البلاد الأخرى ، أو يتعاملون مع السفراء القادمين للصين^{١٨٩} ، كما أنشأت دارا لاستقبال الأجانب ، ومحطات استراحة في الأقاليم الساحلية لاستضافة المبعوثين القادمين إلى الصين لتقديم الهدايا ، كما تم تكليف المسؤولين عن شؤون الموانئ بإقامة وليمة على شرف كل مبعوث يأتي لتقديم الهدايا عند وصوله وعند انصرافه^{١٩٠} .

وفي واقع الأمر كانت هذه النظرة المتعالية نظرة أحادية من جانب الصين ، وقد عبر عنها مزورخوها في ذلك العصر حين وصفوا السفارات التي وصلت إلى الصين وما تحمله من هدايا بأنها إنما جاءت لتقديم الجزية ولتعبير عن الولاء - للأسرة الحاكمة في الصين - أما الأطراف الأخرى فلأغلبها ينظر للهدايا والسفارات المتبادلة مع حكومة الصين نظرة التذلل والمعاملة بالمثل كما تقتضى الأعراف الدبلوماسية فلا يعقل أن دولة مثل دولة المماليك في مصر ، أو الدولة الأليخانية في العراق وإيران ، أو الدولة التصورية في وسط آسيا ، تقدم الهدايا لحكومة الصين على أنها جزية أو إتاوة ترمز للولاء والطاعة ، فهذه الدول دول مناظرة للصين ، وليس للصين عليها أي سيادة أو نفوة ، وهي تتعامل مع الصينيين معاملة الأنداد المتناظرين ، والأمر ينطبق على دول أخرى أصغر مثل الدولة الرسولية في اليمن .

وبعد الإمبراطور تشنغ - تسو (يونغ لو) أكثر حكام أسرة مينغ اهتمامًا بتوسيع دائرة الاتصالات الدولية مع بلاد ما وراء البحار ومنها بلاد العرب ، وفي سبيل ذلك سيرت حملات بحرية ضخمة^{١٩١} جابت سواحل بلدان كثيرة وتواصلت معها ، وقد أسند قيادتها إلى ملاح صيني مسلم بارع هو (شنغ - خه) المعروف بالحاج جهان^{١٩٢} ، الى بعد رائدا في تاريخ الملاحة العالمية ، وكان إلى جانب تولية قيادة تلك الحملات أو البعثات الذي يمثل امبراطور الصين ، وكلما وصل

إلى دولة كان يقابل حاكمها ويقدم له الهدايا باسم الإمبراطور ، ويبدى رغبة الصين في إقامة علاقات تعاون وتواصل مع تلك البلاد .

وباعتبار بحثنا هذا يتناول السفارات والهدايا المتبادلة مع الدولة الرسولية في اليمن وما يتصل بها ، فإن الحملات الثلاث الأولى التي قادها تشنغ - خلال الفترة من ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م حتى ٨١٤ هـ / ١٤١١ م لاتعينا هنا لأنها لم تصل إلى سواحل الجزيرة العربية ولم ينتج عنها اتصالات وتواصل مع الدولة الرسولية .

أما الحملة الرابعة التي انطلقت من الصين سنة ٨١٦ هـ / ١٤١٣ م بقيادة تشنغ - حه نفسه ، فهي حملة كبيرة يقدر عدد المشاركين فيها بنحو ٢٨٥٧٠ رجلاً تحملهم سفن كثيرة منها السفن الصينية الضخمة المعروفة بالزنوك^(١٢٣) ، وهذه الحملة هي أول حملة تصل إلى سواحل الجزيرة العربية ضمن سلسلة الحملات التي نظمتها أسرة مينغ الصينية ، فقد وصل قسم منها إلى هرمز^(١٢٤) .

ولا تشير المصادر التاريخية اليمنية ولا الصينية إلى اتصال لهذه الحملة بالسلطات الرسولية ، ولا وصولها إلى السواحل والموانئ اليمنية ، إلا أن العالم والشاعر اليمني المشهور ابن المقري^(١٢٥) مدح السلطان الناصر الرسولي سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م بقصيدة طويلة أشار فيها إلى وقوع معركة كبيرة وقوية بين القوات الرسولية والسفن الصينية ، وأن الرسولين حققوا فيها انتصاراً حاسماً ، وما جاء في هذه القصيدة قوله :

فقل ملوك الصين كيدوا بغيرها	وأضعف بكيد كاد عبد به الريا
بنوها حصوناً بل قري ومساكنها	من السفن بجريها من الريح ماها
مدائن سفوف على السور حوها	بسور حمى ما قولها وحمى الحنبا
يسمونها زنكاً ومعتاد أنها	على البحر لاتخشى من البحر أن عبا
تري اللوح منها سمكه مثل عرضه	ذراعاً يشج الشعب إن صدم الشعبا
على كل دسر بين لوحين ثالث	يشد مبانيتها ويرأبها رأبا
ظلين بصيني سلاط يصونها	من الماء لما شئ يكون بها رطبا

أتوك وقد غرتهم بامتناعها وكثرة ما ضمته من عسكر لجيا
 ثمانين زنكا حزبها كل مارد وحزبك رب العرش أكرم به حزبا
 فارسلت فيها من سعودك فيلقا فمزقا شرقا ومزقها غربا
 مكائد أعوام هدمت بناها بيوم وقلت استأنقوا النجر والنجيا
 وفي عدن قامت عليهم قيامة وقد ركبوا في قصدها المركب الصعيا
 وظنوا بجهل كل بيضا شحمة وقد أضروا في أهلها القتل والنهبا^{١٢١}
 فأبدت لهم ما لم يكن في حسابهم عصائب صبتها الظبا فوقهم صبا
 وثارت كمثل الأسد فيهم كتائب بسمر القنا طعنا وبيض الظبا ضربا
 وعات الحديد الهتدواني فيهم فأقنى الكلا أكلا وأقنى الدماء شربا
 فظنوا دخان النفط يجدي عليهم وقد أرسلوا تلك المدافع والقضيا
 وهبها نار السيف أسرع في الظلا من النفط في أكل العمائم والأقبا
 فأقنيتهم أسرا وقتلا وما نجيا سوى ذى بد شلت وذى مارت جيا
 ولما رأوا من بعض سعدك ما رأوا خلوا قلب ملك الصين من خوفهم رعبا
 وأصبح يسترى المسالك خفية بجيشك أن يغشى ويستخبر الركبا^{١٢٢}

ويصف ابن المقري في هذه القصيدة السفن الصينية الضخمة المعروفة بالزنوك وصفا دقيقا يدل على مشاهدته لها ، كما يحدد عدد السفن التي شاركت في المعركة ، ويؤكد أنها تحمل عددا كبيرا من العساكر ، ويحدد مكان المعركة وأنها كانت في عدن ، ويشير إلى بعض أحداث تلك المعركة ومنها استخدام الصينيين لقتائف النفط ، وأن ذلك لم يجد نفعا أمام بسالة كتائب القوات الرسولية وشجاعته ، ويبين أن المعركة أسفرت عن هزيمة ساحقة للصينيين.

ورغم أن المصادر التاريخية المتاحة لم تذكر هذه المواجهة إلا أن هناك من القرائن والدلائل ما يؤيد احتمال وقوعها ، منها أن المصادر التاريخية تؤكد وصول سفن تلك الحملة إلى مناطق قريبة

من اليمن مثل هرمز ومنها أن لاسما من هذه الحملة مارس أعمالا عسكرية تجاه بعض المتمردين الذين سيطروا على بعض جزر المحيط الهندي^(١١٨) ، إضافة إلى وجود إشارات تدل على وصول قسم من سفن هذه الحملة إلى سواحل الصومال^(١١٩) ، قلعل السفن الصينية أثناء تحركها في المنطقة اقترنت من سواحل اليمن ، وأرادت دخول ميناء عدن ، فظننت القوات الرسولية أنهم يريدون مهاجمة عدن ، فدخلت في مواجهة معهم .

ويبدو أن ما وقع كان نتيجة سوء تقدير وضعف تواصل بين الطرفين ، فوصول حملة بهذا الحجم وهذا العدد من السفن والرجال أمر يثر الريبة ويستدعى الشك من جانب القوات الرسولية وإذا أضفنا إلى ذلك أن الصينيين لم يقوموا - فيما يبدو - بالتنسيق مع السلطات الرسولية ، وطلبوا الإذن لهم بالرسو في الموانئ اليمنية ، وبيئوا مقاصدهم وأهدافهم بما يضمن الطرف الآخر ، كل ذلك أدى إلى وقوع المواجهة .

ومن القرائن التي تزيد ما ذكره ابن المقرئ أن السلطان الناصر الرسولي قد توجه في مطلع سنة ٨١٨ هـ / ١٤١٥ م إلى ميناء عدن وبقي هناك مدة طويلة تجاوزت شهرا ونصف (من الثالث من صفر حتى العشرين من ربيع الأول)^(١٢٠) ، وسفره المفاجئ إلى عدن ويقاؤه فيها مدة طويلة يجعلن ترجح أنه كان بسبب أمر مهم وقع في هذا الميناء . استدعى قدوم السلطان إليه ، وما أن المصادر التاريخية لم تذكر سببا لذلك فلعله توجه إلى عدن لتنفذ أحوالها بعد تلك المواجهة التي ذكرها ابن المقرئ ، ولعل ابن المقرئ نفسه نظم قصيدته تلك وقدمها للسلطان في عدن في ذلك التاريخ .

وعدم ذكر المصادر الصينية لهذه المعركة أمر قد لا يستغرب باعتبار أن السفن الصينية منبت فيها بهزيمة ساحقة ، ولما أشرنا إليه سابقا من وجود نزعة تعالي لديهم تجاه الشعوب الأخرى لكننا لا نجد تفسيراً لعدم ذكر المصادر التاريخية اليمنية لهذه المواجهة وهذه المعركة القوية ، مع وجود مؤرخين معاصرين دونوا أخبار اليمن في تلك الفترة ، وذكروا من الأحداث والأخبار ما هو أقل أهمية من هذه الأخبار بكثير .

وخلاصة القول أن ما ورد في قصيدة ابن المقرئ رغم أنه قد لا يخلو من بعض المبالغات التي يتضمنها شعر المدح والحماسة غالبا ، إلا أنه - فيما نرى - بروى خير صحيح ويصف معركة وقعت بالفعل بين القوات الرسولية والسفن الصينية ، يؤيد هذا ما أشرنا إليه عن قرائن ، إضافة إلى أن ابن المقرئ - عالم فقيه يتمتع بالعدالة والمصداقية^(١٢١) ، وقد عرف عنه اهتمامه بالأحداث السياسية وذكرها في أشعاره .

وبعد هذا الاحتكاك والتواصل السلبي ، تتابعت أحداث وتواصلات إيجابية فى ميدان العلاقات الدبلوماسية بين الدولة الرسولية والصين ، فالمصادر الصينية أشارت إلى قدوم سفارة فى السنة التالية (٨١٩هـ / ١٤١٦م) من عدن إلى الصين ومعها هدية للإمبراطور الصينى (تشنغ - تسو) تتضمن أنواع من حاصلات الصين ومنتجاتها ^(١٠٢) .

ويبدو أن السلطان الناصر أراد بهذه السفارة والهدية وأب الصدع الذى حدث أثر المواجهة مع سفن الحملة الصينية الرابعة ، وقد نجح فى ذلك ، فالسفارات والهدايا المتبادلة تواصلت بعد ذلك .

ففى سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م وصل الملاح والسفير الصينى والمسلم الحاج جهان (تشنغ - خه) إلى عدن حسب ما ورد فى المصادر الصينية ^(١٠٣) ، وتوافقها المصادر اليمنية التى تحدثت عن وصول مراكب الزنك الصينية إلى ميناء عدن فى شهر ذى الحجة سنة ٨٢١هـ / ١٤١٩م ومعها رسول من صاحب الصين يحمل هدية سنوية للسلطان الناصر الرسولى ، وقد استقبل السلطان السفير الصينى والوفد المرافق له وتسلم الهدية فى مدينة الجند ^(١٠٤) فى السادس والعشرين من شهر المحرم سنة ٨٢٢هـ / ٢٣ من فبراير ١٤١٩م ، وكان الوفد قد توجه إلى حيث يقيم السلطان بصحبة القاضى وجيه الدين عبد الرحمن بن جميع ، وتذكر المصادر اليمنية أن هدية إمبراطور الصين كلنت هدية فاخرة تضمنت : « أنواع التحف ، والثياب ، والكمخات ^(١٠٥) المذهبة المنقوشة ، والمسك العالى ، والعود الرطب ، والأنيب الصينية أنواع كثيرة » ^(١٠٦) .

ويذكر بن الديبع أن السفير الصينى حين قابل السلطان الناصر « لم يقبل الأرض بين يديه ، بل قال له : « سيدك صاحب الصين يسلم عليك ويوصيك بالعقل فى رعبتك » فقال له : مرحبا بك ونعم المجىء جئت ، وأكرمه وأسكنه دار الضيافة ، ثم كتب لصاحب الصين كتابا يقول فيه : « الأمر أمرك والبلد بلدك » ^(١٠٧) .

ويعلق بن الديبع على ذلك بقوله : « وهذا الخطاب من قاصد ملك الصين للملك الناصر ، العارى من اللطافة المتسريل بالكشافة ، يصدق الكلام الدائر على الألسنة من قولهم ، ملك الصين يظن أن كل الناس عبده ، والظاهر أن فيهم حمقا وجهلا بأحوال البلاد وملوكها ، وإلا فالآداب موجب لمن محقق من نفسه الكمال أن لا يخاطب غيره إلا باللطف والجمال » ^(١٠٨) ولم تبين المصادر اليمنية التى ذكرت هذه التفصيلات اسم السفير الصينى الذى قابل السلطان وخاطبه بما ذكر ،

رغم أنها تفوقت على نظيرتها الصينية في توثيق أخبار هذه السفارة وما جلبته من هدايا ، لكننا نرجح أن السفير هو قائد الحملة (تشنغ - خه) نفسه .

وتدل تصرفات السفير الصيني ، وأسلوب خطابه على أن الامبراطور الصيني (تشنغ - تسو) كان غاضبا ، ولعل ذلك كان بسبب تلك المواجهة التي حصلت مع السفن الصينية ، كما أن هذا الخطاب يؤكد ما أشرنا إليه سابقا من نظرة التعالي والزهو والتفيلاء التي كانت عند حكام الصين في ذلك العصر ، وقد أشار المؤرخ الصيني بن الديبع إلى هذا الأمر ، وعبر عنه في تعليقه . ويلاحظ أن السلطان الناصر تحمل تلك التصرفات وتعامل مع الأمر بحكمة ، تقديرا للموقف وحرصا على تجاوز آثار الاحتكاك السابق ، ورغبة في توثيق علاقاته مع الصين ، وقد أمر على الفور بتجهيز هدية لصاحب الصين عوض هديته ، فيها أنواع النحف وشجر المرجان المطلى بالمينا الإفرنجي ، وأنواع الرجوش كالمها ، وحمر الوحش ، والأسود المؤلفة (المستأنسة المدربة) والفهود المؤدية ^(١١١) .

وقد غادر الوفد الصيني مقر إقامته في دار الضيافة السلطانية وعاد إلى عدن في شهر صفر سنة ٨٢٢ هـ / مارس ١٤١٩ م وبصحبه القاضي وجيه الدين بن جميع ^(١١٢) .

ورغم أن المصادر الصينية لم تشر إلى إرسال سفارة من قبل الحكومة الرسولية تحمل عدية السلطان الناصر ورسائله الجوابية إلى رسول الصين ، إلا أننا نرجح أن هذا قد حصل بالفعل ، وأن هذا السفير قد سافر بصحة السفن الصينية التي حصلت الوفد الصيني في طريق عودتها إلى الصين بقيادة تشنغ - خه ، وذلك لأن الأعراف الدبلوماسية والمعاملة بالمثل تقتضى ذلك ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر ورد في المصادر الصينية ما يؤكد هذا الأمر حين أشارت إلى إيفاد سفراء من عدن وبلاد أخرى إلى الصين سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م ، وذكرت أن إحدى مهام الحملة الصينية السادسة التي غادرت الصين في أواخر سنة ٨٢٤ هـ / ١٤٢١ م إعادة السفراء الذين وصلوا إلى الصين في وقت سابق إلى بلادهم بعد وقت طويل ، وذكرت من بينهم سفير عدن ^(١١٣) ، ولعل هذا السفير هو الذي حمل الرسالة الجوابية والهدية .

ونجد بالإشارة إلى أن المصادر الصينية أشارت إلى أن هدية صاحب بلاد عدن (هدية الناصر الرسولي التي سبق الإشارة إليها) تضمنت حيوان الزرافة ^(١١٤) ، وحيوان آخر طويل القرن اسمه المها ، والمها من الحيوانات القطرية التي اشتهرت بها الجزيرة العربية ، أما الزرافة فليست من حيوانات الجزيرة العربية بل هي مستوردة من أفريقيا ، وهذه الزرافة التي أهداها الملك الناصر

الرسولى للإمبراطور الصينى (تشينغ - نسو) أذهنت العاملين فى البلاط الامبراطورى ، والمقربين من الأسرة الحاكمة ، وأعجبوا بها وتزاحموا لرؤيتها ، وكانوا يقتربون منها تارة ، وتارة أخرى يهرون مهرولين خوفا وفرعا ، وكانوا يظنون أن هذه الحيوانات التى سمعوا أوصافها يستحيل رؤيتها فى الصين^(١١٧٢) .

وتواصل الأحداث فالحملة الصينية السادسة التى غادرت الصين فى أواخر سنة ٨٢٤هـ / ١٤٢١م بقيادة الملاح المسلم (تشنغ - خه) وصلت إلى جزيرة سومطرة ، وهناك انفصل قسم منها أسندت قيادته إلى الطواشى^(١١٧٣) (تشر - مان) وكلف بالتوجه إلى عدن ، وكان من أبرز مهامه إيصاله رسالة الإمبراطور الصينى وهديته إلى السلطان الرسولى^(١١٧٤) .

وفى مطلع سنة ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م وصلت السفن الصينية إلى ميناء عدن وعلى متنها الوفد الصينى والهدية ، ويبدو أن خبر هذا الوفد قد وصل إلى السلطان الناصر فى وقت سابق ، فأصدر مرسوما إلى والى عدن وكافة الأمراء والأعيان والعسكر بها ليخرجوا لاستقبال هذا الوفد والترحيب به ، وكان وصول الوفد واستقباله فى يوم الأحد الثامن عشر من شهر صفر سنة ٨٢٦هـ والموافق الأول من فبراير سنة ١٤٢٣م^(١١٧٥) ، وهذا المرسوم والاستقبال يدل على اهتمام السلطان الرسولى بالعلاقات مع الصين وتذكر المصادر الصينية أن سلطان عدن وحاشيته خرجوا إلى الشاطئ لاستقبال الوفد الصينى^(١١٧٦) ، والمراد هنا بسلطان عدن واليهما لأن السلطان الناصر لم يكن فى عدن حين وصل الوفد الصينى إليها .

وبعد هذا الاستقبال والاستراحة فى عدن فترة من الزمن ، توجه الوفد إلى مدينة تعز عاصمة الدولة الرسولية لمقابلة السلطان الناصر وتسليم الهدية وكان بصحبة الوفد القاضى جمال الدين محمد بن أبى بكر بن إسحاق ، وهناك استقبل السلطان السفير الصينى وتسلم هدية الامبراطور فى شهر ربيع الأول سنة ٨٢٦هـ / فبراير ١٤٢٣م^(١١٧٧) .

وكان من ضمن ما حوته هذه الهدية « التحف ، وشيا - المسك ، وقطير الزباد ، والدرر الملونة ، وأوز الصينى ، والأواني المفتخرة ، والثياب والقرص والفشاخين^(١١٧٨) العجيبة والعود العال ، وغير ذلك من الأواني^(١١٧٩) » .

وقد لفت المصادر الصينية سفير امبراطور الصين بالطواشى جلال الدين ، وهذا اللقب يدل على أنه مسلم ، ولا تعلم هل هو نفسه قائد السفن الطواشى (تشر - مان) فيكون هذا القائد مسلما أيضا مثل رئيسه الحاج جهان (تشنغ - خه) أم أنه شخص آخر .

وكان من بين أعضاء الوفد الصيني الكاتب والمترجم الصيني المسلم (ما - هوان) الذي دون معلومات قيمة عن عدن والبلاد الأخرى التي زارها في الجزيرة العربية بصحة هذه الحملة ، والحملة التالية لها ، وتتضمن مدوناته معلومات مهمة عن جوانب متعددة اقتصادية واجتماعية وبيئية ، مثل الأسواق والبضائع ، والعادات والتقاليد ، واللباس والحلى ، وأنواع الأطعمة ، والحياة القبطية وغيرها ، وهي جذيرة بالدراسة .

ومن مظاهر اهتمام السلطان الناصر بالوفد الصيني ومن رافقه من التجار ، أنه أعلن لرعيته أنه يأذن لمن يمتلك تحفا ونفائس وبضائع نادرة من الأمراء والتجار وغيرهم في بيعها أو مبادلتها مع ما جلبه الصينيون من بضائع^(١٢٢١) .

وقد وجد الصينيين في أسواق عدن العامرة بغيتهم من البضائع النفيسة ، فاشترؤا ألوانا من الحلى والتحف النادرة منها : قصوص كبيرة نادرة من عين الهر^(١٢٢٢) ، والياقوت ، واللاقيء الكبيرة ، وشجيرات المرجان ، والكهرمان إضافة إلى مجموعة من الحيوانات في مقدمتها الزرافة ، ومنها الأسد ، وحصار الوحش ، والفهد والنعام وغيرها^(١٢٢٣) .

ومرة أخرى لا تقدنا المصادر بمعلومات عن السفارة والرسالة الجوابية والهدية التي يتوقع أن يرسلها السلطان الناصر إلى إمبراطور الصين نظير هديته ، لكننا نرجح أن هذا الأمر قد حدث بالفعل للأسباب التالية :

١ - أن من أهداف الحملات البحرية الصينية حث الدول الأخرى على إرسال سفارات وهدايا إلى إمبراطور الصين ، وأن هذا الأمر مرغوب فيه من قبل الصينيين ويولونه اهتماما كبيرا في ذلك العصر ، ويعتبرونه من مظاهر عظيمة الإمبراطور وعلو مكانته .

٢ - أن السلطان الناصر الرسولي كان حريصا على توثيق علاقاته مع الصينيين .

٣ - أن العلاقات بين الدول والحكام عامة تقتضى المعاملة بالمثل ، ومن ذلك الرد على الرسائل والهدايا .

ويذكر الباحث والمؤرخ الصيني (قوه - ينغ - ده)^(١٢٢٤) اعتمادا على سجلات تاريخ أسرة (مينغ) أن عددا من البلدان ومنها عدن ، ومصر ، ولفغار ، ومقدشيو سبق أن بعثت رسلا إلى الصين ليقدموها المنتجات المحلية على شكل هدايا ، وعارسوا التجارة ، وقد استقبلتهم حكومة

(مينغ) بحفاوة بالغة ، ولما خرج (تشنغ - خه) فى رحلته السابعة إلى المحيط الهندى سنة ١٤٣١م (٨٣٤هـ) حمل معه بين حمولته ألباب القنب وغيرها من الأغراض التى اشترتها حكومة مينغ بالتيابة عن عدن وخمسة بلدان أخرى بأثمان المنتجات المحلية التى قدمتها هذه البلدان إلى الصين بصفة هدايا^(١٢٢٠) .

ولا نعلم هل كان هؤلاء الرسل سفراء رسميين يمثلون حكومات بلادهم ، أم أنهم من التجار المنتسبين إلى تلك البلاد وقد قدموا هدايا باسم بلادهم حتى يسمح لهم بدخول الصين بمناجرهم وممارسة التجارة فيها كما تقتضى الأنظمة والسياسة الصينية فى ذلك العصر^(١٢٢١) .

وكانت الحملة أو الرحلة البحرية السابعة التى انطلقت من الصين فى سنة ٨٣٤هـ / ١٤٣١م هى آخر الحملات الصينية الكبرى التى نظمتها حكومة أسرة (مينغ) لزيارة البلاد المطلّة على سواحل المحيط الهندى ، وكانت بقيادة الملاح المسلم الحاج جهان (تشنغ - خه) ، وكان عدد الزنوك (السفن) المشاركة فيها أكثر من مائة ، وعدد الرجال عليها نحو ٢٧٥٠ رجل فيهم ملاحون وبحارة ، وجنود ، وتجار ، وفنّيو صيانة ، وأطباء ، وسفراء يمثلون الإمبراطور ، ومترجمون^(١٢٢٢) .

وتذكر المصادر الصينية أن الإمبراطور أمر الحاج جهان (تشنغ - خه) أن يركب البحر إلى بلاد الغرب لأن الممالك التى بها قطعت إرسال الهدايا إلى الصين منذ سنوات^(١٢٢٣) ، وواضح من هذا حرص حكومة الصين على تنشيط العلاقات والاتصالات الدبلوماسية مع البلاد الأخرى والتى كان من أهم مظاهرها تبادل السفارات والهدايا .

وقد زارت هذه الحملة عددا كبيرا من البلدان ، ويبدو أنها بعد أن وصلت إلى سواحل الهند انقسمت إلى عدة أقسام ، وتوجه قسم منها إلى عدن ، وهو ما يهمنا ، ووصل فى منتصف سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣٢م^(١٢٢٤) .

وكان وصول هذه البعثة فى عهد السلطان الظاهر يحيى بن الأشرف (٨٣١ - ٨٤٢ / ١٤٢٨ - ١٤٣٩م) ، ويشير المؤرخ اليمنى (المجهول) المعاصر لهذه الأحداث إلى هذا بقوله : « وصل ناخوذه الزنك ، وهو خادم صاحب الصين بالهدية لمولانا السلطان نصره الله تعالى إلى الحج^(١٢٢٥) ، ووصل صحبته مولانا سيد الوزرا - شهاب الدين أحمد بن ابراهيم المحالىي ، والشيخ جمال الدين محمد أبر جيان ، نهار الأربعاء ٢٥ من شهر جمادى الآخر سنة ٨٣٥هـ »^(١٢٢٦) .

ومن الواضح أن سفارة إمبراطور الصين هذه قد حظيت بعناية واهتمام كبير من الدولة الرسولية، يدل على ذلك الوفد المرافق رفيع المستوى الذي صاحب السفير من عدن إلى الحج لمقابلة السلطان.

ولم تبيّن المصادر الصينية نوع الهدية وما حوته، كما فعلت في مرات سابقة، كما أنها لم تورد معلومات أخرى عن هذه السفارة سوى إشارة تقيد أن السلطان الظاهر وحصل إلى عدن للتفرج على مراكبهم وزبهم، وأنه اشترى من بضائعهم ومحفهم، وباع لهم وحوشا وحصل منهم على جملة مستكثرة^(١٣٦).

ولا شك في أن ممارسة التجارة كانت أحد الأسباب المهمة لتحرك هذه الحملات أو البعثات الصينية، إلى جانب الأغراض الدبلوماسية، وكان ميناء عدن قد تراجعت مكانته التجارية كثيرا في ذلك التاريخ، وتقلص نشاطه باعتباره مركز التبادل التجاري على الطريق البحري الدولي الذي يربط الشرق بالغرب ميناء جدة، بعد أن أصبحت السفن التجارية القادمة من الهند تتجاوز عدن وسائر الموانئ اليمنية وتتوجه مباشرة إلى جدة، فيما عرف من مصطلحات ذلك العصر (بالشجوير)، ولذلك لم تستطع السفن الصينية تصريف بضائعها في عدن، فكتب قائدها إلى أمير مكة الشريف بركات بن حسن بن عجلان^(١٣٧)، وإلى ناظر جدة سعد الدين بن مرة^(١٣٨) بطلب الإذن للسفن الصينية في القدوم إلى ميناء جدة، فكتبنا إلى السلطان المنموكي الأشرف برسباي (٨٢٥هـ - ٨٤١هـ / ١٤٢٢-١٤٣٨م) في ذلك ورغبنا في كثرة ما يحصل في قدومهم من المال، فكتب لهم السلطان بالقدوم إلى جدة وأكرمهم^(١٣٩).

ويبدو أن السلطان الرسولي الظاهر يحيى قد أرسل سفارة وهدية لإمبراطور الصين ردا على سفارته وهديته، فالمصادر الصينية تذكر أن حاكم عدن بعث سفارة إلى الصين وكانت تحصل حاصلات بلدها، فوصلت إلى عاصمة الصين سنة ١٤٣٢م / ٨٣٦هـ ومكثت بها ثلاث سنوات ثم عادت سنة ١٤٣٦م / ٨٤٠هـ^(١٤٠).

ولا تمدنا المصادر بعد ذلك بمعلومات عن السفارات والهدايا المتبادلة بين حكام الدولة الرسولية وحكام الصين حتى سقوط الدولة الرسولية سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م. ويلاحظ أن الفترة الممتدة من سنة ٨١٩هـ / ١٤١٦م حتى سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م، شهدت نشاطا كبيرا في مجال الاتصالات الدبلوماسية وتبادل الهدايا والسفارات بين الحكومة الرسولية وبلاد الصين، ويرجع ذلك إلى سياسة

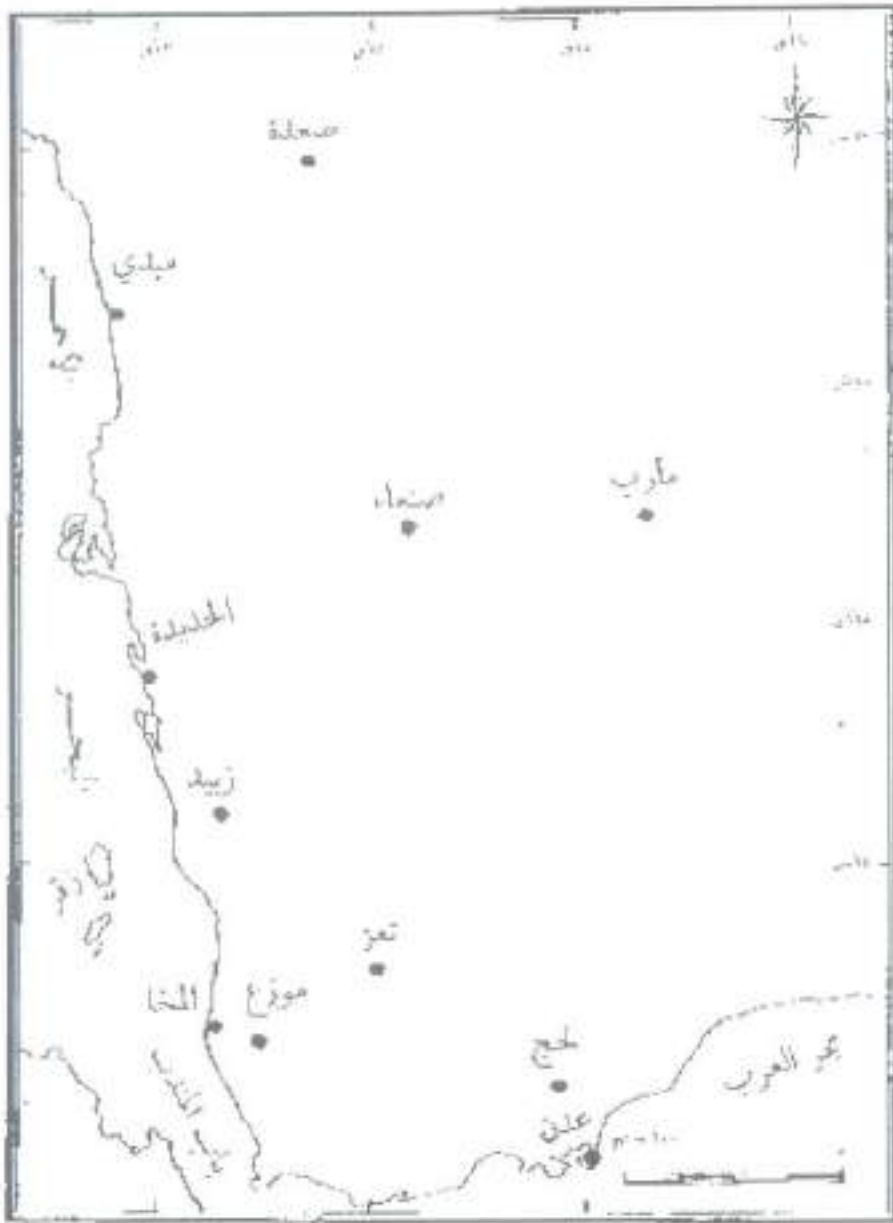
أسرم مينغ وبالتحديد الامبراطور الصينى (تشنغ - تسو) الذى تبنى تسمير الرحلات الصينية الكبرى للتواصل مع البلاد الأخرى وبخاصة الواقعة على الطريق التجارى الدولى الذى يربط الصين بغرب آسيا ، ومنها البلاد العربية المطلة على ساحل بحر العرب وخليج عدن وفى مقدمتها الدولة الرسولية فى بلاد اليمن .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الباحثة فى مجال الآثار الإسلامية قينيشيا بورتر (Venetia ' porter) ذكرت فى بحث لها عن الزجاج المزخرف المصنوع للعائلة الرسولية أنه قد اكتشف فى الصين قطعة أثرية من الزجاج المزخرف هى عبارة عن مزهية بأربعة مقابض ، لا يظهر عليها أى كتابة وإنما عليها شعار الرسولين الرسمى ، وهو زهرة حمراء ذات خمس ورفات على خلفية بيضاء . مطبوع حول عنق المزهية ، وتشير الباحثة أن هذه المزهية يرجع أنها جزء من الهدايا الدبلوماسية التى أرسلها حكام الدولة الرسولية إلى حكام الصين (١٣٣) .

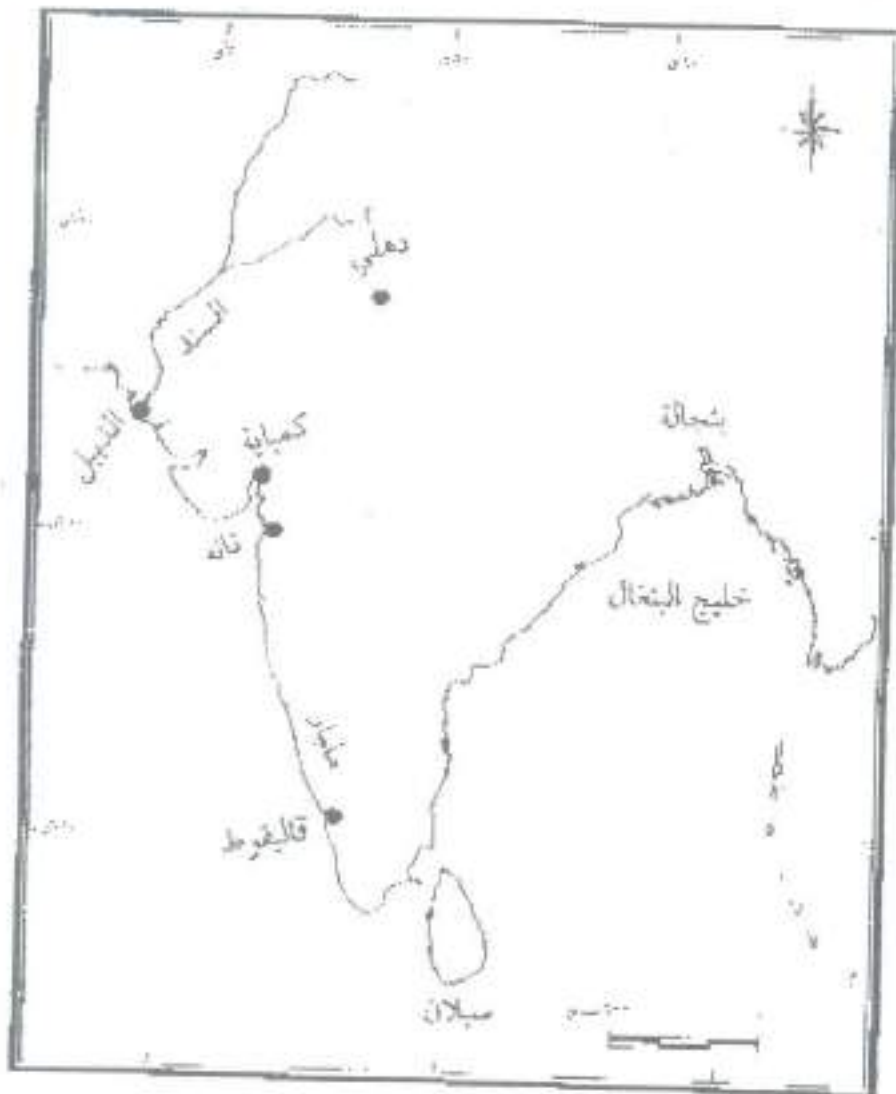
وبعد هذه الجولة والتتبع لجانب من تاريخ العلاقات الدبلوماسية بين الدولة الرسولية فى اليمن وكل من بلاد الهند والصين ممثلا فى السفارات والهدايا المتبادلة ، نأمل أن يكون هذا البحث قد أضاف بعدا جديدا فى سجل التاريخ الدبلوماسى لهذه الدولة ، يبرز مكانتها الدولية ، ويوضح سعة اتصالاتها وعلاقاتها ، وتبويتها مكانا لائقا بين دول عصرها ، ويكشف عما حظيت به من تقدير من جانب دول كبيرة قوية وذات ثقل سياسى واقتصادى ، مثل إمبراطورية الصين ودول الهند ، ويؤكد أن الدولة الرسولية وإن كانت دولة إقليمية إلا أنها لم تكن دولة منعزلة محدودة العلاقات ضيقة الاتصالات ، بل كان لها حضور قوى على المستوى الإقليمى والدولى ، وعلاقات بعيدة المدى وصلت إلى دول فى أقصى المشرق .

كما نأمل أن يكون هذا البحث لسنة تضاف إلى التراكم المعرفى السابق فى مجال دراسة تاريخ العلاقات والاتصالات الدبلوماسية بين البلاد العربية وكل من بلاد الهند والصين ، وأن يسهم فى تأكيد حقيقة أن هذه العلاقات ذات جذور ضاربة فى أعماق التاريخ ، ومتواصلة عبر العصور ، ويكشف أنها علاقات ذات قاعدة عريضة ، ودائرة واسعة ، فهى لم تقتصر على الدول المركزية الكبرى مثل الدولة الأموية والدولة العباسية ودولة المماليك ، بل امتدت إلى أبعد من ذلك لتشمل كثيرا من الدول الإقليمية ، ومنها الدولة الرسولية فى اليمن .

وأخيرا في ختام هذا البحث لا بد من توصية تؤكد ضرورة بذل المزيد من الجهد في دراسة تاريخ العلاقات الدبلوماسية والصلات الحضارية بين البلاد العربية وكل من بلاد الهند والصين ، وذلك لأن هذه البلاد تمتلك رصيدا حضاريا كبيرا في الماضي ، ولها ثقل سياسي واقتصادي وحضوري دولي في الحاضر . وهي مرشحة لاحتلال مكانة أعلى وامتلاك نفوذ وتأثير أكبر في المستقبل ، وبالتالي فهي تعد شريكا استراتيجيا حيويا في العلاقات الاقتصادية والسياسية، وفي ميدان التوازنات الدولية في عصرنا الحاضر ، ولهذا فإن دراسة جذور العلاقات معها سواء من قبل الباحثين الأفراد أو من خلال أعمال مؤسسية جامعية تتبناها الأقسام العلمية والمراكز البحثية المتخصصة ، أمر في غاية الأهمية ، لما للدراسات التاريخية من أثر كبير في تطوير الحاضر ، واستشراف المستقبل .



شكل (١) - اليمن في عصر الدولة الرسولية



شكل (٢) : دول وإمارات شبه القارة الهندية التي تبادلت السفارات والهدايا

مع الدولة الرسولية في اليمن



شكل (٣١) : طرق المواصلات والاتصالات بين اليمن في عصر الدولة الرسولية وكل من الصين والهند
اليابان استغنان بنعم زكي فهمي طرق التجارة الدولية ومعطائها بين الشرق والغرب

الهواش

- (١) عن مؤلفات سلاطين بني رسول انظر . عبد الله الحيشي ، حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ، دار القرآن الكريم بيروت ١٣٩٩م / ١٩٧٩م ص ١١٥ - ١٢٦ . ص ٤٩ - ١٥٩ .
- (٢) ابن عبد المجيد اليماني . تاج الدين عبد الياحي . بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق مصطفى حجازي ، دار الكلمة ، صنعاء - ١٩٨٥م ص ١٢٨ .
- (٣) المقدسي . محمد بن أحمد . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . تحقيق محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م . ص ٨٤ . القلقشندي ، أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء . وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ج ٥ ص ١١ . القزويني ، زكريا بن محمد . آثار البلاد وأخبار العباد . دار صادر ، بيروت ص ١٠١ .
- (٤) لمزيد من المعلومات عن الدولة الرسولية ومنجزاتها انظر : إسماعيل بن علي الأقرع ، الدولة الرسولية في اليمن ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر . عدن ٣ - ٢٠م . ومحمد عبد العال أحمد . بنو رسول وبنو طاهر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م . محمد بن يحيى الفيلبي ، الدولة الرسولية في اليمن ، دار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٥م / ١٤٢٥هـ .
- (٥) هي مدينة دلهي الحالية عاصمة الهند .
- (٦) انظر : أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢م ج ٢ ص ٥٩٨ - ٦١ . وسوف يتم التعرف بهذه الدول والإمارات والبلاد عند ذكر أول سفارات وزوت منها أو توجهت إليها من الدولة الرسولية .
- (٧) وصفها ابن بطوطة بأنها « مرسى أهل الهند » وذكرت أن المراكب العظيمة تأتي إليها من موانئ وممالك الهند المشهورة وقال : « ونجار الهند ساكنون بها » (رحلة ابن بطوطة ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٥١) ؛ ووصفها القزويني بمثل ذلك (آثار البلاد وأخبار العباد ص ١٠١) .
- (٨) الجند : بفتح الجيم والنون . مدينة تاريخية أثرية مشهورة تقع إلى الشمال الشرقي من تعز وتبعد عنها نحو ٢٢ كيلا ، كانت مركزا لواحد من أكبر مخاليف اليمن . يعرف بخلاف الجند ، وبها أول مسجد أسس باليمن بناء معاذ بن جبل رضي الله عنه في العام الثامن الهجري (٦٣٠م) (ياقوت ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ج ٢ ص ١٦٩ ؛ إبراهيم المقحفى ، معجم المدن والقبائل اليمنية ، دار الكلمة - صنعاء - ١٩٨٥م ص ٩٥) .

(٩) الخرجي ، علي بن الحسن ، العلوة الموزونة في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد بسيوني عسل ، مطبعة الهلال ، القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م ج ١ ص ٨٣ .

(١٠) قامت دولة الماليك في الهند على يد قطب الدين أيبك أحد مماليك السلطان محمد الغوري سنة ٦٠٢ هـ / ١٢٠٦ م ، وقد اتخذ مدينة دهلي عاصمة لدولته ، واستمرت هذه الدولة حتى سنة ٦٨٩ هـ / ١٢٩٠ م ، وهي أول دولة إسلامية تحكم في الهند فقط ، وقد خلفتها في حكم دهلي وما يتبعها من بلاد الهند الدولة الخلاجية (٦٨٩-٧٢٢ هـ / ١٢٩٠-١٣٢٠ م) (انظر : أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ج ٢ ص ٥٩٨-٥٩٩ ، ٦٠٣) .

(١١) كان هذا السلطان على درجة من العلم والفقه في الدين والزهد في الدنيا ، إضافة إلى ما ترتب به من عدل وحسن إدارة ، استطاع بمساعدة حاجبه ووزيره الأول خبات الدين بلبن مراجعة الخطر المغولي الذي كان يهدد دولته ، كما تمكن من توسيع نفوذ الدولة إلى مناطق جديدة ، وبما أثر عن هذا السلطان الصالح في مجال الزهد أنه كان ينسخ القرآن الكريم بخطه الجميل ويكمل لسختين كل عام ، ويبيع هذه النسخ وينفق من ثمنها على أموره الخاصة ، وذكر ابن بطوطة أنه اطلع خلال زيارته للهند على نسخة من القرآن الكريم بخط السلطان تاجر الدين (رحلة ابن بطوطة ، ص ١٤٣٤ ، عيسى بن عبدالله الضيقان ، جهرة الماليك في نشر الإسلام في الهند ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، قسم التاريخ والحضارة ١٤١٥ هـ ، ص ٤٩) .

(١٢) عصام الدين عبد الرؤوف الفقي ، بلاد الهند في العصر الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ص ٩٥ ، ٢٨٥-٢٨٦ .

(١٣) المرجع السابق ص ٢٩١ .

(١٤) جزيرة سيلان أو سرنديب هي سريلانكا الحالية ، وهي جزيرة كبيرة تقع في الجنوب من شبه القارة الهندية يفصلها عنها بحر بحري ضيق ، وتعد في ذلك العصر من توابع الهند ، وهي محطة مهمة في طريق التجارة الدولية التي تربط الصين و جنوب شرق آسيا باليمن والبحر الأحمر (حسن شهاب ، السعد الجغرافي للملاحة العربية في المحيط الهندي ، وزارة التراث القومي والثقافة ، مسقط ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ص ١٤-١٤٢) .

(١٥) بيبس الدوادار ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، تحقيق زبدة عطا ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة دولة الملوك ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٧٠ م ج ١ ص ٣٧٢-٧١٣ .

(١٦) بامخرمة ، عبد الله الطيب ، تاريخ نجر عدن ، مكتبة مدينتي ، القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١ ، ص ٥٧ - ٥٨ ، ٦٤ ، حسن شهاب ، عدن فريضة اليمن ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، ١٤٤١هـ / ١٩٩٠م ، ص ١٧ - ١٧٢ .

(١٧) استمر الأمر على ذلك حتى مطلع الربع الثاني من القرن التاسع الهجري حينها بدأ ما عرف بالتجوير على الموانئ اليمنية - ويعنى تجاوز المراكب التجارية القادمة من الهند لموانئ اليمن والتوجه مباشرة إلى ميناء جدة - وقد أدى هذا إلى كساد تجارى فى ميناء عدن وغيره من الموانئ اليمنية ، كما ترتب عليه آثار اقتصادية خطيرة على الدولة الرسولية وفى مقابل الازدهار كبير لميناء جدة .

(١٨) كتيابة : ميناء تجارى يقع على خليج (خور) كتيابة فى إقليم كجرات المطل على الجزء الشمالى من الساحل الغربى للهند ، إلى الجنوب من إقليم السند ، وكتيابة تعد من أهم موانئ الهند فى ذلك العصر ومن أكثرها نشاطا فى مجال التجارة ، ولها صلات تجارية قوية مع عدن ، وهى مركز ولاية تحمل الاسم نفسه ، كانت تتبع الدولة التتلقية فى دهلى ، ثم انفصلت عنها وأصبحت ولاية مستقلة (نعيم زكى فهسى ، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، ص ١٧ - ١٧١ ، حسن شهاب ، البعد الجغرافى للملاحة العربية فى المحيط الهندي ص ١٥٢ - ١٥٥) .

(١٩) السند : إقليم مشهور يقع فى الشمال الغربى لشمه القارة الهندية وهو جزء من باكستان الحالية ويخترقه نهر السند ، وكان ميناء الديبل أكبر موانئ هذا الإقليم ، وهو ميناء تجارى مهم فى ذلك العصر ، يتعامل معه التجار من عدن ويمدرون له الخيول وغيرها من السلع (المقدس ، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، تحقيق محمد مخزوم ص ٣٥٨ ، باقوت ، معجم البلدان ج ٢ ص ٤٩٥ ، عصام الدين الفقى ، بلاد الهند فى العصر الإسلامى ص ٣٥١) .

(٢٠) الخزرجى ، العقود ج ٢ ص ١٣٥ : المسجد المسبوك ليمن ولى اليمن من الملوك ، نشر وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص ٤١٥ ، ابن الديبع ، فرة العيون فى تاريخ اليمن المبعون ، تحقيق محمد الأكرع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م ص ٤٤٨ - ٤٤٩ .

(٢١) الموزخ المجهول ، تاريخ الدولة الرسولية فى اليمن ، تحقيق عبد الله الحيشى ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ص ٦٨ .

(٢٢) الدولة التتلقية قامت على أنقاض الدولة الخليفة فى دهلى سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م واستمرت حتى سنة ٨١٤هـ / ١٤١٢م ، وبعد السلطان قمبروز شاه أحد أبرز حكامها وأطولهم حكما (الساداتى ، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ١ ص ١٨٠ ، ١٥٩ ، ١٤٩ ، عصام الدين الفقى ، بلاد الهند فى العصر الإسلامى ص ٩٤ - ٩٨) .

(٢٣) كاليقوت أو فالقوت ، أو كالكوت على اختلاف في رسمها بين المصادر ، مينا « تجارى مهم على الساحل الجنوبي الغربي للهند ، وهي عاصمة ولاية تحمل الاسم نفسه في إقليم ملبار المشهور بإنتاج التوابل وبخاصة الفلفل ، وحكامها في ذلك العصر من غير المسلمين ، ولكن كان يقطنها عدد كبير من المسلمين وأغلبهم يعمل في التجارة ولهم منزلة عالية وتقدير لدى الأسرة الحاكمة والسكان الآخرين (النظر : ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٦٤ ؛ شوقي عب القوي عثمان ، تجار المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ص ١٨٨ - ٢٥١ ، ١٨٩) .

(٢٤) الخزرخي ، العقود ج ١ ص ١٩ ؛ العسجد السويك ، ص ٤١٧ ؛ المؤرخ المجهول - تاريخ الدولة الرسولية ص ١٧ ، ابن الديبع ، قرة العين ص ٤٤٩ .

(٢٥) المؤرخ المجهول - تاريخ الدولة الرسولية ص ٨٠ ، ولم يذكر اسم صاحب الهند وترجع أنه سلطان دهلي لبيروز شاه تغلقى .

(٢٦) المصدر السابق ص ٨١ . ودلى هكذا ورد رسمها في المصادر اليمنية والحجازية والمصرية في ذلك العصر وورد أحيانا ادله١ ، وهي دطلى المدينة المشهورة عاصمة أكبر الممالك الإسلامية في الهند ، وتسمى في العصر الحاضر دلهي وهي عاصمة الهند ، وتجدر الإشارة إلى أن دلى هو النطق الأقرب للصواب لأن حرفي (د ، ح) حرف واحد في اللغة الأردية .

(٢٧) وكان من حسن ما عني به أيضا تطوير الزراعة ونظام الري ، والخدمات الصحية ، ونشر التعليم أنظر : الصادق ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ج ١ ص ١٥٩ - ١٦٥) .

(٢٨) بنجالة أو بنغالة ، إقليم كبير في الشمال الشرقي لشبه القارة الهندية ، وبلاذ بنجالة تنقسم إلى قسمين : بنجالة الشرقية وهي ما يعرف الآن بدولة بنجلاديش ، وبنجالة الغربية ومركزها مدينة (كلكتا) وتتبع دولة الهند حاليا (حسن شهاب ، البعد الجغرافي للملاحة العربية في المحيط الهندي ص ١٢٤) . وكانت بلاد بنجالة (بنغال) ولاية تتبع سلطنة دهلي الإسلامية ، ثم انفصلت عنها في منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وتعاقت على حكمها عدد من الأسر المسلمة عرفوا بملوك البنغال ومن أشهرهم أسرة إلياس شاه (أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ج ٢ ص ٦١١ - ٦١٤) .

(٢٩) البرر جمع درة والمراد طائر البعقاء واللفظة عامية .

(٣٠) أي متدربة على ترويد الكلام .

(٣١) المؤرخ المجهول - تاريخ الدولة الرسولية ص ٨٥ .

(٣٢) المقرئى ، دور العقود الفريدة فى تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق محمد كمال عز الدين ، عالم الكتب ، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ص ٥٠٨ ؛ أحمد السعيد سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ج ٢ ، ص ٦١٣ .

(٣٣) المؤرخ المجهول ، تاريخ الدولة الرسولية فى اليمن ص ٨٥ .

(٣٤) المقرئى ، دور العقود الفريدة ص ٥١ ؛ عصام الدين الفقى ، بلاد الهند فى العصر الإسلامى ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٣٥) المؤرخ المجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ص ١٠٦ .

(٣٦) الأقبال محتاج إلى سائس مدرب لرعايتها وقيادتها ، كما أنها محتاج إلى كميات كبيرة من الأعلاف لإطعامها ؛ عن هذا الأمر انظر: ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد الشاذلى ، التجمع الثقافى ، أبو ظبي ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م) .

(٣٧) هذا السلطان حظى باهتمام كبير وتنا . عاظر من مؤرخى الحجاز ومصر لماله من الآثار فى بلاد الحرمين ، ترجم له مؤرخ مكة تقى الدين الفاسى وأثنى عليه ووصفه بالملك الجليل ، المدبوح ، جميل الصفات ؛ مغيب أهل الحرمين بجزيل الصلات ، ولجودت عن المدرسة التى أنشأها بمكة العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ج ص ٢٠-٣٢٢ ، وشفاة الغرام بأخبار البلد الحرام ج ١ ص ٥٢٤-٥٢٦) . وترجم له المقرئى فى (دور العقود الفريدة ص ٥٠٨-٥١٠) وقال : كان له حظ من العلم ويد فى فعل الخير ، ومعروف ظاهر بمكة والمدينة . وترجم له ابن تغرى بردى فى المنهل الصافى ج ٢ ص ٤٥٨-٤٥٩) وقال: بعث إلى الحرمين تغير مرة بصنقات هائلة ففرقت بها وعم بذلك النفع ، وبعت مع ذلك بمال لعصارة مدرستين بمكة والمدينة ، وشراء عقار بوقف عليهما ؛ وترجم له أيضا السخاوى فى (القصء اللامع ج ٢ ص ٢١٣) وفى (التحف المطيفة فى تاريخ المدينة الشريفة ج ١ ص ١٣٣) وأثنى عليه فعمدت عن المدرسة التى أنشأها بالمدينة المنورة . وتولى هذا الملك حكم مملكة بنجاله بعد وفاة والده سنة ٧٩١هـ / ١٣٩٠م وأستمر فيه حتى وفاته فى أواخر سنة ٨١٤هـ / ١٤١٢م .

(٣٨) ابن تغرى بردى ، المنهل الصافى ج ٢ ص ٤٥٨ ؛ نجم الدين ابن فهد ، انحف النورى بأخبار أم القرى ، تحقيق فهم شلتوت ج ص ٤٨١ .

(٣٩) الخزرجى ، العقود اللؤلؤة ج ٢ ص ٢٤٤ ؛ المسجد المسبوك ص ٤٧٥ .

(٤٠) هذا يدل على كثرة المسلمين وانتشارهم فى مدن وبلدات أخرى بالقيم حليار .

(٤١) المقصود مملكة هرموز أو هرمز العربية التى كان مركزها جزيرة هرمز (جزون) المشهورة قبالة مدخل مضيق

هرمز القاصد بين خليج عمان والخليج العربي وكان لها نشاط تجاري واسع ونفوذ في المنطقة في ذلك التاريخ شمال سواحل عمان المطلقة على خليج عمان وسواحل كرمان وجزر الخليج العربي ، وقد زارها الرحالة المشهور ابن بطوطة ووصفها (انظر : ابن بطوطة ، الرحلة ص ٢٧٣-٢٧٦ ، إبراهيم خوري وأحمد التدمري ، سلطنة هرمز العربية ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ج ٢ ص ٦٣ ، ٣٦ ، ٢٧) .

(٤٢) سومطرة : جزيرة من أكبر الجزر الاندونيسية تقع في غربي اندونيسيا إلى الشمال الغربي من جزيرة جاوا . وهي أول منطقة دخلها الاسلام في اندونيسيا وكان ذلك على يد التجار والدعاة المسلمين وفي مقدمتهم التجار الحضارة المسيحيين ، وأول حاكم اعتنق الإسلام في سومطرة يلقب بالملك الصالح وقد توفي سنة ٦٩٦هـ / ١٢٩٧م بعد أن أسس دولة إسلامية أصبحت أقوى الكيانات السياسية في سومطرة . وقد زار الرحالة ابن بطوطة سومطرة في سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٧م وهو في طريقه إلى الصين وأثنى على حاكمها المسلم (رحلة ابن بطوطة ص ٦٣١ ، ١٦٤٧ قيصر أدب محول ، الإسلام في الشرق الاقصى ، ترجمة تيبيل صبحي ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت ص ٢٢-٢٤) .

(٤٣) العقود الموثوقة ج ٢٤٥-٢٤٧ .

(٤٤) دلي هي دهلي .

(٤٥) توفي فيروز شاه تغلق سنة ٧٩٠هـ / ١٣٨٨م وقد جاوز التسعين من عمره ، وكان له عدد من الأولاد والأحفاد وقعت بينهم منازعات عانى احكم وحروب أدت إلى ضعف الدولة التغلقية وتفككها ، واستقلال كثير من الأقاليم التي كانت تتبعها (عن هذه المنازعات وآثارها انظر : محمد الساداني ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ج ١ ص ١٦٥-١٦٨ ، عصام الدين عبد الرؤوف ، بلاد الهند في العصر الإسلامي ص ٩٧-٩٩) .

(٤٦) العقود الموثوقة ج ٢ ص ٢٨٥ ، وانظر أيضا المسجد المسبوك ص ٤٩٠ .

(٤٧) الخرجي ، العقود الموثوقة ج ٢ ص ٢٩٧ ، المسجد المسبوك ، ص ٤٩٥ ، وانظر أيضا : ابن الديبع ، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون ، ص ٤٦٨ .

(٤٨) الخرجي ، العقود ج ٢ ص ٢٩٧ ، المسجد ص ٤٩٥ .

(٤٩) العقود ج ٢ ص ٢٩٧ ، المسجد ص ٤٩٥ .

(٥٠) الخرجي ، العقود ج ٢ ص ٣١٠ ، المسجد ص ٥٠٦ ، ومطلع التركي هو القاضي ابن الدين مفتح التركي

عمل سقيرا ومثلا تجاريا لسلطين بن رسول . كما عهد إليه بالإشراف على المراكب التجارية (المؤرخ المجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ص ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٦٩) .

(٥١) محمود شاه الثاني بن محمد بن قيروز شاه هو آخر سلاطين الأسرة التغلقية تولى سنة ٨١٤هـ / ١٤١٢م (الساداتى ، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ١ ص ١٨) .

(٥٢) مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ص ١٦٩ ، ١٨٦ .

(٥٣) مؤلف مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ص ٢٠٧ .

(٥٤) الناخوة ، كلمة فارسية تعنى ربان السفينة .

(٥٥) حصن القصر ، حصن منيع بجوار صنعاء (باقوت ، معجم البلدان ج ٤ ص ٢٦٧ ، إبراهيم الملقحى ، معجم المدن والقبائل اليمنية ص ٣١٦) .

(٥٦) المؤرخ المجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ص ٢٠٧ .

(٥٧) على اعتبار أن ما ورد باسم سفير صاحب الهند رجحنا أنه ينصرف إلى سلاطين دهلى .

(٥٨) بدر الدين حى الصينى ، العلاقات بين العرب والصين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م ص ١٨ ، فيصل السامر ، الأصول التاريخية للحضارة العربية فى الشرق الأقصى ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ١٩٨٦ ص ١١٢ .

وتذكر بعض المصادر الصينية أن بعثة من المسلمين وصلت إلى الصين فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بغرض الدعوة إلى الإسلام ، وكان على رأسها سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، وأن الإسلام دخل الصين على يد تلم البعثة وأخذ ينتشر هناك . والباحثون يلقون على طرفى نقيض فحيا هذه الرواية فهناك من يؤيدها ، وهم قلة (انظر مثلا : جعفر كزار أحمد ، دراسة حول العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والصين إبان حكم أسرة تانغ ، مجلة التجديد العدد الثامن ١٤٢٦هـ / - - ٢م ص ٥٢-٥٦) . أما أغلب الباحثين المحققين فإنهم يرون عدم صحتها ، وأن ، فيها من مخالفة الحقائق التاريخية ما يؤكد بطلانها ، ويدخلها فى عداد الأساطير (انظر : ذابح - هو ، المعاملات بين الصين والعرب فى العصور الوسطى ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، وزارة التراث والثقافة - مسقط ١٩٨٠م ص ١٧-١٩ ، بدر الدين حى الصينى ، العلاقات بين العرب والصين ص ١٤٩-١٥٩) .

(٥٩) فيصل السامر ، الأصول التاريخية ص ١١٢ .

(٦٠) المعاملات بين الصين والعرب في العصر الوسيط ص ١٢. وانظر أيضا : غفي لي - تشن - تشونغ . آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ ، المجلة العربية للثقافة ، العدد ٣٨ سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م ص ١٥٣ .

(٦١) المعاملات بين الصين والعرب ص ٣ . وتجدر الإشارة إلى أن تلك السفارات والبعثات أغلبها لا يعرف هل قدمت من مركز الخلافة الإسلامية في دمشق ثم بغداد ، أم أنها من حكومات الولايات الإسلامية المتاخمة لحدود الصين فالمصادر الصينية لا تحدد المكان الذي قدمت منه السفارة ولا تذكر اسم الجهة التي أرسلتها بشكل دقيق في أغلب الأحيان . بل تذكر أنها قدمت من بلاد (تا - شي) (العرب) فقط .

(٦٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص ٨٤ .

(٦٣) المسالك والممالك ، تحقيق محمد مخزوم ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ص ٦١ .

(٦٤) صبح الأعشى ج ٥ ص ١١ .

(٦٥) لمعرفة المزيد عن هذه الدول انظر مثلا : عصام الدين الفقي ، اليمن في ظل الإسلام دار المفكر العربي ، القاهرة ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م ص ٧٩-٢١١ ، وأحمد حسين شرف الدين ، اليمن عبر التاريخ ، مطابع الياضية ، الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ص ١٨٧-٢٢٥ .

(٦٦) فؤاد عبد المعطى الصياد ، المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٠م ج ١ ص ٢١٦-٢١٨ .

(٦٧) الهنطاني ، رشيد الدين جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان) ، ترجمة فؤاد عبد المعطى الصياد ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٣م ص ٢٧١-٢٧٢ ، فؤاد عبد المعطى الصياد ، المغول في التاريخ ج ١ ص ٢١٦-٢١٨ ، وقبيلاتي الذي اجتاحت الصين وأسقطت حكومتها هو آخر هولاءو الذي اجتاحت الصين وأسقطت الخلافة العباسية .

(٦٨) المسجد المسبوك فيمن وثى اليمن من الملوك ص ٢٥٦ ، العفرد اللؤلؤية ج ١ ص ٢١٣ .

(٦٩) قفار ، تعرف بظفار الجوهري نسبة إلى مؤسسها أحمد بن محمد الجوهري ، تقع في أقصى بلاد اليمن جهة الشرق ، وهي سينا على المحيط الهندي قريبة من مرياط وتشتهر منطقتها بإنتاج اللين (ياقوت ، معجم البلدان ج ٤ ص ٦٠) إبراهيم المحقفي ، معجم المدن والقبائل اليمنية ص ٢٦٩ . وهي في العصر الحاضر من أعمال سلطنة عمان .

(٧٠) المسجد المسبوك ص ٢٥٦ .

(٧١) هو سالم بن إدريس بن أحمد الخيوطي الحضرمي ، آخر حكام الإمارة الخيوطية التي قامت في إقليم ظفار على يد جده أحمد بن محمد في مطلع القرن السابع الهجري واستمرت نحو خمسة وسبعين عاماً حتى سنة ٦٧٨ هـ / ١٢٧٩ م حين قضى عليها الرسوليين وقتلوا سالم بن إدريس وعدداً كبيراً من أتباعه بعد أن دخل في صراع معهم انظر: الحزرجي ، العقود المؤلّفة ج١ ص ٢٠٧-٢١٣ ، شبل ، أحمد بن عبد الله ، تاريخ حضرموت ، تحقيق عبد الله الخيشي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء - ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ، ص ١٢٣-١٣٣ .

(٧٢) العقود المؤلّفة ج١ ص ٢١٣ ، المسجد المسبوك ص ٢٥٦ . وما قاله الحزرجي في هذا المقام فيه كما أشرنا مبالغة كبيرة فحكام الصين والهند لا يرتعدون خوفاً من سلطان اليمن ، وأقصى ما يمكن تقديره في هذا الأمر هو ازدياد أهمية التواصل الودي مع الدولة الرسولية ، بعد أن أصبحت تسيطر على معظم الموانئ التجارية في جنوب الجزيرة العربية بعد سيطرتها على ميناء ظفار .

(٧٣) قوه - بتغ - ده ، تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ترجمة تشينغ - جيا - مين ، مجلة الصين اليوم ، العدد ١ سنة ٢٠٠٣ م | نسخة إلكترونية غير صرمة الصفحات (.cn/Arabic.com) .
(www.chinatoday

(٧٤) المرجع السابق .

(٧٥) على لي - نشين - نشونغ ، آثار العرب وآثارهم في الصين ص ١٦٤ ، ذانج - هو ، المعاملات بين الصين والعرب ص ٣٩ .

(٧٦) الحزرجي ، العقود المؤلّفة ج١ ص ٢٧٩ ، الأهدل ، الحسين بن عبد الرحمن ، تحفة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق عبد الله الخيشي ، المجمع الثقافي في أبو ظبي ، ج٢ ص ٤٨٩ ، الجندي ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ج٢ ص ٥٥٢ .

(٧٧) اليساق أو اليسق ، كلمة أصلها مغولي مأخوذة من كلمة اليابا أو الياسه ، وتعني الأحكام والقوانين ، والمراد مجموعة من القوانين والتشريعات التي وضعها جنكيز خان وقرر فيها أحكاماً يطبقها المغول (انظر : الفلكندي ، صبح الأعشى ج٤ ص ٣١٠-٣١١ ، المقرئ ، المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ج٢ ص ٢٢-٢٢١ ، فزاد الصياد ، المغول في التاريخ ص ٣٣٨-٣٤٥) .

(٧٨) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٢٨٩-٢٩٠ ، بدر الدين الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ص ٢٠١ .

(٧٩) الهمذاني ، جامع التواريخ ص ٢٩٠ ، بدر الدين الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ص ٢٠١ ، لمبصل السامر ، الأصول التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى ص ١٢٥ .

(٨٠) الأهل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ج ٢ ص ٤٩٠ . ويجدر الإشارة إلى أن المظفر بنى مساجد في بلاد أخرى غير الصين مثل الحشمة وهرمز ، وجدد عمارة مسجد بن عباس في الطائف ، إضافة إلى مساجد كثيرة داخل اليمن (انظر الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٢٧٦-٢٧٧ ، الأهل تحفة الزمن ج ٢ ص ٤٨٩-٤٩٠ ، الجندي ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ج ٢ ص ٥٥٢) .

(٨١) الهمداني ، جامع التاريخ ص ٢٨٩ .

(٨٢) ابن القاسم ، يحيى بن الحسين ، غاية الأمان في أخبار القفر اليماني ، تحقيق سعيد عاشور ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ج ١ ص ٤٧٥ .

(٨٣) الخزرجي ، العقود ج ١ ص ٣٥٠ ، المسجد ص ٣٠٤ .

(٨٤) الصيتي ، العلاقات بين العرب والصين ص ٦-٢ .

(٨٥) رحلة بن بطوطة ص ٦٢٣، ٦٣٩ . ذائع - هو ، المعاملات بين الصين والعرب ص ٤٢-٤٣ .

(٨٦) بدر الدين حي الصيتي ، العلاقات بين العرب والصين ص ٨-٢ .

(٨٧) قوه - بنغ - ده ، تاريخ العلاقات الصينية العربية ، ترجمة تشانغ - جيامين ، مجلة الصين اليوم ، العدد ٣ ، مارس ٢٠٠٣ م (نسخة إلكترونية) ، فيصل السامر ، الأصول التاريخية للحضارة العربية في الشرق الأقصى ص ١٠٩-١١٠ .

(٨٨) قوه - بنغ - ده ، تاريخ العلاقات الصينية العربية مجلة الصين اليوم ، العدد ٣ مارس ٢٠٠٣ م .

(٨٩) قوه - بنغ - ده المرجع السابق مجلة الصين اليوم ، العدد ٩ سبتمبر ٢٠٠٢ م ، ذائع - هو ، المعاملات بين الصين والعرب ص ٤٩ .

(٩٠) قوه - بنغ - ده ، المرجع السابق .

(٩١) الحملة السابعة كانت في عهد الإمبراطور (هوان - تي) .

(٩٢) ولد سنة ١٣٧١م (٧٧٢هـ) في أسرة مسلمة ، وبعد من أبرز الشخصيات الإسلامية التي ظهرت في الصين ، تولي قيادة الحملات الصينية الكبرى التي نظمتها أسرة مينغ ، وتوفي سنة ١٤٣٥ (٨٣٩هـ) (انظر : محمود يوسف لي - هوا - بن وآخرون ، الشخصيات الإسلامية البارزة في الصين ، دار النشر باللغات الأجنبية ، بكين ، ١٩٩٣م ص ٥١-٥٥) وحظي (تشينغ - خاه) بتقدير كبير في تاريخ الصين ، وفي عام ٢٠٠٥م احتفلت الصين بمرور ستمائة عام على انطلاق الحملات البحرية الكبرى التي

قادها (تشينغ - خاه) وعقدت مؤتمرات وندوات بهذه المناسبة ، كما أصدرت طوابع بريدية وحسبه قسبية تذكارية عليها صورة تشينغ - خاه .

(٩٣) الزنوك أو الجنوك ، والمفرد زنك أو جنك ، هي أكبر سفن الصين بل لعلها أكبر السفن على مستوى العالم في ذلك العصر يقدر طولها بنحو ١٥٠ مترا وعرضها بنحو ٦٠ مترا بحمل المركب منها ألف رجل منهم أربعمائة من الحرم المقاتلين ، وصفها ابن بطوطة وصفا مفصلا ، كما وصفها الشاعر اليمني ابن المقري ، في إحدى قصائده (لمزيد من المعلومات انظر : ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ص ٥٦٤-٥٦٦ ، وقوه - بنغ - ده ، تاريخ العلاقات الصينية العربية ، مجلة الصين اليوم العدد ٩ سبتمبر ٢٠٠٢ م) .

(٩٤) إبراهيم خوري ، العرب والصين ، مجلة التراث العربي ، العدد سنة ١٩٨٦ ص ٨٢ .

(٩٥) هو شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر ، عالم فقيه وشاعر مبدع ، وصف بالإمام العلامة فخر اليمن وبهجة الزمن ، نادرة الدهر وأعظم فضلا - العصر ، مارس التدريس والإفتاء ، وله مؤلفات كثيرة أشهرها كتاب ، عنوان الشرف الأعلى ، وله قصائد جميلة مشهورة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي الوفاء والرهدة ، كما ، أن له قصائد في مدح سلاطين بني رسول فبرزت بالإشارة إلى بعض الأحناف والانتجازات التي ولعت في عصره (انظر البرهبي ، طبقات صلحاء اليمن ص ٣٠٠-٣٠٥ ، الأهلل ، بحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ج ٢ ص ٢٢٤ - ٣٢٥ ، السخاوي ، الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٩٢) .

(٩٦) في هنا إشارة إلى أن السلطات اليمنية كان كان في تقديرها أن هذه السفن الصينية لها مقاصد عدوانية تتمثل في مقاصد عدوانية تتمثل في مهاجمة عدن ونهبها وقتل أهلها .

(٩٧) ديوان ابن المقري ، محقيق عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ، دار إحياء التراث الإسلامي ، الطبعة ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م ص ١٩٠ - ١٩١ .

(٩٨) إبراهيم خوري ، العرب والصين ص ٨٢ ، عبد الله محيرز ، رحلات الصينيين الكبرى إلى البحر العربي ص ٥٨ .

(٩٩) شوقي عبد القوى ، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ص ٧٧ .

(١٠٠) المؤرخ المجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ص ١٧٤-١٧٥ .

(١٠١) حظى ابن المقري ، بثناء - عاطف وثوثيق وتزكية من حملة من العلماء منهم الإمام الحافظ المحدث ابن حجر العسقلاني (إنباء الغمر بإنباء العمر ج ٨ ص ٣٠٩) ، والمؤرخ الناقد شمس الدين السخاوي (الضوء اللامع ج ٢ ص ٢٩١-٢٩٥) ، والعلامة المؤرخ عبد الوهاب السكسكي اليمني (طبقات صلحاء اليمن ص ٣٠٥-٣٠٥) .

(١٠٢) بدر الدين الصبى ، العلاقات بين العرب والصين ص٢٣٦ ، وقد نقل ذلك عن سجلات أسرة مينغ الجزء ٣٢٦ .

(١٠٣) قوة - ينغ - ده ، العلاقات الصينية العربية ، مجلة الصين اليوم العدد ٣ مارس ٢٠٠٣ .

(١٠٤) الجند ، سبق التعريف بها .

(١٠٥) الكمخات ، نوع من الفماش الفاخر يلبس غالباً في الشتاء ، (الفلقشندى ، صبح الأعشى ج١ ص٨٠ - ٨١ ، محمد البقلي ، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤ م ، ص٢٨٩) .

(١٠٦) المؤرخ المجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ص١٨٩ - ١٩٠ ، وقد أورد ابن الديبع (قوة العيون ص٤٧٤) ، ويحيى بن الحسين (غاية الأمان ج٢ ص٤٦٥) هذه السفارة في أحداث سنة ٨٢٣ هـ / ١٤٢٠ م .

(١٠٧) قوة العيون ص٤٧٤ ، بغية المستفيد في أخبار زيد ص ١٠٧ .

(١٠٨) قوة العيون ص٤٧٤ .

(١٠٩) المؤرخ المجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ص١٩٠ - ١٩١ .

(١١٠) المصدر السابق ص١٩١ .

(١١١) ذانج - هو ، تاريخ المعاملات بين الصين والعرب ص٥٠ ، إبراهيم خوري ، العرب والصين ص٨٢ .

(١١٢) قوة - ينغ - ده ، تاريخ العلاقات الصينية العربية ، مجلة الصين اليوم ، العدد ٩ سبتمبر ٢٠٠٢ م .

(١١٣) عبد الله مخيرز ، رحلات الصين الكبرى ص٦٠ - ٥٦ .

(١١٤) الطواشي ، يقصد به الخادم المخلص ، وكان من الطواشية يؤلفون طبقة يعتمد عليها الحاكم في أمور كثيرة ، أبرزها تولي شؤون القصر ، ومنهم من تسند إليه أعمال إدارية رقيقة ، وقد يستند إلى بعضهم أعمال عسكرية مثل قيادة بعض الفرق العسكرية

(١١٥) قوة - ينغ - ده - ، تاريخ العلاقات الصينية العربية ، مجلة الصين اليوم ، العدد ٣ مارس ٢٠٠٣ ، إبراهيم خوري ، العرب والصين ص٨٢ - ٨٣ .

(١١٦) مؤرخ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ص٢٠٢ .

(١١٧) قوة - ينغ - ده - ، تاريخ العلاقات الصينية العربية ، مجلة الصين اليوم ، العدد ٣ مارس ٢٠٠٣ م ، بدر الدين الصبى ، العلاقات بين العرب والصين ، ص٢٣٦ .

(١١٨) المؤرخ المجهول ، تاريخ الدول الرسولية ، ص ٢٠٢ .

(١١٩) الشاخين ، جمع بشطانة ، وهي كلمة فارسية ، وتعني التاموسية .

(١٢٠) المؤرخ المجهول ، المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

(١٢١) قوة - بنغ - ده- ، تاريخ العلاقات الصينية العربية ، مجلة الصين اليوم ، العدد ٣ مارس ٢٠٠٣ م ،
بدر الدين الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، ص ٢٣٦ .

(١٢٢) عين الهر ، أو عين القط ، نوع من الأحجار الكريمة مثل الياقوت ، لونه أبيض شفاف مشرق ، ويكون
في مركز الفص منه نكته سوداء ، تتحرك بعكس اتجاه ميل الفص ، فإذا مال إلى جهة اليمين تحركت
نحو اليسار وهكذا ، وسمي عين الهر لأن فيه شبيهاً بها (الفلفلسني ، صبح الأختى ، ج ٢ ص ٤٠٤ -
١٠٥ .

(١٢٣) قوة - بنغ - ده - المرجع السابق ، بدر الدين الصيني ، المرجع السابق .

(١٢٤) قوة - بنغ - ده ، مؤرخ وباحث صيني مهتم بتاريخ العرب والحضارة الإسلامية ، وهو عضو في مركز بحوث
الحضارات الشرقية ، ومعهد البحوث العربية الإسلامية في جامعة بكين ، وعضو في لجنة التأليف لتاريخ
آسيا ، وعضو في مركز دراسات الشرق الأوسط أمضى أكثر من أربعين عاماً في التدريس والبحوث
العلمية ، وقد شملت دراساته مجالات عديدة أبرزها العلاقات السياسية والحضارية بين العرب والصين .
وله بحث قيم بعنوان «تاريخ العلاقات الصينية العربية» و ترجم إلى العربية ونشر في مجلة الصين اليوم
خلال عامي ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ م .

(١٢٥) قوة - بنغ - ده ، تاريخ العلاقات الصينية العربية ، مجلة الصين اليوم ، العدد ٣ مارس ٢٠٠٣ م .

(١٢٦) قوة - بنغ - ده ، المرجع السابق .

(١٢٧) إبراهيم خوري ، العرب والصين ص ٨٣ .

(١٢٨) بدر الدين الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ، ص ٢٣٦ .

(١٢٩) مؤرخ مجهول ، تاريخ الدولة الرسولية ص ٢٤٧ ؛ إبراهيم خوري ، العرب والصين ص ٨٣ .

(١٣٠) ملح مدينة مشهورة تقع قرب عدن إلى شمال الغرب منها ، وهي في واد يحمل الاسم نفسه ويضم قرى
كثيرة ومزارع إياقوت - معجم البلدان ج ٥٤ ص ١٤ ؛ المجري ، مجموع بلدان اليمن ج ٤ ص ٦٧٧ -
٦٧٩ .

(١٣١) تاريخ الدولة الرسولية ص ٢٤٧ .

(١٣٢) تولى بيركات بن حسن بن عجلائن إمارة مكة سنة ٨٢٩هـ / ١٤٢٦م واستمر فيها في إمارته الأولى إلى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م . ثم عاد إلى الإمارة ثانية في سنة ٨٨٥هـ / ١٤٤٦م واستمر فيها حتى سنة ٨٥٩هـ / ١٤٥٥م (نجم الدين ابن قهد ، الدر الكميئ بذيل العقد الثمين ، تحقيق عبد الملك بن دهبش ج ١ ص ٦٤٧-٦٥٤) .

(١٣٣) بامخرمة ، ثلاثة البحر في وفيات أعيان الدهر ، تحقيق بوجعة مكري وخالد زاري ، دار المنهاج ، بيروت ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م ، ج ٦ ص ٤٠٥ .

(١٣٤) سعد الدين إبراهيم بن المرة هو أول من أسند إليه وظيفة ناظر جدة من قبل السلطان المملوكية بعد استحداثها سنة ٨٢٨هـ / ١٤٢٥م ، وربط ميناء جدة بالإدارة المملوكية المباشرة ، بعد بروزة وتطوير مدخولاته من رسوم التجارة على حساب ميناء عدن إثر نجاح عمليات التجوير التي دعت لها السلطات المملوكية ، وكان لها آثار اقتصادية خطيرة على اقتصاد الدولة الرسولية وميناء عدن ، وقد تولى ابن المرة سنة ٨٤٤هـ / ١٤٤٠م / السخاوي ، الضوء اللامع ج ١ ص ١٨٤-١٨٥) .

(١٣٥) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١٤ ص ٣٦٢ .

(١٣٦) بدر الدين الصيني ، العلاقات بين العرب والصين ص ٢٣٦ .

(١٣٧) الزجاج الزخرف المصنوع للعائلة الرسولية في اليمن ، بحث بقلم (لينيشيا بورتز) ملحق بكتاب الدولة الرسولية في اليمن لإسماعيل الأكرج ص ٥٥-٦٦ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

* الأهدل : الحسين بن عبد الرحمن (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) :

١- تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، تحقيق عبداً الله محمد الحبشى ، المجمع الثقافى فى أبو ظبى .

* البرههى : عبد الوهاب بن عبد الرحمن السككى ، (ت ٩٠٤هـ / ١٤٨٩م) :

٢- طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البرههى ، تحقيق عبد الله محمد الحبشى ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى صنعاء ، ودار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٣م .

* ابن بطوطة : محمد بن عبد الله اللواتى الطنجى ، (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) :

٣- رحلة ابن بطوطة ، (تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ، دارصادر ، بيروت .

* ابن تغرى بردى : جمال الدين أبو المعامى يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) :

٤- المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى ، تحقيق محمد أمين ، الهيئة المصرية العام للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤م .

٥- التجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، الهيئة المصرية العام للكتاب .

* الجندى : محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) :

٦- السلوك فى طبقات العلماء والملوك ، تحقيق محمد على الأكونج ، وزارة العلام والثقافة ، صنعاء ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

* ابن حجر : أحمد بن على العسقلانى ، (ت ٨٥٢هـ / ١٣٣١م) :

٧- إنباء الغمر بأبناء العمر ، دار الكتب العلمىة ، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

* الحنبلى : عبد الحى بن أحمد بن العماد ، (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م) :

٨- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٧٩م .

* الخزرجي / أبو الحسن علي بن الحسن ، (ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م) :

٩- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق محمد بسيوني عسل ، مطبعة الهلال ، القاهرة ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م .

١٠- المسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك (مخطوطة مصورة) نشر وزارة الاعلام والثقافة ، مشروع الكتاب ، صنعاء ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

* ابن خردادبة : عبيد الله بن عبدالله (ت ٥٠ هـ / ٩١١ م) :

١١- المسالك والممالك ، تحقيق محمد مخزوم ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

* الدوادار: ركن الدين بيبرس (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٤ م) :

١٢- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة (عصر سلاطين المماليك) ، تحقيق زبدة محمد عطا ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة .

* ابن الديبع / عبد الرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي ، (ت ٩٤٤ هـ / ١٥٣٧ م) :

١٣- بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد ، مركز البحوث والدراسات البنى ، صنعاء ، ودار العودة ، بيروت ١٩٨٣ م .

١٤- فرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق محمد بن علي الأكوح ، مكتبة الارشاد ، صنعاء ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م .

* السخاوي : محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٢٠ هـ / ١٤٩٦ م) :

١٥- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، دار نشر الثقافة ، القاهرة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

١٦- الضوء للبع لأهل القرن التاسع ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

* شبل : أحمد بن عبدالله (ت ٩٢٠ هـ / ١٥١٤ م) :

١٧- تاريخ حضرموت ، تحقيق عبد الله محمد الحبشي ، مكتبة الارشاد ، صنعاء ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .

* ابن عبد المجيد اليماني : تاج الدين عبد الباقي (ت ٧٤٣هـ / ١٤٤٢م) :

١٨- بهجة الزمن في تاريخ اليمن، تحقيق مصطفى حجازي ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٩٨٥م.

* الفاسي : تقي الدين محمد بن أحمد ، (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) :

١٩- شفا ، الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ ز

٢٠- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، تحقيق فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٣٨٤ / ١٩٦٥م.

* ابن فضل الله العمري : شهاب الدين أحمد ، (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) :

٢١- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق أحمد عبد القادر الشاذلي ، المجمع الثقافي في أبوظبي ١٤٢٤هـ / ٣-٣م.

٢٢- إتحاف الوري بأخبار أم القرى ، تحقيق فهم شلتوت ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٢٣- الدرر الكمين بذييل العقد الثمين ، تحقيق عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

* ابن القاسم اليماني : يحيى بن الحسين ، (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م) :

٢٤- غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ، تحقيق سعيد عاشور ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

* القرويني : زكريا بن محمد بن محمود ، (ت ٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) :

٢٥- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت .

* القلقشندي : أحمد بن علي ، (ت ٨٣١هـ / ١٤١٨م) :

٢٦- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ١٩٦٣م.

* مؤرخ مجهول : (عاش باليمن في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) :

٢٧- تاريخ الدولة الرسولية ، تحقيق عبدالله محمد الحبشى ، دار الجيل الجديد صنعاء ، ١٩٨٤م.

٢٨- تاريخ ثغر عدن ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

٢٩- قلادة النحر في أعيان الدهر ، تحقيق بو جمعة مكري وخالد زواري ، دار المنهاج ، بيروت ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٨م.

* المقدسى : محمد بن أحمد المعروف باليشارى (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م) :

٣٠- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق محمد مخزوم ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

* ابن المقرئ : شرف الدين اسماعيل بن أبى بكر (ت ٥٨٧هـ / ١٤٢٣م) :

٣١- ديوان ابن المقرئ ، تحقيق عبدالله ابراهيم الأنصارى ، دار احياء التراث الاسلامى ، الدرعة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

* المقرئى : تقى الدين أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) :

٣٢- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تحقيق محمد كمال عز الدين ، عالم الكتب ، بيروت ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٣٣- السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ١ تحقيق محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مركز تحقيق التراث ، القاهرة ، ١٩٧٠م.

٣٤- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، دار صادر ، بيروت .

* الهمداني : رشيد الدين فضل الله بن عماد الدولة (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م) :

٣٥- جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيز خان) ترجمة فؤاد عبد المعطى الصياد ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٣م.

* باقوت : أبو عبدالله باقوت بن عبد الله الحموى (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) :

٣٦- معجم البلدان ، دار احياء التراث ، بيروت ، ١٩٨٦م.

ثانياً : المراجع

* إبراهيم أحمد المقحفى :

١- معجم المدن والقبائل اليمنية ، دار الكلمة ، صنعاء ، ١٩٨٥م.

٢- العرب والصين علاقات ودبة ، مجلة التراث العربي ، العدد ٢٤ سنة ١٩٨٦م ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق .

* إبراهيم خوري وأحمد التدمري :

٣- سلطنة هرمز العربية ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

* أحمد حسين شرف الدين :

٤- اليمن عبر التاريخ ، مطابع البادية ، الرياض ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

* أحمد السعيد سليمان :

٥- تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٢م .

* أحمد محمود الساداتى :

٦- تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم ، مكتبة الآداب ، القاهرة .

* إسماعيل بن على الأكواع :

٧- الدولة الرسولية فى اليمن ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، عدن ٢٠٠٣م .

* بدر الدين حى الصينى :

٨- العلاقات بين العرب والصين ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٧٠هـ / ١٩٥٠م .

* جعفر أحمد كزار :

٩- دراسة حول العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والصين إبان حكم أسرة تانغ ، مجلة التجديد ، العدد الثامن ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

* حسن الباشا :

١٠- الألقاب الإسلامية فى التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٨م .

* حسن صالح شهاب :

١١- عدن فرضة اليمن ، مركز الدراسات والبحوث اليمنى ، صنعاء ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

١٢- البعد الجغرافى للملاحة العربية فى المحيط الهندى ، وزارة الثقافة والارشاد القومى ، مسقط ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

* ذانج - هر :

١٣- المعاملات بين الصين والعرب فى العصر الوسطى ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، ١٩٨٠م.

* شرقى عبد القوى عثمان :

١٤- تجارة المحيط الهندى فى عصر السيادة الاسلامية ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون ، الكويت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

* عبد الله أحمد محيرز :

١٥- رحلات الصينيين الكبرى إلى البحر العربى ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، عدن ، ٢٠٠٠م.

* عبدالله محمد الحبشى :

١٦- حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

* عصام الدين عبد الرؤوف الفقى :

١٧- بلاد الهند فى العصر الاسلامى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

١٨- اليمن فى ظل الاسلام منذ فجره حتى قيام دولة بنى رسول ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

* على - لى تشين - تشنغ :

١٩- آثار العرب ومآثرهم فى الصين عبر التاريخ ، المجلة العربية للثقافة ، العدد ٣٨ سنة ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م. المنظمة العربية للتربية والثقافة .

* عيسى بن عبدالله الضحيان :

٢٠- جهود الماليك في نشر الاسلام في الهند ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية ، قسم التاريخ والحضارة ١٤١٥هـ .

* فؤاد عبد المعطي الصياد :

٢١- المغول في التاريخ / دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٨٠م .

* فيصل السامر :

٢٢- الأصول التاريخية للحضارة العربية في المشرق الأقصى ، وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٨٦م .

* فيثيشيا بورتر :

٢٣- الزجاج المزخرف المتنوع للعائلة الرسولية في اليمن ، بحث مشرح وملحق بكتاب الدولة الرسولية في اليمن لاسماعيل الاكوع ، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، عدن ٢٠٠٠م .

* قوه - ينغ - ده :

٢٤- تاريخ العلاقات الثنائية العربية ، ترجمة تشنغ - جيا - مين ، مجلة الصين اليوم ، العدد ١ يناير ٢٠٠٣م ، العدد مارس ٢٠٠٣م ، العدد ٩ سبتمبر ٢٠٠٢م .

* قبصر أديب مخول :

٢٥- الاسلام في الشرق الأقصى ، ترجمة نبيل صبحي ، دار العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

* محمد بن أحمد مخول :

٢٦- مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق اسماعيل الاكوع ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

* محمد القبلى :

٢٧- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤م .

* محمد عيد العال أحمد :

٢٨- بنو رسول وبنو طاهر ، الهيئة المصرية العام للكتاب ١٩٨٠م.

* محمد بن يحيى القيفى :

٢٩- الدولة الرسولية فى اليمن ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ٢٠٠٥م.

* محمود يوسف (سى - هوا- بن) وآخرون :

٣- الشخصيات الإسلامية البارزة فى الصين ، دار النشر باللغات الأجنبية . بكين ١٩٩٣م.

* نعيم زكى فهمى :

١- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب ، الهيئة المصرية العام للكتاب ١٩٧٣م.

السفارات والوفود بين الدولتين العباسية والبيزنطية في عهد الخليفة هارون الرشيد ١٧٠-١٩٣هـ/٧٨٦-٨٠٩م

أولاً: السفارة (معناها - شروطها - مهامها):

استخدمت كلمة سفارة ووفادة للإشارة إلى أساليب ممارسة العلاقات الخارجية للدولة. أما لغويًا فالسفير هو: "الرسول والمصلح بين القوم والجمع سقرا"^(٢).

وفي مصطلح الاتصال الخارجي للدولة فذلك يعتبر: "عملية استمرار الاتصالات الخارجية على اختلاف أنواعها وأشكالها ودرجاتها، تؤدي بواسطة السفراء والرسول والمبعوثين، ويكونون وكلاء وممثلين للمرسل لدى الملك أو الرئيس المرسل إليه في دولة أخرى في أمر من الأمور المتعلقة بينهما، ويتندب لهذه المهمة من يصلح لها، ويكون وكيلًا للمرسل في كل ما ينسب إليه في توقيع الاتفاقات والمعاهدات أو إنها - حالة الحرب"^(٣).

وكان الخليفة يقوم شخصياً باختيار رسله وسفرائه من مرشحيه، حيث يقوم ديوان الرسائل بترشيحهم ويهد لاختيارهم، كما يعد هذا الديوان الكتب والرسائل التي يحملها هؤلاء الرسل معهم، ويتم اختيارهم وفق شروط معينة، أشار إلى أغلبها ابن الفراء في كتابه رسل الملوك ومن أهمها:

١- أستاذ مساعد بقسم التاريخ - كلية التربية - جامعة صنعاء.

- أن يكون رجلاً لا امرأة وأن يكون مقبول الشكل^{١٢٧}، مهيباً في نفوس الآخرين^{١٢٨}، يتسم بوضوح الصوت وحسن الأداء والبيان والقدرة على التعبير بدقة عما يريد قوله^{١٢٩}.

- أن يكون جريئاً مقداماً ذا رزانة ووقار يعرف متى ومع من تكون الشدة أو اللين^{١٣٠}، واتقيا من نفسه عظمتنا إلى نجاح مهمته^{١٣١}، واسع المدارك مشهود له بالعلم والدعاء، عارفاً بأحوال البلد المرفد إليه من كل جوانبه^{١٣٢}.

مع العلم أنه لم يكن هناك ممثلون دائمون أو سفراء مقيمون عند الدول التي أرسلوا إليها، بل تنتهي مهمة الرسول عند انتهاء مهمته المرسل من أجلها.

وكانت الخلافة العباسية تتعامل مع سفارات القسطنطينية بنوع من الحذر بحكم العلاقات الحربية، لهذا لم يكن يسمح لهؤلاء السفراء بالمرور في الأراضي العباسية إلا بعد التأكد من صفتهم الرسمية خشية أن يكونوا جواسيس لا رسل، يقول صاحب الحراج: "فإن قال أنا رسول الملك بعثني إلى ملك العرب وهذا كتابه معي، وما معي من المتاع والدواب والرقيق هدية له، فإنه يصدق قوله، إذا كان أمراً معروفاً،... إلا أن يكون معه شيء له خاصة حمله للتجارة، فإنه إذا مرّ به على العاشر عشرة"^{١٣٣}.

وقد تنوعت مهمة السفارات والوفود المتبادلة بين الدولتين العباسية والبيزنطية ما بين:

- التهديد بشن الحرب^{١٣٤}، أو دعوة الإمبراطور البيزنطي إلى إحدى ثلاث (الإسلام أو الجزية أو الحرب)، مثلما حدث من رسالة الرشيد إلى نقفور^{١٣٥} بعد نقضه الاتفاق الذي كان مبرماً مع إيريني^{١٣٦}.

- محاولة إنهاء الحرب وعقد الصلح بين الدولتين^{١٣٧}، أو فداء الأسرى وتبادلهم (١٤)، أو الإبلاغ عن نقض صلح أو إنهاء اتفاق بين الطرفين^{١٣٨}.

- تقديم النهائي بتولي الحكم^{١٣٩}، أو الترويج لتعزيز العلاقات التجارية بين الطرفين^{١٤٠}.

ومن أجل أن تحقق السفارة مهمتها لدى الطرف الآخر فإنها كانت تُصحب برسالة يُشرح فيها المرسل لهذه السفارة الموضوع الذي أرسلت من أجله، لكنها كانت تتميز بالاختصار الشديد دون استطرادات، بل تشير إلى غرضها مباشرة دون غموض، وأوضح مثال على ذلك رسالة نقفور إلى الرشيد التي كان يطلب فيها من الرشيد جارية كان قد خطبها لابنه غير أنها كانت من ضمن أسرى هرقل، يقول: "... أما بعد أيها الملك، فإن لي إليك حاجة لا تضرك في دينك ولا دنياك،

هيئة يسيرة، أن تهب لابني جارية من بنات أهل حرفلة، كتبت قد خطبتها على ابني، فإن رأيت أن تسعفتي بحاكتي فعلت، والسلام^(١٨)، كما كانت هذه الرسائل تبدأ باسم المرسل إليه ثم اسم المرسل، فقد بدأت الرسالة السابقة من تقفور إلى الرشيد كالتالي: "لعبد الله هارون أمير المؤمنين من تقفور ملك الروم...^(١٩)، لكن قد تكون الرسالة مطولة إذا اقتضى الأمر ذلك.

ثانياً: أبرز مهمات السفارات بين البلدين في عهد هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣هـ / ٧٨٦-٩-٨٠٩م)

وتلعب أبرز مهمات السفارات في فترة الدراسة كانت تهتم بمعاهدات الصلح بين الطرفين، ورسلت أمرين

- أولاً:- عقد الصلح بين الطرفين وإيقاف الحرب نتيجة لجهود السفارات المتبادلة بين الطرفين.

- ثانياً: فداء وتبادل الأسرى ودور الوفود في إنجاح عملية التبادل.

ولتسهيل عملية الدراسة سيتم الحديث عن العنصر الأول ، والذي يشمل المعاهدات وعقد الصلح بين الطرفين مع دفع الجزية لافتراتهما معا في هذه الفترة لأن الدولة العباسية كانت الأخرى في عهد الرشيد فلم يكن يتم عقد الصلح في الغالب إلا ويكون مقرونا بدفع الجزية.

الأمر الثاني: تبادل وفداء الأسرى، ودور الوفود والسفارات في ذلك.

وسيتركز الحديث في هذا البحث عن هذه الجوانب التي رسمت العلاقات السلمية أو الحربية بين الدولتين العباسية والبيزنطية في فترة الدراسة، ونتيجة لأن تقديم الجزية يكون أحد بنود الصلح المبرم غالباً بين الطرفين، وتقدم من قبل البيزنطيين للدولة العباسية، فسقتصر الحديث على مهمات السفارات والوفود في جانبين فقط، هما: أ- في عقد الصلح. ب- في فداء الأسرى وتبادلهم.

أولاً: عقد الصلح بين الطرفين وإيقاف الحرب نتيجة لجهود السفارات المتبادلة بين الطرفين:

١- اختلاف السياسة البحرية مع البيزنطيين (بين الدولة العباسية عند قيامها والدولة الأموية):

يسقط الخلافة الأموية سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م، وقيام الخلافة العباسية، بدأ عصر جديد يختلف في كثير من خصائصه عن العصر الأموي، فقد غيرت الخلافة العباسية اتجاهها من البحر المتوسط

وتطلعت نحو الشرق^{١٢١}، مما أدى إلى زيادة المؤثرات الفارسية فيها، الأمر الذي نتج عنه نقل العاصمة من دمشق إلى بغداد القريبة من فارس، فظهر تأثير الحضارات الشرقية في الحضارة الإسلامية من فارسية وهندية وصينية.^{١٢٢}

ونتج عن تغير عاصمة الخلافة والتركيز على الاتجاه الشرقي لها حدوث تغير في السياسة الخارجية للخلافة والخلفاء - تجاه العدو التقليدي لهم وهو الإمبراطورية البيزنطية، وتلاحظ ذلك من خلال الآتي:

- بعد أن كان هدف الخلافة الأموية الاستيلاء على القسطنطينية واحتواء الإمبراطورية البيزنطية، - حيث أرسلوا عدة حملات عسكرية كبرى كان آخرها سنة ٩٩ هـ -، تحولت سياسة الخلفاء العباسيين حيث اقتصرت على حماية حدود دولتهم، فلم يعد فتح القسطنطينية بالنسبة لهم هدفاً رئيسياً، بل أصبح بعيد المنال^{١٢٣}، كما أن البحر المتوسط لم يعد محطة للتقدم منه إلى داخل الدولة البيزنطية، بل جعلوا منه محطة دفاع لا هجوم، فأصبحت هذه المناطق الحدودية للدولة لا ينظر إليها على أنها: "أبواب وثغور يقفز منها إلى ما وراء البحر من بلدان"^{١٢٤}، بل مناطق دفاعية ثابتة، فقل النشاط البحري للعباسيين في البحر المتوسط لما يقارب خمسين عاماً قبل أن يبدأ الاهتمام به من جديد في عهد هارون الرشيد^{١٢٥}، الذي اهتم بإيجاد قوة بحرية عباسية، حيث يذكر البلاذري أن هارون الرشيد "... أقام من الصناعة ما لم يقم قبله، وقسم الأموال في الثغور والسواحل"^{١٢٦}، ويظهر من الأعمال البحرية التي ظهرت في خلافته، ومن تفكيره بفتح قناة السويس التي ثناء عنها جعفر اليرمكي قائلاً له: "أريد أن يتخطف الروم الحجاج عن عرفات"^{١٢٧}، ومن ذلك يظهر أن الرشيد بذل دون غيره من خلفاء بني العباس جهداً بحرياً محدوداً للاستفادة من إشراف الدولة العباسية على البحرين التجاريين الوحيديين آنذاك، المتوسط والهندي، ولكن لم يستطع أن يصل في أسطوله البحري إلى الدرجة التي يجعله يتوازى مع قواته البرية، فظل الجيش العباسي قوة برية فقط، ولعل الرشيد كان لا يؤمن بنجاح هذه المحاولة في تحويل الدولة العباسية إلى دولة بحرية، فكانت كلمة واحدة من جعفر كافية لإثارة مخاوفه على حجاج عرفات من قراصنة الروم.^{١٢٨}

نتيجة لما سبق لم يهتم الخلفاء العباسيون بالأسطول البحري^{١٢٩}، حيث لم يعد سداً أساسياً لعملياتهم العسكرية البرية في آسيا الصغرى، كما كان الحال في العصر الأموي، فنحلت الأساطيل ذات الطابع المحلي مسئولية الدفاع عن الشواطئ الإسلامية الشرقية على البحر المتوسط، مثل أسطول طرسوس^{١٣٠} الذي أصبح جزءاً من قوات الحدود.^{١٣١}

لهذا ذاق العباسيون الأول مرارة هذه المشكلة. فاستغل البيزنطيون انشغال العباسيين بالثورة فأغاروا على الحدود الإسلامية ودمروا العديد من الحصون. مثلما قام به الإمبراطور قسطنطين الخامس (٧٤٠-٧٧٥م) ^{١٣١} من إغارة على خط حصون القرات وتدعيمها ^{١٣٢}، ولم يكتف بذلك بل هدد النظام التفري كلّه المستند من القرات حتى البحر ^{١٣٣}، كما حاصر ملطية ^{١٣٤} وأخذها رغم أن الخليفة المنصور استطاع استردادها من الروم. ^{١٣٥}

نتيجة لهذا الضعف الذي لحق بالأسطول البحري الإسلامي في هذه المرحلة غلب الطابع البري على العمليات الحربية التي قام بها المسلمون ضد البيزنطيين، وهو ما يتضح أكثر عند الحديث عن الحدود القائمة بين البلدين في هذه الفترة، أو ما يسمى منطقة الثغور، ومع ذلك لا يمكن القول بعدم وجود الأسطول العباسي في البحر المتوسط خلال هذه الفترة، وخاصة في سواحل الشام ومصر، غير أنما يمكن ملاحظته أن الأسطول البيزنطي كان أقوى، فلم يتمكن العباسيون من بذل أي نشاط في البحر المتوسط دون أن تكون له مضاعفات سياسية وعسكرية بجانب النتائج الاقتصادية المترتبة على ذلك. لا مع بيزنطة فحسب، بل مع كثير من الدول النشطة على أطرافه، وإذا كان حوض البحر المتوسط بيد العباسيين في الشرق والجنوب، وبأيدي الروم في الشمال، فإن حوضه الغربي كان مشتركا بين الروم أنفسهم في إيطاليا وصقلية ^{١٣٦}، وبين الفرنجة في الشواطئ الشمالية وبين عرب الأندلس الأمويين في شواطئ إيبيريا، أما في المغرب وأفريقيا فقد كان الشاطئ للعباسيين بالاسم، وسرعان ما تظهر فيه -وهذا عهد الرشيد نفسه- قواء المحلية المنفصلة لتمارس سياستها الخاصة مثل الإدارة الذين استقلوا بالمغرب من سنة ١٧٢هـ/٧٨٨م، بينما استطاع الأغالية الحصول على اعتراف العباسيين باستقلالهم من سنة ١٨٤هـ/٨٠٠م. ^{١٣٧}

وعلى الرغم من ذلك فيمكننا أخذ فكرة عن حركة المد والجزر الحربي بين الطرفين العباسي والبيزنطي من خلال تتبع الغزوات التي قام بها الخلفاء، واحدا تلو الآخر على الجبهة البيزنطية. على أننا يجب أن نقرر أن الجهاد العباسي ضد الروم قد بلغ ذروته في هذه الفترة من العهد العباسي ما بين خلافة المهدي وخلافة المعتصم، وإذا كانت فترة تطوير الدولة في عهد المنصور ^{١٣٨} لم تشهد أعمالا حربية واسعة على الجبهة الرومية فإن ديبب الوهن قد دب في القوى العباسية في عهد كل من الواثق ^{١٣٩} والمتوكل ^{١٤٠}، وكانت آخر التآلقات الجهادية على تلك الجبهة أعمال المعتصم. ^{١٤١}

وبذلك نخلص إلى النقاط التالية:

- كان اهتمام الروم بأسطولهم أقوى وأكبر من اهتمام العباسيين بأسطولهم، وهو الأمر الذي مكن للروم من السيطرة على الحوض الشرقي للبحر المتوسط بشكل خاص، فترة لا تقل عن ثلاثة أرباع القرن، أي ما بين سنتي ١٣٥هـ/٧٥٢م حتى ٢١٢هـ/٨٢٧م.
- أن العمليات الحربية البرية لم تكن مترافقة ومتزامنة مع العمليات البحرية سوى محاولات محدودة.^(٤٢)

٢- الحالة الحدودية بين الدولتين حتى عهد الرشيد:

من غير الممكن استخدام مصطلح "حدود" بالمعنى السياسي القانوني المتعارف عليه اليوم للدلالة على حالة كانت قائمة في مطلع العصور الوسطى^(٤٣)، فهذا اصطلاح حديث لا يعبر عن مفاهيم تلك الفترة، ومن الأفضل استخدام مصطلح "الثغور".

وقد ضمت المناطق الحدودية بين الدولتين (العباسية والبيزنطية) العديد من القلاع والحصون، والاستحكامات الحربية، والتي كانت مشار نزاع بين الطرفين للسيطرة عليها لأهميتها الإستراتيجية بوصفها نقاط دفاع وهجوم في وقت واحد.

وقد قسمت منطقة الثغور إلى قسمين رئيسيين هما: الثغور الشامية التي كانت مقابلة لعمل الأناضول لحد كبير، والثغور الجزرية وهي مقابل عمل أرمينية، وضمت الثغور الشامية: (طرسوس- أذنة^(٤٤) - المصيصة^(٤٥) - عين زربة^(٤٦) - الكنيسة السودا^(٤٧) - الهارونية^(٤٨) - بياس^(٤٩)، أي الحصون القائمة في حوض نهري سيحون وجيحون^(٥٠)، مقابل جبال طوروس من جهة الشرق^(٥١)، يقابلها في الجانب البيزنطي مناطق (قبادوقيا- الناطليق من جهة البر، سلوقية^(٥٢) من جهة البحر).^(٥٣)

أما الثغور الجزرية، وهي حصون تمتد على منطقة أوسع بكثير من الأولى وتوزع في أحواض منابع الفرات، من مرعش^(٥٤) ودايق^(٥٥) من جهة الغرب إلى حائي وشمشاط^(٥٦) حتى منازكرد من جهة الشرق^(٥٧)، ويدخل فيها حصون عدة منها: (مرعش - الحداث^(٥٨) - زبطرة^(٥٩) - كيسوم^(٦٠) - حصن منصور^(٦١) - شمشاط - مطلية). ويواجهها في الجانب البيزنطي (خرشنة^(٦٢) - خالدنيا)^(٦٣)، وفي عام ١٧٠هـ/٧٨٦م عزل الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقسرين، وجعلها حيزاً واحداً

وسميت بالعواصم^{١٦١}، وكانت منطقة شمال الشام من حول مدينة حلب تدعى بالعواصم وتمتد من أنطاكية وبلدة بايلاس على خليج الاسكندرونة حتى بلاد عين طاب، ومنبج^{١٦٢} وبالس والرافقة^{١٦٣} من جهة الفرات، وهي منطقة جبال اللكام وما وراها حتى الفرات^{١٦٤}، وكان الهدف من ذلك أن يعصم المسلمين ويحميهم إذا عادوا من نشاطهم العسكري وخرجوا من منطقة الثغور.^{١٦٥} يقول قدامة بن جعفر عن منطقة العواصم: "لأنها تعصم الثغر وتمده في أوقات النفي"^{١٦٦}، ومركز العواصم منبج في الداخل وأنطاكية في الساحل، وربما اقتصت الأولى بثغور الجزيرة والثانية بثغور الشام أو اشتركتنا معاً.^{١٦٧} أما دلوك^{١٦٨} فمنها مركز توزيع الثغور والعواصم، فإلى الشرق والشمال ثغور الجزيرة، وإلى الغرب ثغور الشام، وإلى الجنوب العواصم،^{١٦٩} وكان الرشيد يقصد إيجاد وحدة عسكرية قوية تضمن الدفاع عن الحدود، فلا تكلفه عناء التفكير الدائم بالجيبة الرومية أو باتخاذ تدابير الغزو والإرغام عليها.^{١٧٠}

وإن كان الرشيد من الخلفاء الذين يقودون الحروب مع الروم بأنفسهم ويخرجون إلى أرض المعركة، على الرغم أن أبوه قد سبقه بالخروج إلى مكان قريب من أرض المعركة والبقاء فيه أثناءها لمتابعتها ثم العودة إلى العاصمة، إلا أن الرشيد قاد الجيوش بنفسه وتوغل بها في أرض الروم، وهو تقليد لم يسير عليه بعده سوى حفيده المأمون^{١٧١} والمعتمد، ثم الواثق، ثم أغلق الخلفاء العباسيون على أنفسهم أبواب قصورهم في بغداد وسامراء إلى أن دخل عليهم هولاء^{١٧٢} تلك القصور، وإن كان بعض الخلفاء، في القرن السادس والسابع الهجريين قد باشروا بعض الحروب لكن ضد خصومهم وحفظ سلطانهم السياسي المحلي وليس ضد الروم ولا ضد الصليبيين.^{١٧٣}

٣- الأوضاع السياسية البيزنطية في عهد هارون الرشيد:

وقبل الحديث عن السفارات والوفود بين الخليفة العباسي هارون الرشيد وبين الدولة البيزنطية لا بد من معرفة من كان يحكم من الأباطرة لها خلال حكم الرشيد، وكيف كانت الأوضاع فيها، ومن سيتولى الحكم في الدولة البيزنطية خلال هذه الفترة، حيث سيتولى العرش عدداً من الأباطرة هم (ليو الرابع الخزري) (٧٧٥ - ٧٨٠)^{١٧٤}، وقسطنطين السادس^{١٧٥} ومعه أمه إيريني في البداية وصية عليه، (٧٨٠ - ٧٩٧ م)، ثم انفردت بالحكم (٧٩٧ - ٨٠٢ م)، ثم نقفور (٨٠٢ - ٨١١ م)^{١٧٦}، ولعل حكم ليو الرابع الذي اتبع سياسة توفيقية بين الأيقونية والبايونية^{١٧٧} مما أدى إلى استقرار نسبي في الأوضاع الداخلية للإمبراطورية البيزنطية، لما اشتهر به ليو الرابع من الميل إلى الاعتدال.^{١٧٨}

بوفاة ليو الرابع المفاجئ تولى العرش قسطنطين السادس وهو في العاشرة من عمره بوصاية من أمه إيريني التي شاركته في الحكم وحاولت الانفراد بالعرش وإبعاد ابنها عنه (٨٢)، وبالفعل تنجح في ذلك فستطيع الانفراد بالحكم، ثم يتم إبعادها عن العرش، ليأتي للحكم نقفور الذي تعصب للسياسة الأيقونية.^{١٨٦}

٤- دور السفارات والوفود في عقد الصلح بين الطرفين في عهد هارون الرشيد:

بدأ هارون الرشيد بالهمة العسكرية ضد البيزنطيين في حياة أبيه الخليفة المهدي، ففي سنة ١٦٢هـ/٧٧٩م قام المهدي بعمل عسكري واسع في الأراضي البيزنطية، حيث خرج وعسكر بالبردان ثم عهد لابنه هارون بقيادة هذه الحملة^{١٨٧}، وتأتي أهمية الغزوات الانتقامية التي تمت سنة ١٦٢هـ/٧٧٩م حيث تحركت على محورين: محور أرمينية الشمالي التي قادها يزيد بن أسيد السلمي إلى باب قاليقل^{١٨٨} (ثيودور سيوليس) ففتح ثلاثة حصون وأصاب سببا كثيرا وأسرى، ومحور الحدث (أدرولية)، بقيادة الحسن بن قحطبة في ثلاثين ألف مرتزق من أهل خراسان والموصل والشام وأمداد اليمن، عدا المطوعة من العراق والحجاز، فأكثر التخريب والتحريق في بلاد الروم من غير أن يفتتح حصنا، أو يلقى جماعة، حتى بلغ العين المعدنية الحارة (الحمة) في أدرولية، واستحم بها، ثم قفل بالناس سالمين، وقد ثقلت وطأة هذه الحملة على الروم، كما نجم عنها من الدمار حتى أعطوا الحسن لقب "التنين"، وصوّروه في كنائسهم، ليعرفه الناس.^{١٨٩}

وقد رافق المهدي ابنه هارون حتى بلغ جيحان ومدينة المهديّة ثم ودعه فيها وعاد^{١٩٠}، ومن ثم توجه هارون حتى فتح صحار^{١٩١} بعد أن حاصرها ثمان وثلاثين يوما.^{١٩٢}

ومستركز الحديث عن أربعة اتفاقات أو إبرام معاهدات صلح بين الدولتين العباسية والبيزنطية في هذه الفترة كان لها أثرها البالغ في رسم السياسة العامة التي تحمّدت على ضوئها العلاقات العباسية البيزنطية سلماً أو حرباً.

أ- صلح ١٦٥هـ/٧٨١م بين هارون الرشيد وإيريني.

ب- صلح عام ١٨٢هـ/٧٩٨م بين هارون الرشيد وإيريني أيضاً.

ج- صلح عام ١٨٧هـ/٨٠٢م بين هارون الرشيد ونقفور.

د- صلح عام ١٩٠هـ/٨٠٥م بين هارون الرشيد ونقفور.

أ- صلح ١٦٥هـ / ٧٨١م بين هارون الرشيد وإيريني:

كان المهدي (٩٠) العباسي قد اتخذ سياسة حازمة مع البيزنطيين فأعد الجيوش ورتب الحدود والثغور، ولم يتهاون معهم. وفي هذا الصدد يذكر بعض المؤرخين الأرمن أنه أرسل رسالة تهديد إلى الإمبراطور البيزنطي - يبدو أنه الإمبراطور ليو الرابع - حوت ردا حاسما على هجماته على حدود المسلمين إذ أرسل إليه مكوكين من حب الخردل الأسود، مع كتاب يقول فيه: إنه سيرسل إليه جيشا بعدد هذا الحب الذي يراه، إن لم يكف عن مهاجمة حدود المسلمين.^(١٩١)

اطمأن المهدي إلى شجاعة ابنه الذي لقب بعدها بالرشيد لشجاعته، فعهد إليه في نفس العام بقيادة حملة في أواخر جمادى الآخرة ١٦٥هـ / كانون ثاني ٧٨٢م، على رأس قوة بلغ تعدادها خمسة وتسعون ألف وسبعمئة وثلاثة وستون جنديا، وبلغت نفقاتها مائة وأربعة وتسعون ألف وأربعمائة وخمسون دينارا^(١٩٢)، إلى جانب هذه الأموال حشد المهدي في هذه الحملة عددا كبيرا من القواد على رأسهم يزيد بن يزيد الشيباني، وضم إليه الربيع بن بونس، وقد أوغلت هذه الحملة في بلاد الروم على شكل سهم من مناطق البستان، وقيسارية^(١٩٣) إلى مناطق أنقرة^(١٩٤) ثم إلى نيقوميديا، الولاية المشرقة على السفور وبحر مرمرية^(١٩٥) وقد تقدم بهذه القوات في عمق الأراضي البيزنطية وافتتح العديد من الحصون منها حصن ماجدة، ثم تقدم بقواته حتى بلغ الشواطئ الآسيوية المقابلة للقسطنطينية^(١٩٦) بعد افتتاح الجيش الإسلامي لحصن ماجدة التقى بفرق الفرسان البيزنطية بقيادة (نقيطا - نيكيتياس)، قوس القواسم، فسقط مثلنا بالجراح أمام يزيد الشيباني، ثم هزم الدمستق صاحب المسالح في الولاية المتصلة بالعاصمة، فلم يكن أمام إيرين سوى الصلح خاصة إذا علمنا أن هذه أول مرة يصل فيها الجيش الإسلامي إلى مشارف القسطنطينية منذ خمسين عاما تقريبا، حيث كان آخر هجوم إسلامي وصل هذه المنطقة في عهد سليمان بن عبد الملك سنة (٩٦-٩٩هـ).^(١٩٧)

أمام هذه الانتصارات التي حققها هارون الرشيد اضطرت الإمبراطورة إيريني إلى طلب عقد الصلح مع الرشيد، وانتهت بعقد صلح بين الطرفين والذي كان من أهم بنوده:

- إقامة الأدلاء والأسواق في طريق عودة الجيش العباسي، لأنه دخل مدخلا صعبا فخيف على المسلمين.

- يقدم البيزنطيون جزية سنوية مقدارها تسعون ألف دينار، تؤدى في نيسان وحزيران من كل عام.

- تسليم الأسرى بين الطرفين.

- هدنة للسلام مدتها ثلاث سنوات.^(١٩٨)

وبدراسة هذا الصلح بتعمق والتعرض لطبيعة المفاوضات فيه، تعرضنا عدة أسئلة منها: كيف تمت المفاوضات بين الطرفين ومن طلب الصلح أولاً منهما؟ ، ومن أرسل وفداً يطلب المصالحة من الآخر؟ ، وهل فعلاً قام الرشيد باحتجاز الوفد المفاوض للضغط على البيزنطيين في التفاوض؟ ، ثم من كان الأضعف سياسياً في هذه المرحلة؟ ، و لمصلحة من كان التفاوض ويتوده العباسيين أم البيزنطيين؟.

لقد شكك البعض بقيمة الانتصارات التي حققتها هذه الحملة أو حول من طلب الصلح أولاً من الطرف الآخر^(١٩٩)، مع أنه لا يمكن التشكيك بقيمة هذه الانتصارات التي حققتها هذه الحملة، لأن ما حققته من انتصارات كان كافياً لإجبار الإمبراطورة إيريني على طلب الصلح، خاصة أن المصادر العربية قد أشارت بصراحة ووضوح إلى أنها هي من طلبت الصلح^(٢٠٠)، إضافة لما ذكرته المصادر من غنائم لا حصر لها في هذه الحملة ومنها: ٥٦٣ أسيراً، قتل منهم ألفان وثيلاً، و ٢٠ ألف دابة بأدواتها، وذبح ١٠ ألف من البقر والغنم، أما الغنائم فقد بلغت من الكثرة أن بيع البرذون بدرهم والبغل بأقل من عشرة دراهم، والدرع بدرهم، و ٢٠ سيفاً بدرهم، مع العلم أن عدد المرتزقة سوى المطوعة وأهل الأسواق مائة ألف، ورغم المبالغة هنا إلا أن ذلك يدل على النصر الذي حققه الرشيد في هذه الحملة^(٢٠١)، وقد يكون الصراع الحربي في البلاط الإسلامي ما بين جماعة الرشيد وجماعة أخيه الهادي^(٢٠٢) ولدي الخليفة المهدي قد لعب بعض الدور في المبالغة بهذا النصر وتضخيم أثره وغنائمه، غير أن المؤرخين البيزنطيين لم يستطيعوا بدورهم الانتقاص من هذا النصر أو إنكار بعض الوقائع الأساسية فيه، وأهمها وصول الجيش الإسلامي إلى كريسو بوليس، ألا أن مما لا شك فيه أن حرب هارون قد استغل هذا النصر أحسن استغلال من أجل الحصول على ولاية العهد له، والذي لقب بالرشيد^(٢٠٣)، وخاصة إذا تبين لنا أن الرشيد هو من توغل في أرض البيزنطيين وليس العكس، وهنا لا يمكن لإيريني أن تغض الطرف عنه، إضافة إلى أن الإمبراطورة كانت تواجه خطراً آخر تمثل في ثورة هليبيديوس حاكم جزيرة صقلية، وكانت قد أرسلت جزءاً كبيراً من قواتها لإخماد هذه الثورة^(٢٠٤)، إضافة لذلك فهي في صراع مع السياسة الأيقونية^(٢٠٥)، من أجل ذلك كان لا بد لها من تهدئة السياسة الخارجية مع العباسيين.

من أجل كل ذلك أرسلت إيرين وفدا إلى هارون الرشيد لطلب الصلح^{١١٦٦}، حيث يشير البعض إلى أن هارون الرشيد احتجز الوفد المفاوض^{١١٦٧}، ليضغط على البيزنطيين في التفاوض، لكن ذلك لا يمكن تصديقه، وقد تكون إيريني هي التي استخدمت هذه المبررات ليصبح هناك قبول من الرأي العام البيزنطي لنتائج هذا التفاوض، وتظهر أنها كانت معضرة لقبول هذه البنود، وقد يكون من أوردتها متحاملا مع الجانب البيزنطي، لأن ما عرف عن المسلمين من سماحة وأمان للرسول يجعل القبول بهذا الأمر صعبا للغاية، ثم كيف تم التفاوض مع هارون الرشيد والوفد محتجز؟.

كما ذهب البعض إلى اعتبار أن التفاوض مع هذا الوفد لم يتم إلا بتشجيع من قبل طازاد الأرمني، الذي لجأ إلى هارون الرشيد بسبب خلافه مع ستوراكيوس، رغم أنه أحد أتباع إيريني المخلصين، وقد عينه الرشيد حاكما على أرمينية^{١١٦٨}، وتبين ضعف هذا الرأي لعدم أي ذكر له في المصادر العربية، وإن كان قد استخدم النصح للرشيد نتيجة للخلاف السياسي بينه وبين بعض قواد إيريني، ومع ذلك فلن يعدو ذلك مجرد نصيحة يقدمها للرشيد، ليقرر بعدها الرشيد الأفضل له ولحيشه ولدولته.

قدم الرشيد عام ١٦٦هـ/٧٢٨م من حملته ومعه وفدا بيزنطيا حاملا الجزية إلى الخليفة المهدي^{١١٦٩}، ولعل من أبرز النتائج التي حققتها هذه الحملة أو حققه هذا الصلح:

- ما نالته الدولة العباسية من المجد نتيجة لتسليم الإمبراطورية البيزنطية للجزية التي وصلت مع الجيش الإسلامي مصحوبة بمن رافقهم من رسل الروم، إضافة لما ناله المحاربون المسلمون من الغنائم.

- كما نال هارون ولاية العهد الثانية، إضافة للقب الرشيد، وتبارى الشعراء في المدح والثناء على الرشيد وعلى حملته^{١١٧٠}.

- عدم وجود أي نشاطات عسكرية في مناطق الثغور بين البلدين في هذه السنة وفي السنة التي تلتها، بسبب الهدنة التي عقدت بين الطرفين^{١١٧١}.

وعلى الرغم من أن اليعقوبي يذكر غزوات قام بها عددا من القواد المسلمين خلال هذه السنوات مثل: تمامة بن الوليد في العام ١٦٦هـ/٧٨٢م، والفضل بن صالح في العام ١٦٧هـ/٧٨٣م،

ومحمد بن إبراهيم في العام ١٦٨هـ/٧٨٤م، قلعل هؤلاء القادة لم يتم تعيينهم وإرسالهم إلى مناطق الحدود في تلك السنين إلا احتياطا لأي طارئ وخوفا من نقض الهدنة من قبل البيزنطيين لكنهم لم يباشروا الحرب.^(١١٦)

وفي عام ١٦٨هـ/٧٨٥م نقض البيزنطيون الهدنة المعقودة مع الدولة العباسية^(١١٧)، ولا تبين المصادر التي بين أيدينا سببا لها الحرق، إلا أن ذلك لا بد أن يكون بأحد أمرين إما بالامتناع عن دفع الجزية السنوية المتفق عليها، أو بالقيام بعمل عسكري في مناطق الثغور.

وفي سنة ١٧٠هـ/٧٨٦-٧٨٧م تولى هارون الرشيد الخلافة، وكان لذلك صدى واسع في العمليات العسكرية والهجمات على حدود الدولة البيزنطية، فقد تم ترتيب الجند، وتحصين الحصون، وأوجد في هذه السنة إقليم العواصم، وتم تعمير طرسوس^(١١٨)، وقد استمر الرشيد في تحصين الثغور حتى سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م، فنجد أنه في سنة ١٨٠هـ/٧٩٦م بنى عين زربة، وعزز حاميتها، وفي سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م بنى الهارونية، عزز حاميتها بالمقاتلة^(١١٩)، كما أمر ببناء الكنيسة السوداء وتحصينها وندب إليها المقاتلة^(١٢٠) ولذلك نلاحظ أن الفترة الممتدة من ١٧٠هـ حتى ١٨٣هـ/٧٨٦-٧٩٩م كان فيها العديد من الحملات التي توجهت إلى داخل عمق الأراضي البيزنطية، (١١٧) فقد حافظ الرشيد على استمرارية الحملات الدورية على جبهة الروم سنة بعد سنة، ولكن دون تغير في المواقع، وأنا لثرى من القواد في الثغور عدا قاموا بالغزوات الصائفة الدورية خلال هذه الفترة لكن أسماهم تختلف عند الطبري وابن الأثير عنها لدى يعقوبى، ومع ذلك نجد أن منهم من وصل في بعض الغزوات إلى أنقرة، أو أفسوس كعبد الملك بن صالح سنة ١٨١هـ/٧٩٧م، و١٨٢هـ/٧٩٨م.^(١٢١)

ب- صلح عام ١٨٢هـ بين هارون الرشيد وإيريني أيضا.

في سنة ١٨١هـ/٧٩٧م قاد الرشيد حملة بنفسه، استطاع خلالها فتح حصن الصفصاف عتوة (١١٩)، ولم يستطع الإمبراطور قسطنطين السادس عمل شيء، لأن مخطط إقصائه عن العرش كان في فصله الأخير من قبل أمه^(١٢٢)، حيث منتقلب عليه سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م وتأمروا بالقبض عليه وسمل عينيه، وتنصب نفسها مكانه^(١٢٣) كما كان هناك حملات عدة في سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م ألحقت بالبيزنطيين خسائر كبيرة أحداها كانت بقيادة إبراهيم بن القاسم^(١٢٤)، والأخرى بقيادة عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح بلغت حتى أفسوس^(١٢٥)، مما دفع الإمبراطورة

أن تطلب الطلح بعد أن تخلصت من ابنها قسطنطين السادس، وانفردت بالحكم، وقد أرسلت ولدا تكون من دوروثيوس رئيس رهبان دير قرنسيو بوليس، وآخر يدعى قسطنطين، وقد تمت المفاوضات مع عبد الملك بن صالح من الجانب العباسي.^{١٢٢١}

ومع أن المصادر الإسلامية لم تشر بشكل صريح إلى هذا الاتفاق أو تقدم شيئا عن مضمونه، إلا أن ذلك لا ينفي وجود هذا الاتفاق، ومن الإشارات التي يستنبط منها حصول هذا الاتفاق كلام المصادر عن نقض نقفور للمصلح -ستحدث عنه لاحقا- ولا يمكن إلا أن يكون هذا الاتفاق المقصود هنا لأن المعاهدة الأولى كانت في سنة ١٦٥هـ/٧٨١م. أي قبل سبعة عشر عاما، وقد قام البيزنطيون بنقض تلك المعاهدة سنة ١٦٨هـ/٧٨٥م^{١٢٢٢}، كما أن الإشارة الأخرى تأخذها من الطبري الذي لم يشر إلى أية عملية عسكرية بين الطرفين البيزنطي والعباسي في السنوات ١٨٣-١٨٦هـ/٧٩٩-٨٠٢م^{١٢٢٣}، وعلى الرغم من ذكر اليعقوبي لعدة حملات عسكرية في هذه الفترة (١٢٧)، لكن الأغلب أن هذه الحملات لم تكن سوى حملات استطلاعية لمراقبة الوضع على الحدود، وما يؤكد ذلك إرسال الخليفة هارون الرشيد وقدا إلى الإمبراطورة إيريني برئاسة صالح بن بهس للتفاوض حول تبادل الأسرى^{١٢٢٤}، مما يؤكد استمرار الاتصالات السياسية وتبادل الوفود بين الطرفين خلال هذه الفترة، وهو الأمر الذي ذهب إليه البعض باعتبار هذه المرحلة مرحلة سلام بين الطرفين.^{١٢٢٥}

ورغم أن المصادر لم تبين ما توصل إليه الطرفان في هذه الوفاة الأخيرة إلا أننا يمكن أن نستنبط البتة التي تناولتها، ولعل أهمها: استمرار الهدنة والسلام بين الطرفين، وتبادل الأسرى وفق آلية متفق عليها من قبل الجانبين، واستمرار البيزنطيين في دفع الجزية في مواعدها، لأن نقفور عندما يأتي إلى العرش البيزنطي سيطالب هارون الرشيد باسترجاع ما كانت قد دفعته إيريني من أموال-سنتناوله لاحقا-.

ج- صلح عام ١٨٧هـ/٨٠٢م بين هارون الرشيد ونقفور:

في الفترة من ١٨٧-١٩٠هـ/٨٠٢-٨٠٦م تأزمت العلاقات سياسيا وعسكريا بين الدولتين العباسية والبيزنطية، وذلك بعد اعتلاء نقفور للعرش البيزنطي، ففي عام ١٨٧هـ/٨٠٢م قاد الصائفة القاسم بن الرشيد، وتوغل في الأراضي البيزنطية حتى حاصر حصن قرّة، مما دفع نقفور إلى مصالحته بإطلاق سراح ثلاثمائة وعشرين أسيرا من المسلمين، مقابل انسحاب القاسم من

الأراضي البيزنطية^{١٣٢}، ولاشك أن ذلك لن يتم إلا بمفاوضات ووفود بين الطرفين إلى أن توصلنا إلى هذا الاتفاق، لكن المصادر لا تعطينا أي تفاصيل حول هذا الاتفاق، غير أن ما يمكن استنباطه مما سبق الآتي:

- أن نقفور نقض في سنة ١٨٧هـ الاتفاق المبرم بين الرشيد وإبرني، وأرسل رسالة إلى الرشيد يبين فيها بوضوح نقضه لذلك الاتفاق.^{١٣٣}

- أن الدولة العباسية اعتبرت اتفاقها مع إبرني ملغيا لهذا قامت بالإغارة على الحدود البيزنطية ردًا على نقض الأخيرة للاتفاق، فقام القاسم بصانته سنة ١٨٧هـ/ ٢-٨م.^{١٣٤}

لكن التساؤل الذي يطرح نفسه لماذا اقتنع القاسم بأنها حملته على البيزنطيين مقابل فك أسرها^{١٣٥} أسيرا من المسلمين فقط؟، دون حديث عن تجديد للاتفاق السابق، أو عقد اتفاق جديد.

ربما لأن هذه الحملة تعرضت لظروف قاسية دفعت القاسم للقبول بذلك، فاليعقوبي عند حديثه عن صانته سنة ١٨٧هـ/ ٢-٨م، يقول: بأن المؤن أصبحت نادرة حتى تفتت المجاعة، وغلت الأسعار.^{١٣٦}

كما أن الطبري يذكر قسوة الظروف التي تعرضت لها هذه الحملة بقوله: حتى جهدوا^{١٣٧}، وتورد المصادر مراسلة الخليفة الرشيد مع نقفور الذي كان الأسبق في المراسلة فور توليه العرش الإمبراطوري. إذ أرسل رسالة إلى الرشيد مما قال فيها: "من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامت مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحسنت إليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثاله إليها وذلك من ضعف النساء وحققهن، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل قبلك من أموالها [إبرني] واقتد نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينكم"^{١٣٨}، ولذلك فلعل أهم ما حوته رسالة نقفور السابقة المطالبة بإعادة الأموال التي أدها إبرني للرشيد، أو شن الحرب على الدولة العباسية، ولذلك كان جواب الرشيد مقتضيا جدا يحوي لغة التهديد، ومما قاله: "من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام".^{١٣٩}

والملاحظ أن نص الكتابين أو الرسائل المتبادلتين بين الرشيد ونقفور لا يرد في المصادر الرومية،

وأولهما -المرسل من تقفور إلى الرشيد- خليق أن يكون من إنشاء بعض كتاب العاسيين، لما فيه من قوة السبك، كما أن من المستبعد في الكتاب الثاني -المرسل من الرشيد لتقفور- أن يتناول الرشيد إلى درك الشتيمة حتى في أوج غضبه، لا سيما وهو يخاطب إمبراطورا لدولة مجاورة، غير أن الغير مستبعد أن يكون الكتابين أو الرسائلين المتبادلتين قد سجلا بمعانيهما لا بنصوصهما الأصلية.^(١٣٣)

وإذا كان البعض مثل الطبري اعتبر أن هذا التهديد تُرجم مباشرة من قبل الرشيد بقيامه بمهاجمة البيزنطيين وفتح مدينة هرقلية في نفس السنة ١٨٧هـ/٢٠٢م (١٣٨)، فقد ذهب البعض إلى أن الرشيد فتح هرقلية في عام ١٩٠هـ/٦-٨م، وليس سنة ١٨٧هـ/٢٠٢م (١٣٩)، وإذا كان الأمر كذلك فهل يعقل أن ينتظر الرشيد ثلاث سنوات من وصول رسالة تقفور ثم يرد عليها بعد ذلك؟ ومتى كانت رسالة تقفور أصلا هل في سنة ١٨٧هـ/٢٠٢م، أم في سنة ١٩٠هـ/٦-٨م؟

لا بد أن رسالة تقفور كانت في سنة ١٨٧هـ/٢٠٢م، لوجود عدة إشارات ترجح ذلك، منها:

- لأن رسالة تقفور تطالب الرشيد برد أموال كان يأخذها من إيرني (جزية)، ومن غير المعقول أن يتذكر تقفور هذه الأموال بعد ثلاث سنوات من حكمه إذ اقتربنا أن الرسالة كانت في سنة ١٩٠هـ/٦-٨م، إذ الأرجح أنه أرسلها للرشيد بعد توليه للحكم بعدة شهور.

- أن المصادر لم تشر إلى أن تقفور حافظ على الاتفاق الذي كان مبرما مع إيرني ثم نقضه بعد فترة من الزمن، ولو كان شيئا من ذلك حدث لدفع الجزية إلى الرشيد خلال هذه الفترة من ١٨٧-١٩٠هـ/٢٠٢-٨٢٦م، ثم قام بقطعها بعد ذلك، لكن لم يرد عند أي من المصادر بأنه دفع شيئا منها بعد توليه الحكم سنة ١٨٧هـ/٢٠٢م.

- أن الطبري يذكر أن تقفور نقض الصلح المبرم مع إيرني في سنة ١٨٧هـ/٢٠٢م.^(١٤٠)

بذلك يتأكد لنا أن رسالة تقفور كانت في سنة ١٨٧هـ/٢٠٢م، ولهذا عمل الرشيد على تأديب البيزنطيين عن طريق إرسال ابنه القاسم في نفس العام وعينه على قيادة صائفة عام ١٨٧هـ/٢٠٢م -كما سبق القول- ومن ثم قام بالتوغل في الأراضي البيزنطية، وفي سنة ١٨٨هـ/٣-٨م قام بقيادة الصائفة إبراهيم ابن جبريل بتوجيه من القاسم بن الرشيد، وقد اصطدم مع البيزنطيين في "مرج عذرا"، وانتصر عليهم^(١٤١)، ولهذا نجد أن البيزنطيين في عام ١٨٩هـ/٤-٨م قاموا

بالحجوم على عين زينة والكتبة السوداء، وأذنة^(١٤٦)، وقد كان الرشيد في هذه السنة في خراسان بعدما ظهر من سوء إدارة علي بن عيسى بن ماهان، فقام الرشيد بترتيب الأوضاع هناك.^(١٤٧)

كما يشير (Canard)^(١٤٨) إلى رواية بيزنطية أخرى فحواها أن جيشا عباسيا كبيرا وصل في عام ١٨٩هـ/٨٠٤-٨٠٥م، أمام عمورية، فتوجه نقفور لصدّه وعند وصوله إلى أدولية وجه رسالة إلى الرشيد مع قائد القوة العباسية^(١٤٩)، كما أن الرسالة كانت مصحوبة بهدايا كثيرة منّ بها القائد العباسي كثيرا، فقابلها بإرسال هباتا عديدة للإمبراطور، وعاد بعد أن عقد السلام، كما أنه أعجب بحكمة نقفور وذكاءه.^(١٥٠)

إلا أن هناك احتمالا كبيرا بأن هذه الرسالة غير صحيحة، إذ من المستحيل أن أفكارا من هذا النوع قد وردت في الرسائل الإمبراطورية، فقد تضمنت هذه الرسالة معرفة عامة عند نقفور بأفكار الرسول صلى الله عليه وسلم تجاه النصارى، كما وردت فيها فكرة امتلاك المسلمين للأراضي المقدسة -وهي من أفكار فترة لاحقة- كما أن هذه الرواية إذا كانت قد قصدت إبراهيم بن جبريل، فإن الوقائع التاريخية تجعل هذا الأمر غير ممكن، كما أورده الطبري عن هذه الحملة لا يعطي أي فرصة لمثل هذه المراسلات أو اللجانلات، ثم أنه ليس من صلاحيات أي من القادة عقد أي اتفاق سلام دون تفويض مسبق من الخليفة بهذا الخصوص، إن هذه الأمور مجتمعة تجعل موضوع هذه الرسالة وما يتعلق بها أمرا مشكوكا في صحته.

د- صلح عام ١٩٠هـ/٨٠٦م بين هارون الرشيد ونقفور:

ونتيجة لقيام البيزنطيين بحملة واسعة عسكريا في مناطق الثغور سنة ١٨٩هـ/٨٠٤-٨٠٥م، فقد أثار ذلك نفمة الرشيد، فقرر أن ينزل بهم ضربة قوية ومؤلمة تؤدبهم، فقام باستشارة المقربين منه ومن لديهم خبرة بالشئون البيزنطية من أهل الثغور^(١٥١)، ثم توجه في سنة ١٩٠هـ/٨٠٦م إلى مهاجمة البيزنطيين حتى استطاع فتح مدينة هرقلية^(١٥٢)، كما فتح إلى جانب هرقلية (الصفالية، دبسة، الصفصاف، مقلوبية، سنان، حسلة، ذي الكلاع)، بينما كان داود بن عيسى يخترق أرض الروم مع سبعين ألفا، كان شراحيل بن معن بن زائدة، ويزيد بن مخلد يفتتحان الحصون بعضها وراء بعض^(١٥٣)، مما أجبر نقفور على قبول عقد اتفاق بينه وبين الرشيد في نفس العام، وقد تضمن الاتفاق عدة بنود أهمها:

- أن لا يقوم نقفور بتعمير هرقلية، و أن يقدم للعباسيين مبلغا وقدره ثلاثمائة ألف دينار كجزية سنوية.

— أن تترك القوات العباسية حصون مسلة وسنان دون تدميرها.^{١١٥١}

لكن أتنا - عودة الرشيد قام نقفور بتقضى هذا الاتفاق^{١١٥٢}، لكن المصادر لم تبين السبب المباشر الذي أدى إلى نقض الاتفاق، وربما يكون ذلك بسبب امتناع نقفور عن دفع الجزية، حيث لم يكن الرشيد قد قبضها منه، ويُستبعد أن يكون السبب قيام نقفور بتعمير هرقلية، لأن الوقت بين عودة الرشيد ونقض الاتفاق من قبل نقفور كان قصيرا.

وتضطرب الروايات حول الطريقة التي تم بها إخبار الرشيد بأمر نقض الاتفاق أتنا - عودته، وترجع السبب في ذلك إما خوفا من النعمة^{١١٥٣}، أو لمرض الخليفة^{١١٥٤}، أو للبرد الشديد^{١١٥٥}، ولهذا تم تكليف أحد الشعراء - للدخول على الرشيد وإلقاء قصيدة بين يديه توضح ما جرى، ومنها قوله:

نقض الذي أعطيته نقفور وعليه دائرة الجوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فإنه غم آتاك به الإله كبير^{١١٥٦}

عندها عاد الرشيد لمهاجمة البيزنطيين حتى وصل إلى الطوانة^{١١٥٦} وحاصرها وفتحها مما أجبر نقفور على أن يبعث بالحراج والجزية عن رأسه وولي عهده وبطارقته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار^{١١٥٧}، مما يؤكد أن سبب نقض الاتفاق كان عدم دفع الجزية من قبل نقفور، كما أجبر نقفور على دفع جزية شخصية قدرها أربعة دنانير سنويا، وعن ابنه ديناران، كما يدفع أهل الذمة في البلاد الإسلامية، وكان الرشيد يريد بذلك أن يأخذ عليه الاعتراف بأنه داخل في ذمة الخليفة^{١١٥٨}

ومع ذلك فإن الهجوم المتبادل بين الطرفين لم يتوقف بعد هذا الاتفاق، إذ نجد قيام يزيد بن مخلد بغزو الروم سنة ١٩١هـ/٨٠٦-٨٠٧م، فغنم وسلم^{١١٥٩}، ثم خرج الرشيد باتجاه الأراضي البيزنطية حتى وصل درب المحدث ثم أوكل قيادة الحملة إلى هرثمة بن أعين^{١١٦٠}، كما أغار البيزنطيين على مرعش وأصابوا فيها عددا من المسلمين^{١١٦١}، ويبدو أن هذه الأحداث الحربية مع البيزنطيين هي التي دفعت الرشيد إلى أن يأمر في تلك الأيام بهدم الكنائس في الثغور، وبأن يكتب إلى صاحب شرطته في بغداد السندي بن شاهن يأمره بأخذ أهل الذمة فيها بمخالفة هيئة المسلمين في اللباس والركوب.^{١١٦٢}

وربما يعود ذلك إلى أن الاتفاق المعقود بين الرشيد ونقفور لم يتضمن أية إشارة إلى وجود هدنة بين الطرفين، لهذا استمر الصراع العسكري محتدما بينهما، لكن لم نسمع عن منع نقفور لدفع الجزية في هذه السنوات (١٩١-١٩٣هـ)، وقد يرجع ذلك لعلم نقفور بأن القوة العباسية قادرة على الرد بقوة عليه إذا ما فكر بعمل كهذا. ويؤيد ذلك ما أشار إليه الطبري من أنه لم يتم بعد هذه السنة ١٩١هـ صانقة أخرى^(١١٧)، واستمر الأمر كذلك حتى وفاة الرشيد سنة ١٩٣هـ، فلم تشر المصادر إلى أي نشاط عسكري خلال هذه الفترة.^(١١٨)

بعد وفاة الرشيد شهدت العلاقات الحربية في الجانب العباسي خسوفا كبيرا في السنوات التي شهدت الصراع بين الأمين والمأمون^(١١٩)، إضافة لنشوء حركات معارضة عديدة في أنحاء متفرقة من الدولة العباسية، الأمر الذي أدى إلى توقف القتال في مناطق الحدود بين الدولتين لعدة سنوات.

كما أن الجانب البيزنطي شهد في هذه الفترة مقتل الإمبراطور نقفور على يد البلغار^(١٢٠)، وبعدها تم عقد اتفاق مع البلغار في عهد ليو الخامس (٨١٣-٨٢١م)، تضمن توقف القتال بين الطرفين لمدة ثلاثين عاما^(١٢١)، كما شهدت هذه المرحلة حصارا قويا على العرش الإمبراطوري مثل الصراع بين الإمبراطور وتوماس الصقلي في آسيا الصغرى^(١٢٢)، مما دفع البيزنطيين إلى الهدوء على مناطق الحدود مع العباسيين أيضا.

ثانيا: فداء - وتبادل الأسرى ودور السفارات والوفود في إنجاز عملية التبادل:

أدى استمرار الصراع بين الدولتين العباسية والبيزنطية في هذه الفترة إلى وقوع أعداد كبيرة من الأفراد من كلا الطرفين في الأسر، ولما كانت هذه الأعداد في ازدياد مستمر كان لا بد من إيجاد حلول مناسبة لها، فلذلك ظهرت عمليات فداء الأسرى وتبادلهم، لتكون حلا مناسباً لهذه المشكلة، وقد أورد الطبري معلومات مهمة في هذا الجانب، كما أن ابن قدامة المقدسي أضاف معلومات جديدة على الطبري وجعل عنوانا خاصا لذلك في فصل خاص سماه "فداء الأسرى المسلمين إذا أمكن"^(١٢٣)، وهو ما عتونه الشوكاني بـ"فك أسراهم بأسرا".^(١٢٤)

وبما لا شك فيه أن عمليات تبادل الأسرى وفدائهم لم تكن لتتم بين عشية وضحاها، بل كانت تتم بعد إرسال سفارات متبادلة بين الجانبين البيزنطي والعباسي تبحث هذا الموضوع بشكل مفصل، لتحدد عدد الأسرى وتوعيتهم (ذكور-إناث- أطفال- شيوخ-....)، كما تبحث زمان التبادل، ثم مكان إجراء عملية التبادل، كما ندرس أخذ الضمانات لكل طرف بعدم إخلال

الاتفاق المبرم، لكن المصادر لم تجب على بعض التساؤلات حول هذه العملية، ومن ذلك مثلاً:

ما مقدار الفدية التي كانت تدفع عن كل أسير؟ وهل هذا المقدار متساو عند اقتداء الرجال والنساء والأطفال والشيوخ؟ أم أنه مختلف كل حسب الحالة التي ينتمي إليها؟ أم هل كان التبادل يتم في كل فئة على حدة، ففئة الرجال مع الرجال، والنساء مع النساء، مثلاً رجل برجل وامرأة بامرأة وهكذا؟

لا شك أن السفارات والوفود التي كانت تجتمع مع بعضها لمناقشة قضية تبادل الأسرى قد ناقشت كل المسائل العالقة والتي من ضمنها هذا التساؤل المطروحة سلفاً، وإن كانت المصادر لم تبين لنا أي تفاصيل عن ذلك، وإلا لما نجحت عملية التبادل، غير أن الذي يتضح لنا من أقوال المصادر أن فداء الأسرى يختلف عن تبادل الأسرى، أو إطلاق سراحهم من قبل أحد الطرفين كإثبات حسن نوايا لعقد صلح بين الطرفين، أي كانت هناك ثلاث طرق لتبادل الأسرى هي:

أ- فداء الأسرى. ب- تبادل الأسرى. ج- إطلاق سراح الأسرى كحسن نية لعقد الصلح بين الطرفين.

وستنكلم على كل حالة على حدة:

أ- فداء الأسرى: يعني ذلك إنقاذ وفداء الأسرى بالأموال، ورغم أن المصادر لم تشر لحدوث ذلك في فترة البحث، ربما لأن الدولة العباسية أصبحت في مرحلة القوة فأخذت تغير على البيزنطيين مما أدى إلى كثرة أسراهم، الأمر الذي أدى إلى الاعتماد على عملية تبادل الأسرى بين الطرفين، وربما أن مسألة الفداء للأسرى تمت في هذه المرحلة غير أن المصادر لم تشر إلى ذلك، مع أنها أشارت إلى حدوث ذلك قبل عهد الرشيد، ففي عام ١٣٩هـ/٧٥٦م قام الخليفة المنصور بمقادة من بقي حيا من أسرى قاليقلا^{١١٣١}، وفي سنة ١٥٦هـ/٧٧٥م هاجم البيزنطيون سيمساط وأخذوا عددا كبيرا من المسلمين أسرى، فأرسل المهدي العباسي مولاد صغيرا فتتمكن من استنقاذهم^{١١٣٢}، ربما بالأموال لأن الرواية لم تشر إلى إرساله مع قوة عسكرية تناسب استرجاعهم بالقوة.

كما كان الفداء يتم أيضا في الأريطة^{١١٣٣}، حيث يذكر المقدسي صورة من صور هذا الفداء وطريقته، رآها في الساحل الجنوبي من فلسطين، ووصف اتصال الأريطة بعضها ببعض، حيث يقول: "...فيقع بها النغير وتقلع إليها شلنديات الروم وشوانبهم معهم أسارى المسلمين للبيع،

كل ثلاثة مائة دينار، وفي كل رباط قوم يعرفون لسانهم ويذهبون إليهم بالرسالات... ثم يكون الفداء فرجل يشتري رجلا، وآخر يطرح درهما أو خاتما حتى يشتري ما معهم، ورباطات هذه الكورة التي يقع بهن الفداء: (غزة- ميماس^(١٧٤) - عسقلان- حوز-... ياقا- أرسوف...^(١٧٥))، ويبقى التساؤل السابق هل كان الفداء ومقداره مساويا للفرد سواء كان رجلا أم امرأة أم طفلا أم شيخا كبيرا؟ أم كان لكل نوع فدية تناسبه من الأموال؟، إن المصادر لم تشر إلى ذلك.

ب- تبادل الأسرى: إن التبادل كان يتم بعد أن تقوم السفارات والوفود المتبادلة بين الطرفين بترتيب كل شيء يخص إنجاح عملية التبادل، (زمانا- مكانا- عددا-...)، وكان هناك تبادل للأسرى بين الطرفين تمت في عهد الرشيد قبل توليه الخلافة، حيث أعقب ذلك الاتفاق بين الرشيد مع إبريتي عام ١٦٦٥هـ/٧٨١م^(١٧٦)، لكن لم تكن هناك أي تفاصيل لهذا التبادل أين تم! وكيفية حصوله؟.

كما أعقب ذلك تبادل آخر للأسرى في سنة ١٦٦٧هـ/٧٨٣م، وأشرف عليه عبد الحميد بن الضحاك (١٧٧)، كما جرى تبادل للأسرى في سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م^(١٧٨)، كما تم تبادل آخر في سنة ١٨١هـ/٧٩٧م على يد عياض بن سنان والي الثغور الشامية^(١٧٩).

ومما لا شك فيه أن كل هذه العمليات لتبادل الأسرى لم تتم إلا بعد إرسال سفارات ووفود من كل طرف للآخر للتباحث والاتفاق بشأنها، وبعد بحث كل شيء يساعد على إنجاح عملية التبادل مثل: (عدد الأسرى المتبادلين- مكان التبادل- زمان التبادل-...)، ليتم إتمام كل عملية على حدة، ولذلك ذكر ابن خياط أن الرشيد أرسل في عام ١٨٤هـ/٨٠٠م صالح بن بيهس الكلابي إلى القسطنطينية للتفاوض حول تبادل الأسرى^(١٨٠).

كما تمت عملية تبادل للأسرى سنة ١٨٩هـ/٨٠٤م زمن هارون الرشيد ونقفور البيزنطي، وقد كلف الرشيد ابنه القاسم رسيا للإشراف على هذه العملية من جهة العباسيين، ولكونه بعيدا عن منطقة الثغور، حيث كان مقيما في دابق، فقد كلف فرج الحادم للإشراف على هذه العملية^(١٨١) وهنا الأمر يدل على أن عملية تبادل الأسرى لم تكن تتم إلا بعد فترة طويلة من التفاوض بين العباسيين والبيزنطيين، تصل إلى أعلى مرتبة في الدولة وهو الملك أو الخليفة الذي يوكل لكبار رجاله للإشراف على مثل هكذا عمليات.

كما يذكر المسعودي أن عددا كبيرا من القوات تحضر عملية التبادل للأسرى كذلك كبار قادة الثغور يقول وهو يصف عملية التبادل: "...حضره من أهل الثغور وغيرهم من أهل الأمصار

وغيرهم نحو خمسمائة ألف، وقيل أكثر من ذلك بأحسن ما يكون العدد والحيل والسلاح والقوة، قد أخذوا السهل والجبل وضاق بهم الفضا^{١٨٢}، ورغم أن هذه الأرقام للجيش مبالغ بها، فإن ذلك يدل على حضور قوات عدة في مسألة تبادل الأسرى، ولا شك أن ذلك إن ثبت سيكون من قبل الطرفين، ورغم أن المسعودي يشير إلى عدد أسرى المسلمين الذين تم إطلاق سراحهم يصل إلى (٣٧٠٠) أسيرا تم تبادلهم خلال اثنا عشر يوما^{١٨٣}، بل أن الطبري ذهب إلى أنه لم يبق بيد البيزنطيين أحد من المسلمين إلا وجرت مبادلتها^{١٨٤}، في هذه العملية.

ومما لا شك فيه أن عدد أسرى البيزنطيين كانوا بنفس عدد أسرى المسلمين، وإن كانت المصادر لم تنشر إلى ذلك، كما أن مما لا شك فيه حضور قوات بيزنطية في مسألة التبادل للأسرى - طالما ثبت حضور قوات عباسية - فرواية المسعودي تذكر أن أسرى المسلمين قدموا في سفن بيزنطية^{١٨٥}، وربما قصد بذلك سفن حربية بيزنطية.

أما عن الكيفية التي تمت بها عملية التبادل، فيشير الطبري إلى نصب جسرين على نهر اللامس، أحدهما للمسلمين وللبيزنطيين الآخر، فيرسل المسلمون أسيرا من جسرهم، ويرسل البيزنطيون أسيرا من جسرهم في الوقت نفسه^{١٨٦}، وهكذا حتى يتم الانتهاء من العدد المحدد لإتمام عملية تبادل الأسرى بين الطرفين.

وهذا يعني أن المسلمين كانوا يلتقون مع البيزنطيين على نهر اللامس. فيقف المسلمون على الجانب الشرقي منه، ومن ثم يتم إطلاق كل طرف أسيرا بأسير ويتم الانتظار حتى يصل كل أسير إلى قومه، بينما يقف البيزنطيون على الجانب الغربي منه، وكان يمنح الأسير ديناران وثوبا^{١٨٧}، لكن ذلك لم يكن دائما.

كما تم تبادل الأسرى في سنة ١٩٢هـ/٨٠٧م، في فترة الرشيد ونقفور، وكانت عملية التبادل على نهر اللامس أيضا، وذكر هذه العملية المسعودي الذي ذكر بأنه حضرها عدة مئات من الأوف - وإن كان في ذلك مبالغة - كما أشرف عليها من الجانب العباسي أمير الثغور الشامية ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي، وتمت عملية التبادل لما يقارب من (٢٥٠٠) أسير^{١٨٨}.

وكان من عوامل نجاح عملية التبادل للأسرى قيام هدنة قصيرة بين الطرفين تسبق عملية التبادل وتعقبها، يتم الاتفاق عليها من قبل الطرفين، ولا شك أن السفارات والوفود تقوم بالاتفاق عليها مع بقية الشروط الأخرى مسبقا، والدليل على ذلك ما يذكره الطبري بأنه عند تبادل الأسرى تم تحديد أربعين يوما مباشرة كهدنة حتى يعود كل فريق إلى مأسته^{١٨٩}.

ج- إطلاق سراح الأسرى كحسب نوايا لعقد الصلح بين الطرفين:

معنى ذلك أن يقوم أحد الطرفين بإطلاق سراح عدد من الأسرى بدون مقابل، ويتم ذلك من أجل إثبات حسن النوايا تجاه الطرف الآخر حتى يتسنى عقد الصلح بين الطرفين. وغالبا كان يتم ذلك قبل عقد الصلح المطلوب بين الطرفين. لكن الملاحظ أن البيزنطيين في فترة البحث هم من كان يقوم بإطلاق سراح عدد معين من الأسرى المسلمين ليثبتوا حسن نيتهم تجاه العباسيين حتى يتم عقد صلح معين بينهما، لأن العباسيين كانوا هم الأقوى وكان البيزنطيون هم الأكثر احتياجا للصلح نتيجة الاضطرابات الداخلية البيزنطية والصراع على العرش، أو كان تقديم البيزنطيين لعدد من الأسرى المسلمين مقابل فك العباسيين الحصار لبعض الحصون. ففي عام ١٨٧هـ/ ٨٠٢م أطلق تقفور عدد (٣٢٠) أسيرا مسلما مقابل فك القاسم بن الرشيد الحصار عن قرّة وسان.^{١١١}

لكن هذا النوع من إطلاق الأسرى كان محدودا، كون البيزنطيين لم يلجئوا إليه إلا عند الحاجة، إما لاقتداء قلاعهم وحصونهم، أو طلبا لصلح معين مع العباسيين، كما أن الأسرى الذين أطلق سراحهم كان عددهم قليلا أيضا مناسبا للحاجة التي يراود قضاتها.

من كل ما سبق نلاحظ أن عملية التبادل للأسرى كانت تتم وفق القواعد التالية:

- يقدم احد الطرفين عرضا لتبادل الأسرى -غالبا الجانب البيزنطي- فيرسل سفارة أو وفد إلى العاصمة العباسية لإجراء المفاوضات حول هذا الموضوع.
- بعد المفاوضات المطلوبة يتم إرسال سفارة أو وفد من قبل العباسيين إلى العاصمة البيزنطية لاستكمال المفاوضات، وللتأكد من عدد الأسرى المسلمين الذين سيتم إطلاق سراحهم من الجانب البيزنطي، والاضمئتان على أوضاعهم.
- يتم ترتيب القواعد العامة والخاصة بعملية التبادل للأسرى، زمانا ومكانا وعلى أساس أن يتم تبادل أسيرا بأسير.
- يقدم احد الطرفين عرضا لتبادل الأسرى -غالبا الجانب البيزنطي- فيرسل سفارة أو وفد إلى العاصمة العباسية لإجراء المفاوضات حول هذا الموضوع.
- بعد المفاوضات المطلوبة يتم إرسال سفارة أو وفد من قبل العباسيين إلى العاصمة البيزنطية لاستكمال المفاوضات، وللتأكد من عدد الأسرى المسلمين الذين سيتم إطلاق سراحهم من الجانب البيزنطي، والاضمئتان على أوضاعهم.

- يتم ترتيب القواعد العامة والخاصة بعملية التبادل للأسرى، زمانا ومكانا وعلى أساس أن يتم تبادل أسير بأسير.
 - يتم تشكيل لجنة مكلفة بتبادل الأسرى وغالبا ما تكون من أحد كبار الشخصيات في الدولتين، مع والى الثغور المحدودية من الطرفين، إضافة لبعض الفواد العسكريين، مع عدد من الكتبة والمحاسبين والمراقبين ليتم حصر النفقات المالية ولضمان نجاح عملية التبادل.
 - يتم تحديد هدنة بين الطرفين قبل وبعد عملية التبادل للأسرى، وعلى ضوءها يتم توقيف كل مظاهر العمليات الحربية بين الطرفين، ويتوقف تحديد الفترة الزمنية لتبادل الأسرى على الاتفاق المبرم بين الطرفين والذي يختلف من عملية تبادل أسرى إلى عملية أخرى.
 - لا بد من إجراء عملية التبادل في الثغور المشتركة بين الطرفين، فتتم على نهر ويتم تنصيب جسرين عليه، بحيث يتبع كل جسر طرف معين، وغالبا كانت تتم عملية التبادل على نهر اللامس، ويبدأ التبادل واحدا بواحد، يعبران الجسران في وقت واحد، وهكذا حتى يتم الانتهاء من كل العدد المحدد سلفا، ولو اقتضى ذلك استمرار عملية التبادل عدة أيام حتى يكتمل العدد الذي سيبادل مع الطرف الآخر.
 - فترة الهدنة بعد عملية التبادل كانت كافية بعودة كل طرف إلى بلاده آمنة دون أي هجوم من الطرف الآخر أو خروج على ما تم الاتفاق عليه.
- غير أن الملاحظ أن الجانب البيزنطي هو الذي كان يقدم أو يبادر بهذه المعاهدات للعباسيين في فترة الدراسة، لأنه كان الأضعف، ولعل أوضح مثال لهذه الأمور الثلاثة ما حدث سنة ١٦٥هـ/٧٨١م بعقد معاهدة الصلح بين هارون الرشيد وإبراهيم، حيث شملت صلحا ثم دفع الجزية، تم تبادل للأسرى.^{١٥٩}
- ولتحليل هذه الأمور الثلاثة نجد أن الأمر الأول المتمثل بإقدام البيزنطيين على طلب معاهدات الصلح من العباسيين، كان سببه أن كفة الدولة العباسية كانت هي الراجحة -في فترة الدراسة خاصة- وهو أمر لا شك فيه، فقرر ميزان القوى الذي كان في معظم الأحيان لصالح الجانب العباسي، وأيضاً لكثرة الاضطرابات في البلاط البيزنطي، الأمر الذي دفع الجانب البيزنطي إلى الاتقاء بهذه المعاهدات مجنبا للضغط العباسي الحربي.

أما الأمر الثاني الخاص بدفع الجزية من قبل البيزنطيين للعباسيين خلال فترة الدراسة، فإنها لا تمثل كسبا ماديا للجانب العباسي لأنها لم تمثل سوى مقدار قليل من موارد العباسيين في تلك الفترة، ولم تكن الغاية منها سوى أمر سياسي محض، وهو خضوع العدو المحارب للمسلمين «حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»^{١١٢}، وإن كان هذا الأمر لا يعني بالضرورة خضوع البيزنطيين للعباسيين سياسيا أو إداريا أو غير ذلك، لكن الجزية كانت تؤكد في الغالب حالة التفوق العباسي على الجانب البيزنطي الأمر الذي يحول دون معاداته للمسلمين، كما أن الجزية كانت تؤكد هيمنة الدولة العباسية وقتها عند شعوبها.

أما الأمر الثالث: المتعلق بفداء الأسرى وتبادلهم، فإن قيام البيزنطيين في الغالب - في فترة الدراسة - بالمطالبة بهذه العمليات ربما يرجع ذلك لأن العباسيين اعتبروا الأسرى فيئا يجري بيعهم بعد المعارك الحربية أو تقسيمهم على المقاتلة، مما يعني تحولهم إلى رقيق في المنازل، وقد وفر ذلك لهؤلاء الرقيق حياة معيشة أفضل من أسرى المسلمين عند البيزنطيين، فالأسير البيزنطي يعيش في بيت سيده المسلم، ومع أن الأمر المُستلم به أن الإسلام أوصى بحسن معاملة العبيد والأسرى^{١١٣}، فيفترض أن هؤلاء الأرقاء عند المسلمين كانوا يعاملون معاملة حسنة، وفي أسوأ الأحوال لم يكن الجميع يعاملونهم معاملة كما يطالب الإسلام، لكن بصفة عامة كان الرقيق يعاملون معاملة أفضل من معاملة أسرى المسلمين عند البيزنطيين الذين كانوا يجمعونهم في معسكرات خاصة بهم، مما ترتب عليه قيام الدولة البيزنطية بالإتفاق عليهم، وكلما زاد عددهم زادت النفقة، ولذلك كلما أحس البيزنطيون بوطأة أعباء الإتفاق على هؤلاء الأسرى سعت لتقديم العروض للدولة العباسية من أجل تبادل الأسرى أو إجبارهم على دخول المسيحية أو التخلص منهم.^{١١٤}

الهوامش

- ١- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت، ج٤، ص٣٧.
- ٢ - يونس عبد الحميد السامرائي: السفارات في التاريخ الإسلامي حتى قيام الدولة العباسية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة الأزهر، ١٩٧٦م، ص١١.
- ٣ - ابن القراء، أبو علي الحسن بن محمد: رسل الملوك ومن يصلح منهم للمسالة والسفارة، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م، ص١١.
- ٤ - المصدر السابق، ص٢.
- ٥ - السابق، ص١١.
- ٦ - السابق، ص١٢، ١٣.
- ٧ - السابق، ص١٩.
- ٨ - السابق، ص٩.
- ٩ - يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف: الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٢هـ، ص١٨٨.
- ١٠ - ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، تحقيق: دي خويه، مصور بالأوفست، مكتبة المثنى بغداد، عن طبعة ليدن، ١٨٨٥م، ص١٣٧.
- ١١ - الرشيد: هو هارون، أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، تولى الخلافة بعد موت أخيه الهادي أربعة عشر من ربيع الأول سنة ١٧٠هـ، ولد سنة ١٤٨هـ، وتوفي سنة ١٩٣هـ (السيوطي: تاريخ الخلفاء، مكتبة المنصورة، مصر، ط١، ٣-١٠، ص٢٠٠-٢٨٦-٢٩٥)، نقفور: واسمه الدعسق، توفي سنة ٣٥٦هـ، وكان من أخلص الملوك قلباً وأشدهم كفاً وأقوام بأسا وأكثرهم قتلاً للسليين، (ابن كثير أبو القدا إسماعيل ابن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت، ج١، ص٢٤٣).
- ١٢ - الجاحظ، عثمان بن بحر: جبهة رسائل العرب، تحقيق: أحمد زكي صفوت، مكتبة مصطفى الخليلي، القاهرة، ١٩٣٧، ج٣، ص٢٥٢-
- ١٣ - الظيري: تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، ج٤، ص٥٧٢، ٥٨٢، ٦٦٨، ٥٧٢، المسعودي: مروج الذهب، ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ج٣، ص٤٥٥، يعقوبي: تاريخ يعقوبي، تحقيق: محمد صادق، المكتبة الخديوية، النجف، ١٩٧٣م، ج٣، ص٢٠٥، ٩، ٢.

- ١٤ - خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، تحقيق: أكرم حيا - العمري، ط ٢، ١٣٩٧ هـ، ص ١٢٩، الطبري: تاريخ، ج ٤، ص ٦٧٥، ج ٤، ص ١١.
- ١٥ - الطبري: تاريخ، ج ٤، ص ٥٨٢، ٦٦٨، ٦٦٩.
- ١٦ - البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ج ١، ص ٩١.
- ١٧ - الطبري: تاريخ، ج ٤، ص ٥٧٢، ٦٧٧.
- ١٨ - السابق، ج ٤، ص ٦٧٧.
- ١٩ - السابق، ج ٤، ص ٦٧٧.
- ٢٠ - يحيى عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، مطبعة المنار القومية للطباعة والنشر، د.ت، ص ٢٩١.
- ٢١ - سعيد عاشور: أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١٠، ١٩٨٦ م، ج ١، ص ١٤٩، ١٤٨، ١٥١.
- وانظر: Francesco Gabrieli, Greeks and Arabs in the Central Mediterranean Area in Dumbarton Oaks Papers No 18, 1964, P. 59
- ٢٢ - Gaudefroy Demombynes et Platonov, Le Monde Musulman et Byzantin Jusque aux Croisades, Paris 1931, P271, 320.
- ٢٣ - يحيى عثمان: المرجع السابق، ص ٢٧٩.
- ٢٤ - د. علي حسن النشاط: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار قبا، القاهرة، ١٩٦٠ م، ص ١٥١.
- ٢٥ - شاذلي مصطفى: بني العباس، ج ٢، ص ٣١٠.
- ٢٦ - المرجع السابق، نفس الجزء، والصفحة.
- ٢٧ - المرجع السابق، ج ٢، ص ٣١١-٣١٠.
- ٢٨ - النشاط، المرجع السابق، ص ١٥١.
- ٢٩ - طرسوس، على وزن فعلول، يفتح الفاء والعين، مدينة على ساحل البحر، كانت تقرأ عن ناحية بلاد الروم، قربا من طرف الشام. أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير في غريب شرح التكرير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت، ج ٢، ص ١٣٧١، وهي من لغات الجزيرة، (البكري الأندلسي:

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، ج٢، ص١٨٩.
- ٣ - أرشيبا لد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة، مصر، د.ت، ص١٦.
- ٣١ - قسطنطين الخامس: ثاني الأباطرة الأيسوريين، حكم من سنة ٧٤١-٧٧٥م، واجه عدة مشاكل داخلية وخارجية قتلت الداخلية بالصراع بين الأيقونيين واللايقونيين، وقد استطاع إخماد ثورة الأيقونيين سنة ٧٤٢م، وواجه عدة مشاكل خارجية منها: مراجعة توسع البلغار نحو الإمبراطورية سنة ٧٥٥م، وقام بعدة إصلاحات داخلية واهتم بالقسطنطينية، وزودها بالماء العذب وعمرها. (عاشور: أوربا في العصور الوسطى، الجزء الأول، التاريخ السياسي، ص١٣٣-١٣٥).
- ٣٢ - اليعقوبي: ج٣، ص٩٩. سعيد عاشور: أوربا العصور الوسطى، الجزء الأول، التاريخ السياسي، ص١٣٤.
- ٣٣ - البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م، ص١٩٠.
- ٣٤ - ملطية: بفتح أوله وثانية، بعده طاء - مهملة ساكنة، وياء مخففة، (الكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص١٢٥٦)، وهي من ثغور الشام، (أبو الفتح ناصر الدين بن علي بن المظفر: المغرب في ترتيب المغرب، تحقيق: محمود فاخورة، وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩م، ج٢، ٢٧٤)، وهي بلدة من بلاد الروم، مشهورة، تناخم الشام، (ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت، ج٥، ص١٩٩).
- ٣٥ - د. حسن أحمد محمد وآخرون: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الخامسة، د.ت، ص١٦٣، وانظر: د. سيد سالم: دراسات في تاريخ العرب ٣، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٢٩هـ، ص٢١٥-٢١٦.
- ٣٦ - يرجع اهتمام المسلمين بحزيرة سفلية إلى عهد معاوية بن أبي سفيان، فحاولوا غزوها أكثر من مرة، وبخاصة في القرن الثاني الهجري دون أن يظفروا بفتحها، فلما ولي زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب إمارة الأغلبية في إفريقية في عهد الخليفة المأمون العباسي، أعد جيشاً وأسطولاً، فهاجم به الجزيرة، واستمر المسلمون في حالة كره وفرح الروم إلى أن استطاعوا فتحها في مستهل القرن الثالث الهجري لتنتقل السيادة عليها من الأغلبية إلى الفاطميين، الذين استمرت سيادتهم عليها حتى استولى عليها الزماتديون سنة ٤٤٤هـ/١٠٩١م، انظر: (محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٦٤-٣٦٨).

- ٣٧ - شاکر مصطفى: دولة بني العباس، الجزء الثاني، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت.، ص-٣٥.
- ٣٨ - هو: المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمه سلامة البربرية أم ولد، ولد سنة ٩٥هـ، ويوم بالخلافة بعد موت أخيه أبو العباس ١٣٦هـ، وتوفي سنة ١٥٨هـ. (السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٦٢-٢٦٥).
- ٣٩ - هو الواثق بالله هارون أبو جعفر بن المعتصم بن الرشيد، ولد سنة ١٩٦هـ، ويوم بالخلافة سنة ٢٢٧هـ، وتوفي سنة ٢٣٢هـ. (السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٣٦-٣٣٩).
- ٤٠ - هو المتوكل على الله جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد، ولد سنة ٢٠٥هـ وقبل سنة ٢٠٧هـ، ويوم بالخلافة سنة ٢٣٢هـ، وقتل سنة ٢٤٧هـ. (السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٤٩-٣٤٥).
- ٤١ - شاکر مصطفى: المرجع السابق، ج٢، ص-٣٠. والمعتصم هو: المعتصم بالله أبو إسحاق، محمد بن الرشيد، ولد سنة ١٨٠هـ، ويوم بالخلافة سنة ٢١٨هـ، ومات سنة ٢٢٧هـ. (السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٣٠-٣٣٢).
- ٤٢ - شاکر مصطفى: المرجع السابق، ص٣٥١-٣٥٢.
- ٤٣ - الحدود: ظاهرة قانونية شرعية أوجدها الإنسان، وهي وإن كانت تبتد بصورة أفقية على سطح الأرض إلا أنها ذات مساقط عمودية تمتد من السماء إلى سطح الأرض ثم إلى باطنها، لتحدد أشكال الإقليمي لسيادة الدولة. (أحمد محمد الديب، الجغرافية السياسية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٢٨٧-٢٨٨).
- ٤٤ - أذنة: على وزن فعلة، موضع من ثغور الشام. (باقوت: معجم البلدان، ج١، ص١٣٣).
- ٤٥ - المصبصة: ثغر من ثغور الروم. (أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد المراهيدي: كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، د.ت.، ج٧، ص٩٤). وتطلق بتشديد الصاد الأولى. (ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٩١).
- ٤٦ - عين زربة: بالضم من الثغور الشامية، قرب المصبصة. (باقوت، معجم البلدان، ج٣، ص١٣٦).
- ٤٧ - الكنيسة السوداء: سميت بالسوداء لأنها بنيت بحجارة سود بناها الروم قديماً ثم أخربت، ثم أمر الرشيد ببنائها وتحصينها وتدب إليها المقاتلة، وزادهم في العطاء. (باقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٨٥).
- ٤٨ - الهارونية: مدينة صغيرة قرب مرعش، في طرف جبل الكمام، استحدثها هارون الرشيد. (باقوت، معجم البلدان، ج٣، ص٧٩، ج٥، ص٣٨٨).
- ٤٩ - بياس: هي إحدى مدن ثغر الشام، وسبغها وبين المصبصة مرجلتان، ومن بياس إلى الكنيسة السوداء أقل من يوم، ومنها إلى الهارونية مثل ذلك. (باقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٧٩).

- ٥٠ - سيحون وجيحون: نهران بالعواصم عند أرض المصيصة وطرسوس. (ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٤٣٢. المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر - تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، ج١، ص٨٥٨).
- ٥١ - شاكِر مصطفى: دولة بني العباس، ج٢، ١٩٧٤م، ص٢٩٦.
- ٥٢ - سلوقية: مدينة من مدن الروم، يقال لها سلقية. (البكري الأندلسي: معجم ما استعجم، ج٢، ص٧٥١).
- ٥٣ - قدامة بن جعفر: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م، ص١٨٦-١٨٨.
- ٥٤ - مرعش: بلد في الثغور من كور الجزيرة. (ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص١٣٠٤).
- ٥٥ - بكسر الباء: وقتحها. وأخره قال: قرية قرب حلب. (ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٤١٦).
- ٥٦ - شمشاط: الشين مكسورة، كورة من ديار مصر، بالجزيرة. (البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٧٥٨).
- ٥٧ - شاكِر مصطفى: دولة بني العباس، ج٢، ص٢٩٦-٢٩٧. وربما فصلت ثغور شمشاط وجالي وما بعدها في مجموعة ثالثة لوحدها ودعيت بالثغور البحرية على سواحل الشام كاملاً، وسواحل مصر. انظر: (شاكِر مصطفى: المرجع السابق، نفس الصفحات).
- ٥٨ - الحدث: يفتح أوله وثانية، وبالثاء المثلثة، موضع بقرب مرعش. من الثغور الجزرية. (البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص٤٢٩).
- ٥٩ - ريطرة: بكسر الزاي وفتح ثانية، وسكون الطاء المهملة، وراء مدينة بين ملطية وشمشاط. والحدث: في حَرْف بلد الروم. (ياقوت: معجم، ج٣، ص١٣٠، ١٣١). وهي ثغر من ثغور الروم. لسان العرب: ج٤، ص٣٦٨).
- ٦٠ - كيسوم: بالسين المهملة، وهي قرية مستقلة من قرى ميساط، وفيها سور ودكاكين واقرة، وفيها حصن كبير. (ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٩٧).
- ٦١ - حصن منصور: كورة من كور ديار مصر. معروفة. وهي من ثغور الجزيرة. (البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص٤٥٢).
- ٦٢ - خرشنة: يفتح أوله وتسكين ثانية، وشين معجمة، وتون، بلد قرب ملطية من بلاد الروم. (ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٣٥٩).

- ٦٣ - قدامة: المرجع السابق، نفس الصفحات.
- ٦٤ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٢. وجعل قائمتها منيع وزاد لها جيشا أيضا على طول الحدود. السيد سالم: دراسات ص١٢٢١.
- ٦٥ - منيع: بالفتح ثم السكون وباء، مرادة مكسورة وحيم، بلد قديم رومي. ولما أنشأ الرشيد العواسم جعل مدينها منيع وأسكنها عبد الملك بن صالح. (ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص١٢٠٥).
- ٦٦ - الراقدة: بلد متصل البنا، بالرقة، على شفة الفرات، وهي من أعمال الجزيرة. (ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص١١٥).
- ٦٧ - شاكر مصطفى: دولة بني العباس، ج٢، ص٢٩٧.
- ٦٨ - البلاذري: فتوح البلدان، ج١، ص١٥٦، لمحقق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ٦٩ - شاكر مصطفى: المرجع السابق، ج٢، ص٢٩٧.
- ٧٠ - المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.
- ٧١ - دوك: بلنح أوله وضم ثابته، بعده وار وكاف، بلد من التفرغ المتصلة ببلاد الروم وراء الفرات الكبرى، معجم ما استعجم، ج٢، ص١٥٥٥.
- ٧٢ - شاكر مصطفى: المرجع السابق، ج٢، ص٢٩٧-٢٩٨.
- ٧٣ - شاكر مصطفى: دولة بني العباس، ج٢، ص٣١.
- ٧٤ - هو عبد الله بن الرشيد هارون بن المهدي بن منصور، ولد سنة ١٧٠هـ، استقل بالأمر بعد قتل أخيه الأمين سنة ١٩٨هـ، واستمر في الخلافة حتى ٢١٨هـ. (السوطي: تاريخ الخلفاء، ص٣٠٥-٣١١).
- ٧٥ - من كبار قادة المغول، وعظم جنكيز خان، قام سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م بحصار بغداد من جميع الجهات، نسفت على يده وارتكبت بها أعظم الفظائع التي تحدث عنها كتب التاريخ، نظر: (محمود السيد: التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٤-٢٠م، ص١٢٥-١٢٩). فزاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، الجزء الأول، ١٩٨٠م، ص٢٤٩-٢٨٦).
- ٧٦ - شاكر مصطفى: المرجع السابق، ج٢، ص٣٠١.
- ٧٧ - هو ابن قسطنطين الخامس والشهير باسم ليون الخزري لأن أمه كانت ابنة ملك الخزر، اتخذ سياسة الشدة مع الأتراك، وهاجم المسلمين في شرق الأناضول مما دفع الخليفة المهدي لقره عنه بمهاجمة أراضي

الدولة البيزنطية، غير أنه لم يلبث أن توفي سنة ٧٨٠م، بعد حكم قصير لم يتجاوز خمس سنوات (٧٧٥-٧٨٠م)، لتحول السلطة الفعلية إلى أرملة إيريني (سعيدة عاشور: أوروبا العصور الوسطى، الجزء الأول، التاريخ السياسي، ص١٣٥-١٣٦).

٧٨ - قسطنطين السادس: تولى عرش الامبراطورية بعد وفاة أبيه، ونحت وصاية أمه إيريني، في الفترة (٧٨٠-٧٩٧م) بعدها قامت أمه بالقبض عليه وسجل عتيبه، مما أدى إلى عزله وإرساله إلى أحد الأديرة ليقتضى عشرين عاما محروما من نعمة البصر، وقد قامت أمه بالحكم منفردة حتى القلق عليها تقفون سنة ٨٠٢م. انظر: (عاشور: أوروبا العصور الوسطى، الجزء الأول، ص١٣٦-١٣٨).

٧٩ - تقفور: كان أمين الخزانة أثناء حكم الإمبراطورة إيريني، وقد خطط مع كبار رجال الدولة بالانقلاب على الإمبراطورة، سنة ٨٠٢م، ونجح بالإطاحة بها وتولي عرش الامبراطورية التي استمر فيها حتى سنة ٨١١م. (عاشور: أوروبا العصور الوسطى، ج١، ص١٣٨).

٨٠ - الأيقونات هي عبادة الصور التي زينت الكنائس من صور وقلائد دينية، واحتلت هذه الأيقونات مكانة خاصة في قلوب كثير من أتباع الكنيسة، وقد انتشرت انتشارا واسعا في القرن الثامن الميلادي، والأيقونات: هي المعارضين لهذه الصور باعتبار أن بعض المسيحيين اشتابوا من تصوير الكنائس بصور الانسان بالفيلسوف، أو النقوش المنصبة البارزة (الفرسكو)، أو تحتها في الحجر، واعتبروا ذلك حربا من الوثنية، وهكذا اتسم الناس داخل الكنيسة وخارجها إلى معسكرين أيقونيين ولا أيقونيين. (سعيد عبد الفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى، التاريخ السياسي، ص١٣٠، ١٣١).

٨١ - السيد الياز العرني: الدولة البيزنطية، في الفترة ٣٢٣-٨١-١م، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢٢١.

٨٢ - الياز العرني: المرجع السابق، ص٢٢٢.

٨٣ - المرجع السابق، ص٢٢١-٢٥، وانظر: Ostrogorsky, George, A history of the Byzantine State, Translated by: Joun Hussey, Oxford, 1968, P.177.

٨٤ - الضري: تاريخ، ج٤، ص٥٦٦.

٨٥ - فاليفلا: بأرمينية من نواحي حلاط ثم من نواحي منازجرد. (باقوت: معجم البلدان، ج٤، ص١٢٩٩).

٨٦ - شاعر مصطفى: بن العباس، ج٢، ص٣٠٣.

٨٧ - الضري: ج٤، ص٥٦٨.

٨٨ - صمّالو: من أهل الثغر الشامي قرب المصيصة وطربس. (إباقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٤٢٢).

٨٩ - الطبري: المرجع السابق، ج٤، ص٥٦٨. عند ابن خلدون أربعون يوماً، (تاريخ ابن خلدون، كتاب العرب وديوان المتبدأ والحبر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، (١٥٥) د.ت. ج٣، ص٢١٠-٢١١).

٩٠ - هو: المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور، ولد سنة ١٢٧هـ، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه المنصور سنة ١٥٨هـ، واستمر بها حتى وفاته سنة ١٦٩هـ. (السيرطي: تاريخ الخلفاء، ص٢٧٣-٢٧٥).

٩١ - شاکر مصطفى: تاريخ بني العباس، ج٢، ص٣٠٢. فاروان الأرميني: التاريخ العام، (الترجمة الفرنسية، بعنوان الحكم العربي في أرمينية)، نشر: مولد ر مارتز - باريس - ١٩٢٧م، ص١١٠.

٩٢ - الطبري، ج٤، ص٥٧٢.

٩٣ - قيسارية: بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده ستين مهمله وألف ووا - مهمله مكسورة، ص: لغور الشام، حاصرها معاوية سبع سنين إلا شهرا وفتحها. (البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٦٠-١١).

٩٤ - أنقرة: اسم لمدينة في بلاد الروم، (إباقوت: معجم لبلدان، ج١، ص١٢٧).

٩٥ - شاکر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣-٥.

٩٦ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٥٧٢، السيد سالم، دراسات في تاريخ العرب، (٣) العصر العباسي الأول، ص٢٢.

٩٧ - شاکر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣٠٦.

٩٨ - الطبري: المرجع السابق، ج٤، ص٥٧٢، سيد سالم: دراسات، ص٢٢، شاکر مصطفى: بني

العباس، ج٢، ص٣٠٦، وانظر: Santoro Anathony, Byzantium and the Arabs during the Isaurian Period 717-800

A. D. Athesis Submitted To The Graduate School of the Rutgers The State University of New Jersey, 1978, PP.333-335.

Brehier Louis, The Life and Death of Byzantium, Translated by: Margrate Vangan, ٩٩ North Holand, 1977, P.61

١٠٠ - الطبري: المرجع السابق، ج٤، ص٥٧٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص١٤٧.

١٠١ - شاکر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣٠٧.

١٠٢ - هو: الهادي أبو محمد موسى بن المهدي بن المنصور، ولد سنة ١٤٧هـ. يبيع له بولاية العهد سنة ١٥٩هـ، وتولى الخلافة سنة ١٦٩هـ، وكانت وفاته في ربيع الآخر سنة ١٧٠هـ. (السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص١٢٨).

١٠٣ - شاعر مصطفى: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

١٠٤ - George Finlay, History of the Byzantine State, London, 1935.P.83

١٠٥ - ذلك أن إيريني تخلت عن الإصلاحات اللأيقونية التي تبناها الأباطرة الأيسوريين في الستين سنة السابقة، ولم تلبث بمرور أن آلت إليها الأمور أن أعلنت الحقييقة التي أخفتها عن زوجها ليو الرابع في حياته، وهي أنها من أشد أنصار الأيقونية، وقد بدأت إيرين وصايتها بإخماد مؤامرة حاول القيام بها نصار الإصلاح من اللأيقونيين، كما عينت في منصب بطريرق القسطنطينية طرسوس. وهو أحد دعاة الأيقونية المتحمسين، وقد عقدت مجمعا دينيا في ثبقة سنة ٧٨٧م أقر بقاء الصور والأيقونات على أساس احترامها وتبجيلها. وبالجملة فإن الفترة التي حكمتها بعد قضاها على ابنها التي لم تتجاوز الخمس سنوات (٧٩٧-٨٠٣م). كانت مليئة بالكوارث الداخلية والخارجية، انظر: (سعيد عبد الفتاح عاشور: أوربا العصور الوسطى، الجزء الأول، التاريخ السياسي، ص١٣٩، ١٤٧).

١٠٦ - سيد سالم: دراسات، ص٢٤.

١٠٧ - Santoro, P.337

١٠٨ - Ibid.P.334-335

١٠٩ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٥٧٤.

١١٠ - شاعر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣٠٧.

١١١ - الطبري، ج٤، ص٥٧٤، ٥٨٠.

١١٢ - شاعر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣٠٨.

١١٣ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٥٨٢.

١١٤ - المصدر السابق، ج٤، ص٦٢، حيث أمر الصائفة في هذا العام ١٧١هـ/ هزيمة بن أعين، وهو من عمرة حسن طرسوس. (سيد سالم: دراسات، ص٢٢١).

١١٥ - البلاذري: فتوح البلدان، ج١، ص٢٠٢، سيد سالم: دراسات، ص٢٢٢.

١١٦ - سيد سالم: دراسات، ص٢٢٢.

- ١١٧ - انظر ملحق رقم (١٠) باسم قواد الحملات على الأراضي البيزنطية طوال هذه الفترة.
- ١١٨ - شاكر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١١.
- ١١٩ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٤٥، اليعقوبي: تاريخ، ج٣، ص١٧٣، سيد سالم، دراسات، ص٢٢٢.
- ١٢٠ - شاكر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١١، Santoro, p. 707.
- ١٢١ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م، ج٦، ص١٦١، سيد سالم، دراسات، ص٢٢٢.
- ١٢٢ - اليعقوبي: تاريخ، ج٣، ص١٧٣.
- ١٢٣ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٤٦، سيد سالم، دراسات، ص٢٢٢. بالرغم من أن الغزو لم ينقطع فلم يكن الفتح أو استصفاً. مملكة الروم ضمن الحطة العباسية، ولم ينجح عن الغزوات أي تغيير يذكر في الحدود أو في موقف الطرفين، كما لم تعد على الرشيد بأي ربح مادي لأنها كانت تؤكد الدولة الإسلامية كما تؤكد البيزنطيين الكثير من الحصار في الجند والمال، ولعل مما يثبت هدفها الواقعي أن القيادة العباسية لم تفكر في استغلال الظروف المرحية التي مرت بها الدولة البيزنطية في تلك الفترة. وحتى كان الجيش العباسي يتصر ويدق أبواب القسطنطينية كان يكتبي بأخذ الجزية، ثم كان يعزده ليشي بأمر الرشيد الثغور ويحصن العواصم. أي يثبت بأيديه الحدود القديمة. انظر: (شاكر مصطفى) بني العباس، ج٢، ص٣٠٩.
- ١٢٤ - شاكر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١٣، Santoro, P. 361.
- ١٢٥ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٥٨٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٠، ص١٥.
- ١٢٦ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٤٧-٦٥٣.
- ١٢٧ - ذكر عدد من القواد خلال هذه الفترة قاموا بحملات عسكرية على الجانب البيزنطي، مثل: في العام ١٨٣هـ حملة بقيادة الفضل بن العباس. وفي سنة ١٨٤هـ حملة بقيادة محمد بن إبراهيم. وفي العام ١٨٥هـ، حملة بقيادة إبراهيم بن عثمان. وفي العام ١٨٦هـ حملة بقيادة إبراهيم بن عثمان أيضاً. انظر: اليعقوبي: تاريخ، ج٣، ص١٧٣.
- ١٢٨ - ابن خياط: تاريخ، ص١٣٦.
- ١٢٩ - Bury, J.B, A history of the Eastern Roman Empire, London, 1912, P. 249.
- ١٣٠ - ابن خياط: تاريخ، ص١٣٦، الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٦٨، ابن الأثير: ١٨٤/٦، سيد سالم، دراسات، ص٢٢٣، شاكر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١٤، ص٣١٥.

١٣١ - وذلك في الرسالة التي أرسلها تقفور إلى الرشيد ويقول فيها: "من تقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب . أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبل أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقا بحمل أمثالها إليها، لكن ذلك ضعف النساء، وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فارود ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك بما يقع من المصادرة لك وإلا فالسيف بيننا وبينك". انظر: الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٦٨. ابن الأثير: ١٨٥/٦، سيد سالم: دراسات، ص٢٢٣-٢٢٤، ٢٢٤، شاعر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١٥.

١٣٢ - وافق هذا التطور على الجانب البيزنطي تطور آخر يقابله على الجانب العباسي، وهو تطور كان يمس الرشيد نفسه ونظامه. ذلك أنه بعد تكثرت البرامكة سنة ١٨٧هـ، نجم عن تلك التكتية نوع من الهزة في الجهاز الإداري للدولة، وكان الجهاد ضد الروم أحد السبل التي بدأ للرشيد أنه يستطيع أن يثبت فيها اختلافه في السياسة والإدارة وفي القيام بواجب الجهاد والمسلمين عن البرامكة، وهكذا كان التصعيد الحربي على الجبهة العباسية البيزنطية انعكاسا للأحداث الداخلية التي جرت في كل من العاصمتين بغداد والقسطنطينية في وقت واحد تقريبا. انظر: شاعر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١٤.

١٣٣ - تاريخ، ج٢، ص١٦٦.

١٣٤ - تاريخ، ج٤، ص٦٦٨.

١٣٥ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٦٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص١١٤.

١٣٦ - السابق، ج٤، ص٦٦٩، ابن كثير: المصنف السابق، ج١، ص١٩٤.

١٣٧ - شاعر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١٥، ٣١٦.

١٣٨ - تاريخ، ج٤، ص٦٦٩، سيد سالم: دراسات، ص٢٢٤.

١٣٩ - انظر: ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروة حكايشة، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م، ص٣٨١، الديتوري: الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المعتم عامر، وزارة الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٦٠م، ص٣٩، يعقوبي: التاريخ، ج٣، ص١٧٣، ابن الأثير: الكامل، ج٦، ص١٨٩، الأزدي: تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٧م، ص٣٠٨-٣٠٩، المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م، ج١، ص٣٦٤-٣٦٦.

١٤٠ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٦٨-٦٦٩.

١٤١ - ابن خياط: تاريخ، ص١٣٦، الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٧٢، سيد سالم: دراسات، ص٢٢٤.

١٤٢ - السابق، ١٣٦، الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٧٣، ٦٧٥، البلاذري: ٢٠٢/١، سيد سالم: دراسات، ص٢٢٥.

١٤٣ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٧٣، ٦٧٤.

- ١٤٤ - Canard, La Prise d'Heraclee et Les Relation Entre Hazun AR-Rashid et L'Empereur - Nicophore, Byzantion, 32 (1962), PP.345-379.
- ١٤٥ - راجع ملحق رقم (٤) بحري نصح هذه الرسالة.
- ١٤٦ - IOC, Cit.
- ١٤٧ - المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٣٦٦-٣٦٧.
- ١٤٨ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٧٧، سيد سالم: دراسات، ص٢٢٥.
- ١٤٩ - شاکر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١٧.
- ١٥٠ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٧٧.
- ١٥١ - الطبري: تاريخ، ج٨، ص٣٠٨، المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص٣٦٦.
- ١٥٢ - الجهشياري: الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة ابي الحسن، القاهرة، ط١، ١٩٣٨م، ص٢٠٧، حيث لم يجرؤ أحد على إبلاغ الرشيد بنقض نفقور للاتفاق، شاکر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١٧-٣١٦.
- ١٥٣ - المسعودي: مروج، ج١، ص٣٦٥.
- ١٥٤ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٦٩.
- ١٥٥ - شاکر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١٧.
- ١٥٦ - طوالة: بضم أوله وبعد الألف نون، بلد بنقور المصبغة، (باقوت: معجم البلدان، ج٤، ص٤٥).
- ١٥٧ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٧٧، يذهب سيد سالم أن مبلغ الجزية السنوية - ٥ ألف بينما ال ٣٠٠ ألف كانت متأخرات على نقفور عند أن اعتلى العرش، ثم قام بدفعها جملة واحدة، (سيد سالم: دراسات، ص٢٢٦) ..
- ١٥٨ - شاکر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١٨.
- ١٥٩ - ابن خياط، ص١٣٦.
- ١٦٠ - اليعاقبة: تاريخ، ج٢، ص١٧٣-١٧٤، سيد سالم: دراسات، ص٢٢٦.
- ١٦١ - الطبري: تاريخ، ج٥، ص٣، سيد سالم: دراسات، ص٢٢٦، شاکر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٢١٩.
- ١٦٢ - شاکر مصطفى: بني العباس، ج٢، ص٣١٩.

١٦٣ - تاريخ، ج ٥، ص ٦٠.

١٦٤ - المسعودي: التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، ١٩٣٨م، ص ٢٩٩.

١٦٥ - انظر حول الصراع بين الأمين والمأمون (المختصر): تاريخ الدولة العباسية، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، طبعة ١٩٨٩م، الجزء الأول والثاني، ص ١٥٥-١٦٤، أحمد مختار العبادي: تاريخ الدولة العباسية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ص ٩٤-١٠٠.

١٦٦ - قتل نغفور في سنة ١٩٤هـ/٨١١م، انظر: (سيد سالم: دراسات، ١٢٢٧)، ويجعلها الطبري خطأ في حوادث سنة ١٩٣هـ، انظر تفاصيل ذلك في: سهيل زكار: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، الجزء الثالث، دمشق، ١٩٩٥م، صفحات (١٨٤-١٨٥).

١٦٧ - انظر: سهيل زكار: الموسوعة الشامية، ج ٣، ص ١٨٨.

١٦٨ - المرجع السابق، ج ٣، ص ١٩١-١٩٣.

١٦٩ - عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي: المغنى في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ، ج ١، ص ٤٩.

١٧٠ - محمد بن علي الشوكاني: السيل الحرار المنطق على حدائق الأزهار، تحقيق: محمود إبراهيم زيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ، ج ٤، ص ٥٦٧.

١٧١ - البلاذري: فتوح، ج ١، ص ٢٣٦، الطبري: تاريخ، ج ٤، ص ٣٩٢.

١٧٢ - المعقري: تاريخ، ج ٣، ص ١٤٦.

١٧٣ - الأريطة (أجمع رباط)، وهي المواقع المحصنة، كأنها الأديرة، يربط فيها المجاهدون، وتسمى بالذخيرة، وتشبه مراكز المراقبة، ومخافر الحدود، وقد يقوم بعضها في المناطق البرية بين الثغور، ولكن معظمها إنما نشأ وتطور على السواحل الشامية ما بين طرسوس حتى أقصى جنوب فلسطين، وكان الروم يعتبرون هذه السواحل -سبب قوتهم البحرية- مواقع للفرار والهجوم فأقيم نظام الأريطة عليها، منذ العهد الأموي، وكان المرابطون فيها من المنطوعة للجهاد، وتقطعهم الدولة الأرض من حولها بحربتها ويستثمرونها مقابل الحراسة والرقابة للغارات المفاجئة. انظر: (شاذر مصطفى: دولة بني العباس، ج ٢، ص ١٢٩٨)، كما يذكر المقدسي دور الرباطات في إبلاغ الجيش الإسلامي بأي هجوم يبتدئ عن طريق إشعال النار في المنارات التي فيها يقول: "...وقد ضج بالتفجير لما تراءت مراكزهم، فبان كان ليل أوقدت منارة ذلك الرباط، وإن كان نهار دختوا، ومن كل رباط إلى القصبة عدة منابر شاهقة قد رتب فيها أقزام.

- فتوقد المنارة التي للمرباط ثم التي تليها ثم الأخرى، فلا يكون ساعة إلا وقد أقر بالقصبة وضرب الطبل على المنارة، ونودي إلى ذلك الرباط، وخرج الناس بالسلاح والقوة واجتمع أحداث الرماثيق... انتظروا المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٩٨-٢٩٩.
- ١٧٤ - الميساس: بكسر أوله وسكون ثانية، وميم أخرى، وآخره سين، هو نهر الرستين وهو العاصي بعينه (ياقوت: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٤٤).
- ١٧٥ - المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٩٨-٢٩٩، وأرسوف: بالفتح ثم السكون وضم السين المهملة وسكون الواو وفا.. مدينة على ساحل بحر الشام بين فيسارية وبها، كان بها خلق من المرباطين. (ياقوت: معجم البلدان، ج ١، ص ١٥١).
- ١٧٦ - الطبري: تاريخ، ج ٤، ص ٥٧٢.
- ١٧٧ - ابن خياط: تاريخ، ١٢٩.
- ١٧٨ - ابن خياط: تاريخ، ١٢٢.
- ١٧٩ - المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ١٦٦.
- ١٨٠ - تاريخ، ١٣٦.
- ١٨١ - المسعودي: التنبيه والإشراف، ص ١٦٠-١٦١، سيد سالم: دراسات، ص ٢٢٥.
- ١٨٢ - المصدر والمرجع السابقين، نفس الصفحات.
- ١٨٣ - المصدر والمرجع السابقين، نفس الصفحات.
- ١٨٤ - تاريخ، ج ٤، ص ٦٧٥، سالم: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- ١٨٥ - التنبيه والإشراف، ص ١٦٠-١٦١، سالم: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- ١٨٦ - تاريخ، ج ٥، ص ٢٨٦. وقد أضاف ابن العربي أنه كلما وصل أسير مسلم كبر المسلمون، وكلما وصل أسير يهزئي يصيح البيهزئيون بقولهم "كرباليسون". (تاريخ مختصر الدول، تحقيق: انطوان صالح السمرعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م، ص ١٤٩).
- ١٨٧ - المعقبي: تاريخ، ج ٣، ص ٢٢١.
- ١٨٨ - التنبيه والإشراف، ص ١٦١. يذكر الطبري أن عملية التبادل هذه تمت على نهر اليندون، وليس اللامس. (تاريخ، ج ٥، ص ١٣، سالم: دراسات، ص ١٢٢٧).

١٨٩ - تاريخ، ج٥، ص٢٨٦.

١٩٠ - الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٦٨.

١٩١ - السابق، ج٤، ص٥٧٢.

١٩٢ - سورة التوبة: الآية ٢٩.

١٩٣ - عن آداب معاملة الأسير في الإسلام نظراً، ابن قدامة المقدسي، المفتى في حق الإمام أحمد بن حنبل، ج١٠، ص٣٩٦، ٣٩٨، ٤١١، محمد بن علي الشوكالي: الدراسات المضية شرح الدرر البهية، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧، ج١، ٤٨٨، ٤٩٤، ٤٩٥، الأولى المرصبة لمقتن الدرر البهية في المسائل الفقهية، تحقيق: محمد صبحي الحلاق، دار الندى، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ، ج١، ص٣٣٦، وكذلك فصل في حكم الأسرى، في: أمحمد بن أبي بكر أنبوب، ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، المنار الإسلامية، الكويت، ط١٤، ١٩٨٦م، ج٥، ص٥٩.

١٩٤ - حملة من قتل الروم من أسرى المسلمين لرفضهم ترك دينهم والدخول في التبرأية أثناعشر ألفاً وذلك سنة ٢٤١هـ/ نظراً الطبري: تاريخ، ج٥، ص١٣٢١

الملاحق

ملحق رقم (١)

رسالة نقفور الأولى إلى هارون الرشيد

"من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلى أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثاله إليها وذلك من ضعف النساء، وحمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا فاردد ما حصل قبلك من أموالها (إبريني) وافند نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينكم".^{١١}

ملحق رقم (٢)

رد هارون الرشيد على رسالة نقفور الأولى

"من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراء دون أن تسمعه والسلام".^{١٢}

ملحق رقم (٣)

رسالة نقفور الثانية إلى الرشيد التي يطلب فيها من الرشيد جارية كان قد خطبها لابنه غير أنها كانت من ضمن أسرى هرقله

رسالة نقفور إلى الرشيد التي كان يطلب فيها من الرشيد جارية كان قد خطبها لابنه غير أنها كانت من ضمن أسرى هرقله، يقول: "... أما بعد أيها الملك، فإن لي إليك حاجة لا تضرك في دينك ولا دنياك، هيئة يسيرة، أن تهب لابني جارية من بنات أهل هرقله، كنت قد خطبتها على ابني، فإن رأيت أن تسعفتي بحاجتي فعلت، والسلام"^{١٣}. كما كانت هذه الرسائل تبدأ باسم المرسل إليه ثم اسم المرسل، فقد بدأت الرسالة السابقة من نقفور إلى الرشيد كالتالي: "تعبد الله هارون أمير المؤمنين من نقفور ملك الروم...".^{١٤}

١- الطبري: تاريخ، ج ٤، ص ٦٦٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ١٩٤.

٢- السابق، ج ٤، ص ٦٦٩، ابن كثير: المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٤.

٣- الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٦٧٧.

ملحق رقم (٤)

رسالة نقفور الثالثة إلى هارون الرشيد والتي ذكرتها المصادر

غير العربية

...أية متعة نجد في ارتكاب الظلم وإراقة دماء الرجال، ولما لا تقتنع بما تملكه؟ ولما تريد أن تفتصب الحدود التي ورثتها عن أجدادي، أي نبي وأي إله مقدس علمك أن تفعل هذا؟ ألم بأمرك الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - أن تعدّ المسيحي أخوا لك، وأن تعمل على نشر هذه الأخوة؟ إن الله خالق كل شيء لا نفوته صغيرة ولا كبيرة، لا يرضى أن يراق الدم ظلماً، لا هل قدمت إليّ حتى تسيئ إلى أناس لم يسيئوا لك، أي ضرر أو خسارة، لماذا إذن؟ هل لأنك بحاجة إلى الأموال والذهب، أو لأي شيء آخر؟ ولكنك تملك ما يكفيك من الأموال والممتلكات الغنية التي من الصعب أن يحصل عليها ملك، والأهم بالنسبة لنا امتلاكك للأراضي المقدسة، أراضي غنية جداً. وإن كان يتفصلك شيء نحن نملكه فإننا مستعدون لأن نرودك به في الحال بدافع من الصداقة، لنكف عن قتال أحدنا الآخر، كما لو كنا خالدين، ولنكف عن تقليد حرب الشياطين ضد الإنسان. بدافع الحقد والكراهية، اعلم أننا سوف نموت يوماً ما وأننا مشترك هذا العالم لنحتكم أمام الله الذي سيجازي كل حسب أعماله، وثبعا لما افتقرت بداء...^(١)

1- Canard, la Prise d'Heracl'e et Les Relation Entre Harun Ar-Rashid et L'Empereur Nicéphore, Byzantion, 32 (1962), pp. 345-379.

ملحق رقم (٥)

نسبة الحملات البحرية والبرية العباسية ضد البيزنطيين من ١٦٦هـ/٧٧٨م. حتى ١٩٢هـ/٨٠٨م



انظر عن ذلك: (١)

ملحق رقم (٦)

الخلفاء العباسيين ومن عاصروهم من الأباطرة البيزنطيين في فترة البحث:

البيزنطيين البيزنطيين حسن		الخلافة العباسية حسن فترة	
فترة البحث		فترة البحث	
البيزنطيين	الخلافة العباسية	البيزنطيين	الخلافة العباسية
٧٧٥-٧٨٠	البيزنطيين	١٣٥-١٣٦ ٧٥٤-٧٥٥	البيزنطيين
		١٣٥-١٣٦ ٧٥٤-٧٥٥	البيزنطيين
٧٧٥-٧٨٠	البيزنطيين (الخزري)	١٥٨-١٥٩ ٧٧٥-٧٧٥	البيزنطيين
٧٨٠-٧٩٧	البيزنطيين ومعه أمه البيزنطيين وصية علي العرش	١٦٩-١٧٠ ٧٥٥-٧٥٥	البيزنطيين
٧٩٧-٨٠٢	البيزنطيين	١٧٠-١٧١ ٧٥٥-٧٥٥	البيزنطيين
٨٠٢-٨١١	البيزنطيين		

عن ذلك انظر: (٢)

- ١- الطبري، ج ٤، ص ٥٦٦-٣٠٨، - خليفة بن عياط: تاريخ خليفة بن عياط، ص ١٣٦-١٣٦،
اليعقوبي: تاريخ، ج ٣، ص ٢٢١-١٧٣.
- ٢- سعيد عاشور: أوروبا في العصور الوسطى، التاريخ السياسي، الجزء الأول، صفحات ١١٠-١٣٨،
ببصرى، أحمد مختار العبادي: تاريخ الدولة العباسية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٥م، ص ٤١-٤١.

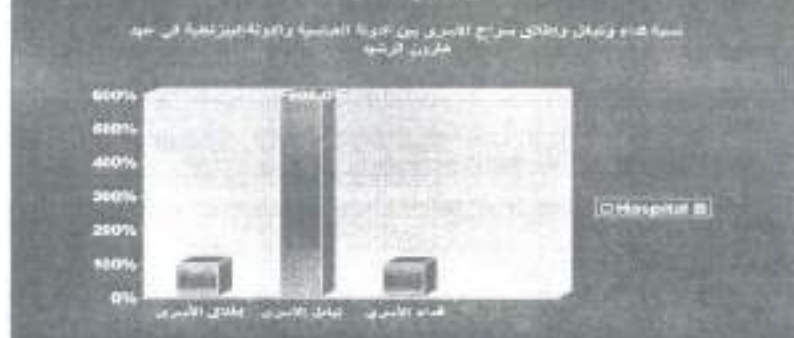
ملحق رقم (٧)

نسبة استمرار عقود الصلح بين العباسيين والبيزنطيين، في الفترة ١٦٥-١٩٣هـ/٧٨٢-٨٠٩م



عن ذلك الطور: (٧)

ملحق رقم (٨)

نسب فداء وتبادل وإطلاق الأسرى بين الطرفين
خلال فترة البحث:

عن ذلك الطور: (٨)

١- صلح سنة ١٩٠هـ/ (الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٧٧)، صلح سنة ١٨٧هـ/ (الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٦٨، ابن الأثير ١٨٥/٦، سيد سالم، دراسات، ص٢٣٣-٢٢٤، شاكر مصطفى: نسب العباس، ج٢، ص٣١٥، صلح سنة ١٨٢هـ/ (الطبري: تاريخ، ج٤، ص٥٨٢، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص١٥٠)، صلح سنة ١٦٥هـ/ (الطبري: المرجع السابق، ج٤، ص٥٧٢، سيد سالم، دراسات، ص٢٢٠، شاكر مصطفى: نسب العباس، ج٢، ص٣٠٩، والطور:

Santoro Anthony, Byzantium and the Arabs during the Isaurian Period 717-800, A.D. Adhesis Submitted To The Graduate School of the Rutgers The State University of New Jersey, 1978, PP.333-335.

٢- فداء الأسرى: (الطبري: تاريخ، ج٣، ص١٤٦)، تبادل الأسرى: (الطبري: تاريخ، ج٤، ص٥٧٢)، الطبري: تاريخ، ج٤، ص٥٧٢، الشعبية والإشراق، ص٦٦٦)، إطلاق الأسرى: (الطبري: تاريخ، ج٤، ص٦٦٨).

ملحق رقم (٩)

من قام بعملية التفاوض من القواد العباسيين مع البيزنطيين خلال الفترة من ١٦٥هـ حتى ١٩٢م اعتماداً على ثلاثة مصادر تاريخ ابن خياط ، تاريخ الطبري ، تاريخ العيوقى .

عدد الأسرى المتبادلين ومن حضر عملية التبادل		من قاموا بالتفاوض لتبادل الأسرى من الجانب العباسي	
من حضر عملية التبادل من رجال الدولتين	عدد الأسرى المتبادلين	رئيس الوفد العباسي	سنة التي تم فيها التبادل
لا توجد تفاصيل لهذا التبادل أين تم؟ وحضره كبار قادة جيش هارون	—	هارون بن المهدي نفسه	165هـ/
لا توجد تفاصيل لهذا التبادل أين تم؟ وحضره كبار قادة الثغور والجيش	—	عبد الحميد بن الضحاك	167هـ/
= = = =	—	لم تذكر المصادر العربية اسمه	170هـ/
= = = =	—	عياض بن سنان	181هـ/
على نهر اللامس ، حضره كبار قادة الثغور والجيش من الجانبين	1700	فرج الخادم	189هـ/
على نهر اللامس ، حضره كبار قادة الثغور والجيش من الجانبين	2500	ثابت بن نصر بن مالك الحزاعي	192هـ/

عن ذلك أنظر^(١)

١- عن سنة ١٦٥هـ أنظر : (الطبري : المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٥٧٢ سيد سالم : دراسات ، ص ٢٢ .
شاذر مصطفى : بن العباس ، ج ٢ ، ص ٦-٣ ، وعن سنة ١٦٧هـ أنظر : ابن خياط : تاريخ ، ١٢٩) وعن سنة
١٧٠هـ (ابن خياط : تاريخ ، ١٣٢) .

خلال فترة البحث		قواد الصوائف العباسيين	
أبرز النتائج	المصدر	اسم قائد الصائفة	السنة
حوصره عن قبل البيزنطيين هاجم ثم عاد إلى مرعش	اليعقوبى البلادى الطبرى	عيسى بن على (برا) = = لم تكن هناك صائفة فى هذه السنة	١٦١هـ/٧٧٨م = = = =
حملة بحرية	الطبرى	الفسر بن العباس (بحرا)	١٦١هـ/٧٧٨م
نزل حتى عمورية وحمة فتح ثلاثة حصون	الطبرى الطبرى الأزوى	الحسن بن قحطبة (برا) يزيد بن أسيد الأسلمى (برا) التعمان بن العباس المتشمس (بحرا)	١٦٢هـ/٧٧٩م = = = =
فتح هارون حصن صماليو	الطبرى + البلادى + ابن خلدون	هارون، الربيع الحاجب، الحسن بن قحطبة	١٦٢هـ/٧٨٠م
هزم ولم يقاتل ثم حسمه المهدي	الطبرى ابن خياط	عبد الكريم بن عبد الحميد	١٦٤هـ/٧٨١م
فتح حصن ماجده، وبعثه صالح مع ايرتى	الطبرى	هارون، يزيد بن يزيد الربيع بن بوس	١٦٥هـ/٧٨٢م
يذكر الطبرى بأن هذه السنة لم يكن فيها نشاط عسكري	اليعقوبى	ثمامة بن الوليد	١٦٦هـ/٧٨٢م
يذكر الطبرى بأن هذه السنة لم يكن فيها نشاط عسكري	اليعقوبى	الفضل بن صالح	١٦٧هـ/٧٨٤م
فيها نقض البيزنطيون الهدنة	الطبرى	يزيد بن بدر البغال	١٦٨هـ/٧٨٥م
فتح مدينة أشتة	الطبرى	معيوف بن يحيى	١٦٩هـ/٧٨٦م
حصر طرسوس، أقام العراصم	الطبرى	هارون الرشيد	١٧٠هـ/٧٨٧م
قادة حملة	الطبرى	سليمان بن عبدالله الكاسى	١٧٠هـ/٧٨٧م
قادة حملة	ابن خياط	سليمان بن عبدالله الأحم	١٧١هـ/٧٨٨م
قادة حملة	اليعقوبى	يزيد بن عتيبة الخرشى	= =
قادة حملة	ابن خياط	اسحاق بن سليمان بن على	١٧٢هـ/٧٨٩م
قادة حملة	= =	عبد العزيز زفر بن اسم الهلالى	= =
قادة حملة	اليعقوبى	محمد بن ابراهيم الامام	= =

لم يشر الطبري لأي حملة	ابن خياط اليعقوبي	عبد الملك بن صالح ابراهيم بن عثمان	١٧٣هـ/٧٩٠م = =
افتتح مدينة البردان	ابن خياط اليعقوبي الطبري	حماد بن عمير سليمان بن أبي جعفر عبد الملك بن صالح	١٧٤هـ/٧٩١م = = = =
واجه بردا شديدا حملة إلى جزيرة كريت	اليعقوبي الطبري	عبد الملك بن صالح عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح	١٧٥هـ/٧٩٢م = =
افتتح دبسة في قاعة دوقية	الطبري اليعقوبي	عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح هاشم بن الصلت	١٧٦هـ/٧٩٣م = =
	ابن خياط = =	عبدالله بن صالح سليمان بن راشد الثقفي	١٧٧هـ/٧٩٤م = =
قاد حملة قادة حملة صانقة	ابن خياط اليعقوبي = =	البخري بن علاء العيسى بن غزوان معاوية بن ظفر الهلالي	١٧٨هـ/٧٩٥م = = = =
	اليعقوبي	الفضل بن محمد	١٧٩هـ/٧٩٦م
	اليعقوبي	ابراهيم بن عثمان	١٨٥هـ/٨٠٢م
	اليعقوبي	ابراهيم بن عثمان	١٨٦هـ/٨٠٣م
فتح حصن كزة وطرب الصفصا فتح عرقله	ابن خياط الطبري	القاسم بن الرشيد الرشيد	١٨٧هـ/٨٠٣م = =
وصل حتى مع عذراء	ابن خياط	ابن جبريل	١٨٨هـ/٨٠٤م
	اليعقوبي	الفضل بن عباس	١٨٩هـ/٨٠٥م
استشهد	ابن خياط الطبري	يزيد المخلد بن هبيرة هرثمة بن أعين	١٩١هـ/٨٠٧م = =
افتتح مطمورة	الطبري	ثابت بن نصر بن مالك	١٩٢هـ/٨٠٨م

عن ذلك انظر : ^(١)

١- الطبري ، ج ٤ ، ص ٥٦٦-٣٠٨ ، خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط ، ص ١٣٦-١٣٦ ، اليعقوبي : تاريخ ج ١ ، ص ٢٢١-١٧٣ .

أولاً: المصادر:

- البغدادي أبو بكر أحمد بن علي الخطيب (ت ٤٦٣هـ): تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ): فتوح البلدان، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- ابن الأثير، زين الدين أبي الحسن بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
- الجزري، المبارك بن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد التاجي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م.
- عثمان بن بحر: جمهرة رسائل العرب، تحقيق: أحمد زكي صفوت: مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٣٧م.
- الجهشاري، أبو عبد الله محمد (ت ٣٣١هـ): الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة بابي الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٩٣٨م.
- الحموي، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، دار القلم، مؤسسة الرسالة، دمشق، بيروت، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط ٢، ١٣٩٧هـ.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨هـ): تاريخ ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، (١٥٥) د.ت.
- الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت ٢٨٢هـ): الأخيار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عاسر، وزارة الثقافة، القاهرة، ط ١، ١٩٦٠م.
- الأزدي، أبو زكريا يزيد بن محمد (ت ٣٣٤هـ): تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، دار التحرير، القاهرة، ١٩٦٧م.
- السيوطي: تاريخ الخلفاء، مكتبة المنصورة، مصر، ط ١، ٣٠٠٣م.
- الشوكاني، محمد بن علي: السيل الجرار المنطق على جذائق الأزهار، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

-: الدراسات المعضية شرح الدرر البهية، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م.
-: الأدلة المرئية لمن الدرر البهية في المسائل الفقهية، تحقيق: محمد صبحي الحلاق، دار الندى، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- ابن العبري، أبو الفرج الملقب (ت ٦٨٥هـ): تاريخ مختصر الدول، تحقيق: انطوان صالحى السوسى، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.
- ابن الفراء، أبو علي الحسن بن محمد (ت أواخر القرن الرابع الهجري): رسل الملوك ومن يصلح منهم للرسالة والسفارة، تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧م.
- الفراهيدي، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، د.ت.
- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت ٢٩٠هـ): مختصر كتاب البلدان، تحقيق: دي خويه، مصور بالأوفست، مكتبة المثنى بغداد، عن طبعة لندن، ١٨٨٥م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المشير في غريب شرح الكبير للرافعي، المكتبة العلمية، بيروت، د.ت.
- قدامة بن جعفر (ت ٣٢٩هـ): الحراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م.
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، المغنى في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم (ت ٢٧٦هـ): المعارف، تحقيق: ثروة عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٩م.
- ابن قسيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أبوب، ابن قسيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، المنار الإسلامية، الكويت، ط١، ١٩٨٦م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، د.ت.

- ابن المطرز، أبو الفتح ناصر الدين بن علي بن المطرز: المغرب في ترتيب المغرب، تحقيق: محمود قاخورة، وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط ١، ١٩٧٩م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ط ٦، ١٩٨٤م.
-: التنبيه والإشراف، تحقيق: عبدالله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، ١٩٣٨م.
- الأندلسي، البكري الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط ٣، ١٤٠٣هـ.
- يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف (ت ١٨٢هـ): الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٢هـ.
- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب (ت ٢٩٢هـ): تاريخ اليعقوبي، تحقيق: محمد صادق المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٧٣م.

ثانياً: المراجع:

- أحمد محمد الديب، الجغرافية السياسية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- أحمد مختار العبادي: تاريخ الدولة العباسية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.
- أحمد زكي صفوت: جمهرة رسائل العرب.
- د. حسن أحمد محمد وآخرون: العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الخامسة، د.ت.
- سعيد عاشور: أوروبا في العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٦م.
- سيد سالم: دراسات في تاريخ العرب ٣، العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٣٩٨هـ.
- السيد الباز العرني: الدولة البيزنطية، في الفترة ٣٢٣-٨١٠م، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٣م.

- سهيل زكار: الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، الجزء الثالث، دمشق، ١٩٩٥م.
- شاكِر مصطفى: بني العباس، الجزء الثاني، وكالة المطبوعات، الكويت، د.ت.
- على حسن الشطشاط: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، مطبعة الدار القومية للطباعة والنشر، د.ت.
- فؤاد عبد المعطي الصياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، الجزء الأول، ١٩٨٠م.
- محمد جمال الدين سرور: تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥م.
- محمد الحضري بك: تاريخ الدولة العباسية، مؤسسة دار الكتاب الحديث، بيروت، ١٩٨٩م، الجزء الأول والثاني.
- محمود السيد: التتار والمغول، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠٠٤م.

المراجع المعربة:

- أرشيبا لد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة: أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة، مصر، د.ت.
- فاردان الأرميني: التاريخ العام، (الترجمة الفرنسية، بعنوان الحكم العربي في أرمينية)، نشر: مولدر مانز - باريس - ١٩٢٧م.

الرسائل العلمية:

- يونس عبد الحميد السامرائي: السفارات في التاريخ الإسلامي حتى قيام الدولة العباسية، رسالة ماجستير، كلية دار العلوم، جامعة الأزهر، ١٩٧٦م.

المراجع الأجنبية:

الكتب:

- Brehier Louis, The Life and Death of Byzantium, Translated by: Margrate Vangun, North Holand, 1977.

-Bury, J.B, A history of the Eastern Roman Empire, London, 1912.

- George Finlay, History of the Byzantine State, London, 1935.

- Ostrogorsky, George, A history of the Byzantine State, Translated by Joun Hussey, Oxford, 1968.

الرسائل العلمية:

- Santoro Anathony, Byzantium and the Arabs during the Isaurian Period 717-800 , A.D, Athesis Submitted To The Graduate School of the Rutgers The State University of New Jersey, 1978, PP.333-335.

المقالات:

- Canard, La Prise d'Heraclee et Les Relation Entre Harun AR-Rashid et L'Empereur Niccphore, Byzantion, 32 (1962), PP.345-379.

- Francesco Gabrieli, Greeks and Arabs in the Central Mediterranean Area in Dumbarton Oake Papers No 18, 1964.

- Gaudefroy Demombynes et Platonov, Le Mond Musulman et Byzantin Jusque aux Croisades, Paris 1931, P271, 320.

د. كريم الصاري بازا

السفارات والمراسم الأفريقية كما صورتها رحلة ابن بطوطة

(٧٠٣ - ٧٧٩ هـ / ١٢٠٣ - ١٢٧٩ م)

بسم الله الرحمن الرحيم

أقلم نسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها - (١)

صدق الله العظيم

المقدمة :

حظيت رحلة ابن بطوطة - وما تزال - باهتمام خاص من طرف الباحثين عرباً وأجانباً لا تحتوي عليه من معطيات هامة من مختلف مناهج حياة الأصقاع التي زارها الرحالة المغربي. ولا غرو في ذلك، فابن بطوطة يعتبر من أعظم الرحالة المسلمين في العصور الوسطى. فهدى قضي حوالي سبعاً وعشرين عاماً ونصف العام في الطواف حول العالم المعروف يومئذ، وترك لنا وصفاً لتلك العالم الكبير المختلف الأمم والشعوب والمراصم الإقليمية والجغرافية والثقافية والحضارية . وهو وصف مستمر من المشاهد العينية المباشرة.

ولقد رصد لنا ابن بطوطة السفارات المبادنة بين البلدان الأخرى من خلال وحده . التي نظمها زار فيها للمسالك مسومة والإسكندرية وقوص ووصل إلى سواكن ومنها إلى اليمن ثم

أسناد التاريخ الإسلامي المساعد - معهد البحوث والدراسات الأثرية - جامعة القاهرة

أولاً : الرحلة كمصدر لتاريخ المراسم والسفارات الأفريقية (ابن بطوطة
سفير فوق العادة).

تجاوز الرحلة معناها ك مجرد مذكرات إلا إنها تحث مصدراً هاماً من مصادر التاريخ
الدبلوماسي وسفارات البلاد الأفريقية، بل إنها مرجع أساسي للتاريخ الدبلوماسي للعالم
الإسلامي وعلاقات هذا العالم ببعضه بعضاً، وعلاقته مع الشمال الأفريقي وبلاد السودان بصفة
خاصة، حيث أن رحلة ابن بطوطة تعتبر من هذه الناحية تاريخاً لما أمله التاريخ^{١٥١}. وهكذا
فمن خلال الرحلة استمعنا لابن بطوطة وهو يستعرض أمامنا أقطاب الدول الكبرى التي كانت
تضئ في عهده على معظم أطراف الدنيا وكان عددهم سبعة : سلطان مصر والشام، وسلطان
المغرب، وسلطان العراقيين، وسلطان الترك، وسلطان تركستان وما وراء النهر، وسلطان الهند،
وسلطان الصين^{١٥٢}.

ولقد وجدنا أن هناك بعض الفترات المهمة من لدن بعض المؤرخين التقليديين فيما يتصل
بالمراسم والسفارات السيادة ببلاد المغرب يلاها الرحالة ابن بطوطة، مثلاً حديثه عن مصادفته
لسفارة من تونس في قصور بني عبد الواد وهي السفارة التي زارها عند عودتها لتونس^{١٥٣}.

وفي هذه المدينة اتونسا قرأ حديثه عن ظهور المعامل الحفصي أبي يحيى بن أبي بكر في
عبد القدر ٧٢٥هـ / ٣٢٥م وليس بعد هذا التاريخ كما دونه آخرون^{١٥٤}.

وعندما يتحدث التاريخ عن العلاقات الأولى التي ربطت مصر المملوكية بأفريقيا السوداء،
وخاصة بعد حجة إمبراطور مالي مناسي موسى^{١٥٥}، ومقدم سراج الدين بن الكونك على المعامل
الإفريقي^{١٥٦}.

وإذا تحدثنا عن المراسم والتشريفات السبعة في القصور فلا بد أن يرجع إلى الرحالة
لثقيفي وهو يؤذي وصفاً دقيقاً لأمر المراسم ببلاد السودان، ما استحسنه من عاداتهم وما تعارض
مع الإسلام لحرضهم على الثقافات والتقاليد الأفريقية القديمة^{١٥٧}.

إلا أنه كان مرآة صادقة لنفض حركة المجتمع عند استقبالهم للأضياف وتنظيمهم للاحتفالات
والحفلات^{١٥٨}. لقد كان ابن بطوطة سفيراً فوق العادة للخاصة والعامّة شارك الجميع وأدرك لسان
وعادات أهل السودان من لغة الماندينجو حتى استحق رحالة عصره، وهو الرحالة الثقة الأبرز كما
وصفه لانيه بول Lane Poole (١٥٩).

عاد إلى ساحل شرق أفريقيا فوصل إلى زنجبار وزار مدينة مقديشو، كما زار بعد ذلك سلطنة كلوة
الإسلامية وغيرها من بلاد شرق إفريقيا. أما رحلته الأخيرة والثالثة فقد كانت في بلاد السودان
الشرقية ووصل إلى مدينة تنبكت.

وإذا تحدثنا عن المراسم والتشريفات السبعة في القصور فلا بد أن يرجع إلى الرحالة
الثقيفي وهو يؤذي وصفاً دقيقاً لأمر المراسم في مصر والمغرب وبلاد السودان.

والرحلة التي ترصدنا في هذه المعطيات الجديدة رحلة أسفاره الأفريقية وخاصة ببلاط ملكة
مالي الإسلامية، فالرحلة ذات طابع دبلوماسي كشف النقاب عن دوافع استكشافية، هذا بالإضافة
إلى أنها تقرير سياسي مفصل مرفوع إلى السلطات المرينية.

ومع كل ما في عمق النظرة من أهمية ومعلومات وافرة وغزيرة، إلا أن الإنسان يتباهى الحزن
لأن رحالنا لم يطلعوا رحلته أولاً بأول، وقد أدى عدم تدوين الرحلة في حينها إلا أن رحالنا لم
يستطيع ترتيب الرحلة ترتيباً زمنياً أو طبقاً لتسلسل خط سيره.

والرحلة السفارية الأفريقية التي نحن بصدها الغاية منها القيام بسفارة لذي بلاط بلاد
السودان. وهي تكاد أن تكون في قيمة الرحلة الهجازية وقدمها، وإن لم تكن في حجمها
وعدها، وهي من إنشاء السفير نفسه إن كان من رجال العلم والأدب، وأحياناً أخرى يقوم
بألفها أحد الكتاب المرافقين، وقد انفرد ابن بطوطة بالكتابة في هذا النوع، فالرحلة السفارية
هي نتيجة الرغبة في تسجيل الإلتزامات ووصف بلاد السودان، وهي التي قطعها سفيراً فوق
العادة مبعوث من طرف أبي عنان المريني لإعطاء أكبر قدر من المعلومات، والتشريف لما أمامه.
وهي أصدق في الرؤيا، ومشاهدة لرأس القصور في بلاد السودان بصفة خاصة.

ولذلك سوف نتعالج هذه الورقة سفارة ابن بطوطة لذي البلاط الأفريقية وخاصة في بلاط دولة
مالي نظراً لأهميتها في معطياتها ونتائجها، وقد عالجت هذه الدراسة النقاط التالية:

أولاً : الرحلة كمصدر لتاريخ المراسم والسفارات الأفريقية (ابن بطوطة سفيراً فوق العادة).
ثانياً : ابن بطوطة وأزمة التجارة الصحراوية.

ثالثاً : الذهب والتحاس قاعدة المبدلات في الأسواق الأفريقية.
رابعاً : ابن بطوطة سفير للبلاط المريني في بلاد السودان.

خامساً : مراكب وتشريفات ابن بطوطة في سلطنة مقديشو وسلطنة كلوة الإسلامية.
الخاتمة.

الملاحق (الخرائط التوضيحية).

وكان أن تعتبر ابن بطوطة من بين رحالة القرن الرابع عشر الميلادي الذي زار أكثر البلدان في تاريخ البشرية فخلال سبعاً وعشرين سنة ونصف سنة من السفر قطع ١٢٠٠٠ كم أي ما يقابل ثلاث مرات محيط الأرض وهو رقم خيالي وقنفلا . وبذلك استحق من الألقاب التي لا زومه " رحالة الإسلام ورحالة العرب"^{١٤١} .

والرحلة ما هي إلا مسيرة ذاتية، لكنها وثيقة فريدة للمجتمع الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي ولأساليب العيش لدى الشعوب التي زارها ابن بطوطة عبر القارات الثلاث أفريقيا، آسيا ، أوروبا . يورد المؤلف جملة وافية من الملاحظات من خلال الأوصاف الجغرافية والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسات السياسية ، ويأخذ أهمية من العرض الموضوعي لمفهوم الشعوب ولتصرف الحكام والتقنين ويكتب هنا للعمل جديده من عدة شروط منها الرابعة ، والملاحظة وتوثيق المعلومات حول العادات والتقاليد المسائدة والواقع أن هذا العمل إطلالة شاملة على حضارات القرن الرابع عشر الميلادي^{١٤٢} .

وترحال ابن بطوطة نسل بلدانا عديدة منها الجانب الأفرقي؛ وبلدان المغرب العربي ومصر وجزر من الساحل الشرقي لإفريقيا ، وبلاد الـ (وادان الغربي) أقطار غربي أفريقيا) .

وأمام مشاهداته الواسعة في هذه الجولات لقي الباحثون صعوبات في تحديد بعض مسارات المدن والمناطق . وخاصة في السودان الغربي وما زاه في صحباتهم . عدم التزام ابن بطوطة بتسجيل الجغرافيات غيره أو قفز بين الحين والآخر فقرات غير طبيعية . بحيث تجد بعض الأماكن قد اندثرت أو جاءت تسميتها مطوطة مع الخرائط الحديثة^{١٤٣} .

جاء ابن بطوطة - السنياد المغربي - عالم عصره عن طريق البر والبحر ، تعرف على عالم الإسلام وأيضاً عالم متعدد الثقافات ، قلب بين طقوس الدين والسياسة والكرامات وعاد إلى مغربه المريني ، ليحكى رحلته العجيبة الموسومة بالتحفة^{١٤٤} .

استعارياً ، ابن بطوطة كاتب شسي " انطلق من طنجة في المغرب وانتهي أخيراً إلى أقصى الشرق ، إلى المشرق . زد على انه في تلك القاصية كان معروفاً باسم "مس الدين" والتسمية ترتدنا مباشرة إلى شخصية علا ، الدين في حكايات ألف ليلة وثيلة^{١٤٥} .

ومن اللازم أن نشير إلى أن ابن بطوطة عاصر ثلاث فدي سياسية رئيسية في القارة الأفريقية هي دولة المرينيين بالمغرب ، ودولة الساليك بمصر ، ودولة مالي بالسودان الغربي.

ومن هنا كان من المتميز كتابة تاريخ العلاقات والمراسم والتشريفات عبر هذه الغارب دون العودة إلى رحلة ابن بطوطة . سواء عند ما كان ذاهباً للبحر حيث كان هناك ثلاثة سفارب أو عندما كان عائداً حيث كان هناك مغرب واحد تحت قيادة واحدة^{١٤٦} .

وابن بطوطة هو الذي ساعدنا علي معرفة الظروف التي جعلته يتوجس خيفة من حركة القرصنة وهو في طريقه إلى المغرب عبر جزيرة سوادنية ، فقد كانت الإمتقابة الغربية مع مالك جنوب أوروبا أنت علي نهايتها فلا غور إبن أن يحتاط الرحالة لنفسه^{١٤٧} .

وقد أحصت المصادر الإيطالية وهي تتحدث عن تاريخ جنوة ، أصعبت علي النقل عن ابن بطوطة عندما تحدثت عن اقتداء السلطان أبي عنان لمدينة طرابلس بذلك المبالغ السخية من العملة الذهبية حتى لا تبقى طرابلس بيد الجنديين .

لقد تحدث ابن فضل الله العمري في السفر السابع والعشرين عن احتلالها من لدن جنوة ، ولكنه ترك المدينة أسيرة ولم يكن هناك غير ابن بطوطة الذي تحدث عن تحريرها من لدن السلطان أبي عنان وهي المبادرا التي سجلتها الرحلة . وأكدتها نهائي غزناطة لفاس^{١٤٨} .

ثم أنت المصادر الإيطالية وغيرها لتتحدث تلك المعلومات وقد أفادنا ابن بطوطة عن اهتمام الشريف بأخبار المغرب وأنه أي المشرق ما أنك يتتبع الأخبار الواردة عليه من بلاد المغرب والأندلس^{١٤٩} .

وقد عاش ابن بطوطة مرحلة دقيقة جداً من تاريخ المغرب الكبير أدي عنها بهاراته ما سمحت به ظروفه . ومحاكمة وبلوغاسية فائقة عندما تحدث عن مروره بتونس فسلم علي السلطان أبي الحسن واجتمع مجلس علمه ورجال مشورته (١٦٥) ثم لم يلبث أن أصبح بلاط أبي عنان المناهض لوالده^{١٥٠} .

وابن بطوطة هو الذي أحاطنا علماً بما كان يضمه بلاط عهد السلطان أبي عنان من نفوذ ترد من خارج المغرب^{١٥١} .

وابن بطوطة هو الذي ذهب معوثاً في مهمة للسلطان أبي عنان إلى بلاد السودان علي ما يظهر حيث اتصاله المباشر بعدد من أقطاب وأمراء المنطقة ، وحيث فضي وقتاً هناك قبل أن يصل معوث خلاص من الساحل المغربي . يطلب إليه أن يعود فوراً إلى حاضرة فاس^{١٥٢} .

ثالثاً : الذهب والنحاس قاعدتا للمبادلات في الأسواق الأفريقية.

١- الحج والذهب التكرودي ١٣٤١م وأثرهما على الاقتصاد المصري :

وأحدثت ركاب الحج التكرودي الرخاء الاقتصادي في أسواق القاهرة، التي اتسعت ليجد ركب الحج التكرودي كل ما أراه وأكثر، وأقبلوا على شراء الملابس المصرية، حيث شهدت مصر تقدم كبير في صناعة النسيج، ففي مدينتي دمياط وتيس اشتهرت صناعة الأقمشة النيلية ذات الألوان المتعددة، والتي يصغر لونها باختلاف الضوء الواقع عليها^(١٣٦).

وحرض حجاج التكرود على الكتب وخاصة الكتب الدينية فحصل منها موسى ومن بعده منها سليمان العديد من الكتب الدينية من مصر^(١٣٧). ليوثر لأهل دولته قدراً من الثقافة العربية الإسلامية، وخلصه كتب الفقه المالكي^(١٣٨). ولم يتوقف أمر شراء الكتب الدينية على السلطان فحسب فهناك الكثير من الحجاج حرضوا على شراء الكتب الدينية أيضاً^(١٣٩).

وإذا زاد اعتماد مصر على ذهب السودان الغربي منذ عهد المالكيين^(١٤٠).

٢- ذهب سفالة وكثوه وأثره في تجارة المحيط الهندي :

وكان للذهب الجنوب المصري من سفالة، والذي تشرق كلوة على البحار به، ظل له الصدارة، مسانداً لدور ذهب السودان الغربي في الاقتصاد العالمي. ففي كل عام كانت تطلق من مهبنا ومن مالدي سفن إسلامية متجهة نحو آسيا، مستعملة بريح الصيف الموسمية، وأسهمت تلك السفن في تسوية نقبات الملاحة والتي ازدهرت في القرن الرابع عشر الميلادي، ومن ثم ظهور أرسنقراطية تجارية غنية مسلطة سيطرت على تجارة المحيط الهندي^(١٤١).

رابعاً : ابن بطوطة سفيراً للبلاد المريني في بلاد السودان .

توطدت العلاقات السياسية بين حكام مالي والمرينيين في عهد أبي الحسن (٧٣٠-٧٤٩هـ/ ١٣٣٠-١٣٤٩م)^(١٤٢) فبسكتنا القول إن سياسة جس النبض التي اتبعها منشا موسى استلزمت زهاء عقد من الزمن .

ولا شك أن أصنا . حج منشا موسى وما خلفته من آثار لدى أهالي مصر والحجاز . فقد بلغت البلاد المريني منذ عهد والد أبي الحسن السلطان أبي سعيد (٧١٠-٧٣٠هـ / ١٣١٠-١٣٣٠م

ثانياً : ابن بطوطة وأزمة التجارة الصحراوية^(١٤٣).

- أبعاد سفارة ابن بطوطة بسبب المنافسة المصرية .

إن هذه التغيرات التي عرفتها خارطة المبادلات التجارية المغربية - السودانية، بالإضافة إلى التغيرات التي حصلت على خطوط الشبكة الطرقية الصحراوية والمتمثلة في نشأتها على مجموع الشمال الإفريقي ، وبعد ما كان يحتكوه المغرب الأقصى في العهد المريني والموحدي^(١٤٤) إضافة إلى سياسة الانزلات من قبضة الاحتكار المغربي التي سنتها إمبراطورية مالي، سيصاحبها إعادة الحياة للطريق الرابط بين مصر والسودان عبر السفانا ويأتي حج منشا موسى ليكرس هذا الانفتاح نحو مصر^(١٤٥).

والواقع أن المغرب المريني قد تضرر كثيراً من المنافسة التونسية، ومن ظهور المنافس المصري الجديد بكل من فاس وتلمسان^(١٤٦).

فلقد أصبحت التسوجات المصرية ومنجياتها تنافس مثيلاتها الغربية في الأسواق السردانية (١٢٨) . بل إن كثيراً من تلك التجارات كانت تلقى رواجاً كبيراً في هذه المنطقة، كما يستشف من بعض شهادات ابن بطوطة، فبالنسبة لولائه يقول : إن ثياب أهلها حسان مصرية^(١٤٧) كما أن الماديل المصرية كانت تزين قبة جلوس إمبراطور مالي^(١٤٨)، وجلبون من كل ما فيها من حسان الثياب وسواها^(١٤٩) كما أن الجمالية المصرية كانت منبته في إمبراطورية مالي، إلى جانب الجمالية المغربية والتلمسانية وغيرها . منذئذ نراها . منذئذ نراها من قول لثوري وهو يتحدث عن غنى شركة أسرته التجارية وما كانت تجنيه من أرباح طائلة من بلاد الصحراء " قبل أن يدخلها أهل مصر^(١٥٠) .

والواقع أن إحصاء دور مصر في التجارة الصحراوية زاه في نازم وضعية المغرب المريني بصفة خاصة ومصر علي وجه الخصوص لذا يبدو منطقياً إن يكون إيقاد ابن بطوطة إلى بلاط مالي فتحكمه خفياات دبلوماسية واقتصادية ، وهي نفس الخلفيات التي وجهت باقي السفارات التجارية بين فاس ومالي، وفاس والقاهر^(١٥١).

هكذا يتضح أن العلاقات ذات الطابع التجاري احتلت مكانة هامة بين السفارات التجارية آنذاك.

والوقائع التاريخية ، فإنه لم يتمكن من الإحاطة بالجوانب المختلفة لهذه السفارة المالية غير ما سجله من تأكيد وصولها ومناسبة رفعها وستة وفادتها .

على أن فرحة البلاط المريني بقضائه المؤقت على دولة بني عبد الواد واستيلائه على قاعدة ملكهم - تلمسان - لم تشغل السلطان أبا الحسن . مثلما وقع للمؤرخين المعاصرين للحديث - عن مسؤولياته وواجباته السياسية وصدقاته لنا موسى .

هكذا نجد استقبال سفارة مالي ويكرم وفادتها ويحسن مشاهاً ونقلها . ثم " نزع إلي طريقته في الفخر طرفاً من متاع المغرب ومعينة من ذخيرة داره وأشائها . وعين رجالاً من أهل دولته . وكان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاة غير الحصري . وأنفذهم بها إلي منسا سليمان لهلك إليه قبل مرجع وقته ^{١٤١١} .

ولا ريب أن سفارة أبي الحسن قد أبلغت منسا سليمان تمازجه الحارة على وفاة أخيه منسا موسى ، الذي ترك آثاراً حسنة في شرق وغرب البلاد الإسلامية ، فحفظها له منسا سليمان ذكرى طيبة ، وأبى إلا أن يقفدي بها كسلوك إسلامي مثالي في العلاقات بين الأسرة الإسلامية الحاكمة ^{١٤١٢} :

وجنما عادت السفارة المغربية ، رافقتها وفد من رجال دولة مالي ، جاؤوا أبي الحسن . يحضون سلطانه يهوجون حقه ، ويؤدون من خضوع مرسلمهم وقيامه بحق السلطان واعتسا له في مرسات ^{١٤١٣} :

لترك جانبا الإجماعات الضمنية التي تلوح بها رواية ابن خلدون ونكتفي بتسجيل حسن سياسة أبي الحسن إزاء حكام مالي ، وكيف استطاع كسب ود وصدقة حكامها باللين والكلمة الطيبة . أو لسوا إخوة في الدين حتى لا تعانق دس نباني وتحتضنها وترعاها بحق أسفيتها في الإسلام .

وبعد استيلاء أبي الحسن على تلمسان ، تشوق إلي ملك الحفصيين ، وأراد ضمه إلي ممتلكاته وقد تمكن من تحقيق هذا الهدف . حيث مهد لقرينة ودخل تونس العاصمة يوم الأربعاء ٨ جمادى الثانية من عام ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م . فانتصر منسا سليمان القرصنة وأرسل سفارة للسلطان المريني بمناسبة فتحه الجديد ^{١٤١٤} .

(بوزازة مع ذلك . فإن العلاقات التجارية والثقافية بين مالي والمغرب المريني كانت تسبح تسرب الكثير من المعلومات إلى البلاطين عن أوضاع كل بلد منهما ^{١٤١٥} .

ويظهر أن السلطان منسا موسى قد حصل على أخبار تغربه بالقرب وطلب صودة السلطان أبي الحسن ^{١٤١٦} .

وإذا علمنا أن الماليك برغم اشتغالهم برد عمران الصليبيخ والمغول والقوقت أمام الأخطار التي تهدد المشرق الإسلامي - فإنهم قد أحسنوا في مودتهم وعلاقاتهم الدبلوماسية ، وذلك أثناء سفارة الركب الواقع من دولة مالي الإسلامية ، ومظاهر الأبهة ، وحسن الضيافة للسلطان منسا موسى سلطان التكرور ^{١٤١٧} .

هكذا نشأت بين المعاهدين المريني وسلطان التكرور صداقة حميمة عجزت الصحراء عن إعاقتها أو القوقل في وجهها نصارت بينهما " مواصلة ومهاداة خفرت بينهما فيها الأعلام من رجال الدولتين | | ، وتوارثت تلك الثقة أعقابهما ^{١٤١٨} .

وما بلغت النظر بهذا الصدد أن خصال المعاهدين كانت متقاربة ومتشابهة في الكثير من الجوانب فبالإضافة إلى عظمة ملكيهما ، كان أبو الحسن شأن منسا موسى رجلاً متديناً قنياً ورعاً ، محباً لأهل الدين والعلم ، وحرصاً على مصالح المسلمين أينما كانوا ^{١٤١٩} .

ونشهد المصادر على أن الماليك قد طلبوا ود القوى الإسلامية جنوب الصحراء ، ولا اعتبارات اقتصادية ^{١٤٢٠} لتعطي لعلاقتها مركزات أكثر قوة لما تؤفره التجارة الصحراوية من أموال خزائنها وهذا ما حرص عليه المرينيون في عظمهم ود حكام مالي . بل الثابت أن كليهما كان يسعى إلى الآخر وقد يده إليه ^{١٤٢١} .

ولقد رصد ابن خلدون ما بين سنة ٧٣٣هـ و ٧٣٧هـ أن تبولت بين منسا موسى وأبي الحسن أكثر من سفارة وهدية منها سفارة وفدت على الحسن لتهنئه بمناسبة فتحه لتلمسان عاصمة بني عبد الواد عام ٧٣٧هـ / ١٣٣٧م ^{١٤٢٢} .

ويظهر أن أهمية الحدث فتح تلمسان من الناحية السياسية في تاريخ المغرب ، قد سلب اهتمامات مؤرخي القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ^{١٤٢٣} . وعلمهم لا يلتفتون إلى سفارة منسا موسى ، وعلى الرغم من الجهود التي عودنا عليها ابن خلدون في تفصي الحقائق

في الإطار نفسه، يقف البارز شارداً أمام قضية استطاع رحالتنا بتعاون مع ابن جزري مدون الرحلة أن يبررها بطريقة ذكية جداً، قد لا ينتبه إليها من ليست له معرفة بتاريخ بلاد السودان. ذلك أنه في الوقت الذي كان فيه أهل المغرب وغيرهم يشعرون بالحكايات الخرافية حول مناجم الذهب السوداني، وكيفية تحصيله وكيفية إنتاجه، في الوقت نفسه نجد ابن بطوطة الذي أصبح علي بعد بضعة أيام من مناجم هوري وغا لم يأمورك المالية لا يعددنا عن الذهب السوداني، ولا يعمل على تكذيب الإشاعات الرائجة حول المعدن الأصفر سواء عند العامة أو الخاصة^(١٧٠).

والمسألة مفهومة إذا اعتبرنا المعلومات التي حصل عليها رحالتنا عن الذهب السوداني قد أصبحت من أسرار الدولة المربنية، التي لم تكن لديها مصلحة شأن البرتغاليين فيما بعد في إذاعة ونشر تلك المعلومات البالغة الأهمية^(١٧١).

بناء على ما تقدم نعتقد أن ابن بطوطة قد كتب تقريراً مفصلاً للبلاد المريني عن مالي ومواردها من المعدن الأصفر. هذا الاعتقاد يتقاطع مع الرأي القائل بقفطان الأصل للنام رحلة ابن بطوطة، وأن التناول بين أربينا الآن ليس سوي مختصر للرحلة^(١٧٢) كما يعتقد بعض الباحثين ولكن ذلك ليس سوي ما سمعت بنشره مصلحة الدولة المرينية. فالأختصار في نظري مرتبط بهذه الضرورة^(١٧٣).

رثمة قضية أخرى مثيرة للاهتمام تتعلق في توتر علاقات ابن بطوطة بالسلطة الحاكمة في مالي. كما جعل رحالتنا يصف منسا سليمان بالبخل، ولا يقبل على حكام الأقاليم^(١٧٤). ولتفسير هذه الظاهرة وما يكون منسا سليمان قد أحس بأبعاد مهمة ابن بطوطة فنظاه أمامه بالبخل حتى يعطيه انطباعاً مغلوطاً عن مدخرات مملكته من الذهب.

أخيراً علينا أن ننتبه إلى الطريق الذي أخذه رحالتنا إلى بلاد السودان، فقد دخل ولايته ومنها سافر مباشرة إلى نياني العاصمة، لكن عودته المعروفة به إلى تيهكت وكوكو وتكدا. ولا نتمثل لأهل تكدا غير التجارة، بساترون كل عام إلى مصر ويحبون منها كل ما بها من حسان النياب وسواها^(١٧٥).

هل كان أبو عنان يريد معرفة الأسباب التي أدت إلى انجراف المحاور التجارية نحو الشرق واتجاهها نحو مصر؟

غير أن الأحداث التي واكبت فتح إيريقية، والتي كان من بين إنجازاتها إقصاء أبي الحسن عن الملك من طرف ابنه أبي عنان، جعل سفارة مالي تصل في ظروف سياسية مضطربة وفي محاولة من أعضاء السفارة من أجل اللحاق بأبي الحسن لتقيم بتونس، مروا على قسنطينة، وهناك تعرضت السفارة المالية للاعتداء، والنهب كغيرها من السفارات التي جاءت لتلتهنة، وتكن أعضاء الوفود من النجاة بجلدهم. ثم تابعوا طريقهم إلى أن وصلوا تونس، ولكن دون الهدايا التي كانوا يحصلونها لأبي الحسن^(١٧٦).

وعلى أثر الصراع الذي شهده المغرب المريني بين أبي عنان ووالده أبي الحسن، والذي انتهى بتخلي الوالد عن العرش سعيماً لصالح ابنه عام ١٣٥٢هـ/١٣٥٢م صفا الجري لأبي عنان، فانقطع لتصرف أمور دولته^(١٧٧).

ولما كان أبو عنان مطلقاً علي جميع تفاصيل وجيشيات علاقات والده مع حكام مالي، وعلي علم بالسفارات، والهدايا النبيلة بينها، ثمر سياسة معلومة تجهل الكثير منها.

- ابن بطوطة وموافق رحلته إلى بلاد السودان :

يجري انتهاء سباحة ابن بطوطة في العالم، ودخوله إلى فاس أواخر شعبان من عام ١٣٥٠هـ/١٣٥٠م استقباله السلطان أبو عنان، فخبره وعرف قدره ومؤهلاته^(١٧٨).

وتصادف أن كان أبو عنان قد انتهى من مشكلة العرش مع والده، فخرج رحالتنا من قصر السلطان بغاس متوجهاً إلى مالي، وذلك قرابة منتصف سنة ١٣٥٢هـ/١٣٥٢م^(١٧٩).

إن الجواب عن هذا السؤال يتل جوهراً المشكل الذي طرحه رحلة ابن بطوطة إلى بلاد السودان والتي حين ظهور شهادات مصدرة تساعدنا في تناول القضية وتبين خلفياتها، فإن ما يتوهم لدينا من مادة إخبارية لا يسمح لنا إلا بطرح بعض التريخات. أهمها أن رحلة ابن بطوطة إلى مالي كانت بإيعاز من أبي عنان، وما يشجعنا على هذا الرأي هو خروج رحالتنا من قصر أبي عنان متوجهاً إلى مالي، ثم توصله وهو مدينة تكدا من بلاد السودان بأمر سطلاني يدعو للاتحاق على وجه السرعة بالخطرة السلطانية بغاس^(١٨٠).

والقراءة الثانية للاحظاظ ابن بطوطة عن مالي تفرح أكثر من سؤال واستفهام. تبدأ بالحاح رحالتنا على اقتناعا بعدم اختلافه بالسودان، ونسأل: هل كان يخشى أن تنتبه إلى علاقة رحلته بالبلاد المريني ثم ليحد من تطلعاتنا للاستزادة من أخبار مالي؟

حتى نخص بهم القضاة، وركب بعضهم بعض في الأرواح بسبب تهاونهم وتطلعهم لرؤية الزرارة التي كانت من بين ما ضمنه الهدية المالية، وأهل المغرب لم يتعدوا رزية مثل هذا الحيوان، المعجب الخالقة^{١٧٦}.

ولما كان نجم مالي والمريين قد أخذ في الأفول منذ وفاة منسا سليمان وأبي عنان، فقد طغمت المشاكل السياسية الداخلية لكل منهما على مشاغل الحكم، ولم يعد لهما من الوقت ما يسمح بتوطيد علاقتهما، والامتداد في تدعيم الرصلة التي أرسى دعائنها كل من السلطان منسا موسي والسلطان أبي الحسن. لهذا السبب كانت سفارة ماري جاعة الثاني آخر حلقة من حلقات العلاقات السياسية بين البلدين تطلعا عليها المصادر^{١٧٧}.

وخلاصة القول، لقد كان لدي حكام مالي رغبة عميقة لتوطيد علاقاتهم مع القوي السياسية في بلاد المغرب ومصر، وكانوا يطمحون من وراء ذلك إلى تركية كلمة الأسلام ببلاد السودان ليس إلا. وهذا ما فهمه جيدا أبو الحسن المري، وربما يكون أبو عنان قد أستوعبه كذلك. وأراد أن ينجم بعلاقات البلدين نحو آفاق أرحب، ويسطر لها مسارات جديدة بناء على معطيات سفارة أبي بطوطة فكان أن أضر بهنقه وهو يتخي صلاحه.

ويمكن أن تقدم صورة جميلة لتسريقات ملكة مالي صورها ابن بطوطة، فهي من المفيد لتاريخ العلاقات الأفريقية أن تأتي عليها سيما وهي شاهد عيان.

يلذكر ابن بطوطة أن للعاهل المالي قبة مرتفعة بداخل القصر، يقعد فيها في أكثر الأوقات ولها من جهة المشور طبقان ثلاثة من الخشب، مغطاة بصفائح الفضة، وتحتها ثلاثة مغطاة بصفائح الذهب أو هي قنطرة مذهبة، وعليها منور ملد، فإذا كان يوم جلوسه بالقيده رقت الستور، فعلم أنه يجلس فإذا جلس أخرج من شبالك إحدى الطاقات شراية حمراء قد ربط فيها منديل مصري (مصنوع في الإسكندرية، مرقوم، فإذا رأى الناس التديل ضيت الطبول وتفتح في الأبراق، ثم يخرج من باب القصر نحو ثلاثمائة من العبيد في أيدي بعضهم القسي، ولي أيدي بعضهم الرماح الصفار والدرق يقبض أصحاب الرماح منهم مينة وميسرة، ويجلس أصحاب القسي كذلك، ثم يأتيهم مرسجين ملجسين ومعها كبشان - يذكر أنهما يحفظان من العيون - وعند جلوسه يخرج ثلاثة من عبيده مرسجين فيدعون نائب السلطان. فنجبا موسي، وتأتي القرارية (الأمرأ) ويأتي الخطيب والفقهاء - فيقدمون أمام الملاحجدارية يمينه ويساره في المشور. ويقف دوما الترجمان علي باب المشور، وعليه شباب الفاخره من الزره خاتمة وشبهوا^{١٧٨}.

لا شيء يدعونا لاستبعاد هذا العامل، خاصة أن انعكاساته السلبية على تجارة المغرب الغربي مع بلاد السودان خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري سوف يكون لها أثر خطير على خزينة الدولة المرينية.

إنها مجموعة من الاستفهامات التي ينبغي أن نستخدمها ونضعها نصب أعيننا في أثناء قراءتنا لرحلة ابن بطوطة.

وتجيب إلى الاعتقاد أن سفارة ابن بطوطة التبعسية خلقت أجزاء مشحونة بالتوتر بين مالي والمريين، وأما ما لبى علاقات البلدين، مما يفسر نظرة الأروياب والخبر الشديدين اللذين أصبح منسا سليمان يتابع بهما أبو عنان.

ويخبر ما يتخرج هذه الوضعية المستجدة في علاقات البلدين، هو انقطاع السفارات والهدايا بينهما، ويعلم أن أبا عنان لم يكن أقل منأنا من والده أبي الحسن في إنجازاته السياسية والعسكرية، ولو كانت علاقته مع منسا سليمان مطبوعة بالود والصفاء، لتكويه - كما جرت العادة لدي حكام مالي - سفارة تهتمه بمناسبة قفصه لتلمسان عام ١٣٥٤هـ/١٣٥٤م أو محاولته لتتح إفريقيا عام ١٣٥٨هـ/١٣٥٨م^{١٧٩}.

يبد أن منسا سليمان عرض أن يجامل أبا عنان سفارة أو هدية، ففضل صنع حفل رسمي لعزاه أبي الحسن، ودعا إليه ابن بطوطة ليلعب سلفاته بما رأي، وليكون شاهداً على موقف سلطان مالي من الظروف المستجدة.

ولا ريب أن منسا سليمان كان يود الترحم على روح أبي الحسن لكانته عنده، لكن في الوقت نفسه كان يود أن يبه أبا عنان إلى أنه مستعد للترحم على العلاقات المالية المرينية إن هو استمر في سياسته المحايدة بالأرتياب.

ولم نكد نخفي بضعة أشهر علي استقلال ماري جاعة الثاني بالحكم، ونتيجة تكل منافسه علي عرش الإمبراطورية. حتى وجدناه يرسل سفارة للمريين، وبالنظر إلى أهمية الشخصيات السودانية التي جاءت ضمن السفارة، وأهمية الهدايا التي أرسلها ماري جاعة الثاني، فقد كان يوم وفاة السفارة علي فاس في صفر من عام ١٣٦١هـ/١٣٦١م، يوماً مشهوراً. جلس لها السلطان أبو سالم مجلس العرض، ونودي في الناس بالبروز، فجاوا ينسلون من كل حدب.

حزير ، ومعلم بحمامة كبيرة ، وضربت بين يديه الطبول ، والأبواق ، والأفطار ، وأمراء الأجناد أمامه وظلوه ، والقاضي والفقهاء والشرفاء معه ، ودخل مشرد علي تلك الهبة ، وقعد الزوراء والأمراء ووجه الأجناد في سقيفة هناك ، ولم يزالوا كذلك حتى صلاة العصر ، فلما صلوا العصر مع الشيخ أبي الأجناد ووقفوا صفوا علي قدر مراتبهم ، ثم وضعت الأبطال والأفطار ، والأبواق ، وعند صربها لا يتحرك أحد إلي خلف ولا أمام ، فإذا فرغ من ضرب الطبلخانة ، سلموا بإصبعهم وانصرفوا . وكانت بعض فصائل الجيش تصاحب السلطان أثناء مسيره للركب السلطاني . وهم بذلك يشبهون ما يطلق عليه حرس السلطان (وهو أرباب السورق) ^{١٧١} .

ووجد مقديشو معزبون وغفراء ، أرسلهم حكام مقديشو إلي مصر بصفة خاصة من أسرة الجبوتية ، وهم مما حملوا إجازة العلم والفن من الأثر الشريف ^{١٧٢} .

ورصد ابن بطوطة لماكب السلطانية في سلطنة كلوة الإسلامية عهد أسرة المهدي العربية (١٧٦) ، وفق رسوم منظمة . فعند خروج السلطان لأداء صلاة العيدين ، ينادي والي المدينة مي أهلها بالمسير ، والخروج فيخرج أهل كل سوق ومعهم الأتروس وآلات من السلاح مرتدين أبهى القياب ويبتون خارج البلد ، ومع كل حرفة علم خاص به عليه رمز خاص بهذا الصنف . أما السلطان فيخرج من قصره في الصباح الباكر ، وحواله عدد من جند التنظيم الذين يحملون الضرب في أيديهم ، والفر الذين يسرون أمام السلطان . أما بين يدي السلطان فيسير خمسون رجلا مشاه مشدودي الأرسطة يد كل واحد منهم ومجان ، ومع طويل والأخر قصير ، كما يكون الواحد منهم جانب الحرس والجويز ، وكان هناك حاشية من الفقهاء ، والأكابر والوزراء ، والأشراف وهي مقدمتهم القاضي ^{١٧٣} .

وكان السلطان يخرج إلي المصلي في مركبه الرسمي محطيا جواده الأشهب وحوله رجال الدولة وقادة الجند وحلة الأعلام وأصحاب الموسيقى . وتتحضر ضحيت العيد الخاصتان بالسلطان والقاضي فيحلمان إلي المدينة علي ظهور الجياد السريعة . وتقام أتعاب الفروسية وتصدق الموسيقى في الطرقات ويخرج الناس لمشاهدة تلك الأتعاب يلاصقهم الجديدة .

يسير أمام السلطان ثلاثة من خاصة يحملون درقه وورمه وسيفه . وكان العلم الأبيض اللون - الخاص بالسلطان والمعروف بالنصور أو مسجد الدولة والمصنوع من الحرير ومكثوب عليه آيات من القرآن الكريم - يسير أمام السلطان . وخلف المركب السلطاني يسير حلة أعلام فرق

وهنا يتوه ابن بطوطة بترتيب العمامة عند أهل السودان ، إن كل هذا الوصف لم يكف ابن بطوطة أن يتعرض لمجلوس السلطان بالمشور للاستقبال .

وهي معرض حديث ابن بطوطة عن طاعة السودان لكنه يتحدث عما ساء الترتيب ^{١٧٤} .

لقد حضر ابن بطوطة بالملي عميدي النظر والأضحى لذلك العام : ١٣٥٢/هـ ١٣٥٣م ولذلك فإنه يقدم لنا هذه اللقطات التي لا يمكن أن نجدها في مصدر آخر غير .

خرج الناس إلي المصلي القريب من قصر السلطان وعليهم الثياب البيض الجمسان ، وقد ركب السلطان وعلي رأسه الطبلسان وكانوا يوم العيد يكبرون بين يديه العلامات الحمر من الحرير ، وإذا قضيت الصلاة والحطبة قعد الخطيب بين يدي السلطان وهذا رجل بيده رصح بين الناس بلسانهم كلام الخطيب ويجلس السلطان بعد العصر علي (النبي) وينصب له قفا كرسي يجلس عليه ويضرب الآلة التي هي من قصب وتحتها قرععات ويغني شعر مدح السلطان فيه ويغني النساء ، والجواري ويكون معهن نحو ثلاثين من غلمانهم كل ينقله طينه بضميه .

وعند ذلك " يأمر السلطان الدوغة بالإحسان فيولي قصره فيها مائتا مثقال من التبر . فيعطي كل واحد علي قدره وفي كل جمعه بعد العصر يفعل ودعا مثل التبر " ^{١٧٥} .

وعد أن يأتي ابن بطوطة علي أمثلة ونماذج من استقامة وانصاف منسا سليمان واحتصامه بنشر العدل في سائر أطراف مملكته ، يسوق حديثا منفصلاً عن الخلال الذي نشب بين الأميرة فاسا وبين زوجها منسا سليمان وكانت نفاذته في الملك علي عادة التسوران ويذكر اسمها مع اسمه علي

المثير ^{١٧٦} .

خامساً : مواكب وتشريفات ابن بطوطة في سلطنة مقديشو وسلطنة كلوة الإسلامية ^{١٧٧}

لقد عرفت مقديشو فكثير من مظاهر الأبهة والذخامة سواء في المناسبات العامة أو الخاصة ، فمن مظاهر الأبهة في الاحتفالات الخاصة التي شاهدها ابن بطوطة هي مواكب سلطان مقديشو ، حيث قال : " ولما فرغ الشيخ (السلطان) من الصلاة توجه ماشيا إلي منزله ، وهو بالقرب من المسجد ، ومشي الناس كلهم حفاة ، ورفعت فوق رأسه أربع قباب من الحرير للكون ، وعلي أعلي كل قبة صورة طائر من ذهب ، وكان لابس في ذلك اليوم فرجية قدسية خضراء ، وهو متقلد بغيره

وكانت الاحتفالات بالعيد النبوي تأخذ طابعاً قديماً في جميع الأقاليم بكنونه وذلك لأن يوم مولد الرسول الكريم كان هو العيد الرسمي للدولة، وكان الناس في كلوه يخرجون ليلة المولد النبوي إلى الشوارع ويأخذون بضرب الطبول، وتدح الداحون ويغنون المساجد ويخرج الناس رجالاً ونساءً، ويلبسون أحسن لباسهم ومفاخر زينتهم ويذبح المادحون علي أبواب المساجد وعرضيون الطبول في مواضع معروفة ويركب الرجال علي جيادهم ويلعبون بها علي دقات الطبول إلى الثلث الأخير من الليل^{١٨٥}.

وكانت هناك مناسبات دينية أخرى مثل الاحتفال بأول السنة الهجرية وعاشوراء^{١٨٦}، وتبوم ختم القرآن في الجامع الكبير الذي كان يصادف أحد أيام الجمع^{١٨٧}، وفي يوم مرور أربعين يوم علي وفاة أحد العلماء، أو كبار القوم، وقد أكثر أهل المدن من الصلوات التي لا تتراخها حفلات أو مظاهر لاقتة للنظر ومنها صلوات الأستسقاء، والحسوف والشكر وصلاة الكسوف^{١٨٨}.

أما الاحتفالات بمناسبة اجتماعية أو دينية فلم تكن تدخل تحت المحصر. ومن أبرز هذه الاحتفالات زواج السلطان وما به من مظاهر البياخ وإرسال الهدايا العظيمة إلى عروسه. ولم يكن هذا البياخ في البلاط الزنخمي السابق قبل قدم العرب إلى شرق إفريقيا، وكانت مثل هذه الاحتفالات تحفل بالرقص والغناء، وألعاب الفرصية حتى الصباح^{١٨٩}.

الجيش المختلفة والمتعددة الألوان^{١٩٠}، وأيضاً قارع الطبول، وتناحر الأتراك. وسير المركب بين صفوف أهل كلوه، وبعد أن ينتهي السلطان من الصلاة يعود إلى قصره حيث ينصرف الجند إلى مكاناتهم، بينما يبقى مع السلطان كبار قواد الجيش من الأشياخ الذين يحضرون مع السلطان طعامه^{١٩١}.

وكانت الجيول التي تخرج في المركب السلطانية تزين بأفخم أنواع الزينة، فخيول السلطان التي تسمى في موكبها والتي تسمى التجائب يوضع عليها سروج مخزرة بالذهب المرزكشي، وركابها ذهب، وتلغ قبة كل ركاب حوالي ألف دينار. كما توضع علي هذه الجيول أيضاً سروج من الحرير مرفومة بالذهب وتعرف ثياب الجيول عند أهل كلوه بالبراقع. ولقد كان للسلطان أيام يحتفل فيها بالجيش. المناسبة الأولى منها يوصى الاثني والخميس من كل أسبوع، وهذا اليومان يسميان يومى التميز وفيهما يخرج السلطان إلى برج الذهب الواقع ببستان القصر. فيعرض أمامه الجيش وينظر فيه ويلعب بين يديه الفرسان لسير الفارس من غيره. ولم يكن هذا التمييز مقصورا علي مدينة كلوه فقط بل كان في جميع مدن السلطنة^{١٩٢}.

كما كان السلطان يحتفل بالجيوش في بداية كل ثلاثة أشهر حيث يجلس السلطان في مشور قصره في كلوه علي علو وجهته الكتاب يهتمون في الديوان ما يستحق الإتيان، ويكر الجند أمامه ليعرف الحاضر والغائب والقادر والمعجز^{١٩٣}. وكان النظام في سلطنة كلوه يقضي بأن يكون تولي العهد حاجبه وكتابه وأمينه وتولي مراكبه، فإذا ما توفي السلطان انقسم خدامه إلى ولي عهده في الغالب^{١٩٤}.

وكثيرا ما كان ولي العهد يقود الجيوش نيابة عن السلطان في المعارك العسكرية. وغالبا ما كان ولي العهد ينوب عن السلطان أثناء غياب السلطان عن مقر حكمه. وتكاد تكون الطبول مصاحبة للسلطان في كل تحركاته فكان يضرب علي طبل كبير يفتاق عليه ترنال ثلاث ضربات إذا ما وضع السلطان رحله في الركاب إجمارا بركوبه^{١٩٥}.

وعند الإقامة تدق الطبول تقعات معينة منهم أن السلطان يأمر جنوده بالنزول عن دوابهم والإقامة في أماكنهم. كما كانت الطبول تدق بعنف عند بدء القتال^{١٩٦}.

أما إذا عاد السلطان إلى مقر ملكه فتنسرب الطبول بالبشارة لمدة سبعة أيام. وقد بلغ عند طبول السلطان مائة طبل^{١٩٧}.

تطلعت في تبادل السفارات والهدايا، ولعبت منظومة التجارة المنظمة في المحيط الهندي دوراً رئيسياً في تنامي العلاقات والمصالح مع منطقة الهند وجنوب شرق آسيا .

حفاً صدق قول محمد بن قنص الله البيلوني الحلبي (ت ١٠٥٨ هـ / ١٦٧٩ م) مادحاً الرحلة

حيث أبصرت رحلة لإمام

فهي ذيل رحلة ابن بطوطة

إنما الكون دارة وهي قطب

بجميع الجهات منة منوطة

جعل الله روضة في رياض

حيثما يسبح القمام خيوفه .

الحاتسمة

نتائج رحلة ابن بطوطة الأفريقية.

استعداد المناقشة بين المغرب العربي ومصر المملوكية في السيطرة على الشبكة التجارية في منطقة حوض نهر النيجر . وخاصة بعد حج منسا موسى وضوا سليمان . ومظاهر الأبهة والبذخ سواء في القاهرة وبلاط الحجاز . ووفرة معدن الذهب حتى أن المنطقة سوف تصبح ضمن مرحلة من التكاليف والتعب المظم من القوى الأوروبية التي سوف تهيمن على منطقة ساحل الذهب أو أرض الذهب .

ولهذا لم يمض وقت طويل حتى تأسست جمعية جغرافية يهودية في مبروكة لرسم الخرائط بهدف التعرف على الطرق والمسالك الموصلة إلى بلاد الذهب في قلب القارة الإفريقية؛ وما أصدرته تلك الجمعية الخريطة التي أعدها الجليستو ديكرت المورتي سنة ١٣٣٩م، والتي تعتبر من أوائل تلك الخرائط التي ركزت على الهدف المنشود في محاولة لتصوير داخل أفريقيا وقد حددت تلك الخريطة بعض المدن والمواقع والطرق المؤدية إلى تلك البلاد .

لقد حدد ابن بطوطة في مهمته كسفير فرق العادة مواطن الوصول نحو أرض الذهب لتجديد الخريطة القطالونية التي قام الجغرافي البيروني أبراهام كريسك Abraham Cresque سنة ١٣٧٥م بإيجازها لشارل الخامس ملك فرنسا، تعدد هذه الخريطة من أهم تلك الخرائط . إذ كانت أكثر دقة ووضوحاً، فظهر فيها وادي درعة كواحد من أهم الطرق وظهر هذا الودي مخترقاً جبال أطلس ومتجهاً إلى حبوب الصحراء إلى أرض الذهب . وتضمنت الخريطة تحديد عدد من المدن والمنطق الهامة مثل سجلماسة وسكرة وتوات وقازوه وجاو ونسبكت ومالي وغيرها. ونحو آفاق مستغنية لتظرة ابن بطوطة فقد تم إنجاز أهم الخرائط في الهندية عام ١٤٥٩م. وهي الخريطة المعروفة باسم فراما درو للوصول إلى أرض الذهب وعجلة العصر الوسيط آنذاك .

لقد وضعت كذلك بعض القيم الإنسانية كالانسامح والتعايش والافتتاح على الآخر، والريزية التي كان يمتلكها النظام العالمي القديم . وقد أفاض ابن بطوطة في الحديث عن موكب السلطان في مدينتو وكوره وما كان يحيط بهلة المركب من عظمة وأبهة .

ولقد كانت لسلطنة مدينتو وكورود علاقتهاما الدبلوماسية مع مصر وبلاد السودان، والتي

- ٩ - مارمول كرنيجال : أفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد زنتير وآخرين . الرباط . مكتبة المعارف للنشر والتوزيع . ١٩٨٤ ، ص ٢٠٣ . أحمد درويش : دور المرأة السياسي والخصاري في دولتي مالي وصغرى (١٩٦١-١٩٦٠) / ١٩٦٨-١٩٦٩ م رسالة ماجستير غير منشورة . معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة .
- ١٠ - ٢٠٠٧ ، ص ٩٧ وما بعدها .
- ١١ - أحمد زبادي : مصطلحات محلية القهية ومظاهرها في رحلة ابن بطوطة . الناهل المغربية . العدد ٦٠ ، الرباط المغرب ، يناير ٢٠٠٠ م ، ص ٣٠٤ .
- ١٢ - ابن خلدون . التبر وديوان العبد وأخبر في أيام العرب والعجم والهموم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . بيروت . دار الكتاب اللبناني . ١٩٥٦ ، ص ٧٤٩-٥٢٨ .
- ١٣ - النظر : الشافعي : الحضور المغربي في جزيرة سردينيا ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ص ٧٤ ، ذو الحجة ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ٤١ .
- ١٤ - ابن الخطيب : رحاية الكتاب ، تحقيق عثمان ، ج ٩ ، ط القاهرة . ١٩٨٠ ، ص ٣٢٩ .
- ١٥ - حسن عبد السميع محسن : ابن بطوطة الرحالة . القاهرة . ١٩٦٥ م ، ص ٢٨-١٠٠ .
- ١٦ - الحسن الشاهدي : أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ، ص ٢٧٥ .
- ١٧ - عبد الواحد قصير : ملكة مالي في القرن الرابع عشر وفقاً لأبن خلدون ومعاصره . ترجمة إبراهيم سعيد فهمي ، ابن خلدون - البصر المرسط في القرن الرابع عشر - قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٧ ، ص ١٢٢-١٢٨ .
- ١٨ - نقولا زيادة : الجغرافية والرحلات عند العرب ، ط بيروت ، ١٩٨٧ م ، ص ١٢ .
- ١٩ - محمد حجي : ابن بطوطة والحسن الوزان في بلاد السودان الغربي وراء الصحراء . مجلة الناهل المغربية ، العدد ٦٠ ، ص ٥٤-٥٥ .
- ٢٠ - أحمد الشكري : المصادر العربية المتعلقة ببلاد السودان قسماً ورا ، القرن الثامن وطلع القرن الخامس عشر للسلاة القراءة والتدويل ، اتصال نوبة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأنظار الأثرية علي جانبي الصحراء ، طرابلس ١٩٩٨ ، ص ٣٩٩ .
- ٢١ - أحمد الغريزي : رحلة ابن بطوطة بلا خرائط (١٤٠٤-١١٣٧) . مجلة الناهل المغربية . العدد ٧٧ ، ص ٦٠ .
- ٢٢ - النظر : رحلة ابن بطوطة بلاحق البحث شكل رقم (١٤) . انظر سنوات رحلة ابن بطوطة في ملاحق البحث برنامج رحلة ابن بطوطة ، ص ٢٥ .

الهوامش

- ١ - القرآن الكريم : آية ٤٦ ، سورة الحج .
- ٢ - ابن بطوطة : محمد بن عبد الله بن محمد القوافي المبروف بابن بطوطة . ولد بقتيبة سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٣ م . وخرج منها وهو شاب بعهد الحج عام ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م . فلم يكتب له العودة إلى وطنه إلا بعد سبع وعشرين عاماً ونصل العام . جال خلاله في عدد من أقطار المعمورة ، وفي سنة ٧٥٢ هـ / ١٣٥٢ م سافر رحالنا إلى بلاد السودان ، وأقام بملكة مالي زهاء سنتين ، ووفد خلالها على السلطان منسا سليمان بماصمة ملكة تياتي . كما زار عدداً من مدن امشلكة وقراها . وعلي ذكر الحسن الشاهدي فقد كانت وفاة ابن بطوطة سنة ٧٧٩ هـ / ١٣٧٩ م في حين بقي آخرون أو وفاته كانت قبل ذلك التاريخ بنحو عشر سنين . انظر : ابن بطوطة ، ترجمة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٥ م | ١ حققه وقدم له : علي الشنصر الكنجاني في جزئين ، الحسن الشاهدي : أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني ، الرباط ، منشورات عكاظ . ١٩٩٠ م . الجزء الأول ، ص ٢٥٦ . ولحقه الإجازة إلى أن مؤلف حسن الشاهدي بصحفي علي آخر وأهم دراسة صدرت عن ابن بطوطة حيث تقدم فيها شاملاً ووافياً عن رحالنا ورحلاته .
- ٣ - هيد الهادي الشافعي : الرحلة كصنوع لتاريخ العلاقات الدولية ، مجلة الناهل . العدد ٦٠ ، الرباط ، المغرب ، يناير ٢٠٠٠ م ، ص ٤٥ .
- ٤ - لزيد من الدراسة انظر : عيد الهادي الشافعي : التاريخ السلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم . النجل السابع عهد بني مرين والوطاسين ، الملكة المغربية . ١٩٨٨ م ، ص ٢٥ وما بعدها .
- ٥ - انقصد إلى ابن قنقل . وابن خلدون ، ط وعظم الذهبين أرفرا كنونس .
- ٦ - السلطان منسا موسى ، رابع ملوك مالي يقوم بأداء فريضة الحج . وفي عهد ٧١٢-٧٣٧ هـ / ١٣١٢-١٣٣٧ م . كانت الإمبراطورية تعيش أوج قوتها وذروة مجدها انظر معهود كمت : تاريخ الفتاني في أخبار البلدان والمجروش وأخبار الناس ، الحجي بريدان ١٩١٣ ، ص ٣٢ . أحمد الشكري : الإسلام والتجمع السوداني الإمبراطورية مالي . ١٩٣٢-١٩٤٣ م ، ط . أبو ظبي ، ١٩٩٩ ، ص ٢٤٤-٢٤٥ .
- ٧ - انظر : ابن الروزي : تمة للتخصر في أخبار البشر ، تحقيق رازراف أحمد . رقت البراي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، بيروت . ١٢٨٩ هـ - ١٩٧٠ م ، ج ٢ ، ص ٣٩٢ . ابن كثير : البداية والنهاية ، دار نشر النيل للطباعة ، القاهرة (د . شا) ج ١٤ ، ص ١١٢ . إبراهيم الشافعي : الحج وأثر الحضاري في دولتي مالي وصغرى للثقافة ، القاهرة (د . شا) رسالة ماجستير غير منشورة بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ٢٠٠٧ م ، ص ٣٩ .
- ٨ - المصري : مسالك الأمصار ، الباب السادس . بيروت ، المركز الإسلامي للبحوث . ١٩٨٦ م (دراسة وتحقيق دوريا كزانوسكي ، ص ٦٩)

٣٣ - محمد المنوني : وثائق عن الحضارة الغربية في عصر بني هودن، الرباط، ١٩٧٩، ص ١٢٩-١٨٣.

CF, Kably Mohamed Societe Pouvoir et Religion au Maroc a La Fin du Moyen - Age. Paris 1986, pp. 138, 163.

- Devise J. , Routes de Commerce et echanges en Afrique occidentale en relation avec La mediterrannee . un essai sur Le Commerce Africain medieval du Xle au X vie siecles .

Revue d'Histoire economique et Sociales L. 1-2 1972 pp 73 et 357-397 .

٣٤ - العربي : مبالغة الأبحار، ج ٤، ص ١٢٦، انقليسي : صحح الأعشي في صناعة الأبحار، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة (د . ت . ا . ج . ٩)، ص ٩٦، كعت : مصدر سابق، ص ٣٥، السعدي - مرجع سابق، ص ٧٣، ابراهيم الشامي : الحج في دولتي مالي وصنفي، ص ١٢٥

٣٥ - ابن بطوطة . مجلد ٤، ص ٢٤٥، ج ٦، ص ٢٧٤ .

٣٦ - ابن بطوطة . ج ٤، ص ٢٧٠، السويطي : اتصحت بنعمة الله . تحقيق البريات سارون ، تقديم عرض الشباوي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٣ ، ص ١٤٨ .

٣٧ - انظر - محمد التسماني : القصة الملكية الأصبورية . وإبداع المغاربة فيها . التراث اللغوي في المغرب الإسلامي . منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية . سلسلة ندوات وندوات ، جامعة الحسن الثاني، بدين ، ص ٨٩

٣٨ - مجهول : ذكر حتى وثيقة من أخبارنا . مخطوطه محفوظ بمعهد البحوث والعلوم الإنسانية تحت رقم ٢١-٢٣ ، نيامى البيجر ، ورقة ٢ ، ٢ ، أحمد الشكري : المجمع السوراني، ص ٢٢٦

٣٩ - الصبي : مسالك الأبحار ، ج ٤، ص ١٢٤ : القلقنتيم : صحح الأعمش . ج ٩، ص ٢٩٦ .

٤٠ - انظر : محمد عبد العظيم الخولي : سلطنة كلوة الإسلامية في عهد أسرة المملوكي المغربية (١٧٩١-١٨٢٤هـ / ١٢٧٧-١٤٢١م) رسالة ماجستير غير منشورة . معهد البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة القاهرة ٢٠٠٩ م ، ص ٢٢٥ وما بعدها .

٤١ - تجبر الإشارة أن أبا الحسن تولى ملك المغرب عام ١٧٣٠هـ ، غير أنه لم يهنأ به إلا بعد إزاحته بأخيه وبثلاثة الأسي أمي علي صاحب سطامة وذلك عام ١٧٣٢هـ / ١٣٣٢ م) . انظر للغير . ج ٧، ص ٥٢٦-٥٢٨ .

٤٢ - ابن مردودك الخطيب ١ : المسند التصحيح لحسن ، لم يأت مريلا أمي الحسن . الجزائر الشرقية الوطنية للنشر والتوزيع ، تحقيق صابو جيسوس فيرنوس . ط ١٩٨١ . ص ٢٨ .

22 - Vincent Monteil, Introduction, aux voyages de Ibn Battuta , 1325-531, In BIFAN- Serie B, Tome XXX, No2 avril 1968, p. 444-462.

وانظر آخر الدراسات حول ابن بطوطة درجلاي :

Ross E. Dunn , The Adventure Of Ibn Battuta , a Muslim Traveller of The 14 th Century C Room HELM. 1986, London and Sydney.

23 - Cf. C. Defremery et E. K. Sanguinetti, Voyages d. Ibn Battuta, 4Vol. Paris 1953-56, H A R Gibb, The Travels of Ibn Battuta A D. 1325-1354, Translated with revisions and notes 3 Vols, Cambridge for the Hakluyt Society, 1958, 1961, 1961.

٢٤ - يري الأستاة مصطفى نشاط أن رحلة ابن بطوطة إلي السودان كانت رحلة عملية تهدف جمع الأخبار عن الطرق القافلية . وعن السرى السورانية . وتحمل هجاء تجاريا بغرض رصد المعطرات التي تسمح للمغرب الغربي باستعادة مراكبه للطرق القافلية . انظر مناخه مضان و البعد التجاري في رحلة ابن بطوطة إلي السودان (في ملتقى ابن بطوطة، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة- الجامعة العربية - طنجة- أكتوبر ١٩٩٢ م .

٢٥ - فريد من الدراسة انظر : صابر عبد النعب : النظم والمعاملات المالية في المغرب عصر دولة المرابطين (٥٢٤-١١٣٠هـ / ١١٣٠-١٢٦٩م) رسالة ماجستير غير منشورة . معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٩، ص ٢٧-٥٣ .

٢٦ - السلطان منسا موسى هو أعظم ملابدين دولة مالي علي الأطلاق . وأبرز شخصية في أسرة كيتا ، وقد طفت شهرته الاثاق، له بلغته مالي في عهد من عظيمة وقوة واتساع وثورة وتنظيم . انظر : ابن خلدون، مصدر سابق، ج ٦، ص ٤١٥، السعدي : تاريخ السودان، نشر هوداس وتتر، مطبعة بروين بدينة افغني . باريس، ١٨٩٨، ص ٧، كعت - تاريخ الفداني في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس . فتح هوداس ودولافوس، باريس، ١٩٦٤م ، ص ٣٤ .

٢٧ - أحمد الشكري : الإسلام واتجمع السوراني، ص ٢٧٧ .

٢٨ - أحمد دويش : مرجع سابق، ص ١٢٣ .

٢٩ - ابن بطوطة : ص ٢٤٤ .

٣٠ - المصدر نفسه . ص ٢٥٦

٣١ - المصدر نفسه . ص ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٧٤ .

٣٢ - ابن الخطيب - الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عتار، ج ٢، ١٩٧٤م ، ص ١٩٢ .

- ٥٦ - فليستر نيف ج ٧ ، ص ٥٨٩ وما بعدها .
- ٥٧ - نسخة النظار ج ٢ ، ص ٧٤٨ .
- ٥٨ - بعد أيام قليلة من تغلي أبي الحسن بن الملك لوالده أبي عثمان الخويزي في ٢٣ من ربيع الثاني عام ١٧٥٢هـ .
- ٥٩ - نسخة النظار ج ٢ ، ص ٨٠٠ .
- ٦٠ - ابن الفقيه مثلاً كان يعتقد أن الذهب في غانة يثبت مثل الجزر . أنظر : مختصر كتاب البلدان ، لبنان ، أبريل ١٩٨٥م حققه نبي كويجي ، ص ٨٧ .
- أنظر مدقق الذهب في عمالك السودان العربي شكل رقم (١٦) ويلاحظ البحث .
- ٦١ - أحمد بن شريب : المخططات البرتغالية خلال القرنين ١٥ ، ١٦ من ١٩٨٨ مقال نشر ضمن الإهداء ، الشكري للعلامة محمد النوري ، في النهضة والنراكم بالدار البيضاء ، دار توفال للنشر ، ١٩٢٦ .
- ٦٢ - الحسن الشاهدي : أدب الرحلة بالعرب المرتدي ج ١ ، ص ٢٧٥ .
- ٦٣ - أنظر : أحمد الشكري ، المجتمع السويدي عامش (١١٣٠) ، ص ٢٧٦ .
- ٦٤ - ابن بطوطة : الرحلة - معج ٤ ، ص ٢٥٥ .
- ٦٥ - نسخة النظار ، ج ٢ ، ص ٧٢٩ . أنظر رحلة ابن بطوطة في بلاط مالي في الخريطة شكل رقم (٣١) ويلاحظ البحث .
- ٦٦ - العبير ج ٧ ، ص ٥٩٨ ، ٦١٧ .
- ٦٧ - العبير ج ٧ ، ص ٦٤٤ ، ٦٤٥ .
- ٦٨ - المقرئني : السبوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٢ ، ص ٢ . تحقيق محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ ، ص ٨٧٧ - السعدي - ص ٢٢ .
- ٦٩ - ابن بطوطة ص ٦٨٤ ، القلتندي : صبح الأعلى ج ٥ ، ص ٣٠٠ .
- ٧٠ - ابن بطوطة ، ص ٦٨٧ .
- ٧١ - نسخة النظار ، ج ٢ ، ص ٧٧٧ ، ص ٧٩٠ ، ص ٧٩١ .
- ٧٢ - قالوا لقب الملك الأم أو الزوجة الكبرى عند اللاتين . ابن بطوطة : الرحلة ص ٦٨٨ ، أحمد درويش ، دور المرأة ، ص ٢٩ .

- ٢٨٠ - المسند الصحيح ، ص ٢٨ : أحمد الشكري : المجتمع السرداني ، ص ٢٧٢ ، أنظر الخريطة شكل رقم (١٢) ويلاحظ البحث .
- ٤٤ - العصري : مسائل الأبحار ، ج ٤ ، ص ١٢٢ ، والرشيدي ، أحمد : حسن الصفا والإنهاج في ذكر من ولي إمارة الحاج ، تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٠م ، ص ١٢٣ .
- ٤٥ - إبراهيم الشاقي : الحج ص ٤٤ .
- Al Naqar , Umar . The Pilgrimage Tradition In West Africa , an histori - Cal study with special Reference in the Nineteenth century , Khortasm University Press 1978 . P.14
- ٤٦ - العبير ، ج ٦ ، ص ٤١٦ .
- ٤٧ - عن خصال أبي الحسن بنظر المسند الصحيح ، خاصة الأبواب ٣-٧ .
- 40 Bachirau samini Mohamed , Recherches sur Les structures des , Empires du soudan occidental du , Xive ou aville siecle et leurs , Relations avec le basin , Méditerranéen these de 3e , Cycle ualvercite de toulouse , Le mirail 1985- 1986 pp 409 , Devose Routes de commerce etop , at 11pp 359 et 89 .
- ٤٩ - العبير ، ج ٧ ، ص ٥٣٢ ، ٥٥٤ .
- ٥٠ - العبير ، ج ٧ ، ص ٥٣٢ ، ٥٥٤ .
- ٥١ - العبير ، ج ٧ ، ص ٥٥٤ .
- ٥٢ - لقد كانت مشتملات عديدة أبي الحسن إلى انناصر ذات قيمة بالغة . ومع ذلك كانت عديده إلى منسا سليمان أبلغ من ذلك أنظر : المسند الصحيح ص ٤٥٢-٤٥٤ . وفي أثناء إقامة ابن بطوطة بعاصمة مالي في نهاية سنة ١٧٥٢م ، حضر رحلتنا خلاصته منسا سليمان برسم عزاء أبي الحسن (ت ١٧٥٢م) وهذا التقليد لم نسمع به من قبل ولم نألفه لدى حكام بلاد السودان أنظر محققه انتظار ج ٢ ، ص ٧٨٢ .
- ٥٣ - حسب أبي مرزوق فإن الغارة التي استهدفها أبو الحسن من لمسه لملسان وأثريف تشتمل في معارلته محمد الطرين أمام الملاجع المغاربة هي لا يتعرضوا للمضايقات
- أنظر : المسند الصحيح ص ٢٨٥ ، ٢٨٥ .
- ٥٤ - مسند الصحيح ص ٢٥٥ ، ٢٨٥ .
- ٥٥ - العبير ج ٩ ، ص ٨٢١-٨٢٢ .

- ٨٦ - ابن فضل الله العمري : مسالك الأنصار، ج ٤، ص ١٤٩ .
 ٨٢ - ابن خلدون : المصنف السابق، ج ٧، ص ٢٤٢ .
 ٨٣ - القلقشندي : نفس المصدر سابق، ج ٣، ص ٨٠ .
 ٨٤ - لسان السمر ابن القطب : نقضه الجراب في علاقه الاعتقادات، تحقيق و . أحمد مختار العبادي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٩-٢ .
 ٨٥ - ابن خلدون : المصنف السابق، ص ٢٩٠ .
 ٨٦ - ترمجهانم : الإسلام في شرق إفريقيا - مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٢، ص ٢٧٦ .
 ٨٧ - محمد عبد الله النخعي : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا، الرياض، (١٩٥٨)، ص ٢٥٥ .
 ٨٨ - كان الأنصاري بعض الخمسة وحضرة الناس من جميع الطبقات
 ٨٩ - المورخ المجهول : تاريخ الزنج، مجلة نفضة إفريقية، العدد ١٢، القاهرة، ١٩٥٨، ص ٩٠ .

90 - Pina, A . H . : The Swahili Speaking Peoples Of Zanzibar & The East African Coast, London 1967, P. P. 86-87.

٧٣ - إن ابن بطوطة هو الرحالة الوحيد الذي أسهب في الحديث عن سلطنة مقديشو . وخاصة في أثناء حكم الشيخ أبو بكر ابن الشيخ عمر (وهو من لبيبة الأجل الصرمالية) وذلك عام ١٣٣٦م ومن العروف أن الحكم في مقديشو كان لبيبي الحارث منذ هجرتهم إلى ساحل بنادر في عام ٢٩٥هـ / ٩٠٧م .

وإن نظام الحكم في مقديشو قد تطور في عهدهم حتى أصبحوا سلاطين مقديشو بإنتهاؤها عاصمة لسلطنة إسلامية كبيرة في ساحل بنادر وذلك منذ عام ٩٥٠هـ / ١٠٦٠م وظل الأمر كذلك إلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي حينما اعتلى العرش شيخ من قبيلة الأجل الصومالية وهو الشيخ أبو بكر بن الشيخ عمر (جلولة) ولكن حكم الأجل مقديشو لم يدم طويلاً . بليل أن حكم مقديشو وقت قدوم البرتغاليين إلى ساحل شرق أفريقيا في عام ١٤٩٨م كان في بد حكم من سلالة الأذنرة السبعة وكان السلطان حينها من أسرة المظفر الحارثية / يسمى فخر الدين .

والملاحظة أن بني الحارث توارثوا الحكم في مقديشو منذ قيامها والحكم وراثياً في هذه الأسرة إلى أن اعتلى العرش قبيلة الأجل توارثوا السلطة في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي ثم عاد بنو الحارث إلى حكم مقديشو مرة أخرى واستمر في حكمها حتى سقطت .

المطر : ابن بطوطة : الرحلة ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، حندي عبد الشامي : المهابة السياسية والاقتصادية في سلطنة مقديشو الإسلامية في الفترة من ٤٩٥-٥٠٥هـ / ١١٠٦-١١٥٠م (رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات والبحوث الإفريقية ، جامعة القاهرة ٢٠٠٧م ص ١٦٨ .

٧٤ - ابن بطوطة : الرحلة . ص ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ .

٧٥ - يزيد من الدراسة عن سنن مؤلف مقديشو أنظر حندي عبد الشامي : مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

٧٦ - ارتحل ابن بطوطة إلى مناطق شرق إفريقيا وقد سافر من زيلج إلى مقديشو . وكسبه . وكلية أنظر . المصري : جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ص ٦٦-٧٠ .

محمد عبد العظيم الخولي : سلطنة كلنة الإسلام في عهد أسرة المهدي العربية . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة القاهرة ٢٠٠٦م ص ١٥ .

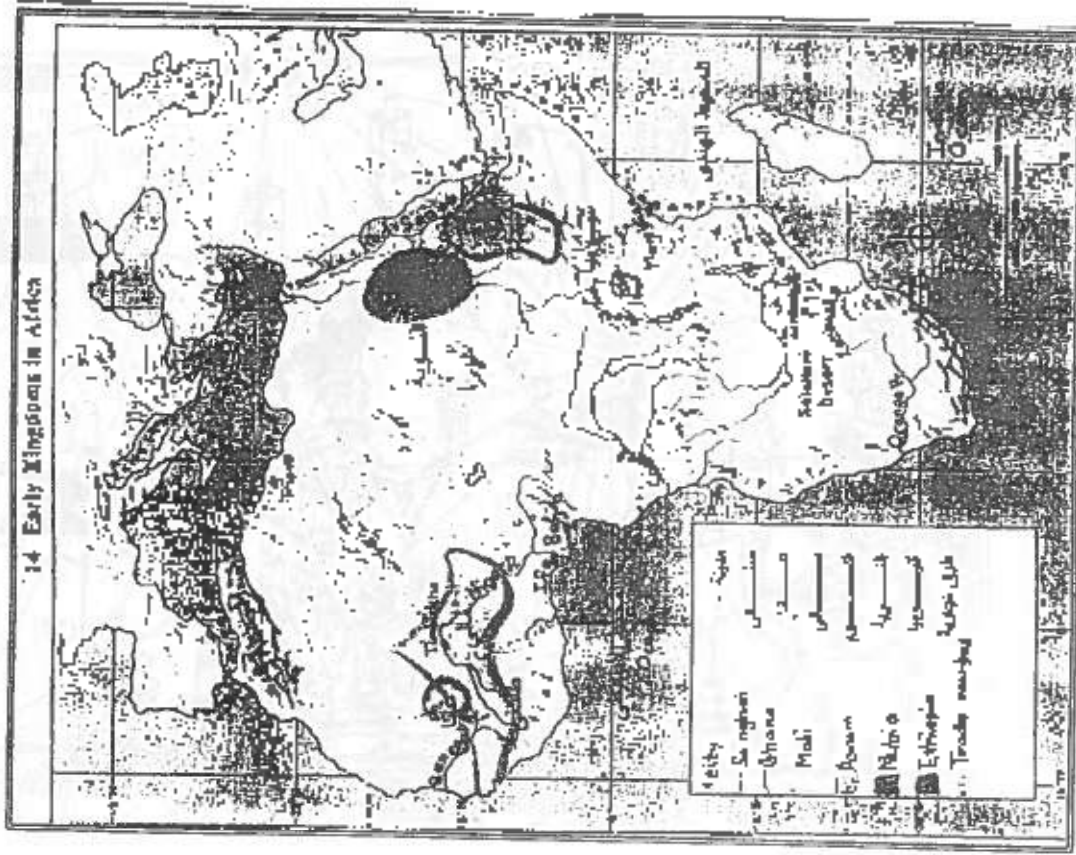
٧٧ - ابن بطوطة : مصدر سابق ص ١٩٧ . انظر طريف ابن بطوطة ومراسمته في بلاد مقديشو وكلية شكل رقم (٥) جلاص البحث .

٧٨ - القلقشندي : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ٢٠٦ .

٧٩ - المصنف نفسه ج ٥ ، ص ٢٠٧ . محمد عبد العظيم الخولي : مرجع سابق ، ص ٢٩٦ .

٨٠ - ابن خلدون : العبر وديوان الهند وأخبارها ج ٧ ، ص ٣١٠ .

خريطة رقم (١)



توضح أهم الممالك (غانا - مالي - صنغاي) ، وأهم المدن.

المصدر: www.africa.upenn.edu

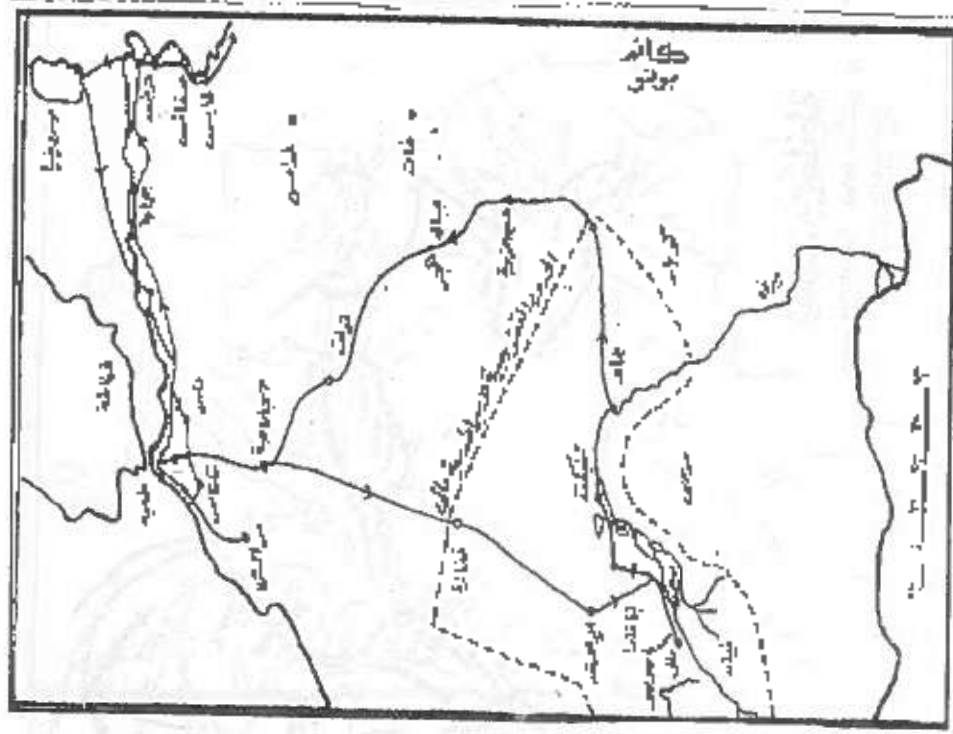
ملاحق الدراسة

أولاً :

برنامج رحلة ابن بطوطة مجمل في اللوحة التالية :

- بلاد المغرب - مصر يونيه ١٣٢٥ - يوليو ١٣٢٦ م.
- سوريا يوليو - أغسطس ١٣٢٦ م.
- دمشق - مكة فاتح سبتمبر - ١٨ أكتوبر ١٣٢٦ م.
- مكة - الكوفة ١٧ نوفمبر ١٣٢٦ - مايو ١٣٢٧ م.
- جنوبي إيران والعراق ١٨ أبريل ١٣٢٧ - بغداد يونيه ١٣٢٧ م.
- جنوب بلاد العرب - إفريقيا الشرقية : خليج البصرة أكتوبر ١٣٢٠ - آخر ١٣٢١ (موغاديشيو : يناير - فبراير ١٣٢١ م).
- مكة نهاية ١٣٢٢ - سبتمبر ١٣٢٢ م.
- آسيا الصغرى ١٣٢٢ - مارس ١٣٢٤ م . بروسة ٢١/٩/١٣٢٢ م.
- روسيا الجنوبية الدخاب من اصطوخان يوم ٣١ يوب ١٣٢٤ م.
- القسطنطينية من ١٨ أغسطس ١٣٢٤ إلى ٢٥ سبتمبر ١٣٢٤ م.
- خوارزم وما وراء النهر ١٣٢٤ أو ١٣٢٩ م.
- خراسان - أفغانستان (حسب ابن بطوطة) .
- من الهند إلى مولتان منذ ١٣٢٢ م .
- الهند ودلهي من ١٣٢٤ إلى ١٣٤٢ م .
- مالبار منذ يوليو ١٣٤٢ م .
- جزر مالديف ثمانية عشرة شهرا في ١٣٤٢-١٣٤٤ م.
- سيلان وكوروماندل منذ ١٣٤٤ م .
- ملبار - المالديف - بنغال - ماليزيا - أندونيسيا .
- الصين قبل ١٣٤٧ م .
- الرجوع إلى فارس عن طريق الشرق ومكة ابريل ١٣٤٧ - نوفمبر ١٣٤٩ م .
- فارس والمغرب قبل فبراير ١٣٤٩ م .
- الأندلس قبل فبراير ١٣٥٢ م .
- السودان والرجوع إلى فارس - فبراير ١٣٥٢ - ١٣٥٣ م .

خريطة رقم (٣)

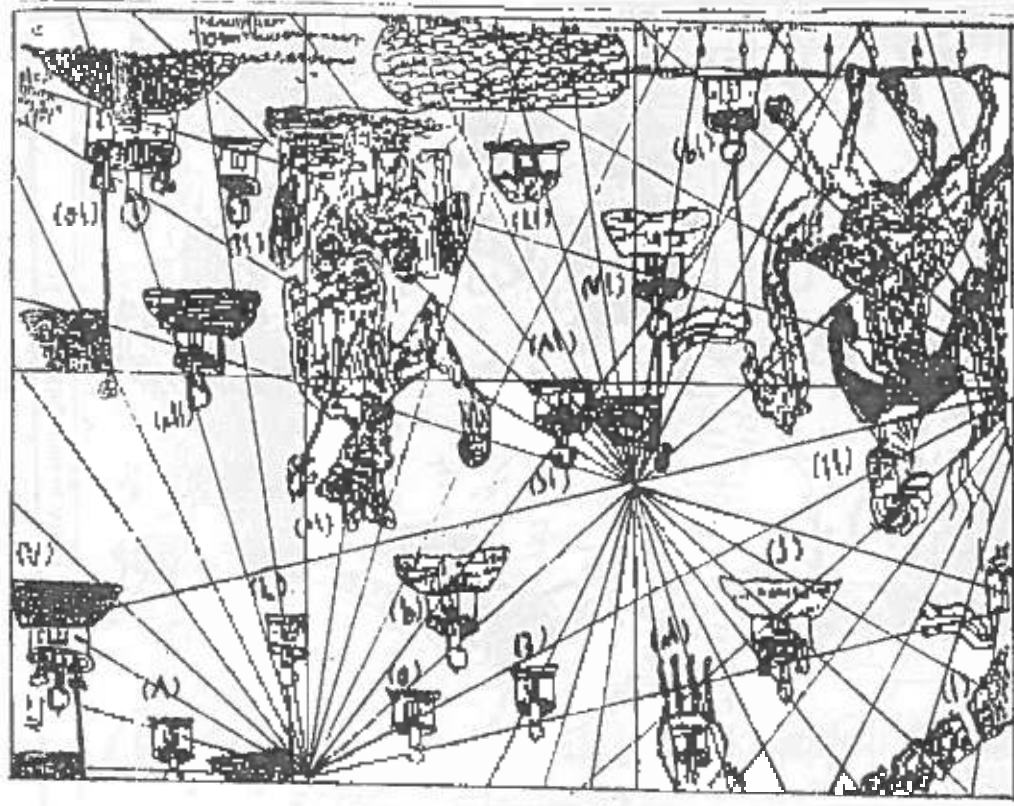


رحلة ابن بطوطة لدولة مالي

المصدر : من عمل الباحث اعتماداً على كتاب

SIR E. Denison Ross and Eileen Power : Ibn Battuta Travels in Asia and Africa 1325 - 1354, London 1929 , P. 310

خريطة رقم (٢)



أخرية الغربية كما رسمها إبراهيم كورسك في الخريطة القطبوية عام ١٣٧٥ م، وعلى بين الصورة ظهر السلطان منسا موسى ، فمدينة تيبكت التي تظهر شمال كرسية ، ثم في أقصى الشمال أيضا ظهرت مدينة مالي.

المصدر : www.bnf.fr

خريطة رقم (٤)

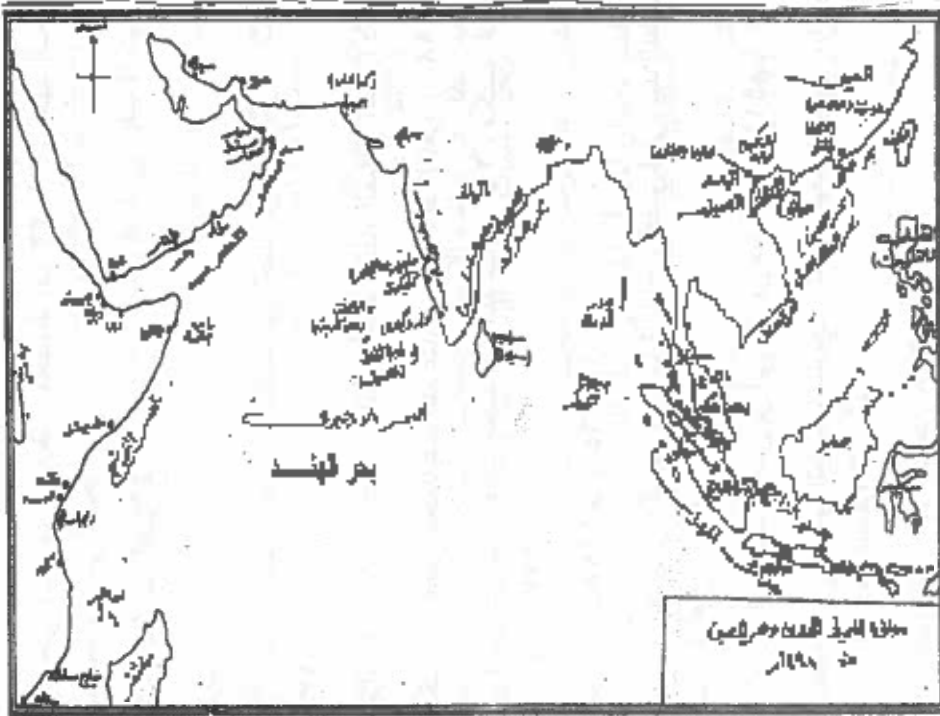


رحلات ابن بطوطة لدولة مالي

المصدر :

حميد مؤنس : ابن بطوطة ورحلاته - دار المعارف ، ١٩٨٠ م.

خريطة رقم (٥)



الشكل يوضح أهم المراتب التجارية المنشرة على سواحل المحيط الهندي ،
ويوضح أيضا أقسام أو بحار المحيط الهندي المخذنة كما وصلها ابن بطوطة في
الرحلة.

المرجع : شوقي عبد القوي عثمان : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة
الإسلامية.

- القرظي (نفي الدين أحمد بن علي ، ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) :
 ١- السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج ٤ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨م .
 - المصري (سعيد بن علي المغربي ، ت ١٣٢٤هـ) :
 ١١- هيئة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ط عمان ١٩٧٩م .
 - ابن الوردي ، (زين الدين عمر ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) :
 ١٢- تسمية المختصر في أخبار البشر ، تحقيق أحمد رفعت البيروني ، ط ١ ، دار المعرفة ، بيروت ١٣٨٩هـ / ١٩٧٠م .
 - ابن بطوطة : (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، ت ٧٧٠هـ / ١٣٧٨م) :
 ١٣- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، حققه علي المنصور الكنتاني في جزئين ، بيروت مؤسسة الرسالة ، ط ٤ ، ٥ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
 - ابن خلدون : (عبد الرحمن بن أبي محمد بن الحسن ، ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) :
 ١٤- العبر وديوان المنبأ والنبأ في أيام العرب والمجم واليهود ومن عاصروهم من ذوى السطان الأكبر ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦م .
 - ابن كثير : (علاء الدين أبو الفنا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) :
 ١٥- البداية والنهاية ، ج ١٤ ، دار نهر النيل للطباعة ، القاهرة (د ، ت) .
 - كفت : (محمود بن الحاج المتوكل الكرمني الوعكري ، ت ٩٥٥هـ / ١٥٤٨م) :
 ١٦- تاريخ القشاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس ، طبع هوداس ، ودولافونس ، انجس برلمان ١٩١٣م .
 - مارمول ، كرفيجال (تومس في منتصف القرن الحادي عشر للهجرة) :
 ١٧- إفريقيا ، ترجمة محمد حجي ومحمد زبير وأخرين ، الرباط ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ١٩٨٤م .
 - ابن عزوق الخطيب : (محمد بن أحمد بن محمد التلمساني) :
 ١٨- المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن ، ط الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٨١م تحقيق ماريضوس فيترايس .

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً: المخطوطات العربية :
 - مجهول : ذكر جنى وثبة من أخبارها ، مخطوط رقم ٢١٠٣٣ ، معهد البحوث والعلوم الإنسانية ، تيمم النيجر .
 ثانياً : المصادر العربية المطبوعة :
 ١- القرآن الكريم :
 - ابن الخطيب (لسان الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر ، ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٥م) :
 ٢- نفاضة الجراب في جلاله الاغتراب ، تحقيق أحمد مختار العبادي القاهرة د ، ت .
 ٣- ربحانة الكتاب ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ج ١ ، ط القاهرة ، ١٩٨٠م .
 ٤- الإحاطة في أخبار غرناطة : تحقيق محمد عبد الله عنان ، ج ٢ ، مكتب الخافض القاهرة ٧٤ ، ٧٥ ، ١٩٧٧م .
 - الرشيدي (أحمد ، ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٤م) :
 ٥- حسن الصفا والايهاج في ذكر من ولي إمارة اخراج ، تحقيق ليلى عبد اللطيف أحمد ، مكتبة الخافض ، القاهرة ، ١٩٨٠م .
 - السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ، ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) :
 ٦- التحدث بنعمة الله ، تحقيق اليزابيث سارتين ، تقديم عوض الغباري ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ٢٠٠٣م .
 - العمري : (أبر فضل الله ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) :
 ٧- مسالك الأيصار في عمالك الأمصار ، السفر الرابع ، بيروت ، المركز الإسلامي للبحوث ١٩٨٦م .
 - ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهذلي ، ت ٣٦٥هـ / ٩٧٦م) :
 ٨- مختصر كتاب البلدان : ط ليدز ، ابريل ١٩٨٥م .
 - القلشندي (أبو العباس أحمد بن علي ، ت ٤٢١هـ / ١٤١٨م) :
 ٩- صيغ الأخصى في صناعة الإنشاء ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ج ٥ ، القاهرة (د ، ت) .

- ٢٨- مملكة مالي في القرن الرابع عشر وفقاً لابن خلدون ومعاصريه ، ترجمة إبراهيم سعيد فهد (ابن خلدون - البحر المتوسط في القرن الرابع عشر - قيام وسقوط إمبراطوريات ، مكتبة الإسكندرية ٢٠٠٧م .
- محمد النمساني (دكتور) :
- ٢٩- المدرسة المالكية الأصبولية ، وإبداع المغاربة فيها . التراث المالكي في الغرب الإسلامي . منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثاني ، (د.ت.ا).
- محمد المنوني :
- ٣٠- وراثة من الحضارة النقرية في عصر بني عيين ، الرباط ١٩٧٩م .
- محمد عبد الله النقرة (دكتور) :
- ٣١- انتشار الإسلام في شرق أفريقيا ، ط الرياض (د ت ا) .
- مصطفى نشاط (دكتور) :
- ٣٢- التبعد التجاري في رحلة ابن بطوطة إلى السودان ، ملحق ابن بطوطة : مدرسة الملك فهد العليا للترجمة ، الجامعة العربية ، طنجة أكتوبر ١٩٩٣م .
- نقولا زيادة (دكتور) :
- ٣٣- الجغرافية والرحلات عند العرب ، ط بيروت ١٩٨٧م .
- رأيها : الدوريات العربية :
- أحمد زيادي (دكتور) :
- ٣٤- مصطلحات المحلية المغربية ومظاهرها في رحلة ابن بطوطة ، المناهل المغربية . العدد ٩٠ ، الرباط الغرب ، يناير ٢٠٠٠م .
- أحمد الغرياني (دكتور) :
- ٣٥- رحلة ابن بطوطة بلا خرائط (١٣٠٤ - ١٣٧٧م) مجلة المناهل المغربية ، العدد ٩٠ ، يناير ٢٠٠٠م .
- عبد الهادي التازي (دكتور) :
- ٣٦- المحضور الغربي في جزيرة سردينية . مجله مجمع اللغة العربية ، ج ٧٤ ، دو الميعة ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م .
- عبد الهادي التازي (دكتور) :

- ثالث : المراجع العربية والمغربية :
- أحمد الشكري (دكتور) :
- ١٩- الإسلام والمجتمع السوداني (إمبراطورية مالي ١٢٣٠ - ١٤٤٣م) ط ١ ، أبو ظبي ١٩٩٩م .
- ٢٠- المصادر العربية المتعلقة ببلاد السودان فيما وراء القرن الثامن ومطلع القرن الخامس عشر للبلاد ، القراءة والتأويل ، أعصال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الأفريقية على جاني الصحراء ، طرابلس ١٩٩٨م .
- أحمد بوشرب (دكتور) :
- ٢١- المخططات البرتغالية خلال القرنين ١٥ ، ١٦ ، الدار البيضاء . دار توبقال للنشر ١٩٣٦م .
- الحسن الشاهدي (دكتور) :
- ٢٢- أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني . الرباط ، منشورات عكاظ ، ج ١ ، ١٩٩٠م .
- ترمتهام :
- ٢٣- الإسلام في شرق أفريقيا ، ط الرياض ، (د ت ا) .
- هسن عبد المسح (دكتور) :
- ٢٤- ابن بطوطة الرحالة ، القاهرة ، ١٩٧٥م .
- حسين مؤنس (دكتور) :
- ٢٥- ابن بطوطة ورحلاته ، دار المعارف ، ١٩٨٠م .
- شوقي عبد القوي عثمان (دكتور) :
- ٢٦- تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية عالم المعرفة ، العدد ١٥٦ الكويت ١٩٩٠م .
- عبد الهادي التازي (دكتور)
- ٢٧- التاريخ الديموماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم ، المجلد ٧ (بني مدين والوطاسيين) ، المملكة المغربية ، ١٩٨٨م .
- عبد الواحد أقصر (دكتور) :

سادسا : المراجع الأجنبية :

- 45- Al Naqar, Umar : The Pilgrimage Tradition in west Africa, an Historical Study With Special Reference in the Nineteenth Century, Khartaum University Press, 1972.
- 46- Bachirou Sammi Mohamed, Recherches sur les structures des Empires du Soudan Occidental du xive au xvle siecle et leuss, Relations avec le basin, Mediterranee these de 3, Cycle Universite de Toulouse le mirail 1985-1986.
- 47- Davidson (B) : African Kingdoms, New York, 1971.
- 48- Devisse, J. : Routes de commerce et echanges en Afrique occidentale en relation avec le Mediterranee un essai sur le commerce African Medieval du xle au x vie siecles revue d' Histoire economique et sociale 1-2 1972.
- 49- Gibb : The Travels of Ibn Battuta A. D 1325-1354 Translated with revisions and Notes 3 vols, Cambridge for the Hakluyt society, 1958, 1961.
- 50- Kably Mohamed : Societe pouvoiz et Religion au Maroc a le fin du Moyen - Age, Paris 1986.
- 51- Prins, A. H : The Swahili speaking Peoples of Zangibar & the East African Coast, London 1967.
- 52- Ross E. Dunn : The Adventure of Ibn Battuta, a Muslim Traveller of the 3 - CF : C. Defremeny et B.R Sanguinetti, Voyages d' Ibn Battuta 4 vol, Paris 1953-58
- 53- Sir. E. Denison Ross and Eileen Power : Ibn Battuta travels in Asia and Africa 1325-1354, London, 1929
- 54- Vincent Monteil : Introduction, aux Voyages d' Ibn Battuta (1325-53) In BIFAN- Serie B, Tome xxx, No2 avril 1968.

٣٧- الرحلة كمصنوع لتاريخ العلاقات الدولية ، مجلة المناهل الغربية ، العدد ٦٠ ، الرباط المغرب ، يناير ٢٠٠٠م .

- محمد حجي اذكورتا :

٣٨- ابن بطوطة والحسن الوزان في بلاد السودان الغربي ورا ، الصحراء ، مجلة المناهل المغربية العدد ٦٠ ، يناير ٢٠٠٠م .

- المزيخ الجهول :

٣٩- تاريخ الزنج ، مجلة نهضة أفريقية ، العدد ١٧ ، القاهرة ١٩٥٨م .

خاصسا : الرسائل الجامعية :

- إبراهيم الشامي :

٤٠- الحج وأثر الحضاري في دولتي مالي وصنفي ٦٣٦٦ . ١٢٣٨ / هـ ١٠٠٠ - ١٥٩١م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٠٦ - ٢٠٠٧م .

- أحمد دوريش :

٤١- دور المرأة السياسي والحضاري في دولتي مالي وصنفي ٦٣٦١ - ١٢٣٨م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٠٧ - ٢٠٠٧م .

- صدي عبد الشافي :

٤٢- الحياة السياسية والاقتصادية في سلطنة مقديشو الإسلامية في الفترة من ١٩٥٦ . ١٩٠٥ / هـ ١١٠٦ - ١٥٥٠م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ٢٠٠٧م .

- صابر عبد الشعم :

٤٣- النظم والمعاملات المالية في المغرب عصر دولة الموحدين (٥٢٤ - ١١٦٨هـ / ١١٣٠ - ١٢٦٩م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ٢٠٠٩م .

٤٤- محمد عبد العظيم الخولي : سلطنة كنوة الإسلامية في عهد أسرة المهدي العربية (١٧٦١ - ١٨٢٤هـ / ١٢٧٧ - ١٤٢١م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ٢٠٠٩م .

وفود آل إبلين ببيروت إلى سلاطين المماليك

تقع مدينة بيروت على ساحل بحر الشام يحدها شمالاً مدينة جبيل وجنوبها مدينة صيدا بينما يحدها شرقاً مدينة دمشق ، وغرباً البحر المتوسط^{١١} وهي تعتبر أقصى حلوة مملكة بيت المقدس الصليبية من جهة الشمال ، وبذلك تعتبر همزة الوصل بين مملكة بيت المقدس من جهة وإمارتي الشمال طرابلس وأنطاكية من جهة أخرى ، وقد وفر لها هذا الموقع أهمية استراتيجية وتجارية كبيرة^{١٢} .

والجدير بالذكر أن صلاح الدين نجح في استرداد بيروت من أيدي الصليبيين بعد انتصاره الكبير عليهم في حطين ١١٨٧م / ٥٨٣هـ . في حين فشك الصليبيون من استعادتها مرة أخرى في غضون عقد من الزمان ١١٩٧م / ٥٩٣هـ^{١٣} وقام عموري Amalric ملك بيت المقدس بنهبها إلى الأهرام بوجهاً إلى إبلين John d'Iblin كإقطاع له ، فأسس بها بيتاً نواديث حكمها قبيلة القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري حتى تمكن السلطان الأشرف خليل من استردادها واستنصال شاذة الرجود الصليبي من الشرق قائماً وقطع دابره وذلك في ١٢٩١م / ٦٩٠هـ^{١٤} .

وينسب آل إبلين Iblin إلى إقطاعية يابنا Yabna التي تقع جنوب غرب بيت المقدس . وقد قام الملك فولك الأنجوي Fulk d'Anjou ١١٣١-١١٤٢م / ٥٢٦-٥٣٨هـ بتحتها

أساذ تاريخ المصور الوسطى وترجم قسم التاريخ والحضرة كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة قناة

فعمما علم يوحنا الثاني سيد بيروت بتقديم السلطان بيبرس إلى الشام ووصله إلى دمشق، أسرع بإرسال وفد من قبله لخطب رده والتفاوض معه بشأن عقد هدنة بين الجانبين . والواقع لأن الأمير يوحنا لم يكن هو وحده الذي يبادر بإرسال وفد إلى السلطان بيبرس ، بل شاركه في ذلك الأمر كل بيروت الفرنج تقريباً . وكان هدفهم جميعاً واحداً وهو التماس الهدنة من السلطان^(١١٠) وقد التقى وفد بيروت بيبرس والتمس منه إبرام هدنة بين الجانبين ، فوافق السلطان على ملتصمهم ، وعاد الوفد إلى بيروت ، وتوجهت رسل السلطان معهم لأخذ العهود عليهم^(١١١) ، وذلك في ١٢٦٢م / ٦٦٦هـ .^(١١٢)

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا قبل السلطان بيبرس عقد هدنة مع فرنج بيروت - وكذا مع بقية الصليبيين - رغم إدراكه التام بضعف موقفهم وتدهور أحوالهم ؟ لعل من أهم الأسباب التي دفعته إلى ذلك هو مراعاة الظروف الاقتصادية الصعبة التي كان يمر بها مسلمو بلاد الشام في تلك الفترة عامة ، وأهل دمشق خاصة : فقد أصاب البلاد جفاف شديد وغلا . في الأسعار ، وهلك خلق كثير من جراء ذلك . وإلى ذلك تشير الرواية العربية فنذكر - وأشد الغلاء بدمشق ، وبلغت حرارة القمح ٤٥ درهماً فضة ، وهلك خلق كثير من الجوع^(١١٣) . ولما كانت إمارة بيروت قريبة نسبياً من دمشق ، فعمل السلطان بيبرس أرواد - بموافقة على عقد الهدنة معها - أن يخفف عن أهل دمشق ما كانوا يعانون منه ، خاصة وأن كثيراً من السلع والمنتجات التي كان يحتاجها المسلمون كانت تأتي من بلاد الفرنج على حد قول الرواية العربية^(١١٤) .

هنا وقد ترتب على إبرام الهدنة بين آل إبلين وبيروت والسلطان بيبرس نتائج طيبة لكلا الطرفين فمن جهة نعم صليبيو بيروت بفسط وأمن من الأمان والسلام ومن جهة أخرى خفت حدة الأزمة الاقتصادية التي كان يعاني منها مسلمو بلاد الشام ، وأمنت السبل وأخذت تنتقل عبر الحدود وتنقل الأفراد بحرية تامة بين الجانبين^(١١٥) .

ظلت العلاقات الودية بين يوحنا الثاني سيد بيروت والسلطان بيبرس حتى وفاة الأول في ١٢٦٤م / ٦٦٢هـ (١١٣) ، ولما لم يكن ليوحنا الثاني ورثا ذكراً ، فقد خلفه ابنته الكبرى إيزابيل ١٢٦٤-١٢٨٢م / ٦٦٢-٦٨١هـ^(١١٦) . وكانت لأسيمة إيزابيل حين تولت حكم إمارة بيروت طفلة في مقبل العمر . وكانت متزوجة من الطفل هير الثاني ملك قبرص وتبنت المقدس (١٢٥٣-١٢٦٧م / ٦٥١-٦٦٦هـ) وقد مات عنها في ديسمبر (١٢٦٧م / ربيع آخر ٦٦٦هـ) ولم يعقد عليها عهد . وتزوجت من معقد ثلاث مرات^(١١٧) . وقد عدها بعض المؤرخين^(١١٨) .

إلى الأمير باليان Balian الابن الأصغر للفيكونت شارتر Viconte de Chartres حين أتى إلى الشرق وقد منعت اسمها إلى سلالته من بعده^(١١٩) . وعلى الرغم من أن هذا البيت يعتبر مضموراً ومجهولاً نسبياً في الغرب الأوربي إلا أن القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري إلا أنه لعب دوراً كبيراً في منطقة الشرق اللاتيني إبان القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري حيث سيطر أفراد على معظم الإقطاعيات اللاتينية في المملكة الصليبية لأجيال عديدة ، وبالقبوات الشخصية والزيجات الثرية تزايدت أملاك ومركز هذا البيت حتى أصبح من أبرز الأسر الإقطاعية في الشرق . ووحدته من أهم الأسر التي كان يختار منها ملوك بيت لوزجان Lusignan بغيرص وزجانهم وكبار قادتهم وموظفيهم ونوابهم ، ولأن التراجع والتنازلات السياسية كان لها أكبر الأثر في بناء ثروة البيت ، فقد ساهما أيضاً في انهياره^(١٢٠) .

وقد تعاقب على حكم بيروت خمسة أمراء من بيت إبلين هم : يوحنا الأول دابلين John of Ibelin (١٢٠٥-١٢٦٦م / ٦٠٢-٦٦٣هـ) باليان دابلين Balian of Ibelin (١٢٤٧-١٢٦٢م / ٦٤٥-٦٦٣هـ) يوحنا الثاني دابلين John II of Ibelin (١٢٤٧-١٢٦٢م / ٦٤٥-٦٦٣هـ) إيزابيل Isabelle ابنة يوحنا الثاني (١٢٦٤-١٢٨٢م / ٦٦٢-٦٨١هـ) إيشيف Eshive ابنة يوحنا الثاني (١٢٨٢-١٢٩١م / ٦٨١-٦٩٠هـ) وسوف تقتصر الدراسة فقط على الأمراء الثلاثة الأواخر الذين عاشوا الفترة المملوكية وهم الأمير يوحنا الثاني وابنته إيزابيل وأليف . وقد عاشوا كل من السلطان بيبرس البندقداري (١٢٦٩-١٢٧٧م / ٦٧٥-٦٨٣هـ) ، والنصير قلاوون (١٢٧٩-١٢٩٠م / ٦٧٨-٦٨٩هـ) ، والأشرف خليل (١٢٩٠-١٢٩٩م / ٦٨٩-٦٩٢هـ) . فترة حكم هؤلاء الأمراء الثلاثة .

هذا وقد شهد النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري تغيراً كبيراً في موازين القوى بين المسلمين والصليبيين في منطقة الشرق الأدنى الإسلامي : ففي الوقت الذي أخذ فيه الممالك يوطنون دعائم حكمهم في مصر والشام ، كان الصليبيون في المقابل يعانون الضعف والتشرذم . وبينما كان المماليك يبدلون قساقم جدهم فطرد الصليبيين واستعصام شائنتهم من المنطقة ، كان جل اهتمام الصليبيين الاحتفاظ فقط بما تحت أيديهم من ممتلكاتهم ، لذلك حرص الصليبيون على خضب ود المماليك والعيش معهم في أمن وسلام ، ولكن بالرأى ذلك سموا حذيقاً إلى عقد الصلح معهم وإبرام المعاهدات والهدن التي تكفل لهم عدم تعرض بلادهم للهجوم من قبل المسلمين . وكان سادة بيروت من آل إبلين بضميمة الحال من بيت هؤلاء الفرنج الذين تهجروا هذا السيل^(١٢١) .

باسم زابيين ولعل ذلك تحريف لاسمها ايزابيل . في حين عرفتها بعض المصادر الأخرى باسم الديونة ولعلها تحريف لبيت إيلين^(١١٧) .

على أية حال لم يمض وقت طويل على تولي ايزابيل حكم بيروت حتى تمكن صفو الغلاطات بينها وبين السلطان بيبرس ؛ فذكر ابن عبد الظاهر أن إحدى السفن الإسلامية أثناء إبحارها إلى قبرص احتاجت إلى إصلاح فأممها ألفو صاحبة بيروت ثم غدر بهم واستولى على السفينة وما كانت تحمله من أموال فضلاً عن أسر من كان على ظهرها من المسلمين^(١١٨) .

ومع إقرارنا بوقوع حادث الاعتداء على السفينة الإسلامية قبالة ساحل بيروت ؛ فإننا لا نغتر بما أورده ابن عبد الظاهر بأن شقيق صاحبة بيروت هو الذي نفذ ذلك الاعتداء ، على اعتبار أن يوحنا الثاني دلهيان سيد بيروت لم يكن له ورثاً يخلفه على حكم الإمارة وإما كان له إبنان فقط هما ايزابيل وأشيف ولو كان له ورثاً ذكراً لكان من الأولى أن يتولى هو حكم بيروت ، وعليه فإن ما أورده ابن عبد الظاهر في هذا الصدد هو أمر يجانبه الصواب .

وإذا سلمنا بأن سيدة بيروت لم يكن لها شقيق ذكر ليغرم بتفيل ذلك الاعتداء ، على السفينة الإسلامية ، فمن يكون إذاً منفذ هذا الاعتداء ؟ الحقيقة أن ما أورده القرظي يكشف لنا انغموض الذي اكتشف تلك الحادثة ، فيشير في معرض حديثه عن نقا . السلطان بيبرس بوقوع الفرع الذين أمر باستدعائهم ووجههم على سر ، تصرفاتهم فذكر أن السلطان "أمر بإحضار بيوت الفرعية وقال : ... ثم إننا سيرنا رسلاً إلى بلاد السلطنة الروم ، وكينا إليكم بتغيرهم في البحر . فأشتم عليهم بالسفر إلى قبرص فسافروا بكتائبكم . فأخذوا وديوا وضيق عليهم وأتلف أهدم على ما ذكر ... فإن كان هذا بشر رضاكم فإنه نقص في حرماتكم ، وإذا كان صاحب جزيرة قبرص من أهل ملنكم ، يخرق حرماتكم ولا يفي بعهديكم ولا يحفظ دمامكم ولا يقبل شفاعتكم . فإني حرمة نبهي لكم وأني ذمام يوثق به منكم ، وأني شفاعدة تقبل عند المسلمين والقرظية"^(١١٩) .

ويستشف من الرواية السابقة أن السلطان بيبرس أراد إرسال وفد من قبله إلى صلاحية الروم ، فتمار عليه القرظي بأن يذهب الرسل عن طريق قبرص . فوافق السلطان على ذلك . وأثناء إبحار السفن إلى قبرص ، وعند قبالة ساحل بيروت احتاجت إحداهما إلى صلاح ، فأمنها القرظي ثم غدروا بها . وقد حدث ذلك تحت مسمع وصبر صاحب قبرص . وإن كنا نتفق مع كل ما جاء في رواية القرظي لواقعتها وقاشها مع الأحداث ، إلا أننا نتحفظ على أن هير الثاني كان لا يزال قاصراً

حتى ذلك الحين وهي الثالثة عشر من عشرة وكنت وصاية هير الأنطاكي Hugh of Antioch (١٢٥٤-١٢٦٤م / ٦٥٢-٦٦٦هـ)^(١٢٠) ، والأرجح أن الذي قام بهذا العمل هو الوصي وليس الملك . وأغلب الظن أن السفينة وما كانت تحمله من أموال ومن كان على ظهرها من المسلمين تم نقلهم إلى قبرص .

كانت الأميرة ايزابيل سيدة بيروت على فئاعة تامة بضعفها ، وإنها لا قيل لها بيبرس وقواته ، لذلك أسرع بإرسال وفد من قبلها لرأب الصدع الذي وقع بينها وبين السلطان وأدى بطبيعة الحال إلى تدهور في العلاقات بين الجانبين . وغادر الوفد بيروت للقاء السلطان بيبرس الذي كان يحاصر في ذلك الوقت قلعة صفة التابعة لجساعة النابوة . وعندما التقى به قدم له الهدايا وسأله الإبقاء على الهدنة التي كانت بينه وبين فرنج بيروت ، غير أن السلطان أنكر على الوفد ما حدث للسفينة الإسلامية وأوضح لهم أن الأمير يوحنا الثاني سيد بيروت - الذي كان يرتبط معه بالهدنة - قد مات - وعليه فهو في حل منها ، وطالبهم بأموار ثلاثة قبل الفوضى في حديث الصلح ، وطلبت هذه الشروط في ؛ رد كل ما سلب من أموال . إطلاق سراح المسلمين وأخيراً دفع تعويض مناسب عن السفينة الإسلامية . وانصرف الوفد من عند " ولم يحصل الرضى عن ملكتهم" وذلك في (١٢٦٦م / ٦٦٥هـ)^(١٢١) .

وعندما عاد الوفد إلى بيروت ، وأطلع الأميرة ايزابيل على تفاصيل ما دار من مفاوضات مع السلطان بيبرس ، لم يكن أمام ايزابيل من بد سوى التسليم بكل مطالب بيبرس (إن أرادت التمسح معه في سلام . لذلك أعادت إليه وندها بحمل موافقتها على شروط الصلح التي حدها ، وسأله فسحة من الوقت لكي تستكن الأميرة من تنفيذ كل مطالبه فوافق السلطان على ذلك ولكنه أربأ بإبرام الصلح معهم حين الوفاء ، بكل ما التزموا به"^(١٢٢) .

صلت الأميرة ايزابيل جندها على الوفاء ، بتعهداتها للسلطان بيبرس ؛ ففي عام ١٢٦٦م / ٦٦٦هـ توجه وفد من فرنج بيروت للقاء السلطان بيبرس بحمل الهدايا ومعه بعض أسرى المسلمين الذين كانوا على ظهر السفينة وكذلك الأموال التي كانت قد سلبت منهم ، وبعد أن أطلقوا الأسرى وصلوا الأموال عادوا أودعهم مرة أخرى إلى بيروت^(١٢٣) . وفي أبريل (١٢٦٨م / شعبان ٦٦٦هـ) ، أرسلت ايزابيل وفداً آخر إلى الأبواب السلطانية ومعهم مجموعة أخرى من الأسرى ، والبلغ التي أتفق عليه كتعويض عن السفينة^(١٢٤) .

رضي مايو (١٢٦٩م / رمضان ٦٦٧هـ) أرسلت الأميرة ايزابيل وفقاً آخر من قبلها يحصل هذا ما إلى الاعتاب السلطانية ومعه آخر مجموعة من الأسرى . وبذا تكون الأميرة ايزابيل قد لبثت الشروط الثلاثة التي حددها بيبرس لعقد الصلح معها . وعليه تم إبرام هدنة بين الجانبين وذلك في ٩ مايو (١٢٦٩م / رمضان ٦٦٧هـ) .

والتساؤل الذي يطرح نفسه هل كان هناك من علة لتأجيل إبرام الهدنة بين ايزابيل سيدة بيروت والسلطان بيبرس لمدة عامين كاملين ؟ الحقيقة أن الأميرة ايزابيل كان لا بد لها من إبرام مقاضات مع السلطان في قبرص لرد ما سلب من أموال وإعادة أسرى المسلمين ولاشك أن هذه الأمور استغرقت وقتاً طويلاً خاصة وقد مات عنها زوجها الذي كان يوسعه أن ييسر لها مثل هذه الأمور . ولعل ذلك يفسر لنا قيام ايزابيل بإرسال الأموال والأسرى المسلمين على مراحل . ولو كان فرنج بيروت هم الذين استولوا على الأموال وأسروا من كان على ظهر السفينة الإسلامية لتمكنت ايزابيل من رد كل ذلك مرة واحدة وما استغرق ذلك عامين كاملين . خاصة وهي تعلم علم اليقين أن المساطلة لا تحدى مع بيبرس وأنها أضعف من أن تلعب مثل ذلك الدور . وهذا يؤكد صدق ما ذهب إليه الباحث من أن السفينة الإسلامية التي اختفت لد اقتيدت إلى قبرص . هنا عن الجانب الصليبي . أما عن الجانب الإسلامي فلعل السلطان بيبرس أراد أن يتأكد من استعادة سيادة بيروت لتلبية شروطه ويقف بنفسه على تنفيذها . وإلى ذلك تشير الرواية العربية فتذكر يوماً زال السلطان يجتهد حتى خلعهم (أسرى السفينة) وخلص أموالهم "وعندما تم له ما أراد وافق على عقد الهدنة"^{١٣١} . كما أن اهتمام السلطان بيبرس لم يكن مكرهاً أثناء الفترة الممكوكية - التي قامت بها وفود الأميرة ايزابيل - على مسألة الهدنة بل كان منهكاً في أمور أكثر أهمية منها كما استردهه باقا . شليف أوتون . قيسارية . حيفا . أرسوف وأطاكية . ولعل هنا هو سبب آخر جعل السلطان بيبرس يصبر على الأمانة ايزابيل طيلة تلك المدة^{١٣٢} .

والجدير بالذكر أن اقترح القلقشندي الفرد دود غيره من المصادر العربية والغربية يذكر نصوص تلك الهدنة وأوردتها لنا كاملة في موسوعته "صبح الأعتنى في صناعة الإنشاء"^{١٣٣} . مما يعكس لنا مدى ما لهذه الهدنة من أهمية : فقد أفت على العلاقات الدبلوماسية والسياسة جيدة بين الجانبين ، وآية ذلك أن السلطان بيبرس لم يعاقب سيادة بيروت على حوزة خطف السفينة الإسلامية أمام سواحلها ؛ فلم تقف من حدود بلادها شيئاً ولم يصل أي منها إلى وضع المناصحات . وإن كفلت تلك الهدنة لبيبرس نوع من الوصايا على سيادة بيروت وبلادها .

٢٠٣ نفس سنة (١٢٧٧م / ٦٧٦هـ) مات إدموند لسترنج Edmond I'Estrange زوج ايزابيل (الثاني ٢٨) فقام هيو الثالث لوزنجان ملك قبرص وبيث المقدس ١٢٦٩-١٢٧٦م / ٦٦٨-٦٧٥هـ) بنقل ايزابيل إلى قبرص لكي يرب لها زواجا آخر يعينه على تنفيذ مشاريعه في الشرق مما أثار حفيظة السلطان بيبرس الذي كتب على القصور إلى السلطات القبرصية بعبارة قائلا : "هذه الملكة ابنتي ومنها هدنة ، وما سافر زوجها حتى أودعها عند جاني وعادتها إذا سافرت تستدعي بلادها . وفي هذه المرة ما سيرت لي رسولا ، ولا بد من حضورها وأن تتوجه رسلي ونشاهدتها ولا أنا أتحق ببلادها فلما بلغهم ذلك انزعجوا له"^{١٣٤} .

حاول فللك هيو أن يبرر مسلكه إذا . خضفه سيادة بيروت تارة بقوله أن زوجها كان عليه دين وهي مطالبة بسداده . وتارة أخرى بقوله أن بيروت داخلية في إطار الهدنة التي عقدها مع السلطان بيبرس في إبريل (١٢٧٢م / رمضان ٦٧٠هـ) . ولكن باحت محاولته بالفشل^{١٣٥} . وأمام إصرار بيبرس على مطلبه بضرورة عودة ايزابيل ثانية إلى بيروت ، وأمام تدهور الأوضاع الداخلية للمملكة اللاتينية اضطر الملك هيو في نهاية الأمر إلى الاتصاع لمطالب السلطان بيبرس ، وعادت ايزابيل بالفعل إلى بيروت حيث قام السلطان بوضع حامية مملوكية لحراستها^{١٣٦} .

طلت ايزابيل تنعم بالأمن والسلام ما تبقى من عصرها إلى أن قضت نحبها في ١٢٨٢م / ٦٨١هـ دون أن تزوج بتدريه من أزواجها الأربعة . لمختلفها أختها الصغرى الأميرة أضيف على حكم إمارة بيروت (١٢٨٢-١٢٩١م / ٦٨١-٦٩٠هـ) وقد تزوجت للمرة الأولى من الأمير صغرى دي منفورت Humphrey de Monfort الذي نجح في ضم حكم مدينة صور إليه بعد موت سببها وشقيقه يوجنا دي مونغور دون وريت في (١٢٨٣م / ٦٨٢هـ)^{١٣٧} .

لم تستمر العلاقات الودية بين آل البلقين وبيروت والسلطات المملوكية ، إذ سرعان ما تعكر صفوها ويرجع ذلك إلى تعرض إحدى السفن المملوكية للاعتداء عليها ونهب ما كان على ظهرها من أموال وضياع على أيدي فرنج بيروت وذلك في ١٢٨٣م / ٦٨٢هـ . مما أغضب السلطان قلاوون ودفعه إلى المرافقة على عقد هدنة مع فرنج عكا شملت كل مدن المملكة اللاتينية باستثناء مدينتي بيروت وصور نكابة في الأميرة أضيف وذلك في يوليو / ربيع أول من نفس ذلك العام^{١٣٨} .

توجست الأميرة أضيف خيفة من نزاي السلطان قلاوون خاصة بعد استنائه مدينتي . موت

هذا وقد فرّبت علي إبرام الهدنة بين الجانبين نتاج إيجابية علي كلا للطرفين الصليبيين والإسلامي : فمن جهة فرّبت فسطا كبيرا من الأمن والاستقرار لفرنج بيروت نعم خلالها السكان بحرية الحركة إلى المدن الإسلامية خاصة دمشق القريبة منها ، ومن جهة أخرى اتعمشت الحياة الاقتصادية في كلا الجانبين وغرث الأسواق بمختلف ألوان البضائع والسلع .

ظل فرنج بيروت يرفطون في أمن وسلام طيلة حكم السلطان قلاوون . وما أن تولى الأشرف خليل الحكم خلفا لأبيه حتى عمد إلى استئصال شأقة الوجود واجتثاث جذوره من المنطقة ، وقد أدركت الأميرة أشف سيدة بيروت ما عزم عليه السلطان ، فبمنت إليه وقتاً من قبلها التي به عند عكا أثناء حصاره لها حيث التمسوا منه الأمان لدينتهم فوعدهم السلطان بذلك ، وطاد الوفد بعدها إلى بيروت (١٣١) .

يبدو أن الأميرة أشف غرّها ما وعدّها به السلطان الأشراف خليل من أمان لإمارتها عند عككا ، فطمست في مهادنته وخطب رده : فما أن علنت بوصوله إلى دمشق حتى بادرت بإرسال وفد من قبلها محملاً بالتحف والهدايا لتهنئته علي ما حققه من انتصارات علي الفرنج ، إلا أن الأشراف خليل - الذي فرغ من انتزاع عكا من أيدي الفرنج - كان قد وطد العزم علي استرداد بيروت فكلف الأمير علم الدين سنجر الشجاعى - نائب السلطنة بدمشق - بتفويض تلك المهمة (١٣١) ، وفي الطريق قابل الشجاعى الوفد فقبض عليهم وأرسلهم إلى دمشق مكينين بالأغلال ، ثم مضى في طريقه صوب بيروت ، وعندما وصل إلى أبوابها طاقته حامية المدينة أحسن ملقى كوزل في القلعة وأمرهم أن يتخلوا أولادهم وحرّمتهم وأثقالهم إلى القلعة ففعلوا وظنوا أنه يفعل ذلك شفقة عليهم ، فلما صاروا في القلعة قبض علي الرجال وقيدهم وألقاهم في الخندق . وعندما علنت حامية المدينة بالقبض علي قادتها لم تنكر في المقاومة إدراكاً منها بعدم جدوى ذلك أمام هذا الجيش الكبير ، لذلك هرعوا إلى سفنهم ولادوا بالفراخ (١٣١) .

وهكذا تمكن الأمير علم الدين الشجاعى من استرداد بيروت وذلك يوم الأحد للفرانق ٢٢ يوليو ١٢٩١م / ٢ رجب ٦٩٠هـ) وقام بديك حصونها وهم أسرارها وتركها فاشا صفتاً وأثراً بعد عين (١٣١) . وكانت تلك سياسة اتبعها المالبك في كل مدينة فكبرا من استعدادها من أيدي الصليبيين حت لا يرى فيها الصليبيون فيما بعد مطمئناً إن سولت لهم أنفسهم مرة أخرى العودة إلى المنطقة .

وصور من الهدنة التي عقدها مع فرنج عككا ، وأدركت أن سبب ندهور العلاقات معه إنما يرجع في المقام الأول إلى ما تعرضت له السفينة الملكية من اعتداء علي أيدي رجالها أمام سواحل بيروت ، لذلك رأت أن الحكمة تقتضى تدارك الأمر والمصل علي رأب الصدع الذي أتم بالعلاقات بين الجانبين ، وبنا عليه أرسلت وقتاً من قبلها إلى السلطان قلاوون لاسترضائه والتفاوض معه علي الخلاف الذي نشب بين الجانبين ، وإبرام هدنة عائلية مع بيروت أسوة ببقية مدن المملكة اللاتينية .

علي أية حال توجه وفد الأميرة أشف للقاء السلطان قلاوون والتفاوض معه لوضع لتدهور العلاقات بين الجانبين ، وما لاشك فيه أن السلطان وجه إليهم لوما شديداً وعائتهم علي سوء مسلكهم معه ، وكيف أن إحدى سفنه تعرضت للاعتداء علي أيدي رجال الأميرة أشف ، ورفض التفاوض معهم في أي أمر يتعلق بالصلح إلا بعد تسوية مسألة السفينة ، وطالهم بدفع تعويض مناسب عنها قدر بنيف وتسعين ألف درهم (١٣١) .

وما أن عاد الوفد إلى بيروت وأطلع الأميرة أشف علي ما دار من مفاوضات مع السلطان قلاوون ، وما حده من مطالب لتفقد الصلح معها سقط في يديها ورأت أن الظروف جميعها تجري في غير صالحها فمن جهة مات عنها زوجها في فبراير ١٢٨٤م / ذي القعدة ٦٨٢هـ ومن جهة ثانية كانت مدن المملكة اللاتينية بأسرها في صلح مع قلاوون وليس بوسعها الاستئصال بهم ، ومن جهة ثالثة لم يكن مقصودها معارضته أو الوقوف في وجهه ، لذا أعادت وقدما مرة أخرى إلى الأعتاب السلطانية بحمل هداياها وموافقتها علي شروط الصلح وجزء من التعويض المحدد قدر مبلغ ٣٠ ألف درهم كدفعة أولى علي أن تسدد بقية المبلغ في غضون ثلاثة أشهر ، وعليه وافق المصير قلاوون علي عقد هدنة معها وذلك في (١٢٨٥م / ٦٨٤هـ) كما نجحت مدينة صور في عقد هدنة عائلية في نفس ذلك العام (١٣١) .

وعلي الرغم من أن المصادر المتاحة لم تحميا بمعلومات توضح لنا بنود هذه الهدنة التي توصل إليها وفد بيروت مع السلطان قلاوون والذي الرضى لها ، فإن الباحث يرجح أن تكون تلك الهدنة عائلية للهدنة التي عقدها مع قلاوون ، علي اعتبار أن كلا المدينتين كانتا تحت حكم سيد بيروت وأن الهدنيتين عقدتا في عام واحد (١٢٨٥م / ٦٨٤هـ) ولما كانت مدة الهدنة مع صور هي عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام تكون الهدنة التي عقدها بيروت عائلية للهدنة صور السابقة (١٣١) .

الهوامش

١- بيروت مدينة شهيرة على بحر الشام . باتت الحسى : معجم البلدان . ج ٥ ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ج ١ ، ص ٥٢٥ : الهخندى : مراد الإطلاح على أسماء الأكنة والباق : تحقيق ولعلق ، على محمد الجادو . دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٥٤ ، ج ١ ، ص ٧٤ : الدمشقي : نخبه الصغر من عجائب البر والبحر . مكتبة فكتي بغداد - ليبيا ، ١٩٢٢ ، ص ٢٠ : الإصطخري : المسالك والمسالك ، تحقيق محمد حاتم عبد الصالح ، لندن ، ١٩٢٧ ، ص ٤٨ .

2- Peltner S., Description of the Holy Land, Tr. Aubrey Stewart, ed. In P.P.P.T.S., vol. VII, p. 35; Burchard of Mount Sion A Description of the Holy Land in P.P.T.S., vol. XII, p. 5; cf. also Steven Tibble, Monarchy and the Lordships in the Latin Kingdom of Jerusalem 1099 - 1291, Clarendon Press, Oxford, 1989, p. 26.

٣- والجدير بالذكر أن الصليبيين حكموا من استعادة بيروت دون إزالة مياه ، وذلك بعد هروب أمبروزيا السيس أسامة . ولريد من التفاصيل انظر :

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ج ٩ ، ص ٢٧ : ابن وأصل : مفرج الكروبي في أخبار بني أيوب ، ج ١ : تحقيق جمال الدين الشيال - القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٧٤ : صالح من يحيى : تاريخ بيروت وأخبار الأمراء المحترمين من بني العرب ، نشر وتعليق لوس شيفر ، المطبعة الكاثوليكية للأب ، اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٩٨ ، ص ٣٨-٩ : المقريزي : أسلاك لمروعة دول الملوك ، نشر محمد مصطفى زيادة ، ج ٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ١٤ .

٤- يعتبر الأمير بوخا العنصر البارز في بيت ايلين ، وقد اشتهر بلقب سيد بيروت الكبير . وقد أشير إلى لأول مرة مرتبط بحصار بيت المقدس ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ ، وإن تم بذكر اسمه ، ذلك عندما أخذ نعم بوخا سبط في الأوق . روى حصره وقد قل أن أنه أظهر مقبرة وكفالة عالية لأولاد كونستانتين الملكة ثم دخلت عنها ملكة إماراة بيروت . ولريد من التفاصيل عن نشأته وأهم أعماله انظر :

Ernoul, Chronique d'Irmou et de Bernard le Tresorier, ed Mas laurie, Paris, 1871, pp. 186-87; Eracles, L'Estoire d'Eracles Empereur et de conquete de la terre d'outre-met, Ed. 3. H.C. Occ., T. II, Paris, 1839 pp 21-22.

5- Idem, pp. 418-19.

6- Makhaizas . Recital concerning the sweet Land of Cyprus entitled 'Chronicle', edited with a translation and notes by R. M. Dawkins, Oxford, 192, p. 42; cf. also, R. J. Lile, Byz-

من العرض السابق يتضح لنا أن آل ايلين ببيروت هم الذين كانوا يبادرون بإرسال قوادهم إلى سلاطين المماليك لخطب ودهم ، ولم نر في المقابل سلاطين المماليك يتفعلون ذلك . فلم نلاحظ وصول قوادهم إلى آل ايلين ببيروت بما يعكس لنا مدى ما كان عليه المماليك من قوة عسقية يسقى إليهم آل ايلين لخطب ودهم . كما يستشف أيضا أن غاية جميع الرغبات التي خرجت من بيروت للقاء سلاطين المماليك كان هدفها الأساسي التفرغ بإبرام الصلح معهم . كما تبين لنا أيضا أن سادة بيروت من آل ايلين لم يحرصوا مطلقا على جميع مطالب سلاطين المماليك وشروطهم التي حددوها للصلح ، بل واقفوا عليها جميعا دون إيطاء ، وهذا يعكس لنا مدى ما اعترضى قزنج بيروت من ضعف ووهن وأن أمارات الشيخوخة قد بدت جليلة عليهم وأذنت بأقول تخضعهم وقطع دابرهم وتصفية وجودهم نهائيا من الشرق . وتلك هي سنة التاريخ فلا بقا - إلا للأقوى .

ولا يخامرنا أدنى شك في أن ما قام به قواد آل ايلين ببيروت من جهود يعد دورا هاما وعلى قدر كبير من الأهمية . إذ نجحت تلك القواد في المهام التي كلفت بها ، وكانت سببا في منع آل ايلين فترة غير قصيرة من الزمان بتحصن قباها بتوسط واغر من الأمن والاستقرار دون أن يخشوا غدر المماليك وطشهم ، في الوقت الذي كان فيه إخوانهم الفرنج في المدن المجاورة يتخطفهم المماليك ويفتكونون بهم . وهذا دليل واضح على ما يمكن أن تلعبه الدبلوماسية من دور لتسهر السلام والأمن بين الشعوب .

٧٢- الطبعة الأمريكية كاتبة ، بيروت ، ١٩٤٢ ، ص ٢٥ . القلنديني . صحح الأعمش في صناعة الإنسا . ١٤٠٠ ج ١ . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر . القاهرة ١٩٦٣ م ، ج ١ ، ص ٩-٤٢ .

١٧- ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر . ص ٢٨-٨٤ .

١٨- القرظي : المصدر السابق . ص ٤٨٥ .

١٩- والجدير بالذكر أن الملك هبة الدينقل تولى حكم قبرص ١٢٥٢ ولم يتجاوز عمره بضعة أشهر ، وكانت الملكة للوالدة بلاكتيا بالوصاية عليه حتى العام التالي عندما ذهب إلى قسطنطين حيث تزوجت من باتيان دي ايلين صاحب أوسرك ، فأصبحت الوصاية إلى مهر الأطاكي الذي أصبح فيما بعد ملكا على بيت المقدس وتفرس ولقب باسم مهر الثالث . وتزيد من التفاصيل انظر :

P. M. Holt , the Age of the Crusades, Longman , London , 1986 , pp. 32, 102-3 ; La Monte.op.cit., p. 74 .

٢٠- ابن عبد الظاهر : المصدر السابق . ص ٢٥٦ .

٢١- القرظي : استلوك . ج ١ . ق ٢ . ص ٥٤٦ . الديني : المصدر السابق . ج ٢ . ص ٩ .

٢٢- ابن عبد الظاهر : المصدر السابق . ص ٢٩٩ . القرظي : المصدر السابق . ج ١ . ق ٢ . ص ٥٦٦ .

٢٣- ابن عبد الظاهر : المصدر السابق . ص ٣٥٨ . القرظي . ج ١ . ق ٢ . ص ٥٨٠ .

٢٤- شائع بن عني : المصدر السابق . ص ١٤٨ . القرظي : نفس المصدر والصلحة انظر أيضا :

P. M. Holt , Baybars Treaty the of Beirut in 667 | 1267 . in Crusade & Settlement, University College Cardiff Press. 1985 . pp. 243-45 .

٢٥- ابن عبد الظاهر : المصدر السابق . ص ٢٩٩ .

انظر أيضا :

Seven 'Ibbie , op. cit. , pp. 6-7 .

٢٦- تزيد من التفاصيل عن فتوحات بيبرس للمدن الصليبية انظر :

بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة . ج ٩ . ص ١١٣-١١٤ . العيني : عقد الجمان . ج ١ . ص ٣٩-٩٧ . ابن عبد الظاهر - المصدر السابق . ص ٢٢٣-٣٥ : شائع بن علي : حسن الناقب . ص ٨٨-٩٠ .

٢٧- القلنديني : صحح الأعمش . ج ١٤ . ص ٣٦-٤٢ .

٣٠٨
antium and Crusader States 1096-1204 , tr. J. C. Morris and J. E. Riding, Clarendon Press
Oxford, 1993 . pp. 216-17 .

٧- الجدير بالذكر أن الصليبيين نجحوا في عقد عدة معاهدات مع سلاطين المماليك عن ذلك انظر :

P. M. Holt, the Treaties of the Early Mamluk Sultans with Frankish States (B.S.O.A.S.)
vol xliii, 1980 . pp. 67-76 .

٨- ذكرت الرواية العربية "ولا استقرت الأخبار عند الفرجية بقدوم الركاب الشريف بعثوا الإقامات العظيمة ، وعثوا رسلهم يهتدون السلطان بالسلامة ، ولا وصل إلى دمشق حضر رسول من قل عكا يسأله أمانا للرسول التوجهية من البيوت كلها فكتب إلى والي بانياس تنكبتهم فحضر أخبار الفرج والقلوا الصلح . . . وتزيد من التفاصيل عن ذلك انظر :

ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر . محققين عبد العزيز الحويكر . الرياض ، ١٩٧٦ ، ص ١١٧-١١٩ . بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ أهل الهجرة ، محققين : زبدة محمد عطا ، ج ٩ ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٨٥ العيني : عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - عصر سلاطين المماليك - حققه ووضع حواشيه محمد أمين . ج ٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٨ . ص ١٦ : القرظي : السلوك لمبرلة ودا الخلوك ، نشر محمد مصطفى زينة ، ج ١ . ق ٢ . دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٢٦ م ، ص ٤٦-٦٤ .

٩- ابن عبد الظاهر : المصدر السابق . ص ١١٨ : شائع بن علي : حسن الناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية ، محققين ونشر عبد العزيز الحويكر . جامعة الملك عبد العزيز . المكتبة المركزية . جدة . بدون تاريخ . ص ٤٧ .

١٠- القرظي : السلوك . ج ١ . ق ٢ . ص ٤٩٦ .

١١- ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر . ص ١١٨ .

١٢- بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة . ص ٨٥ العيني : عقد الجمان ، ص ٢١٦ .

13- Eracles , op.cit., pp. 447-78 ; Amadi , op.cit., p. 206 ; Les Geates des Cbipriotes, Ed. R.H.C. Doc. Arm., vol. II , Paris , 1906 , p. 758 .

14- Du Cange, Les Familles d'outre - mer , M.E.G. Rey , Paris, 1869 , p. 25 .

15- Makhlisat, op.cit ., p. 43; Du Cange, op.cit., cf. also, Ja Monte, Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100 to 1291, Cambridge, 1972, p. 45 .

١٦- ابن عبد الظاهر : المصدر السابق . ص ٤٨ : ابن الفرات : تاريخ الدول وانفوك ، محققين قسطنطين زريق

٢٨- تزوجت الأميرة إليزابيث من إدويند استرنج Edmond L'Estrange حين أمي إلى الشرق مع حملة الأمير إيزابرد ، ولما كان الأمير ادويند لا يأمن جانب الملك هيو الثالث لقد وضع نفسه وزوجته وأباطرت تحت وصاية بيبرس ثم رحل إلى الغرب حيث مات في العام التالي سنة ١٢٧٣ م . ولقد من التفاصيل انظر :

Eracles, op.cit., p. 462 ; Annales de Terre Sainte , in A.O.L., T.II, p. 455 ; Du Gange, op.cit., p. 235 ; cf also , Antony Leopold , How to Recover The Holy Land , Ashgate , U.S.A , 2008 , p. 183 .

29- Eracles, op. cit., loc. cit.,

انظر أيضا :

ابن عبد الظاهر الرض الزاهر ، ص ٤٤٢ ؛ شافع بن علي ؛ المصدر السابق ، ص ١٥٧ ؛ ابن العرات ؛ المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٣٥ .

٣٠- شافع بن علي ؛ نفس المصدر والصفحة .

31- Eracles, op.cit., p. 462 .

٣٢- يعتبر همري دي مونغود الابن الثاني للقلب دي مونغود سيد صور ، وأبهر زواجه من إبيته عن ولدين هما عموري ورويان بنت مانت في رمان شيابها . ولقد من التفاصيل انظر :

Ducange, op. cit., p. 236

ولقد من التفاصيل في ضم همري مدينة صور راجع :

Amadi, op.cit., pp. 214-15

٣٣- المقرزي ؛ السلوك ، ج ١ ، ص ٢٠٣ ؛ بيبرس الدوادار ؛ زبدة أفكار ، ج ٩ ، ص ٣١٢ ؛ ابن عبد الظاهر ؛ شريف الأبايم ، ص ٢٤-٤٣ ، انظر أيضا ؛

P. M. Holt , Qalawun's Treaty with Acre , in I.E.H.R. ; vol. xct. 1976 , pp. 802-12 .

٣٤- ابن عبد الظاهر ؛ شريف الأيام والعصور في حياة الملك المنصور ، حقه مراد كامل ، راجع محمد علي النجار ، الشركة العربية لطباعة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦١ م ، ص ١٠٣ .

٣٥- ابن عبد الظاهر ؛ نفس المصدر والصفحة .

٣٦- ومن تفاصيل شروط المعاهدة مع سور انظر ؛

ابن عبد الظاهر ؛ نفس المصدر ، ص ١٠٣-١٠٦

٣٧- صالح بن يحيى ؛ المصدر السابق ، ص ٤٢ .

٣٨- هو الأمير علم الدين منير بن عبد الله الشجاعى ، كان من عتايك الملك المنصور قلاوون . ولقد انظر :

المحررى ؛ الإعلام والتبليغ في خروج الفرنج الملاحين على بلاد السليبي ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ١٩٨٤ م ، ص ٧٢ .

٣٩- صالح بن يحيى ؛ المصدر السابق ، ص ٤٢-٤٤ ؛ انظر أيضا ؛

Amadi , op. cit., p. 207 ; cf. also ,

Mas Latrie , Histoire de l'île de Chypre , Sous le Regne des Princes e la Maison de Lusignan, 3 vols ., Paris , 1861 , vol . 1 , p. 498 .

٤٠- صالح بن يحيى ؛ المصدر السابق ، ص ٤٤ ؛ المحررى ؛ المصدر السابق ، ص ٧٢ .

بييرس الدوايك ، (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م) الأمير ركن الدين بييرس النصوري :

زبدة الفكرة في تاريخ أهل الهجرة ، ج ٩ ، تحقيق زينة محمد عطا ، القاهرة ، بدون تاريخ

الجزيري : اعاش في القرن السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي) أحمد بن علي :

الإعلام والتبيين في خروج الفرنج للملاحين على بلاد المسلمين ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، ١٩٨٤م .

شافع بن علي : (ت ٧٢٢هـ / ١٣٢٢م) شافع بن علي بن عباس الكاتب :

حسن المناقب السرية المنزعة من السيرة الظاهرية / تحقيق ونشر عبد العزيز عبد الله الخريطي ، جامعة الملك عبد العزيز ، المكتبة المركزية جدة ، بدون تاريخ .

صالح بن يحيى اعاش في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي) الأمير صالح بن يحيى بن الحسين أمير المغرب :

كتاب تاريخ بيروت وأخبار الأمراء المحترمين من بني العرب ، نشر وتعليق لوس شينر ، بيروت ، في المطبعة الكاثوليكية للأب ، اليسوعيين ١٨٩٨م .

القلندي : (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أحمد بن علي بن أحمد عبدالله :

صبح الأخصى في صناعة الإنشاء ، ج ١٤ ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣م .

المقريزي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م) قتي الدين أبو العباس أحمد :

السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشر محمد مصطفى زيادة ، ج ١٦ ، ق ٢ ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦م .

ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) شهاب الدين بن أبي عبدالله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي :

معجم البلدان ، ج ٥ ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
الاصطخري :

المسالك والمسالك ، تحقيق محمد جابر عبدالعالم ، لندن ، ١٩٣٧م ، ص ٤٨ .

الدمشقي :

بيان بالمختصرات الواردة بالبحث

A.O.L. : Les Archives de l'Orient Latin

B.S.O.A.S. : Bulletin of the School of Oriental & African Studies

C.S. : Crusade Settlement

E.H.R. : English Historical Review

P.P.T.S. : Palestine Pilgrims Text Society

R.H.C. Doc. Arm. : Recueil des Historiens des Croisades, Documents Armeniens

R.H.C.H. Occ. : Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux

أولاً : المصادر العربية

ابن الأثير :

الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٨م .

ابن عبد الظاهر ، (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م) محيي الدين :

- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، حققه د . مراد كامل ، راجعه محمد علي النجار ، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر ، ط ١ ، القاهرة ١٩٦١م .

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق محمد بن عبد الرحمن بن علي :

تاريخ الدول والملوك ، تحقيق قسطنطين زريق ، ج ٧ ، المطبعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٤٢م .

ابن واصل :

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، ج ١ ، تحقيق جمال الدين الشيبان ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

البغدادى : (ت ٧٩هـ / ١٨م) صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي :

مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق محمد الجهادي ، دار احياء الكتب العلمية ، ط ١ ، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

Ed. R. H. C. Dozy Arm., vol. II, Paris, 1906.

ثالثا : المراجع الأجنبية

Antony Leopold,

How to Recover the Holy Land, Ashgate, U.S.A., 2000.

Holt M.,

1- the Treaties of the Early Mamluk Sultans with Frankish States, (B.S.O.A.S.) vol. xliii, 1980, pp. 67-76.

2- Baybars's Treaty with the lady of Beirul in 667 l 1267, in Crusade & Settlement, University College Cardiff press, 1985, pp. 24-45.

3- Qalawun's Treaty with Acre, in (E.H.R.) vol. xci, 1967, pp. 802-12.

4- The Age of the Crusades, Longman, London, 1986.

La Monte,

1- John of Ibelin, the Old Lord of beirou, Byzantium, Tome XII, 1937, pp. 417-47.

2- Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100 to 1291, Cambridge, 1972.

Lilie R.J.,

Byzantium and The Crusader States, 1096-1204, tr. J.C. Morris and J.E. Ridings, Clarendon Press, Oxford, 1993.

Mas Latrie,

Histoire de l'île de Chypre Sous le Regne des Princes de la Maison de Lusignan, 3 vols., Paris, 1861.

Steven Tibble,

Monarchy and the Lordships in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1099-1291, Clarendon Press, Oxford, 1989.

تخية الدر في عجائب البحر والبر، مكتبة النبي بغداد، لبنان، ١٩٧٣، ص ١٠٢.

العيسى :

عقد الحمان في تاريخ أهل الزمان - عصر سلاطين المماليك - حققه ووضع حواشيه محمد أمين، ج ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ م.

أولاً : المصادر الأجنبية

Amadi, F., Diomedes, S.,

Chroniques d'Amadi et de Strambaldi Ed. Mas Latrie R., Histore Politique, Paris, 1891-1893.

Annales de Terre Sainte, (1095-1291), Publiees par R. Rohencht et G. Raynaud im (A.O.L.), T.II.

Du Cange,

Les Familles d'outre-mer, Publiees par M.E.G. Rey, Paris, 1869.

Eraclesd,

1- Histoire d'Eracles Empereur et de conquete de la terre d'outre-mer, Ed. R.H.C., H.Occ, T.II, Paris, 1839.

Ermoul,

Chronique d'Ermoul, et de Bernard le Tresorier, M.L. de Mas latrie, Paris, 1871.

Makhaïras,

Recital concerning the sweet land of Cyprus entitled 'Chronicle', edited with a translation and notes by R.M. Dawkins, vol. I, Oxford, 1932.

Poloner's,

Description of the Holy Land Tr. Aubery Stewrt, ed. in P.P.T.S., vol. VI, p. 5; Burchard of Mount Sion A Description of the Holy Land in P.P.T.S., vol. XII.

Les Gestes des Chiprois.

أبعاد العلاقات بين آل مهنا بن آل فضل وسلطنة الممالك

في القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى

مقدمة

تميز القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى من تاريخ سلطنة الممالك⁽¹⁾ بعدد من الشخصيات البارزة السلطانية والأقربية . حيث حرصت جميع هذه الشخصيات على العمل على وهم هيبة السلطنة داخليًا وخارجيًا ، ومن ثم حرص السلاطين الممالك إبان هذه الحقبة على تأمين كافة حدود الدولة من أجل دفع الأخطار عنها . وتأمين طرق الحج والقوافل التجارية على حد سواء . وتطلب تأمين الحدود الشرقية حسن العلاقات مع عربان بادية الشام من أمثال آل مهنا بن آل فضل بن ربيعة ، حيث امتدت مباحثهم على طول الحدود الشرقية فى منطقة بادية الشام ، كما أظهروا جسارة واضحة فى التصدى لحضر التتار القادم من بلاد العراق فى ذلك الوقت ، ومقابل هذه الخدمات الشريفة ساءبا واقتصاديا حظيت شخصيات آل مهنا بن آل فضل بن ربيعة بوظيفة "إمرة العرب"⁽²⁾ إلى جانب الكثير من إقاعات بلاد الشام⁽³⁾ . ولا يعنى هنا أن العلاقات استقرت على هذا الحال من حسن الروابط إذ لعبت العوامل الشعبية والتسياسة والاقتصادية دورًا كبيرًا فى تغيير العلاقات بين سلطنة الممالك وآل مهنا بن آل فضل بن ربيعة كما كان موقع آل مهنا بين تزار العراق من ناحية وتوابع التتار الشامية⁽⁴⁾ من ناحية أخرى من العوامل التى عملت على تقييد تلك العلاقات سلبيًا وإيجابيًا . ويحذر

ويبدو أن من اتهام التي كانت ضمن مسؤولية آل منها تجاه سلطنة المالك هو حفظ الطريق، وتأمين السلامة للقوافل التجارية من اعتداءات الغزيان، ولهذا السبب عندما تعرضت بعض القوافل للاعتداء والسرقه في بادية الشام عاقب الناصر محمد آل منها بتوزيع أراضهم واقطاعاتهم على أمراء بلاد الشام وذلك في عام ١٣٣٦م^(١٠٥). ولكن هذا العقاب لم يستمر سوى بضعة أشهر إذ لم يلبث الناصر محمد أن أعاد هذه الاقطاعات إلى آل منها^(١٠٦). وهنا لا بد من الإشارة إلى أن آل منها قد حظوا باقطاعات وضياح عديدة وباتفة لقبية. ففي سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م حظي موسى بن منها بضميمة بـ ٢٠ ألف درهم^(١٠٧)، أي مليون درهم، بل إن موسى، هذا قد باع خيل للسلطان الناصر محمد بخصماتة ألف درهم، إلى جانب الهدايا التي حظي بها من الناصر محمد ومنها مبلغ عشرين ألف دينار، ثم أضاف عليها مائة وخمسة وعشرين ألف دينار إلى جانب مئات الأثوف من الدراهم^(١٠٨). وكل هذا يدل دون شك على غزارة عطاء الناصر محمد لآل منها طيلة فترة حكمه في سلطنة المالك.

ومن الأسباب التي وظلت العلاقات بين الناصر محمد وآل منها هو شغف السلطان الناصر محمد بالخيل، وبخاصة أن منها التي كان يفضلها على غيرها وكان يبدل فيها الأثمان الغالية، ومن ثم حرص آل منها على اقتناء أفضل أنواع الخيل ليهيئونها بأضخاف قيستها إلى الناصر محمد. ونتيجة لذلك حظي آل منها بمنزلة رفيعة في عهد الناصر محمد ونالهم الكثير من النص والخيبر^(١٠٩). بل تحصل لآل منها نتيجة ذلك عدة ضياح في حماة وحلب إلى جانب الأثوال الطائلا حتى صاروا من القوة والخصى في منزلة لا يجارهم فيها أحد من أمراء العرب^(١١٠). وكان الناصر محمد يستعرض سنويا كل ما في حيازته من خيل، حيث يتم وضع علامة لتمييزها عن غيرها ثم يتم تجهيزها بخضور سباق الخيل السورى الذي يحضره الناصر محمد شخصيا للتأكد من حسن قبيلة خيله، وكان أمراء آل منها يحضرون السباق خوفاً بدعوة من الناصر محمد، ويلتقوا المصح لساحبة السباق فإن تم النصر لخيل آل منها تحصل لهم لقاء ذلك الكثير من الهدايا والعطايا^(١١١). بالإضافة إلى ذلك دأب آل منها على تقديم القود^(١١٢) إلى السلطان المملوك سنويا دون انتقاع^(١١٣). ومن جانب آخر لعب أمراء آل منها دورا كبيرا في مساعدة الناصر محمد للقبض على أعدائه، ففي سنة ٧٤٠هـ / ١٣٣٩م انفق الناصر محمد مع الأمير موسى بن منها بن عيسى للقبض على نائب الشام الأمير تنكر الحسامي^(١١٤). ومن ثم كتب إلى العريان لاتخاذ مراقبهم على الأطراف خشية أن يحاول الأمير تنكر الحسامي الهروب خارج حدود السلطنة^(١١٥).

التأكيد هنا على أن العلاقات الطيبة بين الجانبين بلغت قمتها في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ومعاصره من آل منها وهم منها بن عيسى بن منها وأولاده وأبناء أخيه^(١١٦). حيث تلاقت بقظة الناصر محمد مع حكمة هؤلاء الأمراء فتنتج عن ذلك مرحلة رائعة من الحدودية الشرقية للدولة من خلال تأكيد حسن الروابط مع القبائل البدوية التي تستقر في تلك المناطق مع الحرص على أن حصول أولئك البدو على رتبة "إمرة العرب" لا يعنى إطلاقاً أن يكون لهم الكلمة العليا في ذلك المحيط السياسي، حيث كانت مصلحة سلطنة المالك هي العامل الرئيسى المحرك لطبيعة تلك العلاقات، ومن هنا تبرز ظاهرة تنقل "إمرة العرب" بين تلك الشخصيات البدوية تبعاً لما تحتمه مصلحة الدولة. وفي ذات الوقت كان القاتنون على تيسير الأمور في سلطنة المالك حرصين على مبدأ الكفاية في تولي وظيفة "إمرة العرب" حتى ولو تطلب الوضع غرض النظر عن بعض صفوات متوليها. ومن ثم يمكن القول أن عنصر المصلحة كان هو الفاصل في اتجاه تلك العلاقات بين سلطنة المالك وبدو بادية الشام.

أولاً : آل منها بن آل فضل وإمرة العرب :

تولى آل منها "إمرة العرب"^(١١٧) وفي بادية الشام طيلة النصف الأول من القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادي منتقلة بين الأمير منها بن عيسى بن منها^(١١٨) وأخيه الأمير فضل الله^(١١٩) بن عيسى بن منها^(١٢٠). لقد كان مولى من ربيعة القندمرى من بني طى أمير عرب الشام، ثم أصبح أبوبكر بن على بن حديشة بن غضية بن فضل بن ربيعة القندمرى أميراً على العرب. ولكن عدم حسن تصرفه مع الظاهر بيبرس جعل هذا الأخير يحول "إمرة العرب" إلى شرف الدين عيسى بن منها بن مانع بن حديشة بن غضية بن فضل بن ربيعة، ثم خلفه في الولاية ابنه منها^(١٢١) الذي أصبح أميراً في عهد السلطان المنصور قلاوون، وبلغ منزلة رفيعة عنده^(١٢٢). وتولى بعده ابنه الأمير كورسى^(١٢٣) الذي تولى سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م^(١٢٤). ثم تلاه في "إمرة العرب" ابن عمه الأمير عيسى^(١٢٥) بن فضل الله بن عيسى بن منها الذي تولى سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م، وكان قد عزل عن الإمارة قبل وفاته، وعين مكانه الأمير سليمان^(١٢٦) بن منها بن عيسى بن منها^(١٢٧).

وقد دأب أمراء العريان من آل منها وغيرهم على تقديم الهدايا الثمينة للسلطان المملوك في المناسبات المختلفة، ومن تلك المناسبات قيام السلطان بالتحج؛ ففي سنة ٧٢هـ / ١٣٣٦م عندما عزم الناصر محمد بن قلاوون على الحج قدمت هدايا أمراء العريان، حيث تناقروا على تقديم أفضل وأغلى الهدايا. وقد اصطحب الناصر محمد معه مجموعة من كبار الشخصيات، ومنهم الأمير موسى بن منها^(١٢٨).

واشتهر استعماده بحرب آل مهنا في مساعدة السلطان الملوكي في القبض على كل خارج عن مطعته ؛ من ذلك مثلا عندما كتب السلطان المنصور حاكمي^(١٢٧) إلى عرب آل مهنا للقبض على الأمير بلطغا الجيادي^(١٢٨) بعد خروجه عن الطاعة السلطانية ومغادرته نيابة الشام سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م^(١٢٩)

وانتمت بعض زيارات آل مهنا إلى البلاط السلطاني بالطابع العائلي . ففي سنة ٧٢٠هـ / ١٣٢٠م قام أولاد مهنا جميعهم بزيارة الناصر محمد وهم : موسى ورسليان وفاضل^(١٣٠) وأحمد^(١٣١) وحيار^(١٣٢) فأكرمهم الناصر محمد وأحسن وقادتهم وتركهم على سجيبتهم وعادتهم البهوية المغيرة للأدب الملوكية وهو يتصلهم . بل أعديت عليهم الهدايا والإقطاعات^(١٣٣) . وبلغ من غنى آل مهنا ومزانتهم في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي أنه عندما قام الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وأخوه محمد بأداء فريضة الحج كان معهم عددا من عرب آل فضل بلغت عدتهم اثني عشر ألفا وامله^(١٣٤) . ومن زيارات شخصيات آل مهنا إلى القصر السلطاني في القلعة زيارة الأمير محمد بن عيسى بن مهنا^(١٣٥) ومعه ابن أخيه موسى بن مهنا بن عيسى بن مهنا . حيث أنعم الناصر محمد عليهما بالهدايا^(١٣٦) . وكان الناصر محمد يأتي شخصيات آل مهنا في توصيل الراسيم التي يصورها إذا تزامن صدورهما مع وجود أحدهم في القاهرة لزيارة السلطان^(١٣٧) . كذلك بلغ من مكانة آل مهنا بالذات عند الناصر محمد أنه قبل شفاعتهم في كثير من الأمور من ذلك على سبيل المثال أن الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧م أفرج عن خمسة وثلاثين رجلا بواسطة شناعة موسى بن مهنا^(١٣٨) . وكان موسى هذا يعطى بيزة كبيرة عند الناصر محمد^(١٣٩) . ولكن عندما كانت تسوء العلاقات بين آل مهنا وسلطنة المماليك يقوم أمراء آل مهنا بفتح الطرق على التجار . ففي سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م عندما لجئ على الأمير موسى بن مهنا بن عيسى في سلطنة المنصور أبوبكر^(١٤٠) بن الناصر محمد عمه أمراء آل مهنا الأمير فياض ورسليان بن مهنا وبنية إخوانهم إلى قطع الطرق على التجار من أجل إجبار السلطنة على إطلاق سراح الأمير موسى بن مهنا^(١٤١) . وهنا يبادر المسؤولون في سلطنة المماليك إلى استرجاع جميع الإقطاعات التي سبق إعطائها لآل مهنا . ويقف الوضع متوترا حتى تفرج الأمور فيحصل آل مهنا إلى العمل على إرساء قاعدة الأمان على الطرق التجارية . ويحل المسؤولون في السلطنة على إعادة الإقطاعات إلى آل مهنا^(١٤٢) .

ومع مرور السنين زادت سلطة آل مهنا وارفع شأنها مع زيادة أعدادهم . ودورة أمراءهم . واتساع إقطاعاتهم حتى أصبح القليل من التوتير بينهم وبين سفنة المماليك يؤدي بهم إلى تحدي

السلطنة والاعتداء على التجار في الطرق التجارية . وزيادة أعمال السلب والنهب حتى يضطر السلطان الملوكي إلى القبض على أميرهم وسجنه كما حدث مع الأمير فياض بن مهنا بن عيسى حيث قبض عليه وعين مكانه أخاه حيار بن مهنا بن عيسى^(١٤٣) . واستقرت الأوضاع في الطرق التجارية وأمنت القوافل شروم . ثم تم الإخراج عن الأمير فياض بن مهنا بعد ذلك بشقاعة كبار الأمراء وأداء للشر . ولعل من أسباب الرغبة الملحة لشخصيات آل مهنا في «إمرة العرب» هو الحصول على إقطاعات واسعة من الإقطاعات المخصصة في بلاد الشام الأمر الذي يؤدي إلى إثار الفتن ضد سلطنة المماليك واتسار أعمال السلب والنهب في طرق القوافل التجارية^(١٤٤) . ومن جانب آخر تنافس أمراء آل مهنا على الإمرة من أجل الحصول على مكانة رسمية أرفع ومتمثل اجتماعية أسمى . إلى جانب إقطاعات أكبر في الساحة والإنتاج الزراعي^(١٤٥) . وكان التنافس بين أفراد آل مهنا واضحا في قبة القرد التي يقدم للسلطان الملوكي . وفي نوعية الخيل التي يجلبونها إليه كما حدث سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م عندما قدم كل من حيار بن مهنا^(١٤٦) وأحمد بن مهنا إلى القاهرة وقدم كل منهما إلى السلطان الكامل شعبان بن محمد^(١٤٧) بن قلاوون ثوب الخيل المتاد ومجموعة من الخيول العربية . ويبدو أن الذي قدمه أحمد بن مهنا أفضل مما قدم أخيه فقومت خيوله بماثي ألف درهم^(١٤٨) .

ثانيا - طبيعة العلاقات بين آل مهنا وسلطنة المماليك :

بلخت العلاقات الطيبة بين سلطنة المماليك وآل مهنا بن ريمة قمتها في النصف الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي . وقد فطن آل مهنا آنذاك في بداية الشام . وكان دوما حريصين على حسن العلاقات مع سلطنة المماليك . ومن ثم كان لهم دورا بارزا في عدم الاستقرار في الحدود الشرقية للمماليك مع الحرض الشديد على التمتع بوضع سياسي مستقر في تلك المناطق . وقد دأب آل مهنا على زيارة السلطان الناصر محمد بن قلاوون في القاهرة ومن هؤلاء الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى الذي قام بزيارة القاهرة وتواجد في مجال الناصر محمد في القلعة سنة ٧٠٧هـ / ١٣٠٧م^(١٤٩) . وكان الناصر محمد حريصا على تدة أمراء آل مهنا والتوجه بهم شخصيا فكان يفاوضهم في القلعة كي يكون في استقبالهم كما حدث . ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م^(١٥٠) . وقد عمل أمراء آل مهنا كواسطة خير في تدبير كثير من الأمور . السلطان الناصر محمد لدرابنتهم ودراسة الآخرين بالترتبة الرفيعة التي حظوا بها في عهده . ف سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م قدم الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى في زيارة إلى الناصر محمد وطلا

لاجين^(١٧١) الذي أئس الأمير مهنا بن عيسى اللابس الجلبدية ويرر ذلك للأمر . أنه قدم خدمات للسلطنة^(١٧٢) . كما أئس الناصر محمد الأموال الطائفة على نساء آل مهنا حتى قال له صقره بن سليمان بن مهنا : " لقد أئسدت علينا نسواتنا"^(١٧٣) . بل إن مرة بين مهنا أرسل إلى الناصر محمد بن قلاوون يعاتبه على كثرة عطائه الأموال لنساء العرب^(١٧٤) .

وقد أدى الأمر ، المالك نواب التيارات الشامية أوزاراً فعالة في تعزيز العلاقات الطيبة بين آل مهنا والسلطان المملوك . بل إن الأمير أرقطاي بذل جهده بادرًا في إصلاح العلاقات بين السلطان الكامل شعبان بن الناصر محمد والأمير فياض بن مهنا في سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م عندما دعا الأمير أرقطاي نائب حلب^(١٧٥) الأمير فياض بن مهنا إلى حلب ، حيث أكرمه وأحسن وفادته ، وأخذ عليه المؤاتين والعهود بحسن الطاعة ، ثم جهزه بمكرًا إلى دياره ، وكتب الأمير أرقطاي بها كله إلى السلطان الكامل شعبان فسر سرورا وكان على وشك إرسال العسكر إلى فياض لروعه عن أعمال الشغب والنهب . ومن جانب آخر عمل الأمير فياض على تجهيز " القوي" إلى الكامل شعبان ، فوصل وقبه سيهون فربما نشتت بألف ألف درهم ، وخسرون هجرتًا وعشر مبهيات وغير ذلك ، ثم قدم الأمير فياض شخصيًا إلى المجلس السلطاني فأكرمه السلطان الكامل شعبان ، وأحسن وفادته^(١٧٦) . ويبدو أنه هده الهادرة أدت إلى حسن العلاقات بين آل مهنا وسلطنة المالك حين لاحظ أنه في سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م أن رسول السلطان المظفر حاجي بن الناصر محمد توجه نحو مقام الأمير فياض حاملًا معه ثمانين ألف درهم ضمن خيول قدمها للمظفر حاجي ولكن أخى سيف بن فضل^(١٧٧) قابل الرسل في الطريق واستولى على ما معه من مال وقصد قتله ، فلما علم الأمير فياض بذلك أغار على جماع سيف وأهله وساقها وهي نحو خمسة عشر ألف بعير ، فبغت سيف يطلب من نائب دمشق وحلب عسكريًا يقاتل أبناء مهنا فلم يتجهده ، بل إن الأمير أرغون شاه^(١٧٨) نائب حلب كتب إلى السلطان المظفر حاجي يخبره بسوء تصرف سيف بن فضل فأرسل المظفر حاجي الأمير قطلوبغا^(١٧٩) إلى سيف بن فضل كي يحضره إلى القاهرة لتسوية الأمور خاصة وأن الأمير أحمد بن مهنا كان متواجدا في ذلك الوقت في ضيافة السلطان المظفر حاجي^(١٨٠) . ولكن يبدو أن العلاقات الطيبة لم تستقم بين آل مهنا وأبناء عمهم فضل^(١٨١) ، حيث لم تلبث المناوشات أن اشتعلت بينهم . وكان سيف بن فضل هو الهادي بها فهزبه أبناء مهنا في غارة كبيرة واستولوا على خمسمائة حمل دقيق وساقوا خمسة عشر ألف بعير الأمر الذي جعل سيف بن فضل يغادر إلى القاهرة وساقوا خمسة عشر ألف

منه أشياء ، منها تولية الملك المرزق عماد الدين إسماعيل أبو الفداء . بن الأفضل على^(١٨٢) ولاية حماة ، فأجابه الناصر محمد بالوافقة ، كما شفع عنده للعفو عن بعض الأمرء الذين كان بينهم وبين الناصر محمد خلاف فوافق الناصر محمد على العفو عنهم وتعبيتهم أيضا شامرا^(١٨٣) .

وكان شغف الناصر محمد بخيول العرب من الأسباب التي أدت إلى تعزيز العلاقات مع آل مهنا ، حيث كان الناصر محمد يفضل خيولهم ويقدمها على غيرها من الخيل ، ويدفع مقابلها الأثمان الغالية ، وبلغ ثمن الفرس من خيول الأمير مهنا بن عيسى وأولاده ما بين مئتين ألفا إلى سبعمائة ألف درهم ، وبلغ ثمن الهمة الكرتا^(١٨٤) مثل ذلك التي أمضرها محمد بن عيسى آخر الأمير مهنا بن عيسى إلى السلطان الناصر محمد سنة ٧٦٥هـ / ١٣٦٥م مائة ألف درهم وضيعة بشمانين ألف درهم^(١٨٥) . وقد كان آل مهنا معاومات في الماضي في سبيل الحصول على إقطاعات مهمة في عهد السلطان المنصور قلاوون وبهرس الجاشنكير^(١٨٦) إلا أنهم لم يحصلوا على شيء معين عما طلبوا^(١٨٧) . وقد تغير الوضع بعد ذلك ، حيث حصلوا على كثير من الإقطاعات والبطاقات من الناصر محمد . فقد أئس في إحدى المناسبات على موسى بن مهنا بـ "ألف ألف درهم"^(١٨٨) . وكان هذا المبلغ من أكبر عطامات الناصر محمد . بالإضافة إلى ذلك أقطع الناصر محمد عرب آل مهنا من أجل الحصول على الخيل عدة شجاع في أراضي حماة وحلب . إلى جانب دفع أثمانها نقداً ، وقد أدرك آل مهنا هذا الاهتمام الكبير بخيولهم عند الناصر محمد فسعدوا في تدبير أفضل الجول كما نجحوا في تحصيل أغلى الأثمان ، وأفضل الضياع مقابلها^(١٨٩) .

وهكذا أدى اهتمام الناصر محمد البالغ بالخيل وحرص آل مهنا على إحصار أجود أنواعها إلى تعزيز العلاقات بين الطرفين^(١٩٠) ، ونزوا آل مهنا منزلة رفيعة في عهد الناصر محمد بن قلاوون ، وظفروا بالأموال الطائفة والضيايع الكبيرة حتى بلغوا من الثراء والقوة ما جعل سائر العرب يروهنهم . وكانت أموالهم من الذهب والفضة تعلق حول رقاب الجمال في أشتاء . فتقاتلهم الموسمية في الشتاء والصيف ، كما ملكوا الأعمدة الهائلة من الإبل والقشم والخيل^(١٩١) . بل ليس آل مهنا في أيام الناصر محمد بن قلاوون أجمل الملابس الحريرية المطرزة بالذهب . كما صاغ الناصر محمد لتسائهم الأطواق الذهب المرصع بالأحجار المرصعة بالجوهر واللؤلؤ ، ويحث لهم القماش السكندري والكتان والشعير ، وعمل لهم الثرايع الثركشيه والمسك وأنواع الطيب . وهذا بخلاف كثير اللباس البسيط الذي اعتاد أمرء آل مهنا لبسه في عهد السلطان المنصور قلاوون ، حيث اكتفوا بلبس الملابس القطنية^(١٩٢) . ويعود أول تغيير في لباسهم (إلى عهد السلطان المنصور حسام الدين

العرب^{١٥٧١} . ولم تنته سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م حتى استقبل السلطان المظفر حاجي سيف بن فضل وخلق عليه "بإمرة العرب" . وأتم عليه بزيادة ثلاثمائة ألف درهم في السنة من إقطاع أحمد بن مهنا ، فصافر مكرماً إلى بلاده^{١٥٨١} . ولكن يبدو أن الأمير سيف بن فضل كان عاجزاً عن مسك زمام الأمور وإخضاع آل مهنا للعقل وفق القانون والنظام بما دفع الأمير أرغون شاه نائب حلب كبار القوم من آل فضل وآل مهنا وآل مرا للمضور إلى القاهرة لسوية العلاقات بينهم . بل وعد أحمد بن مهنا "بإمرة العرب" بدلا من سيف بن فضل^{١٥٨١} ، وبالفعل قدم الأمير أحمد بن مهنا إلى القاهرة سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م حيث استقر في "إمرة العرب"^{١٥٨١} .

وهكذا كان السلاطين المماليك يعملون على تنقل "إمرة العرب" بين شخصيات آل مهنا تبعاً لما تقتضيه مصالحهم السياسية ، علاوة على ذلك يلاحظ أن العلاقات بين آل مهنا وسلطنة المماليك كانت بين ضعف وقوة . ومن ثم فإن "إمرة العرب" تنقلت بينهم وبين أبناء عهدهم تبعاً لذلك فإن كانت العلاقات قوية مع سلطنة المماليك حتى آل مهنا مقابل ذلك "بإمرة العرب" فتعول إلى أبناء عهدهم فضل بن عيسى بن مهنا ، وصيها تحول جزء من تلك الاقطاعات إلى آل فضل ، ومحرم منها آل مهنا^{١٥٩١} . وهذا الوضع للتأرجح في العلاقات بين آل مهنا وسلطنة المماليك يؤكد اقتدار تلك العلاقات إلى الاستقرار وهو عامل ضروري لتأكيد الروابط الثابتة لكي تتمر نتائجها المأمولة . ويلاحظ أنه في أوقات ضعف هذه العلاقات أن أمراء آل مهنا يلجأون إلى الهدنة مع إيلخانات فارس وحكام العراق من التناز^{١٥٩١} . بل يعملون على نصرتهم ومساعدتهم إما لضرب سلطنة المماليك أو لضرب بعض المدن في آسيا الصغرى التي انفصلت عن الهلال المغولي كما حدث في أتنا ، حكم ارتنا القفولي^{١٥٩٣} لمدينة سيس^{١٥٩١} وما حولها من بلاد الروم^{١٥٩١} .

ومن اللافت للنظر أن السلطان الملوكي كان يتلاعب بنقل منصب "إمرة العرب" أخرى من آل مهنا أنفسهم . فقد تكون الإمرة بيد أحمدهم ، فإذا تمردت شخصية أخرى من آل مهنا فإن السلطان الملوكي يعمل على كسب ولائها من خلال تحويل "إمرة العرب" إليها كما حدث سنة ٧٥٧هـ عندما عزل السلطان الناصر حسن^{١٥٩٦} الأمير حيار بن مهنا عن "إمرة العرب" وأعطاهما إلى أخيه الأمير فياض بن مهنا^{١٥٩٦} . وقد اعتاد السلطان الملوكي إذا احتاج إلى جمال وهجن أن يكتب إلى "أمير العرب" لإمداده باللازم منها كما حدث سنة ٧٥٣هـ / ١٥٢٢م عندما كتب (الناصر حسن إلى الأمير فياض بن مهنا يطلب منه جمالا وهجننا لأن جمال السلطان قلت ، بحيث أنه لا يخرج إلى السرعة الكبرى له جمالا كثيرة لحمل نفله ، بل إن أمير نخود والكتاب والموقعين

بغير الأمر الذي جعل سيف بن فضل يغادر إلى القاهرة مستكياً إلى السلطان المظفر حاجي سور . تصرف أبناء عمه مهنا ، وكاد المظفر حاجي أن يقتنع بقوله لولا وصول كتاب الأمير أرغون شاه نائب حلب بالقنا . على أبناء مهنا^{١٥٩١} .

وهكذا كانت رغبة "إمرة العرب" تتأرجح ما بين أبناء مهنا وبين أبناء عهدهم فضل ، حيث تستفيد سلطنة المماليك من هذا التأرجح بين هذا وذلك في تحقيق أكبر قدر من المنفعة المادية فإذا رأيت من أبناء مهنا شيئاً من التعمد والتعتت حولت "إمرة العرب" إلى أبناء فضل^{١٥٩١} ، وإن عاد أبناء مهنا إلى ولائهم التام نحو السلطنة أغنى أبناء فضل من وظيفتهم تلك وأعيدت "إمرة العرب" إلى أبناء مهنا ، ولعل أكبر برهان على هذه الظاهرة ما حدث نتيجة تدهور العلاقات بين سلطنة المماليك وأبناء مهنا في سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م في عهد الصالح إسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون^{١٥٩١} . حيث كان يتولى "إمرة العرب" سيف بن فضل نتيجة خروج بعض أبناء مهنا عن الطاعة السلطانية^{١٥٩١} . وقد حاول البعض الآخر من أبناء مهنا تحسين تلك العلاقات المتوترة ، حيث قدم أحمد بن مهنا بقوله كبير إلى السلطان الصالح إسماعيل^{١٥٩١} . ويبدو أن العلاقات قد تحسنت قليلاً إلا أن "إمرة العرب" استمرت بيد الأمير سيف بن فضل ، وعندما حاول أحمد بن مهنا تكرار الزيارة رفض طلبه مما أدى إلى إثارة غضب أبناء مهنا ضد سلطنة المماليك ، وبالتالي بدأوا بالتفارات ضد حرب سيف بن فضل وشد التجار المتوجهين إلى مصر^{١٥٩١} . وظاهر أن السلطان الصالح إسماعيل قد ضم على عدم ترحيبه بجواره أحمد بن مهنا ورشيته في زيارة القاهرة ، حيث نتج عن ذلك إثارة الاعتداءات على القوافل التجارية والاعتداء على القوافل القادمة من بغداد وغيرها^{١٥٩١} ، بل وفتح أحمد بن مهنا وأخيه سليمان بن مهنا في قبضة المسكر الملوكي الجديد الكامل شيمان بن الناصر محمد بالإفراج عنها ، حيث قدم أحمد بن مهنا إلى القاهرة لشكر الكامل شعبان على هذه المبادرة الطيبة ، بل إن الكامل شعبان رضى في عودة العلاقات الطيبة مع آل مهنا إلى ما كانت عليه في السابق . فأعيدت "إمرة العرب" إلى أحمد بن مهنا^{١٥٩٦} . بل إن الكامل شعبان لم يكتفرت كثيراً بزيارة سيف بن فضل ولم يتم له بالإمرة ، ولا أنصف في أتمان خيوله^{١٥٩٦} . وقد تكررت زيارة أحمد بن مهنا إلى القاهرة سنة ٧٤٧هـ / ١٣٤٦م في عهد الكامل شعبان^{١٥٩٦} . وعندما علم أحمد بن مهنا عن مسألة عزل الكامل شعبان عن الحكم في ذات السنة وتولى السلطان المظفر حاجي الذي عمل على عزل أحمد بن مهنا عن "إمرة العرب"^{١٥٩٦} ، قام الأخير بزيارة أخرى إلى القاهرة ، فلم يجد ترحيباً من المظفر حاجي بل رفض طلبه في "إمرة

منعوا من حمل ألقابهم على حصال السلطان كما كانوا محتادين^{١٢٨} . وقد حرصت شخصيات آل مهنا التي حصلت على كثير من الإقطاعات في بلاد الشام على إرسال القود^{١٢٩} إلى السلطان في القاهرة والتي اشتمل كالمعاد على كثير من الخيل والجمال ، وكان السلطان يقدم إليهم مقابل ذلك الكثير من الهدايا والعطايا والأمم السلطانية^{١٣٠} . وكان أمراء آل مهنا يعد وفاتهم بقرون في الشيايات والدين الشامية القريبة من ديارهم^{١٣١} .

ثالثا : ولاية إمرة العرب :

١- مهنا بن عيسى بن مهنا :

لمب آل مهنا دورا كبيرا في توعية العلاقات التي ربطت الناصر محمد بكبار الشخصيات في عهده ، وكانت هذه العلاقات كما هو معروف للباحثين في هذه الفترة بين مد وجزر . من ذلك على سبيل المثال أن الناصر محمد بن قلاوون عندما أراد أن يتخلص من الأمير شمس الدين^{١٣٢} فراسنقر^{١٣٣} ، عمل الأمير على استقطاب كبار الشخصيات في بلاد الشام ومن هؤلاء الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى الذي قسم إلى حلب ، وأقام عدة أيام عند الأمير فراسنقر^{١٣٤} . ويبدو أن الناصر محمد كان يخطط أيضا من أجل الإطاحة بالأمير حسام الدين مهنا فبعث إلى الأمير فراسنقر^{١٣٥} بكتاب في هذا الشأن . فلما قدم الأمير حسام الدين مهنا إلى زيارة الأمير شمس الدين فراسنقر^{١٣٦} أطلمه الأخير على كتاب الناصر إليه بالقبض على حسام الدين مهنا الأمر الذي أغضبه كثيرا . وعندما بلغت هذه التطورات الناصر محمد بعث إلى الأمير مهنا بطلب منه الحضور إلى القاهرة مع بعض الفرس ، فخشي الأمير مهنا مغبة هذه الدعوة فأرسل الفرس المطلوبة إلى الناصر محمد ، إلا أنه لم يقبل زيارته^{١٣٧} . وقد يكون في هذا الموقف لدى الناصر محمد شيء من الغرابة ، إلا أن المعرفة النمة بموقف الناصر محمد من كبار الشخصيات في عهده تبعد هذا الاستغراب . وتطورت الأوضاع مع ازدياد رغبة الناصر محمد في القبض على الأمير شمس الدين فراسنقر^{١٣٨} فغادر الأخير حلب إلى البرية ، حيث قدم سليمان بن مهنا وأخذه ، حيث أرسله في بيت أمه مع حسن الضيافة ، وأقام الأخير مهنا وأولاده فأكرمهم كذلك . وكتب مع أحد أولاده إلى الناصر محمد أن الأمير شمس الدين فراسنقر^{١٣٩} في ضيانتهم وأنه استجار أم سليمان فأجابه^{١٤٠} ، وأنه يسأل السلطان الناصر محمد العفو عنه وتوليته في أي منطقة من بلاد سلطنة المماليك . فأجاب الناصر محمد سؤاله بأنه يخير الأمير شمس الدين فراسنقر^{١٤١} أن يختار أي منطقة يرغب في تولي شؤونها . فلما غادر ولد مهنا القاهرة جهز الناصر محمد عسكريا بقيادة مجموعة

من الأمراء وأرسلهم بجاه ديار آل مهنا للقبض على الأمير شمس الدين فراسنقر . فلما علم الأمير شمس الدين فراسنقر بهذه الترتيبات تظاهر بالمواقفة على عرض الناصر محمد وأرسل ابنه مع ولد مهنا إلى القاهرة لإبلاغ السلطان الناصر محمد أنه اختار صرخند ، وفي ذات الوقت أرسل فراسنقر إلى حلب من جمع جميع أمواله وأحضرها إليه ، ومن ثم غادر ديار آل مهنا متجها إلى التتار في فارس^{١٤٢} . وهذا الموقف من آل مهنا يدل أولا على شجاعتهم خلال هذا الموقف الصعب الذي تعرض له الأمير شمس الدين فراسنقر . كما يدل على مساندتهم للمعنى ولو كان في ذلك تعارض مع موقف السلطة . وكذلك الكرم وحسن الضيافة الذي دأبوا على تقديمها لضيوفهم . كما يتضح أيضا حسن العلاقة مع السلطان الناصر محمد ومحاوالتهم لمب دور الوسيط بينه وبين من يختلف معهم . ولكن يبدو أن هذا الموقف الشجاع كلف آل مهنا الكثير ، وبخاصة أن الأمير شمس الدين فراسنقر استطاع بالقفل مساعدتهم على مغادرة البلاد إلى فارس ، حيث طلب الناصر محمد فضل أخى مهنا وولده أبو بكر لتقديم إلى القاهرة ، وأرسل له تقليد الإمرة عوضا عن مهنا ، وأن مهنا بن عيسى لا يقوم بالبلاد^{١٤٣} . وهذا يوضح أن السلطة المملوكية كانت تسخّر تقليد الإمارة على بعض هؤلاء البدو المشركين في بداية الشام مقابل التزامهم للسلطنة ، فإن حدث ما يشبه عم هذا الولا ، أو ضعفه لأي سبب من الأسباب فإن السلطة المملوكية تهادر بنقل تقليد الإمارة إلى شخصية أخرى مما يدل على أن تقليد الإمارة كان مرتبطا ارتباطا طوريا بجلب ولاه هؤلاء الأمراء . وطاعتهم للسلطة المملوكية ، بل إن السلطان كان يستختم سلطته في طرفة غير الموالين له حسيبا يرى إلى خارج حدود السلطنة أي إن هذا المناهض للسلطة يتفقد حقه في الإقامة داخل حدود سلطنة المماليك . وقد كان من نتيجة موقف الناصر محمد هذا من الأمير مهنا بن عيسى أن غادر الأخير دياره إلى العراق متجهوا من تولية أخيه الإمارة وطرده من البلاد ، حيث أخذ يحرض خزنداد خان التتار في العراق بالهجوم على سلطنة المماليك^{١٤٤} . الأمر الذي لابد أن يؤدي إلى مزيد من العلاقات المتوترة بين الناصر محمد ومهنا بن عيسى^{١٤٥} .

ويبدو أن الموالين للأمير مهنا بن عيسى أرادوا الانتقام لما حل به فأخذوا يهترون الاعتداءات على لوافل التجار والصل في قطع الطريق على المسافرين ، فلما كان من الناصر محمد إلا أن يادر في سنة ٧١٣هـ / ١٣٦٣م بإرسال صدمو الدين محمد بن عمر بن الرحل^{١٤٦} إلى الأمير مهنا بقرية مجآدخول إلى طاعة السلطان المملوكي مرة أخرى . وبالقفل اجتمع ابن الرحل مع الأمير مهنا قريبا من العراق ، حيث حاول إقناعه بالطاعة للناصر محمد ووعده بإعادة الإطاعة

إليه . فوافق الأمير مهنا وبث معه ابنه ^(١١٧١) موسى . كما جهز القواد على العادة صحية ولده سليمان . وعندما وصل ابن المرجل موسى بن مهنا استقر الأخير في القاعدة الأشرنية في القلعة . وأكرم إكراما زائفا ثم قدم القواد إلى السلطان الناصر محمد الذي أعاد تقيده الإمارة إلى مهنا . و زاد إقطاعه مبلغ مائتي ألف درهم ، ونقص إقطاع أخيه فضل بن عيسى . إلى ما كان عليه قبل الإمرة ^(١١٧١) . وغادر موسى وسليمان القاهرة بعد أن ضمنا للناصر محمد إحضار قائدهما مهنا بن عيسى . وخرج بعدها الأمير بهاء الدين أرسلان الموادار ^(١١٧٢) بكتائب ليحلفه ويمنعه ويتطلق به ليحضر إلى القاهرة ^(١١٧٤) . ولكن الأمير مهنا بن عيسى رفض قسم الميمنة كما رفض الحضور الأمير الذي أثار غضب الناصر محمد ، وأصدر مرسوما أن يخرج من عسكر مصر ألفا فارس مع الأمير قبطيس ^(١١٧٤) . ومن عسكر دمشق ألف فارس مع الأمير أرطقاي . كما استدعى الناصر محمد فضل بن عيسى وأعاد إليه الإمرة عوضا عن مهنا . وكتب إلى عرب بني كلاب وآل مري وآل فضل وآل علي بالركوب مع العساكر للقبض على الأمير مهنا بن عيسى مع أولاده وأخراجه من أراضي السلطة . ومن ثم بدأت الاستعدادات على قدم وساق لخروج العسكر الملوكي ^(١١٧٦) . ولكن الأمير حسام الدين تكتز الحسامي نائب الشام اقترح إبطال الجيش القادم من مصر والاكفلاء بعسكر الشام لهزيمة الأمير مهنا . وأرسل من الشام الأمير أرطقاي وكجوكن ^(١١٧٧) مع ألف فارس من حصة إلى جانب عسكر طرابلس وعلب . وعين الأمير قبطيس مقبدا على جميع العساكر . وعندما بلغت هذه الأخبار مهنا عزم على الرجوع إلى العراق . وعندما وصل العسكر استولى على العسقا . من ضياع مهنا وكذلك كافة ضياعه إلى الروجة . حيث استولى على جميع غلالها . وعندما علم الناصر محمد بهذا الانتشار للعسكر أمر بأن تخزن الغلال في قلعة حلب وأن تعود العساكر إلى بلادها . فلما تم ذلك عاد قائد الحملة الأمير قبطيس إلى القاهرة فأطلع عليه ^(١١٧٨) .

كذلك استخدم الناصر محمد إلى جانب القوة والترهب أسلوب التزيين في علاقته مع آل مهنا عن أخيه . ففي سنة ١٠٧٦هـ / ١٣٦٥م قدم محمد بن عيسى أخو الأمير مهنا . واعتذر عن أخيه مهنا ^(١١٧٨) . وقدم فرسا أصيلا للسلطان . حيث بلغ ثمنها وكلفتها ستماية ألف درهم . فكتب الناصر محمد إلى الأمير مهنا بالرجوع إلى بلاد . وطلع على محمد بن عيسى . ثم بعد ذلك بعث إلى الأمير مهنا بائني عشر ألف دينار . وأغرم عليه بائني ألف درهم . وكتب له بضيعة من ملكي الخاص على سبيل التسليك ^(١١٧٩) . وفي ذات الوقت الذي كانت تبذل فيه

المحاولات من أجل إصلاح العلاقات بين الناصر محمد والأمير مهنا بن عيسى يلاحظ توتر العلاقات بين الناصر محمد وسليمان بن مهنا الذي خرج عن الطاعة السلطانية . وتذهب بعض القوي وتوجه إلى العراق نتيجة أخذ إقطاعه منه . فكتب الناصر محمد إلى والده الأمير مهنا بن عيسى بشأن ولده فاعتذر بأن ولده سليمان خارج عن طاعته ^(١١٧١) . فلما كان من الناصر محمد إلا أن أخذ الإمرة منه وأعطاهما إلى محمد بن مانع بن حذيفة من آل مهنا سنة ٧١٥هـ / ١٣١٥م . فأخذ محمد بن مانع بشن الغارات وأخذ جمال الأمير مهنا بن عيسى . فسار مهنا بن عيسى إلى خربنداق في العراق ^(١١٧١) . فصر به وأتمم عليه . وكان خربنداق قد جرد مع الشريف حبيضة ^(١١٧٢) من عسكر خراسان أربعة آلاف فارس . وسار بهم حبيضة يريد مكة ^(١١٧٤) . وفي ذات الوقت بدأ حريضا في جمع عساكره لدخول الشام ولكنه توفى قبل أن ينجز ذلك . فخشي مهنا على نفسه وغادر بغداد . وفي ذات الوقت بلغ محمد بن عيسى أخوا مهنا سير الشريف حبيضة بعسكر من المثل إلى مكة . فخش عليه استلاؤهم على الهجاء فلما علم بموت خربنداق وخرج أخيه مهنا من بغداد سار في عريانه . وكبس عسكر حبيضة ليلا واشدد القتال معهم وهو يصيح باسم السلطان الناصر محمد فقتل أكثرهم ونجا حبيضة . ووقع في الأسر من المثل أربعائة رجل . وشملت الأتنام أمولا طائلة وخيولا ورجالا . ثم كتب محمد بن عيسى مهنا للعصر إلى الناصر محمد . فصر به . وأعاد الإمرة إلى مهنا . واستدعى محمد بن عيسى الذي قدم إلى مصر . حيث شمله من أنعام الناصر محمد الشيء الكثير ^(١١٧٥) .

ويلاحظ في هذه الوثيقة أن العلاقات بين آل مهنا والسلطان الناصر محمد كانت بين مد وجزر ومع ذلك فإن تعرض أي قسم من بلاد السلطة لأي خطر يوحد بين هذين الطرفين . وتبقى المصلحة العامة وسلامة سلطة السالك هي الهدف الذي يجمع بين الطرفين ويجاوز جميع الخلافات بينهم . بالإضافة إلى ذلك كان السلطان الملوكي يسلك بيده الإمارة بين العراق ويران وغيرها في علاقاته بين جماعاتهم المختلفة فهي لأكثرهم ولا . وإخلاصا فإن بدر منه شيئا سمحت منه وأصبحت لغيرة . ولعل هدف السلاطين المسالك من ذلك هو جعل هؤلاء - العراق تحت سيادتهم ومطيعين لأوامرهم . كما يلاحظ أن العراق متفقون على من يرئى الإمارة منهم ومن ثم فإن جميع الجهود والاهتمام التي يبذلها أبا منهم لا تمتنى سحب الإمارة عن اتفقوا على كونه أميرا . وكان وصل السلاطين المسالك في حركة تنقل دائمة بين السلطان وأسر العرب ^(١١٧٦) من أجل توطيد العلاقات بينهما .

ومن جانب آخر كان الناصر محمد يد المناقذ في وجه الأمير مهنا عند محولته اللجوء إلى
أى جهة أخرى من ذلك متلا اتصال الناصر محمد بالأمير أبي سعيد حاكم العراق من أجل عدم
السماع للأمير مهنا بالإقامة في العراق (١٣٣٤). ولعل هذا الأمر إلى جانب ضغط أولاده عليه
هي التي جعلت الأمير مهنا ين عيسى بقر الحجاب إلى القاهرة ومقابلة الناصر محمد سنة
١٣٣٣هـ/١٣٣٣م. وقد أثار الأمير مهنا أن يصحبه في هذه الزيارة الفاجئة شخصية بارزة وقريبة
من الناصر محمد فأخذ معه الملك الأفضل محمد صاحب حياة، وعندما علم الناصر محمد بقدمه
من الأمير تنكر الحسامي فرح فرحا شديدا، وحين قدم الأمير كهنا إلى مجلس الناصر محمد
بصحبة الملك الأفضل أحسن الناصر محمد استقباله (١٣٣٤). وكان الأمير تنكر قد أحسن ضيافته
طيلة الرحلة، ولكن يبدو أن الناصر محمد ما زال مصصا على القضاة على مهنا، فلما قدم
إلى الطعام وضع له السم لقبوله ولكن مهنا كان حذرا فلم يأكل منه شيئا. وقد أتهم الناصر محمد
مطلي مهنا بخرية دومة في غرولة دمشق لتكون له ولأولاده من بعده، فغادر مهنا بتكريم كبير
- في الظاهر - من الناصر محمد وأعيان مجلسه (١٣٣٥). وهكذا كان الناصر محمد حريصا على
إظهار الود لأعدائه مع الصل بدقة وسرية من أجل الإيقاع بهم، ولكن يظهر هنا أن الأمير مهنا
بن عيسى كان أيضا حريصا على نفسه وحذرا من تصرفات الناصر محمد فاستمرت العلاقات
بينهما طيبة في الظاهر وموثوقة في الباطن. وقد استمرت هذه العلاقات الطيبة بين الأمير مهنا
بن عيسى والسلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى أن توفي الأمير مهنا بن عيسى سنة ٧٢٥هـ

٢- سليمان بن مهنا بن عيسى :

لقد وأب أمراء آل مهنا على تقديم الخدمات لسلطنة المماليك والحصول مقابلها على أهدايا
القيمة والأموال الطائلة من ذلك تأمين الحدود ضد تهديدات التتار، ففي سنة ٧١١هـ/١٣١١م
أغار الأمير علم الدين سليمان بن مهنا بن عيسى على التتار عند حدود العراق وأسر عددا منهم
فأنقم الناصر محمد عليه جائزة ألف درهم (١٣١١). ولكن يبدو أن طاعة سليمان بن مهنا كانت بين
مد وبجزء؛ ففي سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م خرج سليمان عن الطاعة السلطانية وقام بنهب القرى
وأعلن أنه متوجه إلى العراق، ويبدو أن السبب في ذلك أن الناصر محمد قد استمرع إقطاعه
الخاص به (١٣١٥). وازداد الوضع سوءا مع فرار سليمان بن مهنا التوجه إلى العراق والاستقرار عند
التتار، ولكن هذا الثور في العلاقات لم يستمر ففي سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م قدم الأمير سليمان

ويبدو أن الاستقرار قلما استمر في العلاقات بين السلطان الملوكي وأمير العرب، فبعد
خمس سنوات وبالنات في سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م بشهر القريزي إلى أن الناصر محمد قد حول
الإمارة من مهنا بن عيسى إلى غيره من الصبيان (١٣٢١) الأمر الذي أثار غضبة سليمان بن مهنا
بن عيسى فأقدم على اعتراض طريق مصنوعة من رسل الخان أبي سعيد بن خزندا، حيث كانوا
متوجهين بهنبا وبساتل إلى الناصر محمد فاستولى سليمان على حمولتهم من الهدايا انتقاما
لأبيه (١٣٢١). و زاد الوضع سوءا مع كثرة اعتداءات نياض وسليمان ولما مهنا بن عيسى على
القوافل التجارية وأيضا على ركب الحجاج العراقي الأمر الذي أثار قلق الناصر محمد فاستدعى
سيفا بن فضل ابن أخي مهنا، وطلب أن يمنع والده فضل بن عيسى أخاه مهنا وأولاده من التعرض
للكرب العراقي أو للتجار. فعمل فضل بن عيسى وفق طلب الناصر محمد إلى حد أن مهنا ذاته
بعث ابنه موسى إلى الناصر محمد مؤكدا له عدم اعتراضه الركب العراقي. فأكرم الناصر محمد
موسى بن مهنا وطلع عليه وعلى من معه (١٣٢١). ولكن يظهر أن هذه المعاملات كانت سطحية
تعمل بين طبقتها قمة الناصر محمد على مهنا بن عيسى مع الرغبة القوية في التخلص منه،
ولعل الذي يؤكد ذلك أنه في سنة ٧٢٦هـ/١٣٢٦م عندما عزم مهنا بن عيسى على أداء فريضة
الحج أرسل الناصر محمد الأمير أرغون الدوادار للحج من أجل أن يقضي على الأمير مهنا بن
عيسى (١٣٢٦). إلا أن الناصر محمد بلغه أن أرغون عندما غادر للحج بعث مباشرة إلى الأمير
مهنا يخبره من الحج، فشق ذلك على الناصر محمد، فبعث نائب الشام الأمير تنكر الحسامي
وعسكره قد خرجوا للقبض على الأمير جويان الذي قاد غارس إلى الحج بعسكر كبير وكذلك
حماية الأمير أرغون الدوادار دون أي ذكر لتواطؤ أرغون مع الأمير مهنا، ولكن الناصر محمد
سرعان ما غير رأيه في هذه الخطة فأمر الأمير تنكر الحسامي بالعودة مع عسكره إلى بلاد الشام
، حيث اشاع الناصر محمد أن هدف الحملة مواجهة الأمير جويان وعسكره إلى بلاد الشام (١٣٢٦).
وهذه الخطة تبرز عدداً من القضايا ذات الصلة بطبيعة شخصيات الحدوث لصلاح تصميم الناصر
محمد على القبض على الأمير مهنا بن عيسى مع الحذر الشديد بأن يتم ذلك في حيلة شديدة
من أجل المحافظة على عنصر الفاجأة كذلك توجس كبار الأمراء المماليك مثل الأمير أرغون من
الناصر محمد مع صعوبة معرفة نواياه، ومن ثم خطفه في التخطئ من يخشى تأمرهم ضده، كما
كان الناصر محمد من الشخصيات التي يصعب عليها الوثوق مرة أخرى فيمن عرف عنهم عدم
الإخلاص له، وهكذا كانت العلاقات بين الناصر محمد ومهنا بن عيسى تتراوح بين الود والعداء،
حيث طرده الناصر محمد من الإمارة أربع مرات (١٣٢٦) ثم يعود الخان إلى سابق وضعه رجا نتيجة
العلاقة الطيبة بين الناصر محمد وأولاده الأمير مهنا

وأنكبنا لهذا الوضع بحث مهنا ابنه موسى كي يبين للناصر محمد بأن أحدا من أولاده لم يتعرض لركب الحج العراقي فأكرمه الناصر محمد وخلع عليه ومن بعد بالهدايا القيمة^{١١٣٦} . ولكن بعد وفاة الناصر محمد تم القبض على موسى بن مهنا ، حيث كان في زيارة إلى القاهرة سنة ٧٤١هـ / ١٣٤٠م الأمر الذي أثار حفيظة الأمير سليمان بن مهنا وأخيه فياض بن مهنا ، فشرع في قطع الطرق على التجار وقد أدى ذلك إلى غضب السلطان المنصور أبو بكر ابن الناصر محمد بن قلاوون ، وتوترت العلاقات أكثر مع آل مهنا^{١١٣٧} . بالإضافة إلى ذلك كان الحكام المالكيك على استعداد لتحويل إمارة العرب^{١١٣٨} إلى فئة أخرى غير آل مهنا إذا تعهد هؤلاء الأخرى بتوفير بعض الإقطاعات للمعسكر السلوكي كما حدث في سنة ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م في عهد السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد عندما حولت سلطة الإمارة بين الصريان إلى بيت فضل بعد إشراج جزء من الإقطاعات التي كانت لأولاد مهنا لصالح أجناد وأمرام الشام^{١١٣٩} . ولكن أولاد مهنا لم يسكتوا عن هذا التصرف فكذب سليمان بن مهنا إلى السلطان الصالح إسماعيل من أجل إعادة هذه الإقطاعات إلى أولاد مهنا . كذلك طلب الإفراج عن أخيه فياض بن مهنا بن عيسى الذي تم القبض عليه نتيجة تطاوله على القوافل التجارية . ومن ثم أعيدت جميع إقطاعات آل مهنا إليهم ، كما أفرج عن فياض بعد أن ضمن أخوه سليمان حسن سلوكه^{١١٤٠} . بل إن الأمير فياض حلف على التزام الطاعة وعلم الترض للقوافل التجارية^{١١٤١} . ولكن هنا الالتزام بالطاعة لم يظل خاصة بعد أن حول السلطان الصالح إسماعيل الإمارة إلى الأمير سيف بن فضل ، فبعد الأمير فياض إلى المعتد ، على قوافل التجار في الطرق التجارية المعتادة ، ولم يستطع الأمير سيف بن فضل من منعه لمجزوء عن مواجهة أبناء عمه^{١١٤٢} . ثم جاءت الأخبار بأن الأمير فياض بن مهنا وآخرين م آل مهنا أغاروا على عرب سيف بن فضل ، ثم أخذوا بعض أغراضهم في أثناء نقلها من بغداد إلى نواحي الرحبة وكان من ضمنها أسبا^{١١٤٣} - لرجل واحد - تزهد قيمتها عن مائتي ألف دينار ، إلى جانب أغراض أخرى تخص تجار آخرين^{١١٤٤} .

ومن الظواهر التي تؤكد أن علاقة فياض بن مهنا بالسلطنة السلوكية كانت غير ثابتة ، أنه عمل في بعض الأوقات على تأمين الحدود الشمالية الشرقية للسلطنة ضد هجمات التتار كما حدث سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م^{١١٤٥} . ثم لم يلبث أن توجه إلى التتار من أجل أن يحمي عزيمتهم على أخذ بلاد الشام^{١١٤٦} . ولعل السبب وراء ذلك هو تذبذب العلاقات الشخصية بينه وبين السلطان السلوكي ، فإذا كانت تلك العلاقات ضئيلة احتفظ باقطاعاته وعمل على خدمة سلطنة

هذا إلى القاهرة معتبرا من الناصر محمد طالبا السماح له بالتحول في طاعته ، فأكرمه الناصر محمد وأتم عليه مبلغ مائتي ألف درهم مع قماش بقيمة ثلاثين ألف درهم ، وغادر سليمان القاهرة محرما^{١١٣١} . وقد كبر الأمير علم الدين سليمان بن مهنا زيارة الناصر محمد في العام التالي ٧٤٢هـ / ١٣٢٠م^{١١٣١} .

ويظهر أن الجانب الشخصي قد لعب دورا كبيرا في طبيعة علاقة الأمير سليمان بن مهنا بسلطنة المالكيك فعندما ماتت العلاقات بين الناصر محمد بن قلاوون ووالده الأمير مهنا بن عيسى خرج سليمان هنا عن الطاعة السلطانية وكثرت اعتدائه ما عه على المسافر من ، بل إنه - كما سبق ذكره - تعرض للوسل الذين قدموا من الملك أبي سعيد بن خريزنا إلى الناصر محمد بن قلاوون واستولى على الهدايا التي كانوا يحملونها إليه^{١١٣٢} . ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل إن سليمان شارك أخاه الأمير فياض - في بعض الأحيان - في قطع الطريق على التجارة وإثارة أعمال الفساد والتخريب ، ولكن الناصر محمد استطاع أن يوقفه عند بالدهولماسية والاتصال المباشر ، فكانت العلاقات تمرر طيبة بينهما^{١١٣٣} . وقد توفي الأمير علم الدين سليمان بن مهنا سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م فعين السلطان الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون^{١١٣٣} الأمير سيف بن فضل في منصب "أمير العرب" الأمر الذي أثار غضب آل مهنا فقدموا إلى العرش بأمن الطرق التجارية^{١١٣٤} . وهكذا كانت سلطنة المالكيك غير مطمئنة في علاقاتها مع آل مهنا نتيجة عدم استقرارهم في حفظ الأمن على طرق القوافل التجارية ، فكان أي تغيير في العلاقات مع السلطنة يؤدي إلى ثودهم وعصبانهم وإثارة أعمال قطع الطرق على القوافل التجارية وطريق الحج العراقي .

٣- فياض بن مهنا بن عيسى :

كان الأمير فياض بن مهنا حرصا على زيارة السلطان الناصر محمد مع غيره من أمراء وشخصيات آل مهنا كما حدث سنة ٧٤٢هـ / ١٣٢٠م ، حيث اجتمع في البلاط الملوكي كبار عربان هادية^{١١٣٥} . ولكن يبدو أن هذه العلاقات الطيبة كانت لا تستمر طويلا . ففي العام ذاته وبعد بضعة أشهر فقط من قيام فياض بن مهنا وأخيه سليمان بهذه الزيارة جاء البريد أن فياض وسليمانا قد كثر فسادهما وقطعهما الطريق على تجار القوافل ، وبالتالي ظهر الخوف من احتلال اعتداءاتهما على ركب الحج العراقي ، فاستدعى الناصر محمد سيف بن فضل ابن أخي مهنا وطلب منه أن يتبع أولاد مهنا من التعرض لركب الحج العراقي فعمل ، ولم يتعرض لأحد منهم .

ثم الإفرنج من لم تنزُر في ولايته لسلطنة المماليك وطاعة الأُمراء السلطانية ، حيث لعبت دورا طاهرا في القبض على الأمير بييغا روس^(١١٧٠) عند منطقة العقبة بعد أن ثمر على طاعة السلطان الصالح صالح بن الناصر محمد بن قلاوون^(١١٧١) .

وكانت " إمرة العرب " قد حولت آنفا بأمر السلطان الناصر حسن بعد القبض على الأمير فياض إلى أخيه الأمير حيار بن مهنا ، ولكن الدور الكبير الذي قام به الأمير فياض بن مهنا في القبض على الأمير بييغا روس أعاد ثقة الناصر حسن بعد عودته إلى السلطنة في ولا الأمير فياض وتوابعه تجاه السلطنة فأصدر منشورا سلطانيا يعهد بوجود " إمرة العرب " إلى الأمير فياض بن مهنا مرة أخرى وذلك في سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م^(١١٧١) . وقد حمل المنشور السلطاني الأمير قطلوبغا من أن يوصله إلى الأمير فياض . وقد أحسن الأمير فياض مقابلة الرسول السلطاني وأكرم وفادته وأتم عليه يائة ألف درهم ، وثلاثين فرسا ، وخمسين جملا وفسانا كثير^(١١٧٢) . ولكن يبدو أن العلاقات السياسية بين " أمير العرب " فياض بن مهنا وسلطنة المماليك قد غلب عليها طابع الصالح الشخصية أو الثنائية ، فإذا كانت المصلحة تقتضى بدوام الاستقرار مع سلطنة المماليك تم الفصل وفق ذلك فسود الاطستان والولا ، وإن انقضت المنافع الثنائية غير ذلك توجه الأمير فياض بكل ثقة من عزوة بشرية وموقع استراتيجي لتحقيق تلك المنافع الثنائية حتى لو استلزم ذلك التخلي عن العلاقات المستقرة مع سلطنة المماليك كما حدث في آواخر سنة ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م حين أقدم عرب آل مهنا على قطع الطريق على التجار والمسافرين والمعالمين من العرب وغيرهم ، ويظهر أن الأمير فياض بن مهنا كانت له يد في ذلك ، حيث عجز كل من سيف بن قنصل وعمر بن موسى بن مهنا عن حفظ الطريق عندما طلب منهما نائب حلب الأمير أرغون الكامل^(١١٧٢) تسع من يقدم على قتل العابرين على طرق القوافل . ونتيجة لذلك ومن أجل أن يحقق السلطان الناصر حسن الطمأنينة المطلوبة على تلك الطرق بادر بدعوى الأمير فياض بن مهنا للمضور إلى مصر فاعتذر لإتفاله في العمل على استياب الأمن وأرسل ابنه لكي يكون رهينة في مصر ، وفي ذات الوقت قدم سيف بن فضل وعمر بن موسى بقوة كبير من جمال وخيل إلى الناصر حسن فعمل السلطان الناصر حسن على تفويضها بـ " إمرة العرب " ولما عاد بن فياض من رحله إلى مصر أبلغ والد بعمر أمير سيف وعمر فغضب غضبا شديدا ، وغادى في اعتراض طرق القوافل التجارية ، بل عزم على الرحيل إلى التار في العراق واغرائهم على أخذ حلب ، فلما بلغ الأمير أرغون الكامل نائب حلب^(١١٧١) ذلك الأمر أرسل إليه الأُمراء المماليك

المماليك ، وإذا توترت هذه العلاقات نتيجة استرجاع إقطاعاته منه عمل على تغيير العنوان على سلطنة المماليك وهذا الوضع يؤكد دور شك عدم الوعى بالمصلحة العامة للبلاد . وبالتالي ارتبطت جميع نشاطات بعض شخصيات آل مهنا بتوعية العلاقات الشخصية التي ربطتهم بالسلطين المماليك . فإذا كانت تلك العلاقات طيبة اجتهدوا في خدمتها . وإذا ساحت قادرا في الحاق الضرر بها .

كذلك من الأسباب التي لعبت دورا فاعلا في طبيعة تلم العلاقات هو الاحتفاظ بـ إمرة العرب " فإذا استنصرت " إمرة العرب " بيد آل مهنا تفاننت شخصياتهم بتقديم الخدمات للسلطنة الملوكية . وإذا جردوا منها وأعطيت لأبناء عمهم فضل عملوا على النيل من السلطنة بإثارة الاضطرابات والفتاقل على الحدود الشمالية والشرقية ، ومع الانجراف في عمليات السلب والنهب ضد القوافل التجارية الموجهة إلى سلطنة المماليك^(١١٧٠) . وقد حدث ذلك في سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م . الأمر الذي أزعج كثيرا السلطان الصالح إسماعيل بن الناصر محمد إلى درجة أنه عندما بعث الأمير فياض أخاه أحمد بن مهنا إلى الصالح إسماعيل لأخذ الأمان للأمير فياض كيش عليه في الوقت وبعض إخوانه إلى إثارة غضب الأمير فياض فجمع العرب الموالين له وهدد بالهجوم على دمشق ، فلما علم الأمير أفتقر السلاوي^(١١٧١) نائب طراباس بكل ذلك فشق عليه سجن أحمد بن مهنا وتوسط لدى السلطان الصالح إسماعيل لإطلاق سراحه والعفو عن فياض خاصة بعد أن رجع عن عزمه على اقتحام دمشق . وقد قبل الصالح إسماعيل شفاعته وأطلق كل من كان مضمونا من آل مهنا^(١١٧٢) . ورغبة في تأكيد حسن النية تجاه سلطنة المماليك قدم الأمير فياض بن مهنا سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م لزيارة السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون ومعه قوته ، وفيه اثنان وسبعين فرسا غالية الثمن حتى بلغ ألفها ثمن عشرة آلاف درهم ، وأوسطها بعشرين ألف درهم ، وأغلاها بثلاثين ألف درهم سوى التجهيز وغيرها وقلم صحية الأمير فياض كل من أحمد ططر أمير بني كلاب ، وندا أمير آل برا ، فأكرم السلطان الناصر حسن كل من ندا وأحمد ططر ، وسمح لهما بالسفر بعد انتهاء الزيارة ولكنه فيض على الأمير فياض وأخذ خيوله وكل ما كان في حوزته ، وحمل إلى الإسكندرية ، لسجن بها^(١١٧١) . وبعد أن قضى الأمير فياض بن مهنا سنتين في السجن أمر السلطان الناصر حسن بالإفراج عنه سنة ٧٥١هـ / ١٣٥٠م ، وخلق عليه وهب للرحيل إلى دياره^(١١٧١) . ومن اللائح للنظر أن مسألة القبض على الأمير فياض بن مهنا

المملوكي . ولكن هذا الخروج عن الطاعة السلطانية لم يستمر ، حيث إن هذه الفتنة قضت على الرغم من مناصرة نواب طرابلس وحماة الأمير بييغا روس ؛ ذلك أن السلطان صلاح الدين صالح بن الناصر محمد عمل كافة الاستعدادات لتوجيه الجيش المملوكي إلى بلاد الشام من أجل إخضاع هذه الفتنة ، وقبل أن يصل السلطان صلاح الدين صالح وجيشه إلى القاهرة (١٢٧٦) . وقد تولى بييغا روس كان كثير من العسكر المؤيد للأمير بييغا روس عن أبواب دمشق التي استعصت عليه . وعاد إلى حلب ومن ثم عاد السلطان صلاح الدين صالح وجيشه إلى القاهرة (١٢٧٦) . وقد تولى الأمير حيار بن مهنا فيما بعد " إمرة العرب " واستمر فيها إلى سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ م عندما تولى نيابة حلب الأمير قشمر المنصورى الذى غادرها بعد ذلك بغزاة بسيرة من أجل الهجوم على أمير آل فضل حيار بن مهنا وجماسته ، فنجح العرب بقيادة الأمير حيار ضد الأمير قشمر المنصورى وعسكره ، وكانت معركة كبيرة قتل فيها الأمير قشمر المنصورى على يد الأمير حيار وولده نعيم ، كما قتل ولد الأمير قشمر وهو الأمير محمد بن قشمر . وعندما وصلت أنباء هذه الموقعة إلى الملك الأشرف شعبان (١٢٧٥) بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون عظم عليه الأمر ، وبادر بتولية الأمير أشقمر الماردىنى نيابة حلب ، وعزل الأمير حيار عن " إمرة العرب " وولاه لزامل بن موسى بن عيسى بن مهنا (١٢٧٦) . ولكن الوضع لم يستقر لزامل هذا رحلت " إمرة العرب " إلى أمير قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن غضبية بن فدلى بن ربيعة الذى تولى سنة ٧٨٦ هـ / ١٣٧٩ م ، وتولى عوضه " إمرة العرب " مرة أخرى زامل بن موسى بن عيسى بن مهنا . وهكذا كانت " إمرة العرب " تنتقل بين شخصيات آل مهنا من آل فضل حرصا على استقرار الأوضاع في الأقاليم الشرقية بلاد الشام (١٢٧٦) .

لقد كان أمراء آل مهنا بن فضل آل فضل متأرجحين بين إقبال وتفقر تجاه السلطة المملوكية حينها يزور في الأحوال المحيطة من إمكانيات تحقيق بعض المصالح لهم ولعربانهم بغض النظر عن المؤيدين واليهود التى يقطعوها كل أمير منهم حين يتولى مسؤولية " إمرة العرب " وقد يرجع ذلك طبعتهم البوية المستقلة ، وبالتالي حرمتهم في اتبوعه نمو من يحقق لهم مصلحة أكبر مما يدل على ضعف الولا ، للسلطان المملوكي أو الملك المملوكي على الرغم من ثبوت الإلتزام الإقليمي للديار التى كانوا يعيشون على أراضيها ، علاوة على ذلك يحضر التأكيد على أن " أمير العرب " من آل مهنا لم يحضر نفسه في يوم من الأيام من نواب السلطنة التى كانوا يديون بالولا . والطاعة للسلطنة المملوكية مع الإلتزام المطلق لأوامره ومراسيمها بل يبدو أنهم اعتبروا أنفسهم أمراء

لشأنه ، والى خلف له بالأمان ، وعدم التعرض له بأي سوء بل استطاعوا إقناعه للتقدم إلى القاهرة لأخذ موافقة الأمان لنفسه إلى جانب الهدايا الضخمة (١٢٧٦) . وهكذا كان نفاض بن مهنا مصدرا لخلق دائم لسلطنة الماليك .

٤- حيار بن مهنا بن عيسى :

كذلك من الشخصيات البارزة من آل مهنا شخصية حيار بن مهنا الذى أوكلت إليه وظيفة " إمرة العرب " سنة ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م في عهد السلطان الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون (١٢٧٦) . وكما هو العادة أرسل أمير العرب حيار بن مهنا القيد إلى السلطان الناصر حسن في العام التالي مباشرة سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٩٤ م تأكيداً لحسن الروابط بينهما (١٢٧٦) . وقد عمل الأمير حيار بن مهنا على استتباب نواعد الأمن والسلامة في المناطق الشرقية لسلطنة الماليك ، حيث اجتهد في القضاء على حركات التمرد التى كان يقوم بها طوائف العرب ، بل كان يستعين بالشيخ حسن الكبير (١٢٧٦) نائب الحكم في العراق تحت سلطة النصارى كى يساعده في القضاء على حركات فرد طوائف العرب كما حدث في سنة ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م عندما أوقع الأمير حيار بن مهنا والشيخ حسن الكبير بغزاة من العرب المتصدين وقتل منهم نحو المائتين . وأسر كثيراً منهم إلا أن بعضهم تمكن من الفرار إلى مدينة الرجة في بلاد الشام ، فطلب الأمير حيار من أزمع النورى نائب الرجة تمكينه منهم ، فرفض ، فكسب الأمير حيار بن مهنا إلى السلطان الناصر حسن بذلك فعزل نائب الرجة من وظيفته (١٢٧٦) .

وقد دأب الأمير حيار بن مهنا على زيارة السلطان المملوكي في القاهرة إما لتقديم التودد أو لتأكيد العلاقات الطيبة مع السلطنة (١٢٧٦) . ولكن ذلك لا يعنى استقرار العلاقات بين السلطان المملوكي وآل مهنا بشكل دائم ، ومن ثم يمكن القول إن آل مهنا لم يكونوا إطلاقاً معمل ثقة تامة وثابتة عند السلاطين الماليك ، حيث إن تلك العلاقات انطوية لا تطفئ أن تتغير إذا وجد آل مهنا ذلك ما حدث في فترة الأمير بييغا نواب حلب في عهد السلطان صلاح الدين صالح بن الناصر محمد ، حيث خرج الأمير بييغا روس عن الطاعة السلطانية وأعلن نفسه سلطاناً في حلب وألقب بـ " الملك العدل " وبدأ يحشد قواؤه ومزيديه للتوجه إلى مصر (١٢٧٦) . وقد ناصره في حركة التمرد هذه الأمير حيار بن مهنا ، حيث جمع عريانه وتوجه إلى حلب مؤيداً للأمير بييغا روس وذلك في عام ٧٥٢ هـ / ١٣٥٧ م دون أدنى مراعاة للروابط القوية التى طالما ربطت بين آل مهنا والسلطان

هذه القبائل مما أدى إلى خلق نوع من العلاقات الطيبة شبه الدائسة بين الطرفين مع تأمين سلامة الطرق التجارية والأمان المطلق في طريق الحج العراقي .

٧- ارتبطت العلاقات بين آل مهنا بن آل فضل وسلطنة المماليك لرباطا وطيدا بشخصية من يتولى إمارة العرب منهم ، فإذا كان أمير العرب عنونا للاثزان والإخلاص والخصافية كانت العلاقات مع سلطنة المماليك مستقرة وثابتة ، وإذا كان أمير العرب متبديها في موافقه ، ضعيفا في ولائه فإن التغير والتوتر يشوب تلك العلاقات ، بل إن الوضع قد يتفاقم سلبا إلى حد شن الهجمات ضد سلطنة المماليك .

٨- لعبت مشاعر الانتسا ، للأرض والنولا ، للإقليم دورا بارزا في حرص أمراء آل مهنا بن آل فضل على إدارة شؤون منطقتهم مع التمتع بمساحة من الحرية الإدارية في تلك المناطق ، ومن كانت تزايدت رغبتهم في الحصول على إعطاعات أوفر وعطامات أكبر من السلاطين المماليك في سبيل دعم وجودهم في تلك المناطق التي يحكمونها .

مستقلين في ديارهم وتربطهم بالسلطان المملوكي روابط المصلحة المشتركة طالما أنهم يعيشون بين حدود أراضي يحكمها ، ولكن متى ما تحققت لهم مصلحة أكبر مادية أو سيطرة فإنيهم سرحان ما يجوزون بكل ثقلهم المادي والبشري والعنوي نحو الجهة التي تحقق لهم منافع أكبر .

النتائج :

١- ربطت العلاقات الطيبة بين سلطنة المماليك وآل فضل طبقة نكرة حكم السلاطين المماليك البحرية باستثناء تلك الأوقات التي تروصت بها بعض عوامل التوتر كما توضح الدراسة .

٢- أبهى السلاطين المماليك البحرية على حسن الروابط مع آل فضل من أجل اتخاذهم درعا دفاعيا متقدما ضد تهديدات التتار في فارس والعراق .

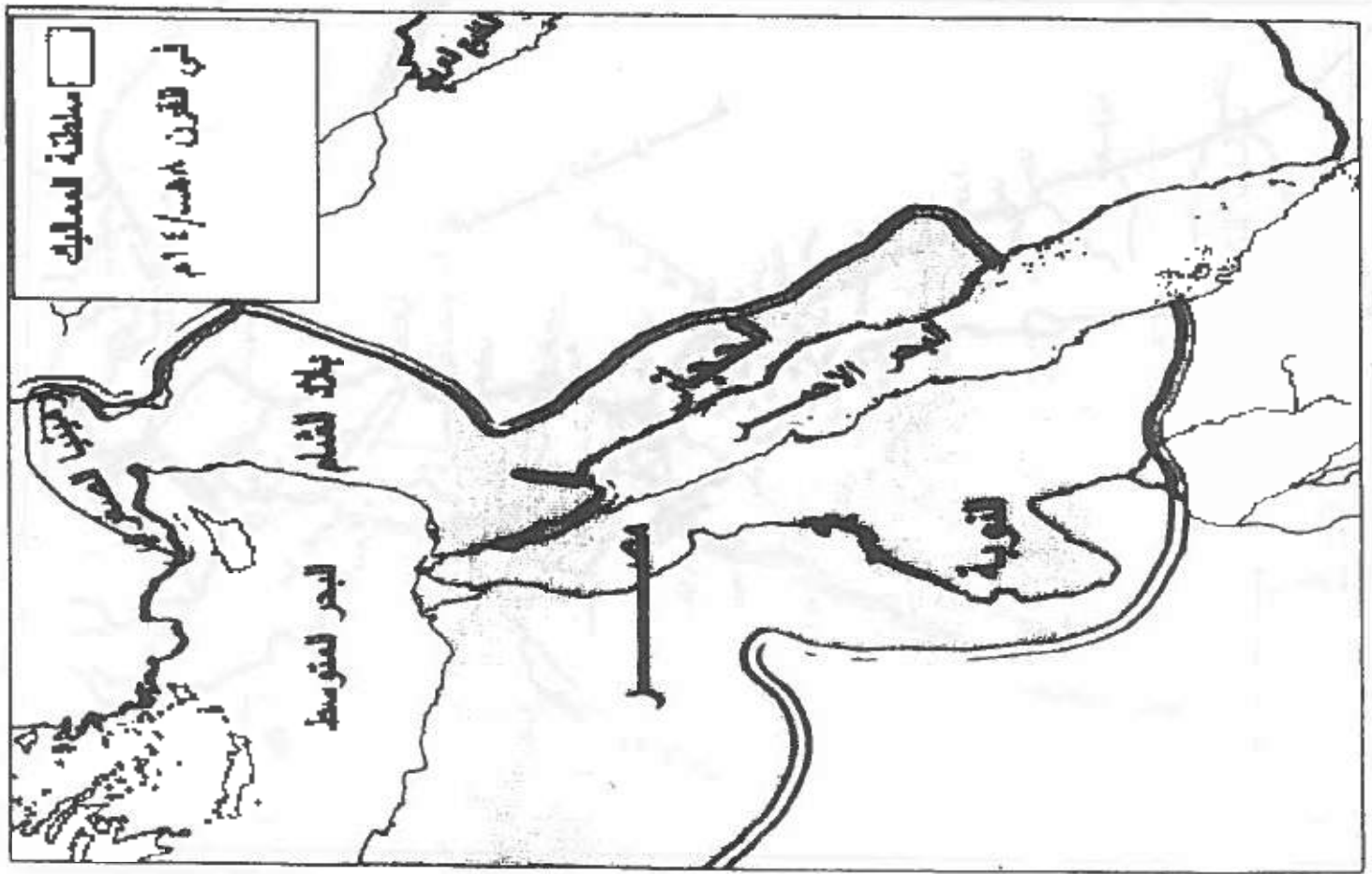
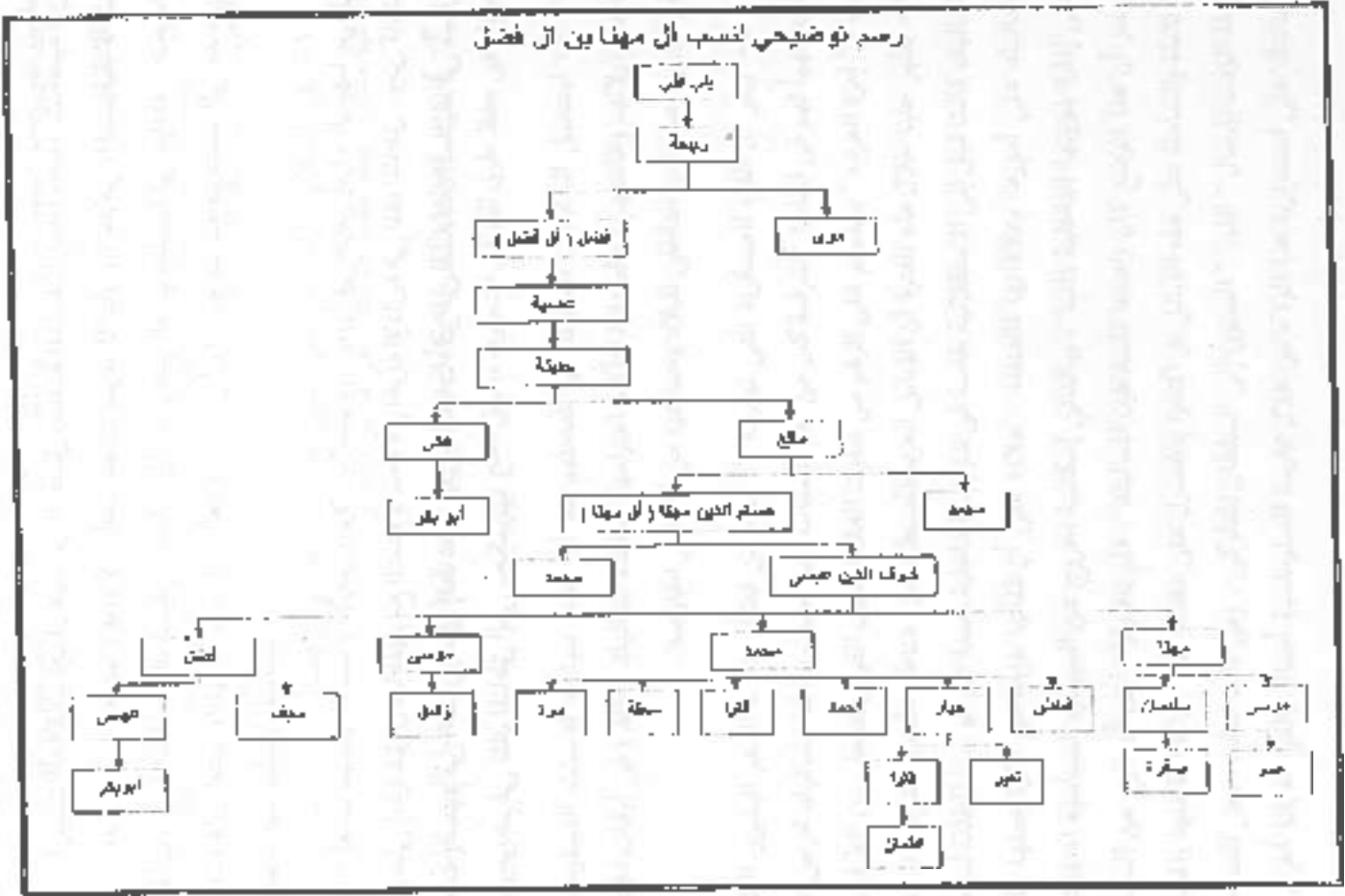
٣- كان من العوامل التي دفعت بالسلاطين إلى حسن الروابط مع آل فضل الدور الذي لعبه هؤلاء في حفظ طرق القوافل التجارية وطريق الحج .

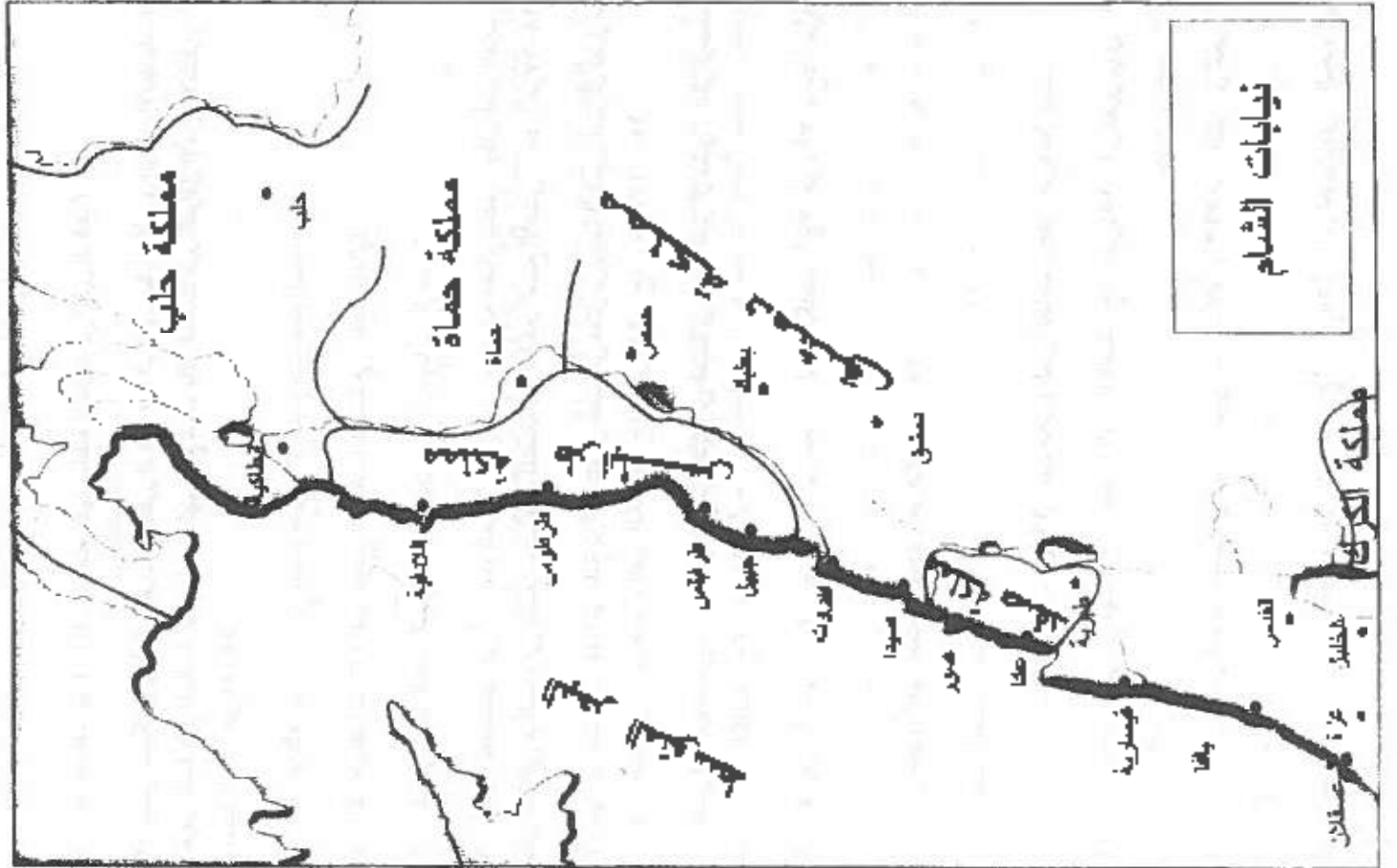
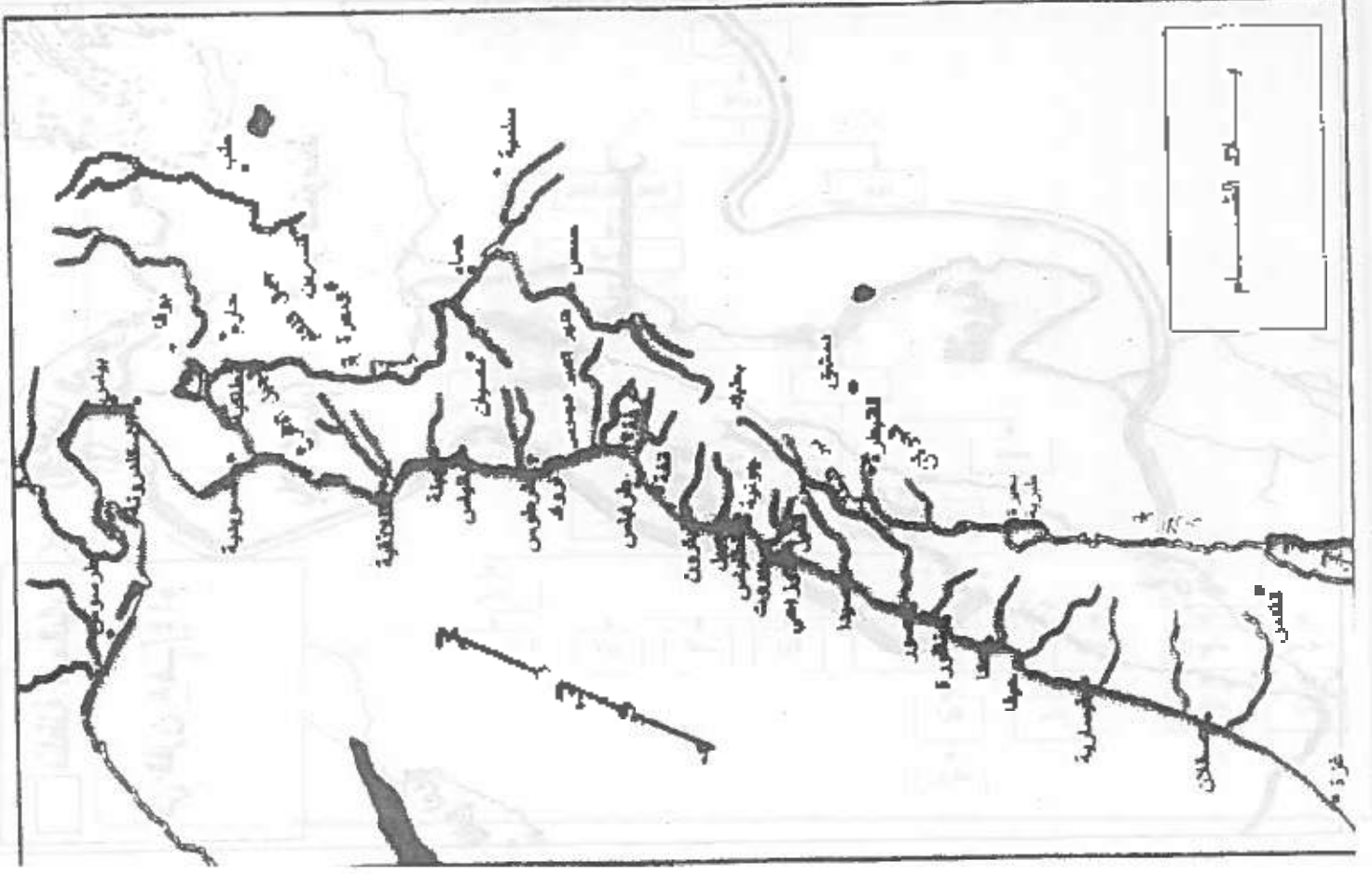
٤- استعمل السلاطين المماليك في تعاملهم مع آل فضل سياسة تضمنت الدبلوماسية لكسب ولائهم وطاعتهم ، والصفقة لتأكيد احترامهم لسلطنة المماليك ، والقوة في أوقات الحروب في سبيل دعم الأمن الداخلي للبلاد وحمايتها من الأخطار الخارجية .

٥- يبدو أن القوة العسكرية التي توفرت لآل مهنا بن فضل نتيجة الدعم البشري الكبير الذي تهبأ لهم في المناطق الشرقية كان من أهم الأسباب التي جعلت سلطنة المماليك تحرص على إبقاء إمارة العرب بأيديهم على الرغم من عداوت العلاقات بين القوة والضعف بين الطرفين .

٦- يظهر جليا خلال هذه الفترة أن القبائل العربية المسيطرة على مناطق الحدود الشرقية لسلطنة المماليك كانت تميل إلى الاستقلالية خاصة في شؤونها الداخلية بعيدا عن الهيمنة المطلقة لسلطنة المماليك على أمورها وعلاقاتها المختلفة . علاوة على أن قنلكها درجة من القوة جعلها قادرة على إدارة شؤونها الداخلية ذاتيا ، وبالتالي إمكانية الخروج عن السيطرة لسياسة المملوكية . ويبدو أن هذا الوضع كان واضحا للسلاطين المماليك ، فلم يحاولوا فرض أي نوع من السيطرة الكاملة والشاملة على هذه القبائل بل اكتفوا بالحصول على مظاهر الولا ، والطاعة منها والشئلة طبقة الوقت بإرسال القرد : السنوي إلى السلطان المملوكي . وفي ذات الوقت حرص السلاطين المماليك على استمرارية هذا الولا ، من خلال ممارسة الدبلوماسية أحيانا والقوة أحيانا أخرى مع

الملاحق





المهموم

- ١- انظر خريطة رقم (١٦) التي توضح حدود سلطة المماليك في القرن الرابع / ١٤م.
- ٢- شهر السكي (في العرب في القرن الرابع / ١٤م) بطور بالأزرق الواقعة والقطاع الكبيرة التي عرض السلاطين المماليك على تقديمها لهم لفتح شرم ولا انتقلت طرق القوافل الآمن والاستقرار. معبد النعم وبسيد النعم. ص ٥٤-٥٥.
- ٣- انظر خريطة رقم (٢) التي توضح حدود بلاد الشام تحت حكم المماليك.
- ٤- انظر خريطة رقم (٣) التي توضح التغيرات السامية في سلطنة المماليك.
- ٥- انظر في نهاية البحث رسم توضيحي بين نسب آل مهنا آل فضل.
- ٦- أشار الطقشدي إلى أن أسرة العرب تعني تولى مسؤولية الحكم بينهم. وكان أمير العرب يرسل السلطان المملوك مباشرة في جميع الموضوعات المتعلقة بين الطرفين. صحح الأخطى. ج ٤. ص ٦٧-٦٨.
- ٧- مهنا بن عيسى بن مهنا بن لافع بن حديدية بن قحطبة بن فضل بن ربيعة التدمري أمير آل فضل من بني حمير. انظر ترجمته في: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣١٤، ج ٥، ص ١٣٨-١٤٠.
- ٨- فضل الله بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديدية بن قحطبة بن ربيعة أمير آل فضل. انظر ترجمته في: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١١٦، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٦٤، ج ٥، ص ١٣٨-١٤٠.
- ٩- المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ١١٦، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣٦٤، ج ٥، ص ١٣٨-١٤٠.
- ١٠- ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٤٨.
- ١١- المصدر السابق، ص ١٣٩.
- ١٢- المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ١٦٥، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٥٤.
- ١٣- انظر ترجمة موسى بن مهنا في ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٥٤، ابن تغري بدي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٧٦.
- ١٤- عيسى بن فضل الله بن عيسى بن مهنا، تولى سنة ١٤٤٤م / ١٤٤٣م، انظر ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٢٨٧.
- ١٥- انظر ترجمته في: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٢٥٨، ابن تغري بدي، النجوم الزاهرة، ج ١، ص ١٠٢.

- ١٦- المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٦٥٩، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٢٥٨، ج ٣، ص ٢٨٧، ابن تغري بدي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٣٠٢، ج ١٠، ص ١٠٢.
- ١٧- المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٣٥، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٥٤.
- ١٨- المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٤٠٨-٤٠٧.
- ١٩- المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٢٤.
- ٢٠- المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٣٢، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ١٥٤.
- ٢١- المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٤٥٧-٤٥٣.
- ٢٢- المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٥-٥٢٦، ٥٢٧، ابن تغري بدي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٦٧.
- ٢٣- المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٥٢٦-٥٢٧، ابن تغري بدي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٦٧-١٦٨.
- ٢٤- المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٥٢٩-٥٣٠، ابن تغري بدي، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ١٦٨-١٦٩.
- ٢٥- الفرد: هو ما يبحث به قبائل العرب إلى السلطان من الهيا من الجبل وإلخ والخيوليات العزبة. انظر دهقان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص ١٢٦.
- ٢٦- المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٢٤٦.
- ٢٧- حول سيرة الأمير تنكر الهمامي نائب بلاد اشم وأعماله انظر: حياة الحلي، دراسات في تاريخ سلطنة المماليك في مصر والشام، ص ٢٨٧-٤٥٨، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٥٥-٦٤.
- ٢٨- المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٤٩٩.
- ٢٩- السلطان حاسم بن محمد بن قلاوون، انظر ترجمته في: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٨٥.
- ٣٠- بلينا بن طابضا السابق البهاري الناصري من كبار الأمراء في عهد الناصر محمد بن قلاوون. انظر ترجمته: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٢-٢١٣.
- ٣١- المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٢٣٢، ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٥، ص ٣١٢.
- ٣٢- لياض بن مهنا بن عيسى بن مهنا، انظر ترجمته في: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٣١٧.

- ٥١- المصدر السابق . ج ٢ . ص ٧٦ .
- ٥٢- انظر ترجمته في : ابن حجر . الدرر الكامنة . ج ١ . ص ٣٩٦-٣٩٩ .
- ٥٤- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٨٧ : ابن تغري بروجي . النجوم الزاهرة . ج ٩ . ص ١٦ .
- ٥٥- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ١٤٨ . حاشية ٣ .
- ٥٦- المصدر السابق . ج ٢ . ص ٥٦٦ .
- ٥٧- بيبرس الجاشنكير تولي السلطنة سنة ٧٠٨ هـ / ١٣٠٩ م لمدة نقل عن السنة . انظر ترجمته في : ابن حجر . الدرر الكامنة . ج ٢ . ص ٣٦٠-٣٦١ : ابن تغري بروجي . النجوم الزاهرة . ج ٩ . ص ٤٦٠ . ١٣٢ . ١٣٧ . ١٥٧ . ١٦٠ . ١٦٧ . ١٧١ . ١٧٣ . ٢٠٠ . ٢٠٢ . ٢٢٢ . ٢٢٣ . ٢٢٦ - ٢٢٧ .
- ٥٨- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٥٢٨ .
- ٥٩- المصدر السابق . ج ٢ . ص ٥٢٥ .
- ٦٠- المصدر السابق . ج ٢ . ص ٥٦٦-٥٦٧ . ٥٢٠ : ابن حجر . الدرر الكامنة . ج ٥ . ص ١٤٠ .
- ٦١- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٥٢٠ : ابن تغري بروجي . النجوم الزاهرة . ج ٩ . ص ١٦٨ .
- ٦٢- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٥٢٧ : ابن تغري بروجي . النجوم الزاهرة . ج ٩ . ص ١٦٨ .
- ٦٣- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٥٢٧-٥٢٨ : ابن تغري بروجي . النجوم الزاهرة . ج ٩ . ص ١٦٨ .
- ٦٤- حسام الدين لاجين النصيري تولي السلطنة سنة ٦٩٦ هـ / ١٢٩٦ م لمدة سنتين وشهرين فقط . انظر ترجمته في : الغفر . العبر . ج ٥ . ذ ٥٠ . ص ٨٧٩-٨٨٢ . ٨٨٤-٨٨٥ . ٨٨٥ : ابن عبد الظاهر . تصريف الأيام والمصنوع . ص ٦٠ . ٧١-٧٢ . ٢٩٢-٢٩٥ : القزويني . السلوك . ج ١ . ص ٨٢-٨٢٩ . ٨٢٠-٨٢٣ . ٨٣٢-٨٣٧ . ٨٤٨-٨٤٩ . ٨٥٢ . ٨٥٦-٨٥٧ . ٨٥٩-٨٦٥ .
- ٦٥- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٥٢٨ : ابن تغري بروجي . النجوم الزاهرة . ج ٩ . ص ١٦٨ .
- ٦٦- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٥٢٩ .
- ٦٧- المصدر ذاته .
- ٦٨- الأمير أرتقاي القنجهي . تولي نيابة حمص ثم صفد . ثم طرابلس . ثم حلب ثم دمشق . تولي سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م . انظر ابن حجر . الدرر الكامنة . ج ١ . ص ٢٧٦ .

- ٣٢- أحمد بن مهنا بن حمص بن مهنا . انظر ترجمته في : المصدر السابق . ج ١ . ص ٣٤٤-٣٤٥ .
- ٣٤- ميار وأحياناً يكتب حيار بن مهنا بن عيسى بن مهنا . انظر ترجمته في : المصدر السابق . ج ٢ . ص ١٦٩ .
- ٣٥- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ١٠٠ : ابن تغري بروجي . النجوم الزاهرة . ج ٩ . ص ٦١-٦٠ .
- ٣٦- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ١٧٨ .
- ٣٧- الأمير محمد بن عيسى بن مهنا . انظر ترجمته في : ابن حجر . الدرر الكامنة . ج ٦ . ص ٢٤٩ .
- ٣٨- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ١٧٢ : ابن حجر . الدرر الكامنة . ج ٤ . ص ٢٤٩ .
- ٣٩- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٣١٢ .
- ٤٠- المصدر السابق . ج ٢ . ص ٤٥٥ .
- ٤١- ابن حجر . الدرر الكامنة . ج ٥ . ص ١٥٤ .
- ٤٢- السلطان النصور أبوبكر بن محمد بن فلاويش . تولي الحكم بعد وفاة أبيه سنة ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م وكانت نيابته الخيرية السياسية وعدم الكفاية لا يتفق الأمير قوصون مع بعض الأمراء على قتله . وكانت له سلطة شهرين فقط . انظر : المصدر السابق . ج ١ . ص ٤٩٦-٤٩٤ .
- ٤٣- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٥٦٢ .
- ٤٤- المصدر السابق . ج ٢ . ص ٩٢٨ .
- ٤٥- ابن حجر . الدرر الكامنة . ج ٣ . ص ٣١٧ .
- ٤٦- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٨٩٦ : ابن حجر . الدرر الكامنة . ج ٢ . ص ١٦٩ .
- ٤٧- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٨٩٦ .
- ٤٨- ابن حجر . الدرر الكامنة . ج ٢ . ص ١٦٩ .
- ٤٩- السلطان الكامل شيبان بن محمد بن قلاوون تولي الحكم سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م انظر ترجمته في : المصدر السابق . ج ٢ . ص ٢٨٩ .
- ٥٠- القزويني . السلوك . ج ٢ . ص ٧٠ .
- ٥١- المصدر السابق . ج ٢ . ص ٤٠ .

- ٨٨- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٢٢ : ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .
- ٨٩- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٧٢٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .
- ٩٠- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٧٦٨ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٤٣ .
- ٩١- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٢٤ .
- ٩٢- ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ١٤ .
- ٩٣- ارتقا حاكم أرمينيا من جهة القان بر سعيد ، إلا أنه وصل على الاتفاق بالحكم في أرمينيا ، وحوار حكام العراق بإعادته إلى الطاعة القوية إلا أنه فرغهم . واستمر ارتقا في حكم أرمينيا حتى استقل بها سنة ٧٣٨ هـ / ١٣٣٧ م . وصار يوالي الناصر محمد بن علاون الذي أرسل له تلبية بالحكم . وأرسل إليه طلعا . وكان حسن الإسلام . توفي سنة ٧٥٣ هـ / ١٣٥٢ م وخلفه ابنه محمد بك . انظر : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧١ .
- ٩٤- حسن عاصمة أرمينيا الصغرى (الكلبيكة) ، وكانت مدينة كبيرة ذات أسوار على جبل مستطيل ولها بساتين وفجر صغير . انظر : ابن تغري بدي ، النجوم الزاهرة ، ج ٢ ، ص ١٣٩ ، هامش ٣ .
- ٩٥- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ .
- ٩٦- الناصر محمد بن الناصر محمد بن قلاوون . تولى السلطة سنة ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م ثم عزل سنة ٧٥٢ هـ / ١٣٥١ م . وأعيد إلى السلطة سنة ٧٥٥ هـ / ١٣٥٤ م حتى قتل سنة ١٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م . كان ذكيا حلما محبا للعلم حتى أنه نسخ تامل الشهرة القبهنقي بخطه ، وهي مدرسة الكبيرة التي يدرس فيها المذهب الشافعية الأربعة وكلية الكثير من المال . انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ١٢٤-١٢٥ .
- ٩٧- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٢٥ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٦٩ ، ج ٣ ، ص ٣١٧ .
- ٩٨- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨١٢ .
- ٩٩- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٥٥ .
- ١٠٠- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٥٩ .
- ١٠١- انظر :

Al-Hajji, The Internal Affairs of Egypt During the Third Reign of Sultan Al-Nasir Muhammad B. Qalawun , pp 144-145.

- ١٠٢- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٥٢٩ .
- ١٠٣- سيف بن فضل بن محسن بن مهنا ولي الإمارة قليلا ثم أعيد أحمد بن مهنا ابن عمه إلى الإمارة وعزل سيف منها . وكان سيف وأخوه لا يدخلون تحت حكم أولاد عمهم مهنا ، وكفل سيف سنة ٧٦٦ هـ / ١٣٥٩ انظر ترجمته في : ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٧٩-٢٨٠ .
- ١٠٤- أنور بن شاه : تولى قيادة صيد ثم نهاية حلب ، وملاك الكثير من الممالك والجزر حتى قتل سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٩ م . انظر : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧٣ .
- ١٠٥- فلورما الأحمدي نائب حلب . توفي سنة ٧٦٥ هـ / ١٣٦٤ م . انظر : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٣٦-٣٣٧ .
- ١٠٦- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٧٢٨-٧٢٩ .
- ١٠٧- ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .
- ١٠٨- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٧٣٦ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٧٩-٢٨٠ .
- ١٠٩- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١١٨ .
- ١١٠- السلطان إسماعيل تولى السلطة سنة ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م لما ثلاث سنوات وثلاثة أشهر . وكان عمه حسنا ز انظر ترجمته في : ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٠٠ .
- ١١١- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٤٤ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٧٩ .
- ١١٢- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٤٥ .
- ١١٣- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٥٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .
- ١١٤- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٥١ .
- ١١٥- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٥٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .
- ١١٦- ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .
- ١١٧- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٨٤ .
- ١١٨- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٢٠ .
- ١١٩- ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
- ١٢٠- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٧٢٠ .

- عند التاصر محمد وكان يهتبه لانجاز المهام الصعبة . انظر : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٣٢٨ .
- ١١٦- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٣٦-١٣٦ ج ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .
- ١١٧- آمد كيار الامراء في دمشق . انظر : ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٣٥١ .
- ١١٨- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٢٨-١٢٩ ، ابن تقي بدي / النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٣٤-٢٥ ، ١٢٢ .
- ١١٩- ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٤٩ .
- ١٢٠- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٤٤ ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .
- ١٢١- المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .
- ١٢٢- ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٦٦ .
- ١٢٣- الشريف حميدة بن أبي تمير مكة الذي وقعت له وقائع مع التاصر محمد ولكن التاصر محمد أرسل له جيشا هزما . وقد قتل حميدة هنا على يد بعض خاضكته انظر : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .
- ١٢٤- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .
- ١٢٥- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٦٦-١٦٦ ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ ، ج ٥ ، ص ١٤٠ ، انظر كذلك : ابن تقي بدي ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٢٦١ .
- ١٢٦- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .
- ١٢٧- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .
- ١٢٨- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ .
- ١٢٩- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢١١-٢١٢ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٢٥٩ ، ابن تقي بدي ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٩٠ .
- ١٣٠- ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٧٤ .
- ١٣١- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٧٦-٣٧٦ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٧٤ .
- ١٣٢- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .

- ١٠٣- انظر ترجمته في : ابن اللوات ، تاريخ الدول والملوك ، ج ٨ ، ص ٩٩ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٥٠ .
- ١١٦- ١١٧ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٨٤ ، ٢٠٤ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٣٣٢-٣٣٢ .
- ١٠٣- ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ١٤٠ ، ابن تقي بدي ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٣٠-٣١ .
- ١٠٤- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٠٨-١٠٨ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٣٣١ ، ج ٥ ، ص ١٤٠ ، ابن تقي بدي ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٣٠ .
- ١٠٥- ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ١٤٠ ، ابن تقي بدي ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٣٠-٣١ .
- ١٠٦- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٠٩-١١٠ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ١٤٠ ، ابن تقي بدي ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٣١-٣٢ .
- ١٠٧- القرظي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٣١٤ ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .
- ١٠٩- ابن تقي بدي ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٣٤-٣٥ .
- ١١٠- محمد بن عمر بن الركيل بن الرظي : كان متعلما حافظا للشعر مقبلا عنى القرون ، ودرس في كبار المدارس ، واشتهر صيته ، وكان عميقا في فهم الحديث والفقه والأصول . توفي سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م . انظر ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٤ ، ص ٢٤٤-٢٤٤ .
- ١١١- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .
- ١١٢- القرظي السلوك ، ج ٢ ، ص ١٢٨-١٢٩ ، ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .
- ١١٣- أرسلان بن عبد الله الدودار : كان مهيبا متعلما حسن الخط سريع الاستيعاب عت أصبح كاتب المهتم بالسلطانية ورسول السلطان الناصر محمد بن قلاوون وكثر إبعاده إلى آل مهنا . توفي سنة ٧١٧هـ / ١٣١٦م . انظر ترجمته في ابن حجر . الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٧٢ .
- ١١٤- المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣٧٢ .
- ١١٥- الأشير فطيس الناصري السلاح وار ، وكان من خواص الناصر محمد بن قلاوون . تميز بقوة الشخصية واللعوية القوية . كما كان حسن الصعبة ، محبا لقراءة الكتب ، تزوج الناصر محمد بن قلاوون ، ونال منزلة ورياسة

١٥٦- اقتصر السلاوي كان ثانيا في صفه ثم غيرة ثم استقر في مصر . الشهير بالعدة والعدل والكبر . ثم ألقى القبض عليه في عهد الصالح إسماعيل سنة ٧٤٤هـ / ١٣٤٣م . انظر : ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٤٢٢-٤٢٣ .

١٥٧- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٦٨ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٢٤٦-٢٤٧ .

١٥٨- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٧٧ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣١٧ .

١٥٩- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٢٦ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٧ .

١٦٠- بيضا روس الناصري : كان حاصكيا في حياة الناصر محمد بن علاون ، وأصبح أمير معوض في عهد المظفر حاض . ثم قبض عليه وسجن حتى أفرج عنه السلطان الصالح صالح إلا أنه لم يلبث أن ترد على الصالح صالح مع نواب حماة وطلب بهساكرهم . ولكن السلطان الصالح صالح انتصر عليه ، وقتل بيضا روس سنة ٨٥٤هـ / ١٣٥٣م . انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٤-٤٥ .

١٦١- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٢٦-٨٢٧ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ١٦٦ .

ص ٢٧١-٢٧٧ .

١٦٢- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٢٥ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ .

١٦٣- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٣٩ .

١٦٤- أرغون الكاملي : تولى نيابة حلب في عهد الناصر حمزة بن الناصر محمد بن علاون نيابته مباشرة حتى نهاية لتهابه التبركمان والبرهان . ثم تولى نيابة دمشق في عهد الصالح صالح بن الناصر محمد . ثم أعتد إلى نيابة حلب ، واختيرا أعطى أمير مائة في مصر . توفي سنة ٧٥٨هـ / ١٣٥٧م . انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ١ ، ص ٣٧٥ .

١٦٥- المصدر ذاته .

١٦٦- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٩١٧-٩١٨ .

١٦٧- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٧٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .

١٦٨- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٧١٩ .

١٦٩- الحسن بن أفيها أو حسن بن حاكم العراق ويعرف باسم حسن الكبير حاكم العراق . كانت به وبين نزار فارس حروب كثيرة . وكان طيب التصرف بشؤون الحكم . انظر : ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٩٥٥-٩٦٠ .

ص ٩٥٥-٩٦٠ .

١٣٣- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٣٧٣ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .

١٣٤- ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ٣٧٤ .

١٣٦- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٨٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .

١٣٧- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٠٦-١٠٥ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

١٣٨- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٤٥ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

١٣٩- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

١٤٠- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

١٤١- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٢٠٩ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

١٤٢- القريني ، السلوك ، ص ٢١١-٢١٢ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

١٤٣- ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٣٠٧ .

١٤٤- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٥١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .

١٤٥- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٠١ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ٩ ، ص ٣٠٧ .

١٤٦- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦١١-٦١٢ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ١٤٤ .

١٤٧- القريني ، السلوك ، ص ٩٦٣ .

١٤٨- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٤ .

١٤٩- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٢-٦٢٨ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٣ ، ص ٣١٧ .

١٥٠- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٢٩ .

١٥١- القريني ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٢٧ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ٣١٧ .

١٥٢- القريني ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٦٥١ .

١٥٣- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦٥ .

١٥٤- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦٦ .

١٥٥- المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٦٦٧ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٥ ، ص ١٤٠ .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

ابن تقي بري : أبو الحسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م)

التجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٩٣٩-١٩٥٦م .

ابن حجر : أحمد على (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م)

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

الحجوي : حياة ناصر دواسات في تاريخ سلطنة المماليك في مصر والشام ، الطبعة الأولى ، الكويت ، ١٩٨٦م .

دهبان : محمد أحمد

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، الطبعة الأولى ، دمشق ، ١٩٩٠ .

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م)

العمر في خبر من عمر ، ٥ أجزاء ، الكويت ، ١٩٦٦-١٩٦٠م .

السبكي : تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ / ١٣٧٠م)

معيد التعم وسيد النعم ، الطبعة الأولى ، بيروت ، ١٩٨٣م .

ابن عبد الظاهر : محيي الدين أبو الفضل عبد الله (ت ٦٩٢هـ / ١٢٩٢م)

تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور ، تحقيق : م . كامل ، القاهرة ، ١٩٦١م .

ابن القرات : محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٥م)

تاريخ الدول والملوك ، ج ٨١ ، تحقيق : قسطنطين زريق ، و ن . عز الدين ، بيروت ، ١٩٣٩م .

المقريزي : أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤٢م)

السلوك لمعزة دول الملوك ، ج ١ ، تحقيق : محمد مصطفى زيادة ، ج ٣ ، تحقيق : سعيد عبد الفتاح عاشور ، ١٩٣٩-١٩٧١م .

١٧- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨١٥ .

١٧١- التجمهر السابق ، ج ٢ ، ص ٨٦ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ .

١٧٢- ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٨٢ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ١١٩ .

١٧٣- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٧٤- شعبان بن حسين بن فلان تولى سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٧م وتلقب بالسلطان الأشرف . كان حكمه اسفيا في بداية عهده وكل الأمور بيد أخاكة الأمير بلهيا المصري . لكن بعد قتل بلهيا استقرت كافة الأمور بيده . توفى خنقا على يد بعض أعتاقه من الأمراء . انظر ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ .

١٧٥- ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١١ ، ص ٥٤ .

١٧٦- المصدر السابق ، ج ١١ ، ص ٢٠ .

١٧٧- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٧٨- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٧٩- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٨٠- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٨١- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٨٢- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٨٣- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٨٤- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٨٥- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٨٦- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٨٧- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٨٨- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٨٩- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

١٩٠- المقريزي ، السلوك ، ج ٢ ، ص ٨٦٨-٨٧١ ، ابن حجر ، الدرر الكامنة ، ج ٢ ، ص ٤٥ ، ابن تقي بري ، التجوم الزاهرة ، ج ١٠ ، ص ٢٧٧-٢٧٧ .

سفارة الرحالة بيرو طاقور بين قبرص ومصر

عام ١٤٣٧م / ٨٤١هـ

كانت مصر في العصر المملوكي ذات مركز استراتيجي دبلوماسي بين دول العالم الوسيط. لتستقبل سلاطينها القويود والسفارات التي جاءت لأغراض فسي، سواء أغراض سياسية أو تجارية أو عسكرية. وموضوع هذا البحث يتناول سفارة سياسية تجارية قام بها الرحالة الألباني بيرو طاقور Pero Tafur ١٤١٠ - ١٤٨٤ تقريبا / ٨١٧-٨٨٨هـ من قبرص^١ إلى مصر أثناء رحلته إلى الشرق، بتكليف من الملك حيا الثاني (جوان بن جينوس) John II ملك قبرص (١٤٣٧-١٤٥٨م / ٨٣٥-٨٩٦هـ). إلى السلطان الأشرف برسباي (١٤٢١-١٤٣٧م / ٨٢٥-٨٤١هـ). لبحث أمر تحصيل الجزية^٢ المفروضة على قبرص.

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أن السفارة المذكورة سجلها طاقور في مذكرات رحلته إلى الشرق، فهي حين تم نشر إليها المصادر الإسلامية المتأخرة لنا. وينقسم هذا البحث إلى عدة عناصر: الأول هو التعرف بالرحالة طاقور، والثاني هو العلاقات القبرصية المملوكية قبيل السفارة، والثالث وهو الهدف الرئيسي لهذا البحث ويتعلق بالسفارة وهدفها ونتائجها. وما ارتبط بها من مزارات ومشاهدات طاقور في مصر.

وفيما يتعلق بالموضوع الأول الخاص بالرحالة بيرو طاقور، فهو فارس قشتالي الأصل.

^١ مرسى بكلية الآداب - بنى سويف

Asi- Hæjji , Hayat Nasser

The Internal Affairs in Egypt During the Third Reign of Sultan Al- Nasir Muhammad B. Qalawun, 709-741 A. H. 1309/141 A. D., edition , Kuwait 2000.

Poliak, A.N.

1- Feudalism in Egypt, Syria , Palestine and Lebanon , London , 1939.

2- Some notes on the Feudal System of the Mamluks , Journal of the Royal Asiatic Society , 1937 , pp. 97-107 .

١- حيا ناسر : المصداق والواقع الأجنبي : الكويت ، ٢٠٠٠ .
٢- بولياك ، أ. ن. : الفئالزم في مصر ، سوريا ، فلسطين و لبنان ، لندن ، ١٩٣٩ .
٣- بولياك ، أ. ن. : ملاحظات على النظام الفئالزي في مصر ، مجلة الجمعية الآسيوية ، ١٩٣٧ ، ص ٩٧-١٠٧ .
٤- بولياك ، أ. ن. : ملاحظات على النظام الفئالزي في مصر ، مجلة الجمعية الآسيوية ، ١٩٣٧ ، ص ٩٧-١٠٧ .
٥- بولياك ، أ. ن. : ملاحظات على النظام الفئالزي في مصر ، مجلة الجمعية الآسيوية ، ١٩٣٧ ، ص ٩٧-١٠٧ .
٦- بولياك ، أ. ن. : ملاحظات على النظام الفئالزي في مصر ، مجلة الجمعية الآسيوية ، ١٩٣٧ ، ص ٩٧-١٠٧ .
٧- بولياك ، أ. ن. : ملاحظات على النظام الفئالزي في مصر ، مجلة الجمعية الآسيوية ، ١٩٣٧ ، ص ٩٧-١٠٧ .
٨- بولياك ، أ. ن. : ملاحظات على النظام الفئالزي في مصر ، مجلة الجمعية الآسيوية ، ١٩٣٧ ، ص ٩٧-١٠٧ .
٩- بولياك ، أ. ن. : ملاحظات على النظام الفئالزي في مصر ، مجلة الجمعية الآسيوية ، ١٩٣٧ ، ص ٩٧-١٠٧ .
١٠- بولياك ، أ. ن. : ملاحظات على النظام الفئالزي في مصر ، مجلة الجمعية الآسيوية ، ١٩٣٧ ، ص ٩٧-١٠٧ .

ابن خوان دياز طافور Juan Diaz Tafur، ولد في مدينة أشبيلية، سلكا أشار طافور في معرض حديثه مع متروحم السلطان برساي في مصر^{١٢٠}. ويرى البعض أن أصله يرجع إلى مدينة قرطبة بإسبانيا، ويذكر أنه ينتمي إلى ذرية العائلة الإمبراطورية في القسطنطينية^{١٢١}. وطاقور له اهتمامات دينية وسياسية وتجارية، انخرط في سلك الخدمة العسكرية في مدينة جيان^{١٢٢} تحت لواء دون لويز جونزالث دي غوزمان D. Luis González de Guzman، وشارك في الحرب الدائرة بين قشتالة وقرنطة، حتى إذا عقدت الهدنة بينهما عام ١٤٣٥م / ٨٣٩ هـ^{١٢٣}، قام برحلة حج إليها الأراضي المقدسة بفسطاطين امتدت أربعة أعوام من عام ١٤٣٥ - ١٤٣٩م / ٨٣٩ - ٨٤٣ هـ، واصطحب معه مراقبين في رحلاته خلال أوروبا وشرقي البحر المتوسط^{١٢٤}.

بدأ طافور رحلته في أواخر عام ١٤٣٥، في عهد الملك خوان الثاني ملك قشتالة (١٤٠٧ - ١٤٥٤م / ٨١٠ - ٨٥٨ هـ)^{١٢٥}، وكان فارسا في الخاصة والمشربين من العمر، وأبحر من ميناء سان لوكار دي براميدا Barrameda de San Lúcar^{١٢٦}، على متن سفينة من سفن جليقية (Galicia)^{١٢٧}، ودسى بالقرب من جبل طارق (Gibraltar)^{١٢٨}، واشترك في حملة فاشلة بقيادة هنري كوزت لبله (Niebla)^{١٢٩}، ضد المسلمين في فخر جبل طارق، وانتهت بهزيمة التصاري وقتل لاندعم^{١٣٠}، وعودة طافور وبقية قوات الحملة إلى قشتالة، ومنها إلى ميناء سان لوكار دي براميدا^{١٣١}.

وقد وصف طافور جبل طارق بقوله: « وجبل طارق قلعة بلغت من المناعة منيعها، وخبرها ذائع في شتى ربوع الدنيا، وهو يقوم عند فم المضيق، حيث يلتقي المحيط الأطلنطي بالبحر المتوسط، وأرضه شديدة الخصب، أما المدينة فنشرف على المدخل المؤدي إلى الأرض الرئيسية الشديدة الضيق والتي تمتد من هناك إلى قمة الصخرة مسافة تقرب من فرسخ، ولها سور حصين. حافلة بالسائين والكروم والمياه العذبة، وتقع في بقعة شديدة الانخفاض وأرضها علي حافة البحر، وحلقها صحرة شديدة الارتجاج، ومرفؤها أمين كل الأمان، وهو عبارة عن لسان من البحر يدخل في السابعة حتى يبلغ أرض الجزيرة المنضرا^{١٣٢}، ويعد مسافة ثلاثة فراسخ صالحة كلها لرسو السفن^{١٣٣}».

ثم أبحر طافور على متن سفينة جنوبية مارا بميناء قادس Cadiz، وساحل أفريقيا ومضيق جبل طارق وسنة ومالقة وقرطاجنة، وجزر البليار، ثم خليج ليون ثم رسا في ميناء جنوة، ومن جنوة إلى بيزا وفلورنسا، ثم عبر طافور جبال الألب حتى وصل بولونيا Bologna، وهناك قابل البابا

إيوجين الرابع (١٤٣١ - ١٤٤٧)، الذي أخرجته فريق من المشائين من روما، ومنحه الإذن بالرحلة إلى بيت المقدس^{١٣٤}. ثم توجه إلى البندقية، ولا علم أن موعده إبحار سفن الحجاج إلى بيت المقدس يوم الصعود في شهر مايو، أي بعد ثلاثة أشهر، قام خلالها بالتصبرل في أنحاء إيطاليا^{١٣٥}، ثم عاد إلى البندقية، ومن هناك أبحر إلى الشرق يوم عيد الصعود في ١٧ مايو عام ١٤٣٩م / أول ذو القعدة ٨٣٩ هـ^{١٣٦}.

وصلت سفينة الحجاج إلى الشرق، ورسا الحجاج ميناء باقا، وبعد زيارة المعالم الدينية في الأراضي المقدسة، رغب طافور في زيارة دير سانت كاترين، وعلم أن القافلة قد رحلت مع سفير من تركيا إلى سلطان مصر، وتصحده حارس القنبر بالذهاب إلى قبرص للمعقول على إذن أو تصريح بالدخول إلى مصر من ملك قبرص^{١٣٧}.

أبحر طافور من ميناء باقا إلى جزيرة قبرص، ورسا في بلدة الماشروسة^{١٣٨}، ثم رحل إلى مدينة نيقوسيا Nicosia^{١٣٩}، وهناك كلفه الملك حنا الثاني مهمة سياسية إلى سلطان مصر الأشرف برساي، وحصل الجزيرة السنوية، والتي فرضت على جزيرة قبرص منذ عام ١٤٢٦م / ٨٢٩ هـ، ومقارها عشرين ألف دينار، وأيضاً مبلغ مائتي دوكلات أرسلها حنا الثاني ملك قبرص إلى متروحم السلطان^{١٤٠}، فذهب طافور إلى مصر سخيماً من قبرص، وبعد أداء مهمته، قام بزيارة شبه جزيرة سيناء، ثم عاد إلى جزيرة قبرص، ومن هناك أخذ طريق العودة إلى أسبانيا، للمساهمة في الحرب التي تخوضها قشتالة ضد المسلمين في قرنطة^{١٤١}.

أبحر طافور من قبرص إلى جزيرة رودس، ثم رحل إلى القسطنطينية، وذهب إلى طرابيزون ثم إلى مدينة كافا Caffa، مركز تجارة الرقيق، ثم عاد إلى البندقية بعد سنتان من يوم عيد الصعود الذي بدأ فيه رحلته. وشاهد طافور البندقية وأخذ طريقه وسط أوروبا، مارا بإيطاليا والمانيا، وأخيراً عاد إلى إسبانيا في مارس أو أبريل ١٤٣٩ / ٨٤٣ هـ^{١٤٢}، واستقر في مدينة قرطبة، وأخذ دورا بارزا في الشؤون المحلية قرطبة، وظهر اسم طافور في سجلات قرطبة حتى عام ١٤٧٩م / ٨٨٤ هـ، ومات عام ١٤٨٤ تقريبا / ٨٨٨ هـ^{١٤٣}.

وسجل طافور ملاحظاته وشاهداته التي رآها خلال رحلته في الشرق الأدنى وأوروبا، منذ خروجه من أسبانيا حتى عودته، دون ذكر التراخي وأوقات زيارته للأماكن المختلفة التي زارها خلال رحلته، غير أن ذكره بعض الأحداث الهامة أمراً يسر تحديد قيامة هذه الرحلة. ذلك أن

وتقع الرحلة في تسع وعشرون فصلا ، بعضها منها ما سجله الرحالة عن أمر رحلته إلى مصر ، وتقع في ستة فصول من الفصل السابع إلى الفصل الثاني عشر ، وقد اشتمل هذا الجانب من البحث على العناصر التالية : رغبة طاغور في زيارة جبل سيناء ، رحيل طاغور من بيت المقدس إلى قبرص للحصول على مرود أمين إلى مصر ، توشحه مفوضا من حنا الثاني ملك قبرص إلى السلطان بربساي في مصر ، إعداده السفارة ، ووصولها إلى ميناء دمياط ، نزول طاغور في ضيافة كبار رجال الدولة ، مراسم استقبال السفارة ، الأغرراض الرئيسية للسفارة ، نجاح طاغور في أداء المهمة التي كلف بها ، مشاهداته في القاهرة ، حصول طاغور على إذن السلطان بزيارة دير سانت كاترين ، ومقابلته للرحالة التاجر البندقي نيقولو دي كونتي Nicolo de conti في سيناء ،^(٣٧١) الذي أمده بمعلومات وروايات عن الهند وثروات الشرق ، ثم زيارة طاغور لمدينة الإسكندرية قبل عودته إلى جزيرة قبرص .

وإلحقة أن طاغور كرحالة سجل لنا بقلبه كل ما وقعت عليه عيناه وشاهده في مصر ، وسجل كل ما يتعلق سفارته إلى مصر ، وهو ما لم تسجله المصادر الإسلامية التي نجت أوبينا . كما أشار إلى بعض الحقائق التاريخية بإيجاز ، من ذلك تسمية مدينة فاما جوستا بقبرص للجزيرة^(٣٧٢) ، وأسر المالئك للملك جاتوس لوزجان ملك قبرص ، بعد هزته في معركة خيروكيتا عام ١٤٢٦م / ٨٢٦هـ ، وانفقت روايته مع ما جاء في الرواية الإسلامية . وأخبرنا عن المهمة التي كلف بها موزين سواريس Mosen Suarez أميرال قبرص لاندرا ، الملك جانوس^(٣٧٣) ، وهو ما لم تشر إليه الروايات الإسلامية ، كما حدثنا طاغور عن القلعة والمالئك ، واستلقت نظره كثيرا أعداد المالئك المخصصة لحراسة القلعة ، وأشار إلى أنه أثناء زيارته لمدينة كاتا ، وجد هناك وكلا - سلطان مصر الذين يشرون العبيد ويوسلونهم إلى القاهرة حيث يسمون بالمالئك^(٣٧٤) .

ويبدو أن طاغور لم يتذكر أسماء بعض الشخصيات الهامة التي التقى بها خلال رحلته ، فلم يرسم اسم ملك قبرص ولا اسم سلطان مصر .

وما نجد الإشارة إليه هنا أن طاغور لم يحدد تاريخ سفارته إلى مصر ، ولا مدة إقامته بها . ولكنه ذكر أنه شاهد ارتفاع مياه النيل وقت الفيضان في شهر سبتمبر ، وقت أن كان بمصر . وسجل أن الرحلة من ألبان إلى قبرص القديمة Paphos القديمة) بقبرص إلى دمياط استغرقت أحد عشر يوما ، ويقفي في ضيافة وإلى دمياط ثمانية أيام ، وحدد أن الرحلة بالنيل من دمياط إلى القاهرة استغرقت سبعة أيام ، وأقام عند كبير مترجمي السلطان عدة أيام ليرى مقابلة السلطان . كما سجا

إشارته في مستهل رحلته إلى حملة كونت نبله علي جبل طارق وملقاته المرت غرقا تحدد أنه أبحر من أسبانيا في أواخر سنة ١٤٣٥/ ٨٢٦هـ ، إذ أنه شرع في رحلته قبل موت الكونت هنري ، الذي حدث في مستهل عام ١٤٣٦م . ثم يشير في موضع آخر إلى إبحاره من البندقية إلى الأراضي المقدسة يوم الاحتفال بعيد الصعود ، وذلك يوم ١٧ مايو عام ١٤٣٦م . ثم كان في القسطنطينية حين أبحر الإمبراطور حنا الثامن بالسولجوس صاحب القسطنطينية (١٤٢٥-١٤٤٨م) إلى أوروبا ، بخصوص توحيد الكنيستين ، وكان ذلك في نوفمبر عام ١٤٣٧م . ثم عاد طاغور إلى مدينة البندقية التي غادها منذ عامين ، ويعني ذلك أن عودته إليها كان في مايو ١٤٣٨م^(٣٧٥) .

وقام طاغور فيما بين أعوام ١٤٥٣ و١٤٥٧م ، بتفحيص ومراجعة مذكرات رحلته ، التي سجلها

بلغة المحلية القشتالية ، وأهداها إلى دون فرناندو دي قزمان Don Fernando de Guzman ، قائد صناعة فرسان قلعة رباح Calatrava^(٣٧٦) ، ثم ترجمت وطبعت بديره في سنة ١٨٧٤م ، حين قام الأديب الأسباني ماركوس خيمث في لا إسبادا Marcos Jimenez de la Espada (المترجم) عام ١٨٩٨م بنشرها لأول مرة باللغة الأسبانية تحت عنوان :
(Andancas e Viajes de Pero Tafur por diversas Partes del mundo avidos (1435-1439) ، أي : رحلات ومشاهدات ببرد طاغور لأجزاء مختلفة من العالم (١٤٣٥-١٤٣٩) ، وظهرت في الجزء الثامن من مجموعة الكتب الأسبانية النادرة ، واستخدم الناشر المخطوطة الوحيدة المعروفة في مكتبة جامعة القديس بارولوم Barolome Colegio mayor de S. ، بمدينة قرنتة Cuenca في ولاية شلمقة^(٣٧٧) . Salamanca . ثم نشرت ترجمة ألمانية عام ١٨٨٧م ، ثم ظهرت ترجمة كاملة باللغة الإنجليزية قام بها مالكونم ليسر عام ١٩٢٦م ، والتي قدم لها مقدمة استعرض فيها تفصيل الرحلة ، وقد ترجمها عن الأسبانية وزودها بكثير من الحواشي ، ونشرت في مجموعة Travellers Broadway التي كان يشرف عليها سير دنيسون روس E. Denison Ross والاستاذة أيلين باوز Eileen Power بعنوان :

Pero Tafur, Travels and Adventures (1435-1439), translated and edited with an introduction by Malcolm Letts, George Routledge & Sons.Ltd., London, 1926.

أما الترجمة الكاملة الثانية فهي الترجمة العربية التي قام بها الأستاذ الدكتور حسن عيسى .
مخزون : رحلة طاغور في عالم القرن الخامس عشر ،^(٣٧٨)

وأصبحت فامايجوستا قاعدة بحرية جنوبية، مما جعل قبرص هي القاعدة الرئيسية لحركة القراصنة، حيث تم تكوين حلف عرف بعلف الدفاع المشترك، كان الغرض منه تقديم المساعدة لأية قوة أوروبية تحتفظ للقيام بأعمال قرصنة ضد دولة المالبيك^{١٢٩}. وأضمت أعمال القرصنة في شواطئ دولة المالبيك، وكان جانوس دعتت يشجعون هذه الاعتداءات. ولم تكن أعمال القرصنة من جانب القبارصة فقط، بل شارك فيها قراصنة من مختلف الجنسيات، استخدموا مداخل وظهجان جزيرة قبرص كقواعد لهم في عمليات للقرصنة على السواحل المصرية والسفن الإسلامية، كما أن للقبارصة كانوا يشعرون بالضيق للتهمة والأسرى من القراصنة^{١٣٠}.

واستمرت أعمال القرصنة المتقطعة خلال الفترة الممتدة من عام ١٤٠٤م/٨٠٧هـ حتى ١٤١٤م/٨١٧هـ، وسمى السلطان المؤيد شيخ العمودي ١٤١٢-١٤٢١م / ٨١٥-٨٢٤هـ، إلى التفاهم مع الملك جانوس لوضع حد لتلك الانتهاكات. وبدأت مفاوضات الصلح بين القبارصة والمالبيك، وعقد الصلح بين الطرفين في مدينة نهقوسيا في نوفمبر عام ١٤١٤م/شعبان ٨١٧هـ، وتمهد الملك جانوس بالأل يسبح للقرصنة بدخول جزيرته، وألا يرسل قراصنة للإغارة على الشام. كما وعد بعلم إمداد القراصنة بالذن من جزيرة قبرص، ولا يشترى القبارصة الفتيحة النهبية^{١٣١}.

ورغم عقد الصلح بين الطرفين إلا أن عمليات القرصنة ظلت مستمرة من جانب القبارصة. وفي عهد السلطان الأشرف برساي، تكررت غارات القراصنة من قبرص على الشواطئ المصرية والشامية، والتعدي على متاجر المسلمين، وانخذت تلك الغارات شكلا خطيرا هدد أمن وتجارة المالبيك في البحر المتوسط^{١٣٢}. وحاول السلطان برساي تجديد المعاهدة المنعقدة بين المالبيك والقبارصة عام ١٤١٤م/٨١٧هـ، ولكن بدون جدوى، فالتقارصة لم يرشوا في عقد الصلح، لأنهم اعتادوا على الإغارة على شواطئ المالبيك لسلب والتهب، واعتقدوا أن حرص المالبيك على الصلح، ليس معناه سعى ضعف السلطان وخوفه، واستعروا يعثرون في البحر قسارا^{١٣٣}. واحتج برساي ضد نقض الصلح، وهدد بالانتقام، فأجاب الملك جانوس متعديا وأرسل سفينتين استولوا على سفينة محملة بالهدايا مريلة من السلطان الأشرف برساي، إلي السلطان مراد الثاني العثماني ١٤٢١-١٤٥١م/٨٢٤-٨٥٥هـ، مما أثار غضب السلطان برساي، وقرر الانتقام من القبارصة، وتأمين تجارة مصر في البحر المتوسط. وأرسل ثلاث حملات متوالية ضد جزيرة قبرص^{١٣٤}.

الحملة الأولى، كان الهدف منها كشف حقيقة أمر القراصنة، والبحث عن منجزة البحر من الفرنج، والتأكد من معونة ملك قبرص للقراصنة المعتدين على السواحل والسفن المصرية

طافور أنه مكنت في القاهرة ما يهرب من الشهر بعد انجاز مهمته. وورد عند الحديث عن الرحلة من القاهرة إلى سيناء أنها استغرقت خمسة عشر يوما في وقت اشتهت فيه العبارة، وظلها رحلة العودة، وقضى في سيناء عدة أيام ولعل خسة عشر يوما، ثم مكث شهر في القاهرة بعد عودته من سيناء، واستأذن السلطان في الرجوع، وغادر القاهرة إلى رشيد بالنيل، ثم اتخذ الطريق البري إلى الإسكندرية، ولم يشر إلي مدة هذه الرحلة، وقضى في مدينة الإسكندرية ثلاثة أيام، ثم سافر برا إلى دمياط، وبقي فيها ثمانية أيام منتظرا وصول السفينة التي تنقله إلى قبرص.

وعلى ذلك يرجح أن طافور قضى في مصر ما يزيد عن أربعة أشهر، تقريبا لمدة من أواخر مايو إلى أوائل أكتوبر عام ١٤١٧م / ذو القعدة ٨٤٠- ربيع الثاني ٨٤١هـ، ثم أبحر من دمياط إلى الباق. وقضى بقبرص عدة أيام ثم أبحر إلى رودس ومنها إلى القسطنطينية.

وقدما يتعلق بالموضوع الثاني ويخص العلاقات القرصية المصرية قبيل السفارة، فبعد أواخر القرن الرابع عشر الميلادي / الثامن الهجري، دخلت جزيرة قبرص دور الضعف والانحلال وغدت الجزيرة فريسة لمناقصات الجنوة والبنادقة، الذين حصلوا على امتيازات تجارية عديدة في قبرص، وطعموا في امتلاك قواعد ثابتة في الجزيرة لتكون مراكز لنشاطهم التجاري، فقام الجنوة بإرسال حملة استطاعت أن تستولي على فامايجوستا في أكتوبر عام ١٣٧٣م / ٧٧٥هـ. وأرناخذ الملك بطرس الثاني ١٣٧٢-١٣٨٢) وزوجته وعده حنا الوصي عليه أسرى إلى جنوة، ويقول طافور: «وقد ولد أبو الملك الحالي هناك في ٢٠ مارس، وسمى «جانوس» نسبة إلى مولده في جنوة»^{١٣٥}. ثم أطلقت جنوة سراح الملك والوصي نظير الاعتراف باحتلالها فامايجوستا. فضلا عن قذبة كبيرة (أكتوبر ١٣٧٤، وأزادت المناقصة بين جنوة والبندقية، اللذان فرضا سيطرتهم على معظم أنحاء الجزيرة، وصارت الجزيرة مسرحا للقتل والحراصات^{١٣٦}.

ويعد وفاة الملك بطرس الثاني بدون وريث، تولي الملك جيمس الأول عرش قبرص (١٣٨٢-١٣٩٨). وكان ذلك حدثا واقعا تحت السيطرة لجنوة، التي أتت به من جنوة ليتولى عرش قبرص، واستغلالا لهذا الموقف حصلت جنوة على مكاسب وامتيازات تجارية جديدة، ثم قام الملك جانوس لوزحان ملك قبرص، بمحاولات فاشلة لاسترداد فامايجوست من الجنوة عام ١٤٠٢م/٥هـ، و١٤٠٤م/٧هـ. وسرعان ما وصل أسطول جنوي أرغمه على رفع الحصار. لأن المدينة مفتوحة على البحر^{١٣٧}.

الغزاة في أسطول كبير من ميناء الإسكندرية في يونيو ١٤٢٦م / شعبان ٨٢٩ هـ، ورسد الحملة على الساحل الجنوبي لجزيرة قبرص، وحاصر المسلمون قلعة ليماسول واستولوا عليها وهدموها، وقتلوا كثيرا من كان بها من الفرنج، وعلم المسلمون أن جانوس صاحب قبرص قد جمع جيشا كبيرا واستعد لقتالهم، وأنه أقام بمدينة نفوسيا^{١١١}، فلبسوه بأن يدخل تحت طاعة المالك، ولكنه رفض وقتل الرسول وأحرقه^{١١٢}، فبلغ المسلمين الخبر، فساروا من ليماسول في يوم الأحد ٧ يوليو ١٤٢٦م / أول رمضان ٨٢٩ هـ، وقد ساروا فرقتين، فرقة في البر، وفرقة في البحر، ثم سار الجند في البر حتى صاروا بين ليماسول واللاحة، وإذا هم بالملك جانوس قد أقبل في جموعه، فاصدا خيروكينا Chierochida الواقعة في الشمال الشرقي من ليماسول، وعسكر في سهل متسع استعدادا للقاء المسلمين، وضع توغلهم داخل الجزيرة، حتى صار الجيشين وجها لوجه، فكانت بينه وبين المسلمين معركة شديدة في خيروكينا - على ثلاث أو أربع أميال جنوب شرق لايناكا Lamaka - انتهت بهزيمته ودوقته في الأسر، ووضع المسلمون في حراسة الأمير تغري بردي المحمودي، وأودعوه بعد ذلك بمراكبهم^{١١٣}، كما أسر المالك عدة من فرسانه من بينهم مؤيد سواريس، وأبين أخي صاحب الكنيلان الذي جاء نجدة له، كما قتل عدد كبير من النصارى من بينهم هنري أمير جالبل Henry of Galilee شقيق ملك قبرص، وانهزم بقية الفرنج، وكثرت الغنائم بأيدي المسلمين^{١١٤}، ولا شك أن الجيش القبرصي كان بنفسه النظام والتدريب، كما قوت الروح المعنوية للجنود بأخبار سقوط ليماسول^{١١٥}.

واجتمع عساكر البر والبحر من المسلمين في اللاحة، ثم سار الأمير تغري بردي المحمودي على رأس جنده من اللاحة نحو نيقوسيا التي تقهر إليها الجيش القبرصي، في حين ظل الأمير إينال المهكمي على رأس السفن باللاحة، لحفظ جانب البحر. وفي ذلك الوقت وصلت السفن القبرصية لقتال المسلمين، ولم يعلموا ما وقع للملك من الأسر ولعسكرو من الهزيمة، فللاهم الأسطول الإسلامي ودارت معركة بحرية بين الطرفين على مقربة من اللاحة في ١٦ يوليو ١٤٢٦م / ٥ رمضان ٨٢٩ هـ، انتهت بهزيمة الفرنج، وقتل عدد كبير منهم وفرار بقية مراكب الفرنج في البحر. وتوجه المسلمون إلى مدينة نيقوسيا حتى دخلوها، وأخذوا قصر الملك. بينما كان هيردي لوزجنان Hugh de Lusignan أسقف نيقوسيا، شقيق الملك جانوس، قد فر منها عندما سمع بتقدم المسلمين نحو العاصمة، واتجه إلى مدينة كرينيا Kerynia^{١١٦}، بعد أن أخذ معه حنا ابن الملك جانوس وابنته وما استطاع حمله من الأموال والتحف الملكية^{١١٧}، وروى الرحالة طاهر أن

والسورية، فأرسل السلطان برسباي عدة سفن بها جيش إلى قبرص في أغسطس عام ١٤٢٤م / رمضان ٨٢٧ هـ، وصلت إلى ليماسول^{١١٨}، ونجحت في تخفيف هدهدها، وعادت محملة بالغنائم والأسرى^{١١٩}.

وشجع هذا النجاح السريع السلطان برسباي في إعداء الحملة الثانية برسم الجهاد، وأخذ في تجهيز الغزاة، وأعد أسطول مكون من أربعين سفينة وشحن بالمتضوعين، وخادرا ساحل بولاق، ميناء القاهرة علي لائيل - إلى دهباط ومنها إلى مدينة طرابلس - وأعلنت السفن الإسلامية إلى جهة الماغروسة، ووصلوا إليها في أغسطس ١٤٢٥م / رمضان ٨٢٨ هـ، وقد أظهر أميرها الجزري طاعة السلطان، ورفع المسلمون التزمية السلطانية على القلعة، ونشلت خطة ملك قبرص في مواجهة المسلمين في البر والبحر، وكشفت هذه الحملة للسلطان برسباي عن ضعف جزيرة قبرص، وأقنعه بأن يقوم بحمل حاسم ضدها^{١٢٠}.

وقدر برسباي إرسال حملة ثالثة إلى قبرص في العام التالي، وأخذ يجهز المجاهدين لغزو قبرص بهدف إخضاع الجزيرة نهائيا. على أنه تويح أسباب أخرى دفعت برسباي إلى إرسال حملته منها، تشجيع الرئيس فاضل^{١٢١} على غزو قبرص، والذي قدم إلى السلطان عام ١٤٢٥م / ٨٢٨ هـ، وحسن له غزو الفرنج، وأخير السلطان عن نهب القراصنة للسرامل المملوكية وشراء القبارصة للبطانيع المنهوبة، وأخذ السلطان في التعبئة لفرنهم ثانيا^{١٢٢}، وذلك فضلا عن تحريض وتشجيع الجزيرة للسلطان ضد قبرص وملكيها، لأنهم لم ينفروا لجاتوس مهاجمة قماماجوستا ومحاولة استردادها منهم، وأخير الجزيرة السلطان بأن ملك قبرص نس قوات كافية لمجارتها، فضلا عن ذلك، وفق كايكوباد Kaikobad أمير العلاء Aiyav بالشاطن اجترسي لأسبا الصغير، موقفا عنانيا من ملك قبرص، وأخذ يرسل الرسل إلى السلطان برسباي بالقاهرة يخون عليه فتح الجزيرة^{١٢٣}، يضاف إلى ذلك ما وصل إلى سميع السلطان برسباي من أن جانوس ملك قبرص راسل ملوك الفرنج يستنفرهم على الصربيين، واستجدهم ضد المسلمين، فأرسل كل منهم له نجدة، وأرسل ملك الكنيلان ابن أخيه على رأس عدة سفن وفرسان^{١٢٤}، بينما لم يجد جانوس استجابة من البندقية، التي رفضت تقديم أي معاملة، وبعثت البنادقة من المشاركة في الحرب، حرصا على العلاقات التجارية مع سلطان مصر^{١٢٥}.

ولما تكاملت عمارة الأسطول، عين السلطان برسباي من الأمازيغ تغري بردي المحمودي مقدم عسكر البر، والأمير إينال المهكمي مقدم عسكر البحر، حتى لا يعارض أحدهما الآخر^{١٢٦}، وأقلع

إلى وهن بضائعهم لإكمال المبلغ المطلوب^{١٧١١}. إلا أن سداد هذه القروض تأخر كثيرا، وظلت حكومة أيدنكية تطالب بها على مدى عشرين عاما فأكثر^{١٧١٢}.

ولم تحقق إجابة الحكام لنداء المساعدة بصورة واضحة، فساهم الروادسة في مساعدة قبرص بمبلغ ١٥٠٠ ألف دركات، اقترضوها من البنديكية باسم طبقة الفرسان الحربية، وأرسل قائد اللطيفة الحربية المبلغ مع معونه الذي وصل قبرص في نهاية ديسمبر ١٤٢٦م/ ٨٣٠هـ^{١٧١٣}. وعاد الرسل إلى جزيرة قبرص بما استطاعوا الحصول عليه من المال، فأخذ موزين سواريس مع بقية أعضاء المجلس القبرصي مبلغا من الذهب قدر بثلاثمائة ألف دركات، وذهبوا إلى مصر^{١٧١٤}. وأخذ السلطان برسباي المبلغ المتفق عليه عاجلا، وأطلق سراح الملك جانوس من سجنه بقاعة الجبل، ونزل إلى القاهرة في يناير ١٤٢٧م/ ربيع الأول ٨٣٠هـ، وأقام بهار أعدت له^{١٧١٥}. ثم أذن السلطان له بالرجل، وأصدر أوامره بتجهيز السفن اللازمة لحمله إلى بلاده. فسار جانوس صحبة رسل جزيرة رودس^{١٧١٦} الذين حضروا إلى حصر لعقد معاهدة صداقة تضمن السلام بينهم وبين برسباي، فساروا في النبل إلى الإسكندرية للسفر منها إلى بلاده^{١٧١٧}.

وعند وصول جانوس إلى الإسكندرية، طلب قرضا من التجار الفرنج المقيمين بها، ليوزع منه على حاشية السلطان، فأقرضوه المبلغ جميعه، وكان سبعين ألف دينار^{١٧١٨}. كما أظهر الملك عطشه على كبير مترجمي السلطان، وكان يهوديا اشيليا من أهل قسالة. لقا، ما أداه له وهو في أسره من الخدمات، وقد جرت عادة ملك قبرص أن يرسل كل عام إليه مبلغ مائتي دركات^{١٧١٩}. وغادر جانوس الإسكندرية في مارس ١٤٢٧م/ جصادي الآخرة ٨٣٠هـ، وأبحر إلى قبرص مع البهريون الروادسة^{١٧٢٠}.

وصل جانوس إلى قبرص ليجد الجزيرة في حالة من الفوضى والاضطراب نتيجة لما انتابها من فتن وثورات، فآثر بالقص على الكبير Alexio وأعداه^{١٧٢١}. وكانت أول أعمال جانوس أنه كافأ موزين سواريس على خدماته، فعينه قائدا بحريته، ووجه إحدى بناته غير الشرعية^{١٧٢٢}.

لقد باتت قبرص منهكة القوى نتيجة كارثة خيروكيتا، والمعارك التي دارت بين الجيشين القبرصي والمملوكي، وانتشار السلب والنهب في الجزيرة أثناء أسر جانوس، والعمليات الحربية التي قام بها جانوس ضد الجزيرة، بالإضافة إلى انتشار الأوبئة والجراد^{١٧٢٣}، لا شك أن هذا كله أدى إلى ضعف الجزيرة سياسيا واقتصاديا وعسكريا. وبالرغم من كل هذه الظروف، إلا أن جانوس

الملك [احت] كان قد هرب هو والكاردينال وعمه والسيدة إيسيس Lady Ines (أخت الملك جانوس) وكثيرون إلى مدينة كريتيا عندما وقع الملك جانوس في الأسر^{١٧٢٤}.

ثم عاد المسلمون إلى الملاحة، فأرأوا بها، ثم ركبوا البحر عائدتين بالأسري والغنيمه إلى الديار المصرية. وهكذا قررت معركة خيروكيتا مصير قبرص، وكان مشهد ملك قبرص الصليبي من آل لوزيان، وهو يمشي ذليلا والأصدقاء تكبله في شوارع القاهرة، إعلانا بنهاية المواجهة العسكرية بين قبرص ومصر^{١٧٢٥}. ووضع جانوس في مكان أعد له بالحوش السلطاني من القلعة^{١٧٢٦}. واستهجا بهذا الانتصار، أمر السلطان برسباي بأن تخلق خوة ملك قبرص فتكازا علي باب المدرسة الأشرافية التي تم بناؤها عام ١٤٢٦م/ ٨٢٩هـ^{١٧٢٧}.

وبعد بضعة أيام، أرسل السلطان برسباي في طلب القدية من ملك قبرص لإطلاق سراحه، وتقرر الصلح على مائتي ألف دينار^{١٧٢٨}. يدفع نصفها عاجلا، والنصف الآخر بعد عودته إلى بلاده، وأن يبدع عشرين ألف دينار جزية سنوية، وتقرر الحال معه بعد ذلك أن يكون جانوس نائباً عن السلطان في قبرص^{١٧٢٩}. ويحدد الخوخ ابن حجر نوعية الجزية المفروضة على الملك جانوس، فيقول: « وأن يغرر عليه لبيت المال في كل سنة ألفي ثوب صوف ملونة قيمتها قريب من عشرين ألف دينار»^{١٧٣٠}.

ولكي يستطيع جانوس تأدية المبلغ المتفق عليه عاجلا من القدية، والحصول على حريته، وافق السلطان علي أن يرسل موزين سواريس إلى قبرص لجمع المال اللازم، ثم يعود بالقدية، أو على الأقل يعود هو نفسه بدونها إن لم يستطع الوفاء بها، فذهب متنكرا في هيئة شاهي، ومن ثم اتبعه السلطان لس أهل الشام، وأذن له بالسفر^{١٧٣١}.

وصل موزين سواريس إلى قبرص ليجد الفتن والثورات سادت الجزيرة، وأعلن الثوار الكبير Alexio ملكا في نيكوسيا^{١٧٣٢}. وفي الحال ذهب موزين لقائبة أسقف نيقوسا شقيق الملك جانوس، وعرض الأمر. وبعد التشاور، تقرر إرسال بعض الفرسان إلى ملوك البلاد النصرانية وأمراتها طلبا لعونتهم في افندا، الملك، على أن يذهب موزين سواريس إلى الهيايا بروما، بينما كلف بحقوب جيرى Jacobo Guiri الفارس القشتالي بالذهاب إلى قسالة^{١٧٣٣}.

وطلب جانوس مساعدة البنديكية، فوافقت الحكومة على أن تقدم له جزءا من مبلغ ائديكية المطلوبة، وقد اقترض جانوس جزءا من هذا المبلغ من بعض الدباج البنادقية، واضطر بعض التجار

ثم أهدق عليهم الملك حنا الثاني الهنديا، فحصل عليهم سبع مائة ثوب صوف قيمتها عشرة آلاف دينار مما تأخر على أبيه. وأظهر خصم أربعة آلاف دينار أخرى. وبعد بحمل العشرة آلاف دينار الباقية بعد سنة. كما أرسل مع الوفادة السلوكية أربعون ثوبا من الصوف كهدية للسلطان بوسباي. وأرسل لكل من الرسل شيئا يلبي بقدرو. ثم عاد الرسل إلى القاهرة بعد عشرة أيام من نومهم إلى ليسانسول حاملين هدايا الملك القبرصى. وسر السلطان بوسباي بإجابة ملك قبرص بالسبع والطاعة^{١١٧٢}. وكان قد أشيع بصر أن ملك قبرص خرج عن طاعة السلطان، وبتع الجزيرة^{١١٧٢}. وطلب القبارصة من السلطان أن يكون عندهم نائب من جهته، فأرسل إليهم أميرا وبمه أربعون مملوكا^{١١٧١}.

وسجلت الموليات الإسلامية، فقدم الحمل من قبرص إلى مصر على العادة في كل سنة^{١١٧١}، مما يفيد أن الملك حنا الثاني استمر يدفع الجزية للسلطان بانتظام حتى عام ١٤٣٦م/٨٣٩هـ. ويبدو أن تراكم الديون على جزيرة قبرص، والأعباء المالية المفروضة على الملك حنا كدفع الجزية السنوية لمصر، وضيافة رجال السلطان المكلفين بتحصيلها، والهدايا الشخصية لهؤلاء المندوبين المماليك والسلطان وحاشيته، بالإضافة إلى انخفاض قيمة الأقسفة القبرصية في القاهرة^{١١٧١}، لا شك أن كل هذا كان يسبب ضغوطا مالية على الجزيرة، وصار دفع الجزية السنوية أمرا شاقا.

ولكني يقى حنا الثاني بالدين الذي عليه لمصر أمر بأن يلتزم بالضريبة الأمتصاص الذين يطلق عليهم اسم Veneti-alba (معملا، البندقية) إذا كان لهم ممتلكات في الجزيرة، وأن هؤلاء الأشخاص شريفون، جعلوا أنفسهم في حماية البندقية، وأنهم بهذه الصفة يستحقون ما تنتج به البندقية من امتيازات، وخطي ذلك فقرض الضريبة عليهم انتهاك لحصانة بمنح بها البنادق، ومن ثم أهدت الجمهورية على ضرورة أن يستردوا المبالغ التي سبق أن دفعوها. وعينا حذول الملك أن يوضح أن رجال الدين (الأكاثروس)، ورهانية القديس يوحنا، والجنيون أنفسهم، وكلهم معاقون من الضرائب بحكم القانون، وهم مع ذلك يسهمون في دفع الجزية، ولكن الجمهورية رفضت الاستماع إلى حججه^{١١٧١}. وفي ظل هذه الظروف، قرر الملك حنا الثاني أن يرسل سفيرا إلى مصر للتفاوض في شأن الجزية السنوية المفروضة على قبرص.

انتقل الآن إلى الموضوع الثالث من هذا البحث وهو المتعلق سفارة طاغور من قبرص إلى مصر عام ١٤٣٧م/٨٤٠هـ.

ظل حتى وفاته محافظا على عهد ليرسباي، كما حرص على دفع الجزية السنوية للسلطان، فأرسل إليه خمسون ألف دينار في أكتوبر ١٤٣٧م/محرم ٨٣٩هـ، فأمر السلطان بوسباي بخصمها دانير أشرفية^{١١٧١}، فظهرت بقلة الجبل، تحت إشراف^{١١٧١}.

وفي العام التالي، قدم الحمل من جزيرة قبرص وفيه ثمانمائة ثوب صوف، فحصلت إلى دمشق وبعث هناك^{١١٧١}. واستغر جانوس على ولاته للسلطان، يرسل الجزية شيئا بعد شيء إلى أن أكمل ما أرسله خمسة وسبعين ألف دينار حتى وفاته في يونيو ١٤٣٧م/ذي القعدة عام ٨٣٥هـ، واستمرت جزيرة قبرص تؤدي الجزية لمصر حتى نهاية عهد المالك عام ١٥١٧م/٩٣٣هـ.

خلف جانوس ابنه حنا الثاني، بدأ حنا حكمه تحت ميثاق وصاية عمه بطرس دي لوزجانان Peter de Lusignan، وعنه الكاردينال هيو Hugh، الذي حكم قبرص خلال فترة أسر جانوس في مصر^{١١٨١}. وسجل طاغور أن الملك حنا الثاني شابا في السادسة أو السابعة عشرة من عمره، على جانب كبير من الإدراك والفهم لا يتكافأ مع صغر سنه، ووصفه بأنه شديد المرح، قوى البنية والتزكيب الجشاني، وأربع ما يكون في ركوب الخيل^{١١٨١}.

وفي بداية حكم الملك حنا، أرسل السلطان بوسباي وفادة عسكرية إلى قبرص في يوليو ١٤٣٢م/ذي الحجة ٨٣٥هـ، تتكون من ستون مملوكا مع بعض الأمراء، ومعهم خذعة للملك حنا باستقراره في مملكة قبرص، عوضا عن أبيه، ونياية عن السلطان، ومطالبته بما تأخر على أبيه، وهو أربعة وعشرون ألف دينار، وما التزم به في كل سنة، وهو خمسة آلاف دينار^{١١٨١}.

وقد وردت تفاصيل هذه الوفادة في الموليات الإسلامية، فتروي أن الرسل المبعوثين إلى قبرص وصلوا إلى اللاذقية في سبتمبر ١٤٣٢م/محرم عام ٨٣٦هـ، في سبئتين، وبار أضيائهم في البر إلى مدينة نيقوسيا دار مملكة قبرص، فتلقاهم وزير الملك حنا في وجوه أهل دولته، ثم دخلوا المدينة، ودخلوا على الملك جوان في قصره، فأوصلوه كتاب السلطان بالتمه والرسالة، فأذعن وأجاب بالسبع والطاعة، وقال: «أنا مملوك السلطان وغائب عنه وقد كنت على عزم أن أرسل التقدمة، فبلغتني قديومكم فأمسكت عن ذلك^{١١٧١}». وطلبوا منه أن يحلف على طاعة السلطان، فأجابهم إلى ذلك، واستدعى القسيس، وحلف على النوايا والاستمرار على الطاعة، والقيام بما يجب عليه من ذلك، فأقبض عليه الشريف السلطاني المجهز له على يد كبير القوم، فلبسه، وأعلن في المدينة باستمرار الملك حنا في نيابة السلطنة، ثم أنزلت الرسل في بيت قد أعد لهم، وأجرى لهم ما يليق بهم من المأكول^{١١٧١}.

فلما جاء وقتها فيه يادرا في الحال بتكذيب رعم القارية، وعلم طاغور لو أن التركيين قد قالا غير ما قالا لكان مصيره القتل^{١١٠٠}. يبدو أن المقدرية اعتقدوا أن طاغور كان جاسوسا كلاجيا. ويرجع هذا التصرف من جانب المغاربة إلى الأضرار التي لحقت بهم من القراصنة الكيبلان في عام ١٤٠٨م/٨١١هـ. عندما أقلت إحدى سفن الكيبلان بعض التجار التونسيين من ميناء الإسكندرية، للعودة إلى بلادهم، فاقبضوا بهم إلى برشلونة واستولوا على بضائعهم وأموالهم. ثم باعواهم في أسواق الرقيق^{١١٠١}. كما استولى القراصنة الكيبلان على إحدى سفن المغاربة من ميناء الإسكندرية عام ١٤١٦ / ٨١٩ هـ. وسبب استمرار الكيبلان في عمليات القراصنة على سواحل مصر والشام. أمر السلطان برمباي في عام ١٤٢٤م / ٨٢٧ هـ. بإيقاع الحوطة^{١١٠٢} على أموال تجار القريخ في الإسكندرية ودمياط وبلاد الشام، واختم عليها، واعاقبتهم عن السفر إلى بلادهم حتى ترو القريخ ما أخذوه من المسلمين^{١١٠٣}. وفي عام ١٤٣٦ / ٨٣٩ هـ. أمر السلطان بإخراج القريخ القبيح بالإسكندرية ودمياط وسواحل الشام فأخرجوا بأصعبهم، وحظر السلطان على الكيبلان أن تطلأ أقدامهم بأرض بلادهم^{١١٠٤}.

أخذ طاغور يسجل كل ما رآه في مصر، فذكر أن مدينة دمياط تقع على مصب أحد فرعي النيل على البحر المتوسط، على مسافة فرسخ ونصف فرسخ من البحر، وهي غنائل شديدة في ضفافها، وأنها حافلة بالأطعمة والكروم وشتى أنواع الفواكه. وهي مدينة منبسطة غير مسورة وليست بها قلعة^{١١٠٥}. ورأى فيها طاغور لأول مرة الحمام الزاجل، وتحدث عن أهليته وبرعته في نقل الأخبار^{١١٠٦}. كما تحدث طاغور عن نهر النيل وفرع، وشاهد ارتفاع مباد النيل وقت الفيضان في شهر سبتمبر، ويقول: «نظرو المياه في شهر سبتمبر. وقت أن كنت هناك. وتغير النظر كله»^{١١٠٧}. وشاهد كميات كبيرة من السمك، ووصف الطراز السائد في بيوت دمياط. والتي كثير بوجود فتحات تطل ناحية النهر حتى سهل جمع المياه وحتى يمكن للأسماك أن تدخل خلال هذه الفتحات فتطفو على الأرض وسهل صيدها^{١١٠٨}.

ووصف طاغور ماء النيل فقال بأنها «أحسن ماء. في الدنيا وكأنه ماء الجنة. ولم أشرب طويلا زارني سوى هذا الماء، على الرغم من أنه كان في استطاعتي الحصول على النبيذ الجيد»^{١١٠٩}.

بينما قال ابن بطوطة في وصفه لنيل مصر: «ونيل مصر يفضل أنهار الأرض عدوية مذاق، وأساع نطير، وعظم منعمة، والمدر والقرى بضائبه منتظمة. ليس في المصور مثلها»^{١١١٠}.

في الوقت الذي كان فيه الملك حنا الثاني يتكبر في إرسال سفير إلى مصر، وصل إلى قبرص الرحالة القشتالي بيرو طاغور فادما من الأراضي المقدسة، ذهب إلى مدينة نيقوسا لمقابلة الكاردينال أنخ الملك جانوس للحصول على عهد أمان للرحلة إلى مصر، وزيارة جبل سيناء^{١١١١}. واجتمع طاغور مع العمالة الملكية بقبرص، وأخبرهم عن سبب رحلته إلى قبرص، وأطلبهم على وسائل تركية من الملك خوان الثاني ملك قشتالة إلى كورنيال قبرص، وقد حضر هذا اللقاء، موزين سوريس أمير أسطول قبرص، والذي كان قشتالي الأصل، واستضاف طاغور، وقص عليه وقائع أسره وأمر الملك جانوس في عصر حني بإطلاق سراحهما^{١١١٢}.

ولما علم الملك حنا برغبة طاغور في الذهاب إلى القاهرة وزيارة جبل سيناء، انتهر تلك الفرصة وعرض عليه أن يكون سفيرا من قبله إلى سلطان مصر ليحث أمر الجزية، وقبل طاغور أن يقوم بذلك المهمة، وبذلك حصل على إذن بالرحلة إلى مصر^{١١١٣}. ويبدو أن خطابات التبركية التي يحملها طاغور من الملك خوان الثاني ملك قشتالة كانت من عوامل اختياره لأمر السفارة، وعرف الملك حنا أن طاغور كان فارسا شجاعا يميل إلى روح المخاطرة، وأدرك أنه مفكرا دقيقا، خيرا بالشئون السياسية والتجارية، ولتح في شخصيته وهيبته ما يؤهله للقيام بمهمة السفارة إلى مصر.

أعد الملك حنا سفينة لتقل السفارة إلى مصر، مجهزة بالثوية الوفيرة وهدايا السلطان، وأبحر طاغور يرافقه مترجم الملك حنا الثاني، من بلدة ألبان إلى مصر. ووصلت السفينة إلى ميناء دمياط بعد أحد عشر يوما. وقام الخراسي الكليلي بالثيما باصضحاب طاغور إلى وإلى دمياط، الذي أصغر تعليماته بإنزاله في بيته حتى تتم الإجراءات الضرورية^{١١١٤}. لأن السفارة لا تستطيع مغادرة الإسكندرية أو دمياط قبل الحصول على إذن من السلطان بالقادم إلى القاهرة^{١١١٥}.

وقد حرصت الدولة المملوكية على أن يظل السفير وأعضاء سيارته في ضيافة كبار رجال الدولة لقطع السبل عليهم ومنعهم من الاتصال بمن قد يهدم بالمطومات أو الأضرار التي تخص الدولة أو التي قد تؤثر على سير المفاوضات، وذلك حرصا على سرية المفاوضات من ناحية، ومن ناحية أخرى الخوف من أن تكون تلك السفارة من الجواسيس^{١١١٦}.

ويرى طاغور أنه أثناء إقامته بدار وإلى دمياط قدم بعض المغاربة وأدعوا أنه كتلامي، ولديهم البيعة على ما ينعون، ومن ثم استقدموا سببين تركيب للشهادة على صحة دعواهم،

إليه وأطلقه عليها، ثم أعادها إليه. وقد جرتعادة علي أن يطلق السلطان علي الرستل التي يحطها السفير قبل مقابلته، حتى يمكنه إعداد الجواب عليها^{١١٧٢}.

وفي اليوم المحدد لقابلة السلطان برسايي للسفارة، أرسل القرم في إعداد البواب لتقبل السفارة إلي قصر السلطان، وسجل طاغور وصفا للطريق المؤدي إلى القلعة فيقول: « فخرجنا عند بزوغ الشمس إلى قصر السلطان، وتمكنا قبل وصولنا إليه من أن نصيب حظا من الضمان والشراب ونحن في الطريق، إذ يخرج الباعة حاملين الخبز وعليها الطعام للطبخ، وأخرون يجمعون النافكة، وسواهم الماء إلى غير ذلك من الأشياء الكسيرة، ووصلنا إلى المسجد الجامع وهو بناه رابع بسنفت النظر، ثم جئنا إلى ميدان فسبح يبيع بالفريسان واختم الجهوز بالسلاح»^{١١٧٣}.

ولما وصلت السفارة إلى باب مقام السلطان، تركت الدواب، وصعدت للرج إلى المدخل، ويقول طاغور: « بأنه دهليز كبير الحجم، والشوارع مكثفة بالسائبة ما بين رابع وغاد من مكان إلى آخر، وعلمت أن هؤلاء هم المماليك الذين نسميهم نحن بالمفبرين الأعلاج renegade barbarians ممن يشترتهم أسلطان نقيا من منطقة البير الأسود ومن جميع الأماكن التي يتجمع فيها المسيحيون، فإذا وصلوا إلى هذا المكان اعتنقوا الإسلام وطرح القوم في تعليمهم الدين، ويتكلمهم علي ركوب الخيل والفرسية والرمي بالقوس، ويخصمهم ونس الأطباء، ويخزي عليهم الجوامك^{١١٧٤} والجرايات»^{١١٧٥}.

وسجل طاغور وصف الطريق إلى فاعة أسلطان مارا بأبواب وساحات وبيادين خاصة بالكثير من الفريسان، والزنوج وأيديهم الكهراوات، حتى وصل إلى ميدان فيه خيمة فغمة كبيرة قد بولغ في زيتها، أعدت كي يتناول السلطان فيها غذاء ويقم فيها نلق، من يجشون لتحيته، كما أقم علي مقربة منها فسطاط ومصطبة عالية عليها مقعد يتواء السلطان^{١١٧٦}، وتما لتعليقات كبير مترجمي السلطان، انظر طاغور في وسط هذا الميدان، حتى خرج السلطان علي ظهر جواده، وقد تقدمه قرابة مائتي فارس، ثم جلس السلطان علي المقعد المخصص له^{١١٧٧}.

ويلاحظ هنا أن وصف طاغور لقلعة جبل بلاق ما جاء في الروايات الإسلامية^{١١٧٨} وكذايات الرحالة الذين زاروا مصر، وما سجله سمرالدول الأروبية، ومن ذلك ما ذكره السفير القلورنسي برنكاكشي Brancacci الذي وفد إلى مصر سنة ١٤٢٢ م / ٨٢٦ هـ، لعمل اتفاق تجاري مع السلطان برسايي، فوصف المراحل العديدة التي مر بها حتى توصل إلى مقابلة السلطان. ذلك

وشاهد طاغور التصاميح التي تعيش في النهر بكثرة، وعلم أنها تخاف من الهاموس، وأخبرنا أن هذه النواحي من دمياط كانت خالية من الجسور، وأن القرا، لمجزهم عن استنجار القوارب، كانوا يعمرون مخاض^{١١٧٩} المياه أثناء الفيضان فوق ظهور الجواميس خوفا من التصاميح. كما وصف طاغور طريقة صيد التصاميح، وكيف أن صائديها كانوا مسحوبها إلى الشاطئ وحطرتها ويمسرون بها في الطرقات وهي مينة بلفسرون الصدفات من التماس^{١١٨٠}، شأنهم في ذلك شأن أهل قنينة حون يقتلون الذناب^{١١٨١}.

مكث طاغور في بيت دمياط ثمانية أيام، حتى أذن له السلطان بالعودة إلى القاهرة، وغادر دمياط إلي القاهرة عن طريق النيل، في سفينة أعدها الولي لهذا الغرض، ووصفها طاغور بأنها طويلة طول الأثرية^{١١٨٢} الكبيرة، ومجهزة بالمحركات التي تمتد عبر أنحاء السفينة، ولها صنادل منسفة حتى تستطيع السير في المياه الضحلة، وتحمل كثيرا من المحملة، ومجهزة بقلع طويل يبلغ طول قلاع الشواني^{١١٨٣}، مثانة الشكل، ولكن إذا عاكسها التيار فلا بد أن يحطها الرجال بحمال من الشاطئ حتى تستطيع مواصلة سيرها رغم أنها تصير بالأشعة والجداديف، وكان علي هذه المركب طيرول ثلاثة لإخافة التصاميح وإبعادها عن طريق السفينة، إحداهما في المقدمة والثانية بالوسط والثالثة في مؤخرة السفينة^{١١٨٤}. وذلك لتوفير الحماية الكاملة للسفارة أثناء الطريق^{١١٨٥}. وبعد سبعة أيام وصلت السفينة إلى مدينة القاهرة ووست عند مينائها علي النيل، حيث يوجد سوق الغلال، وأكثرت السفارة حميرا وصفها طاغور بأنها « مجهزة خبير تجهيز بالبراذع واللحم، وهي سريعة جدا في سيرها»^{١١٨٦}، كما استأجرت معها رجلا ليطلب علي الطريق إلي بيت كبير مترجمي السلطان^{١١٨٧}.

استقبل المترجم السفارة بالترحاب، وأثرها في دارة حتى يحلد السلطان موعد القابلة، وسلمه طاغور الرسائل التي يحملها من الملك حنا الثاني، يدفع إليه مبلغ مائتي دركات أرسلها إليه ملك قبرص استجابة لوصية والده التي نصت علي إعطائه هذا القدر من المال مدى الحياة، وقيمت السفارة بدار المترجم يومين. ولما عرف المترجم أن طاغور فشبالي الأصل أشبيلي الولد، أخبره أنه ولد هو الآخر بأشبيلية، ودوح طفلا عنى نزلها، إلا أنه حمل صغيرا إلي بيت المقدس مع أبيه وكان يهوديا، لكنه أسلم حين مات أبوه، وكان اسمه في بداية الأمر « حاييم Haym»، أما الآن فيدعي « Saym x Saym»^{١١٨٨}. وقدم له لترجم خلال إقامته عنده الكثير من العلويات التي تساعد عند مقابلته للسلطان، وتناول المترجم الكتب التي أعرضها طاغور للسلطان وعملها

الموسمي عن العزف، فقبل الرسول الأرض وقدم مطالبه إلى «السلطان»^{١١٤١}. وأثناء قراءة الرسالة يشير السلطان إلى السفير بالجلوس، وكان يجلس حيث يده الحاجب، فإذا تطلب الأمر رجوع السفير إلى الخلف فيكون ذلك بظهوره حتى لا يدهر ظهره إلى السلطان^{١١٤٢}.

وبخبرنا طاقور أن السلطان استفسر منه عن ملك قبرص وعمه الكرويتال وكذلك عن صوزين سوريس وآخرين من رجال المملكة. وكانت مطالب الملك حثا الثاني تلخص فيما يلي:

ألا يرسل المساليك كل سنة . كمألوف عاده . لجميع تجزيرة لأنهم يكتفون الملك نفقات بهضة .

أن يعث الملك الجزية إلى السلطان في مدى أربعة أشهر . وأن يقبل السلطان الجزية علي شكل عينك [شمالات] *١١٤٣ camilets* بالفضن الذي تقدر بد في القاهرة .

كما يرجو الملك حثا أن يأذن له السلطان ببيع ملحه^{١١٤٤} الذي كان مصدر دخل كبير في بلاد الشام . دون أن يدفع ضريبة علي ذلك البيع^{١١٤٥} .

وأجاب السلطان برسائي بقول منمنسات الملك حثا الثاني . وأصدر تعليماته بتوفير سكن مريح للسفارة وكل ما يلزمها . ففعلوا ما أشار به . ثم أعطي طاقور في ذلك اليوم . علي مالوف عاده . خلعة قوقية لملك قبرص كمظهر من مظاهر تيمنه للسلطان . وهي عبارة عن ثوب أخضر زيتوني وأحمر فد حلي بالذهب . ونور سمور^{١١٤٦} .

لقد نجح طاقور في تحقيق المهمة التي كلف بها . وحصلت قبرص على إعانات جرمكية علي بحارة الملح في بلاد الشام . والاقتصاد في نفقات ضيافة المساليك المكلفين بتحصيل الجزية من قبرص . وأن تدفع قبرص الجزية السنوية عينا وعلي ثلاثة أفاط .

وأخبرنا طاقور أن القضاء في الجزائ كان ينفذ في حضرة السلطان . وكان هذا هو السوم الذي يجلس السلطان فيه للحكم بين الناس . وهذا يطابق ما جاء في المجلات الإسلامية . يجلس السلطان بالإيوان الكبير بالقلعة انسي « دار العدل » للنظر في المظالم . وإقامة العدل في الرعية . وقد خصص يوما أو يومين في الأسبوع لهذا الغرض^{١١٤٧} . وفي ذلك السوم شهد طاقور تنفيذ حكم قضائي علي مسلم . فيقول : « بينما كنت هناك دخل ما يقرب من مائة رجل ومعهم مسلم طرجم . أرضا وأختوا في جلده وضربه بالمعصي ماتني ضربة علي بضنه وكفنيه »^{١١٤٨} .

أنه بدأ بمقابلة الدوادار^{١١٤٩} . وقدم له خطاب اعتساده . فقابلته بترحاب . وبعد ذلك قابل كاتب السر ليعتق من شخصه . فقابلته بنفس الأسلوب . وأخيرا حدد له يوم لمقابلة السلطان . فبكر برانكاشي بالدعاب إلى القلعة في ذلك السوم . وهناك أخذ يمر بين صفوف لا تنتهي من المساليك والأمرأ . حتى وصل أخيرا إلى القاعة الفسيحة التي يجلس فيها السلطان^{١١٥٠} .

ومن الطريف أن يصف طاقور فرس السلطان - والذي أهده له أحد أبناء دوادار - فيقول : وأنه حصانا أسود بطرز زركش^{١١٥١} . كما حلي السرج واللجام بالذهب . وكان في فروس السرج بالقوة يقال إنها تزج دينايا ونصف دينار مصري وتبلغ في الحجم حجم البرتقالة . كما كان في فروس السرج الخلفي ثلاث بالقرنات يحجم بضفة الدجاج . وسيف أحدي بساوي ذهبا كثيرا . أما ما يتحلي منه فكان من الحرير اللعشقي الأبيض الحلي بطرز من اللاكز الغالية^{١١٥٢} . لا شك أن هذا الوصف يدل علي شدة ثراء بعض طبقات المجتمع المصري في عهد السلطان برسائي .

وقد فرصت الدولة الملوكية آدابا وقائلا معينة لمقابلة السلطان . بتعين علي أي سفير اتباعها والالتزام بها بعد أن يتلقاها عن التريصان وكبار رجال الدولة . إذ كان ثراما عليه أن يخفي أمام السلطان فرود مشاهدته له ويقبل الأرض ثلاث أو أربع مرات . وفي كل مرة يتم فيها التقبيل يرفع يده إلى شفتيه ويبيته دلالة علي الإحترام . ثم يقف ألسفير علي مسافة حوالي عشرين خطوا . ويخرج السفير الرسالة من خاضرته ثم يقبلها ويصلها إلى جيبه . ثم يسلمها للمهندار^{١١٥٣} . الذي يسلمها بدوره إلي السلطان . الذي يفضها ويدفع بها إلي كبير مترجمه لقراءتها^{١١٥٤} . وفي رواية طاغور ما يؤكد هذه التراسم التي زوده بها كبير المترجمين .

وقدم طاغور بتقبيل الأرض قبل اقترابه من السلطان برسائي . ثم أخذ كبير المترجمين الرسائل التي يحملها طاغور من ملك قبرص . ومن بها رأس روم طاغور . تعبيرا عن التحية . ثم رفعها للسلطان . ولما كانت هذه الرسائل مكتوبة بلغة أجنبية ففد قرأها عليه بالسنان التركي . إذ لا يوجد أحد في البلاط يتكلم غير هذه اللغة^{١١٥٥} .

وكذلك نعمل برانكاشي فذكر أن السلطان كان مترجما في صدر القاعة التي يجلس فيها . يحيط به عدد كبير من الأمراء المدعجين بالسلاح . وفي أركان القاعة بعض المثندين والموسيقين يعزفون في هدو . علي مختلف الآلات الموسيقية . وقبل برانكاشي بيسير في تلك القاعة متجه نحو السلطان حتى أصبح علي مقربة خمس وعشرين ذراعا منه . وعندئذ أمر بالوقوف وكفت

أخذت السفارة الطريق إلى محل إقامتها، ولقت نظر طاغور أنه وجد الميدان الفسيح قد حلى
من كانوا به من عبدة القوم ومن الحميم، ولم يبق به سوى الفقرا - وبأيديهم الغرابيل ينخلون الرمال.
وهم من الزعر الذين جاؤا بالشمسون شيئا من الفئات الساكط علي الأرض من ذلك الجمع الكبير
من الرجال^(١١٤١).

أرسل طاغور رسالة السلطان برسباي إلى الملك هنا الثاني في السفينة التي نقلته من قبرص،
وكانت واسية بدمياط حين انتهاء السفارة من مهمتها، علي أن تعود إليه في مدى شهرين
لتنقله في رحلة العودة إلى قبرص، وقرر أن ينهب أثناساها إلي دير سانت كاترين علي جبل
سينيا^(١١٤٢).

سكث طاغور بالقاهرة مدة تقرب من الشهر بعد إرساله رسالة السلطان إلي الملك، شاهد
خلالها كثيرا من الأشياء، والغرائب العجيبة علي حد قوله، وكان يصحبه كثير الترجسين، الذي
كان مرنداً له، وسجل مشاهداته وكل ما وقعت عليه عيناه في القاهرة. فذهب إلى القرية، وهي
من الأماكن المقدسة المسيحية. وذكر أنها علي بعد فرسخ من المدينة، ووصفها بأنها بمستان ضخم
مصدر بحافط، ولبيها الحديقة التي ينمو بها البلسم (الهلسان)^(١١٤٣)، ويبلغ اتساعها قرابة ستين
أو سبعين قدماً مربعاً، وفيها تنمو شجرة البلسم التي تشبه كريمة بلغت من العصر عامين^(١١٤٤).
ودجمه القوم في شهر أكتوبر^(١١٤٥)، حيث يأتي السلطان في احتفال كبير لجمع الزيت، وخيرها
طاغور أن المعصور منه لا يكاد يصل إلي نصف ميكال، ولكنهم يهدون إلي أخذ الفصون
وينخلونها في الزيت ويوزعون ذلك علي العالم باسم البلسم، ويشير طاغور إلي قسمة هذا المكان،
فيقول بأن شجر البلسم يورق بالماء الذي تدفق لسبب العذراء في هذه البقعة حينما فرت هي
وأنتها إلى مصر^(١١٤٦)، واستلقت نظر طاغور وجود شجرة تين ضخمة جدا خارج الحديقة، فوصفها
وصفا يدل علي ثقافته العينية فيقول: «تنتج تين فرعون، وهو أحمر اللون، وهي داخل الجذع
قجوة ضئيلة أشبه ما تكون بالكتيبة الصغيرة، ويقولون إن هذه الشجرة قد فتحت نفسها بنفسها
حيث اختفت بها سيدتنا وإبنتها حين كانا في خوف من إلقاء القبض عليهما^(١١٤٧)». وفي طريق العودة
إلى القاهرة، رأى طاغور حقائق كثيرة وبيوت الأثريا، الفخمة علي امتداد نهر النيل^(١١٤٨).

وفي اليوم التالي ذهب طاغور إلى «مخازن غلال يوسف Granaries of Joseph»، والتي
أثارت دهشته، وذكر أنها تقع في الصحراء علي بعد ثلاثة فراسخ من النهر، وأنه رأى منها ثلاثة
فقط علي الرشم من وجود الكثير من هذه المخازن داخل مصر. وسجل طاغور وصفا لها فقال:

« اثنتان كبيرتان وواحد صغير، وكلها مخروطية الشكل نمتها إلي أعلى، وهي أعظم ارتفاعا من
البرج الكبير باشيبية، وحينما يجاز المرء الباب يلقي حانطا منفصلا بآخر يتكون شكلا مخروطيا
يصل إلي القمة، وبه توافد عدة، فإذا كانت السواب محصلة بالتحلال صعدت، وألقت أثناساها من
خلال هذه الطاقات حتى تمتلئ المخازن إلى آخرها، ولبس من ذلك في أنني اعتقد أنه لا يوجد في
العالم اليوم مثل هذا البناء الهائل، ولم أر له شبيها من قبل أو بعده^(١١٤٩)».

والواقع أن ما ذكره طاغور في وصف مخازن غلال يوسف يطابق علي الأهرامات^(١١٥٠). ويوضح
القائسندى الأمر فذكر أن مدينة منف^(١١٥١) قد خربت وصارت كيمانا، وبها آثار شيان من الحجر
الكتان، يوجد تحت الروم علي القرب من أحجار الأهرام في العظمة والمقدار، وشرقي هذه المدينة
معالم سور ميني بالحجر الكتان، لونه لون الحجر، ويقال إنه سور الأهرام^(١١٥٢) التي بناها يوسف
عليه السلام لإدخار الخنطة في سبلها^(١١٥٣)، ويبدو أن طاغور ربط بين سور الأهرام والأهرام وأطلق
عليها جميعا مخازن غلال يوسف.

وشاهد طاغور في القاهرة القيلة وسجل وصفا لها يدل علي خبرته بعلم الحيوان، فوصف لونها
وجسها وأرجلها وأقدامها وعينها ورؤسها وخروطها الذي قدر طولها بسنة أشبار، ووصفها
بالذكاء فقال: «ويظهر أن هذه الحيوانات ذكية جدا، فهي مدربة علي القيام بالليل والألعاب،
وتعتمد في بعض الأحيان إلى علي خرافيتها بالاء، وتوش به أي شخص أراد، كما أنها تلعب
بالرصح وتقلقه في الجو ثم تسكده، كما تقوم بالألعاب الأخرى كثيرة^(١١٥٤)». كما ذكر طاغور كيفية
تضميد جروحها فيقول: «ويطدها سبيك جدا - وإذا جرحت وضعوها حيث يصرق ثمر عليها قسراً
في اليوم التالي^(١١٥٥)». وذكر أن الهنود يقيمون علي ظهورها قلاعا تسع ستة عشر رجلا، فإذا
خربوا للذئال كسوا أسنانها بالصلب، ويترعمون أن هذه الحيوانات تعيش عمرا طويلا^(١١٥٦). كما
شاهد الزرافة، ووصفها بأنها كبيرة كبر الوعل ويبلغ طول قدمها الأماميتين قاصدين^(١١٥٧)، أما
الخفاصان فلا تتجاوزان ارتفاعا، وهي مرقطة ذات خطوط بيضاء وصفراء، ورجلها طويلة
طول البرج، وهذا الخيوان يحمر طويلا^(١١٥٨).

وذهب طاغور لمشاهدة مدينة القاهرة، وذكر أنها مفسدة إلى ثلاثة أقسام، يسمي أولها
بحصن بابليون Greater Babylonia، والثاني بالقاهرة Cairo، والثالث بحصن Misra. وما
سجله طاغور في هذا الموضع يكاد يتفق مع ما جاء في الروايات الإسلامية، فذكر القائسندى في
حديثه عن قواعد مصر المستقرة أن لمصر ثلاث قواعد، قد تبارت واختلطت حتى صارت كالتقعدة

الواحدة. القاعدة الأولى (مدينة القسطنطينية): وهي المدينة المعروفة بين العامة بحصن واسمها القديم باب البيون، أو بالبيون. والقاعدة الثانية (مدينة القاهرة): وموقعها شمالي القسطنطينية على القرب منه. ويتبعها ثلاثة أميال. أما الآن فقد انتشرت الأبنية واتصلت العمارة حتى كانت المدينتان متصلتان أو متصلتان. أما القاعدة الثالثة (القلمنة): وعصر عنها بقلمنة الجبل وهي مقررة السلطان الآن ودار مملكته، وموقعها بين ظاهر القاهرة والجبل المقطم والقسطنطينية^(١٧٧٦).

وشهد طاقور مقياس النيل^(١٧٧٨)، وسجل طريقة قياس المصريين لمياه النيل، فقال: « وإلى جانب مدينة بالبيون، حيث يشقها النهر، تقوم في الماء ثلاثة أعمدة ذات خطوط مدينة وكتابات قديمة، فإذا كان أثقلت شهر سبتمبر، وقد ارتفع النهر، أقيم الحراس عليها، حيث يرقبون كل ساعة زيادة المياه في النهر، فيذكرون مقدار الارتفاع لثلاثين علي الأرض ينطلقون في المدينة كل ساعة، يعلنون في صوت عال مدى الزيادة في النهر، فإذا بلغت الزيادة أقصاها عرف الناس إلى نبي حد يستطعمون بشر الحبيب، وعسا إذا كانت السنة خصبة أم مجيبة،^(١٧٧٩). وأدرك مدى أهمية النيل في حياة مصر والمصريين.

وفي ذكر النيل قال الرحالة ابن بطرطة: « وأول ابتداء زهاده في حزيران وهو يونيو، فإذا بلغت زيادته ستة عشر ذراعاً ثم خراج السلطان، فإن زاد زراعاً كان الحصب في العام والصلاح التام، فإن بلغ ثمانية عشر ذراعاً أضر بالضياع، وأعقب الوباء، وإن نقص ذراعاً عن ستة عشر نقص خراج السلطان، وإن نقص ذراعين استسقى الناس، وكان الضرر الشديد^(١٧٨٠) ».

وفي الصحاحية القديمة من مدينة بالبيون، رأى طاووس كثير من البيوت الرائعة والمدائن المتناثرة، وكثرة الزروع حتى علي الشرفات، والأشجار الضخمة، كما وجد العديد من الكهول والصهاريج مخزن مياه النيل^(١٧٨١).

ووصف ابن بطرطة مصر في رحلته وصفا جميلا فقال: هي أم الدنيا... المتناحية في كثرة العمارة، المتباهية بالحصن والتضاروة، مجمع الزوار والصادر، كما قال: « وعلي ضفة النيل عما يواجه مصر الموضع المعروف بالروضه، وهو مكان التروحة والتفرج، وبه المساقين الكثيرة الحسنة^(١٧٨٢) ».

وصحل طاووس وصفا لموكب السلطان عند خروجه لممارسة الرياضة، ورأى السلطان في موكب رائع، وحوله أكثر من خمسة أو ستة آلاف فارس والعديد الكثير من البراة والفهود. وشهد سلطان

الماليك وأمراؤه يلعبون الكرة، ورأى الميدان الفسيح الذي لعبوا فيه كان مقسماً ومخططاً بخطوط بيضاء، وعلي جانبي الميدان عدد كبير من فرسان المالك يط كل منهم مضرباً، وفي وسط الميدان كرة، ويهجم الجميع علي الكرة في وقت واحد، ويحاول كل جانب اجتذاب الكرة إلى جانبه، فإذا تمكن أحد الجانبين من دفعها عبر الخط كان هو المنتصر. وقد حاول أحد اللاعبين في هذا اليوم إعاقة ابن السلطان فاستغل سيفه وحاول قتل خصمه، فحدث إذ ذلك هرج شديد لم يهدأ حتى جاء السلطان وصرقهم^(١٧٨٣). وفي هذا الصدد يذكر الفقهني أن السلطان يلعب الكرة بعد صلاة الظهر والأمرام، ثم ينزل فيستريح، ويستمر الأمرام في لعب الكرة إلى آذان العصر^(١٧٨٤).

ذهب طاووس بصحبة المترجم إلى القصر السلطاني لمقابلة السلطان لمنسما منه الإذن بالذهاب إلى جبل سيناء، واستجاب السلطان على أن يصحبه أحد مترجميه، وأمدده ومن معه بثلاثة جمال، ودخل طاووس ومرافقيه من القاهرة إلى سيناء، عبر الصحراء، التي وصفها بشدة الحرارة والجفاف الشديد الذي يحتفظ الميت من التحلل، وخطوها من الطرق والمسالك، ولا حياة فيها. وذكر أن الرحلة كانت شاقة ومعروفة بالمخاطر، ويستعين القوم في اجتيازهم إليها بالبوصلة كما هو الحال في البحر، وأن الجمال هي وسيلة الانتقال في الصحراء. وبخبرتنا طاووس عن معالجة المصريين لمياه الشرب فيقول: « فقد كانوا يأتونني في كل صباح بحجرة ماء للشرب يعالجونه بمعالجة خاصة ويضعون به بنورا معينة تشبه القلب، فيصبح الماء، والحق يقال، صالحا كل الصلاحية للشرب، وقد جرت عادةهم أن يشربوا لي التصيف قبل تناول العشاء^(١٧٨٥) ».

استغرقت الرحلة إلى جبل سيناء مدة خمسة عشر يوما، وصل بعدها طاووس إلى دير سانت كاترين، ووصف الجبل بأنه شديد الارتفاع، ويقع علي بعد نصف فرسخ تقريبا من البحر الأحمر، وتحدث عن جبل سيناء وما يتعلق به من ذكريات دهبية، خاصة ما يتعلق بدير القديسة كاترين الواقع عند سفح الجبل، وذكر أن الجبل مكان مبارك، فقد كان البقعة التي تناول الله فيها موسى الأنوار، والتي يجلي له فيها في العليقة، وأنه المكان التي أمر الرب فيه موسى أن يضرب الصخر بعصاه فانتفجرت المياه التي لا تزال تتدفق إلى اليوم منتشرة إلى السفح^(١٧٨٦).

وأشار طاووس إلى الدير الأدنى، فقال أنه بناء دقيق يضم ذرية خسين أو ستين رجلا ما بين راهب وخدام، وبه كنيسة حنة البنا. قد أقيمت علي النمط البيزنطي، ويرقد جثمان القديسة كاترين تحت المذبح الرئيسي. كذلك يوجد بيت يحتوي علي جثث محتفظة ويقال إنها لفرسان زوارا ذلك المكان القسيس وقضوا نحيم به، أو أنها أجداد بعض فرسان الرومان حملوا بعد موتهم

واستفسر طاغور عن علاقة بريستر جون Prestre John^{١١٨١} ، وصلى سلطانه، فأخبره يقولون أنه كان حاكماً عظيماً يدين له الإنكليزيون عن يهودية الوثنية، وأن بريستر جون وقومه مسيحيون كاثوليك ، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن الكنيسة الرومانية ولا يخضعون لحكمها^{١١٨٢} . وأنه زار الكنيسة التي يرقد بها جسان القديس توما St. Thomas الذي بشر بالمسيحية بين الهنود ، وحدثه عن كراماته^{١١٨٣} .

كما حدثه عن محاولات بريستر جون في كشف منبع النيل، وروي يقولون قصة مؤداها أن بريستر جون أهد السفن وأخذ الرجال، وجهزهم بالطعام والوقود، وأمرهم أن يعودوا إليه بخير منبده، فسافروا وشاهدوا كثيراً من البلاد والشعوب الغريبة والحيرانات غير المألوفة، فلما استنفذ هؤلاء الرجال ما معهم من المؤن عادوا دون الوقود على ما جاؤوا من أجله. ثم أمر قومه بأن يأخذوا أطفالاً صفاراً منهم من شرب اللبن وشأهم على السمك النيئ حتى لا يهلكون إن عدم الطعام ، فلما اشتد عودهم وبلغ الرجال جهزهم بالقراب والسهالك، ونهاهم أن يعودوا إليه دون الحير القوقن، فانطلقوا مصعبين في النهر حتى بلغوا بحيرة أشبه ما تكون بالنهر في اتساعها، فقاوموا الشاطئ، فجاءوا في النهاية إلى فمحة تدخلها المياه فتابعوا سيرهم حتى وصلوا إلى سلسلة جبلية كبيرة شاهقة الارتفاع شديدة الانحدار، وبها فتحة واسعة يندفق منها الماء. وإلى جوار هذا الجبل وعلى اتصال به سلسلة أخرى تطاوله ارتفاعاً، ومسير على العين رؤية الماء وهو منحدر منها ، فاعتزم الرحالة أن يرسلوا أحدهم لتقرير الحير، غير أن الذي صعد الجبل رفض العودة أو حتى الرد على الأسئلة بعد أن شاهد ما بناخده، وإذا ذلك بعثوا بأخر فكان شأنه شأن سابقه، فلما رأى الآخرون ذلك، خلفوا هذين الاثنين وراءهم على الجبل بعد أن عجزوا عن ردسها، وعادوا سالكين للطريق الذي قدموا منه، وقصوا على ملكهم ما جرى^{١١٨٤} .

وبالرغم أن هذه القصة يغلب عليها الطابع الأسطوري والخيال، إلا أنها توضح مدى الاهتمام بتابع النيل، ويبدو أن يقولون نقل هذه الرواية عن الرحالة السابقين أو عن العرب، فهناك قصة شبيهة لها في الرواية العربية، كما يدل على أن نهر النيل قد نال حظاً مؤثراً بين مواضيع الأساطير العربية^{١١٨٥} .

ويذكر يقولون دي كوتشي أن بريستر جون كان يتقنيه على اللؤلؤ بيلاطه، مستمراً منه عن أحوال العالم المسيحي. وقد أتبع له أتباعاً، إقامته هناك أن يرى بريستر جون بنفذ مريز سفره، من قبله إلى الأسماء المسيحيين، وأن لا يسمع عما إذا كان بريستر جون قد تلقى أية أخبار منهم، إلا أنه رأى الاستعدادات التي اتخذها بريستر جون للوصول بجيشه إلى بيت المقدس^{١١٨٦} .

إلى البقعة المباركة. وأخبرنا أن الدير يشهد جزءاً كبيراً من دخله من بلاد السودان. وأن بطرك الإسكندرية يتخذ القاهرة مقاماً دائماً له، وهو الذي ينتخب البطريرك الذي يعين به إلى الهند^{١١٨٧} . كما يختار القيم علي دير سانت كاترين^{١١٨٨} .

ولما كان طاغور رجالة وتاجر، فقد حدثته نفسه بفكرة الذهاب إلى الهند، وعرض تلك الفكرة على قيم دير سانت كاترين، الذي عارضه ونصحه بانتظار وصول إحدى القوافل القادمة من الهند ومعرفته معنى إمكانية القيام بهذه الرحلة. وبعد أيام قليلة وصلت القافلة إلى ساحل البحر الأحمر الذي يبعد مسافة فرسخ عن جبل سيناء^{١١٨٩} . بصحبة التاجر البندقي يقولون دي كوتشي، وكانت تحصل من بلاد الهند جميع أنواع البهار واللؤلؤ والأحجار الكريمة والذهب والقطر والتبيل والبهارات والقطط، إلى جانب أشياء أخرى كثيرة، وكانت هذه التاجر، يحصل تصفها إلى القاهرة ومنها إلى الإسكندرية، والنصف الآخر يحصل إلى دمشق ومنها إلى ميناء بيروت، لتوزعها في أسواق العالم^{١١٩٠} . وربما كانت متاجر الشرق وخاصة تجارة التوابل التي كان لها أهمية كبيرة في أوروبا في ذلك الوقت، هي النافع الأساسي، ولما تفكر طاغور في السفر إلى الهند، ووجدته في سد حاجة أسبانيا من منتجات الشرق، والحصول عليها من مصادرها الأصلية^{١١٩١} .

وبعد لقاء طاغور مع يقولون دي كوتشي^{١١٩٢} ، والحديث بينهما بخصوص رغبة طاغور في الذهاب إلى الهند، تراجع طاغور عن تلك الفكرة، بعد أن أقنعه يقولون بالتخلي عنها. نظراً لبعد المسافة وجسامة المشقة وفداحة الخطر. وأخبره أن الإقليم تسكنه أجناس غريبة ليس لهم ملك طبيعي، ولا قوانين يخضعون لها، ولا أحكام يأتمرون بأمرهم. وأنه عاش في الهند أربعين سنة، واشتاق للعودة إلى وطنه بعد أن حقق حظاً كبيراً من الثروة. فأعد الرحلة إلى البحر الأحمر، وحصل على كتاب أمان من السلطان، وعند وصوله إلى مكة اعتنق الإسلام^{١١٩٣} .

قام طاغور بزيارة الأماكن المشرفة بينا، وشاهد البقعة التي دخل منها أبناء إسرائيل ليعبر حين كان فرعون في أعقابهم حيث جف البحر وأضحى أرضاً يابسة وانظر الماء شطرين^{١١٩٤} . ثم استأذن طاغور من قيم دير سانت كاترين وذهبه في الرحيل، وأهدوه شعار القديسة كاترين، وهو عبارة عن عجلة ذات أسنان ذهبية^{١١٩٥} . واتخذ طريقه إلى القاهرة صحبة أفراد القافلة. وخلال الرحلة أفضت طاغور لحكايات وتجارب يقولون دي كوتشي^{١١٩٦} ، الذي اشهر بغريب رواياته وتقصه عن عجائب المصحح الأسبوري. فحدثه عن الهند وزيارتها وعجائباتها، وعن التاجر الواردة من الشرق إلى ميناء جدة، وأخبره أنه رأى في الهند قوماً يأكلون خموم البشر، ويحوش غريبة الشكل، ويعطر المخلوقات الغريبة. كما حدثه عن براعة أهل الهند في فن السحر^{١١٩٧} .

التقتبالي كبير مترجمي السلطان^{١١٧١}. وسجل طاغور رواية طويلة سمعها من مضيفه، وهي قصة وقعت بين مولا السلطان وبين القرقصان التقتبالي بطرس الرندي *Pedro de la Randa*، الذي كان يتجيم في البحر، فأمرته سفينة إسلامية قرب سواحل ديباط، وعرض عليه السلطان اعتناق الإسلام. ويقتو عنه، ولكنه رفض، فأمر السلطان بقطع رأسه، وحمل المسيحيون جسده ودفنوه في كنيسة سانت مارتا بالقاهرة^{١١٧٢}. وهي رواية تكرر عن أعمال القرقصة التي استهدمت السواحل المصرية والتي كانت مثيرة لفتنة سلاطين الماليك وسخطهم.

قام طاغور بالتجول في القاهرة في وقتة نيقولو دي كوتشي وكبير المترجمين، وسجل المشاهد التي رآها في القاهرة، فتحدث عن سوق القاهرة، وقال إن أحسن وأبهى شئ برآء المرء في القاهرة هو سوقها الذي تعرض فيه كميات ضخمة من شتى البضائع الواردة من الهند، لاسيما الألبان والأحجار الكريمة والتوابل والمطبوخ والخمر والبضائع النيلية، وكل مشوم طيب الرائحة، وذكر أن سوق القاهرة يعتبر سوقا رئيسيا لجميع أنواع السلع الواردة من الهند والتي توزع في مختلف أنحاء العالم^{١١٧٣}.

درأى طاغور كثيرا من المشاهد الغربية في مصر، وسجل بعض الظواهر الاجتماعية التي استرعت انتباهه، فتحدث عن جماعة الصوفية التي أطلق عليها بالمجاذيب «أو الدراويش، وقد اشتهر هؤلاء الدراويش بأفعالهم الغربية التي تسبوا للدين، وشهد جماعة من هؤلاء الدراويش وقد حلقوا رؤوسهم وشعر حواجبهم كما أزالوا رموش أعينهم فبدوا في صورة مزعجة تشبه المجانين، ويؤمنون أن ذلك ضرب من التقوى والعبادة»^{١١٧٤}.

ويبدو أن هذه الطائفة من الصوفية هي التي تسمى القندرية^{١١٧٥}، الذين شاهد ابن بطوطة زاوية لهم في ديباط، وقال أن ديباط زاوية الشيخ جمال الدين الساوي، فدرة الطائفة المعروفة بالقندرية، وهم الذين يحلقون لحاهم وحواجبهم^{١١٧٦}. كذلك كانت لهم زاوية بالقاهرة خارج باب النصر، ذكرها القزويني في خططه، وقال أن الذي أنشأها هو الشيخ حسن الجوالقي القندري. أحد فقهاء المذهب القندرية^{١١٧٧}.

درأى طاغور بعض الرجال يشون وقد لبسوا القرون، وآخرون بلطفون أنفسهم بعمل النحل ويضعون الریش، ويحصل غيرهم أعدادا تنتمى بمصايح تتدلى منها الأضياء، وتبني البعض بالقسي والمسام، وهكذا يذهبون مناهب شتى^{١١٧٨}.

والحقيقة أن رواية نيقولو عن أسطورة برسترون تعمير عن الفكر القوطي الأوربي في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وعن مشروعات التعاون العسكري القوطي الأوربي ضد الماليك، ومحاربة استرداد بيت المقدس، وتزود السفراء، المغول في ملاقات الهابوية وملوك أوروبا وأمراؤها. ولكن ضعف أمل الاتحاد بين أوروبا والمغول ضد الإسلام، بعد أن أخذ الإسلام ينتشر بين المغول في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي، وانشغلت الدول الأوربية بأمورها الداخلية^{١١٧٩}.

وتحدث كوتشي عن بعض العادات والتقاليد المتبعة في الهند، مثل الهرم، وحرق الزوجة نفسها بعد وفاة زوجها، أما إذا جاء الزوجة أجلها أولا فلا إثم علي الزوج إن لم يحرق نفسه، وحبسهم في ذلك أن المرأة خلقت لخدمة الرجل ولم يخلق الرجل لخدمتها، فإذا مات الرجل وضما جسده في المكان الذي أعد لحرقه، وترقد الزوجة إلى جوار زوجها، ثم يضرمون النار في كليهما. وشم مكان آخر يمارس القوم فيه نفس العادة، ولكن مع شئ من الاختلاف، وذلك أنهم يأتون المرأة حين عقد الزواج عما إذا كانت تريد أن تحرق أم لا، فإن رفضت، كان عليها أن تقدم مهرا، فإذا مات بعدها يوما، وقت الحرق وضما مكانها غطا. وأسما، وتنازلت عن مهرا لورثة زوجها. ويقال أن مثل هؤلاء، قليلات^{١١٨٠}.

ويؤكد ابن بطوطة علي صحة هذه الرواية. عندما وصف بعض عادات أهل الهند، مثل إحراق النساء، فقال: «رأيت الناس يهرون من عسكرنا ومعهم بعض أصحابنا، فسألهم: عما الخبر؟ فأخبروني أن كانوا من الهنود مات، وأجبت النار لحرقه، وأمرأته تحرق نفسها معه. ولا احترقا جاء أصحابي وأخبروا أنها عاتقت الميت حتي احترقت معه»^{١١٨١}. ويذكر ابن بطوطة أن إحراق المرأة بعد زوجها عنهم أمر مرغوب فيه ولكنه غير واجب. ولكن من احترقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفا بذلك. ونسبوا إلى الوفاء. ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب، وأقامت عند أهلها ياتسة مئمة لعدم وفاتها، ولكنها لا تكو علوا إحراق نفسها^{١١٨٢}.

وعا سبق يتضح أن هذه القصص والحكايات التي سجلها طاغور عن نيقولو دي كوتشي فيها خلطا بين الحقيقة والخيال. وهي تشل أدب الرحلات، وتتمس بطابع الخيال والأساطير. ولكنها تعمير عن روح العصر وخیال العصور الوسطى، بروها الراوي ليهون مشقة التطريق حتى لا يشعر المسافر بالملل أو التكلل أثناء الرحلة. وقد يكون الزاوي سمعها أو خبر بها من الرحالة السابقين^{١١٨٣}.

وصل طاغور إلى القاهرة بعد رحلة استغرقت خمسة عشر يوما، وعاد للإقامة مع مضيفه

نقلته من قبرص، ومن أطرف ما يمكن أن يذكر هنا أن طاقور بعث إلى والي دمياط يسأله عما إذا كان لديه جلد تمساح سأله إياه، ملك قبرص، فقدم إليه جلد تمساح كان اصطاده حديثاً، غير أن رايحه كانت شديدة الكراهية^{١٢٧١}.

وأبحر طاقور من دمياط إلى قبرص، وروى بمدينة ألبان بعد سبعة أيام، ووصفها بأنها غير صحية، ووضي قدما إلى بلاط الملك حنا الثاني في نيقوسيا، واستقبل هناك بالحفاوة والتكريم^{١٢٧٢}. وفي صباح اليوم التالي، شهد ثورة علي، ملك قبرص، تهدف إلى قتل أو أسر أحد أصفهائه، وكان اسمه يعقوب جبوري الذي كان يتولى منصب القضاء، وحدثت ضجة كبيرة بين الناس، وهرب الملك إلى حصن في أحد أطراف المدينة يسمى بالقلعة، فعاصرها القاترون مطالبين الملك بحل صفيه من البلاط، فأقسم الملك على ذلك، ويرى بعد، فانفض الناس إلى بيوتهم^{١٢٧٣}. ولم يوضح طاقور سبب هذه الثورة، وربما يرجع ذلك إلى قساة القضاء القيرصي، حيث أن يعقوب جبوري، كان فارس فشتالي الأصل، ويشتد من ذلك اختلال أحوال الجزيرة، ووضعت شخصية الملك حنا الثاني.

وأخذ طاقور يستعد لرحلة العودة إلى أسبانيا، واستأذن ملك قبرص في الرحيل إلى جزيرة رودس، وروى الملك حنا بشعاره وبشر قطع من قماش وبر الجمال والتيل، وأعطاه فهدا ومقادير ضخمة من الزاد، وغادر مدينة نيقوسيا وبلغ كورنيا، حيث كان في انتظاره سفينة أعدت لنقله إلى جزيرة رودس^{١٢٧٤}.

ووصف طاقور قبرص بأنها غير صحية، فيقول: « بل يكاد يكون من المستحيل علي الغرب أن يعيش في مثل هذا المنظر المنكود، فكانت هذه العوامل وغيرها تختم علي العودة إلى قشتالة للمساعدة في حربها ضد المسلمين^{١٢٧٥}». بينما في موضع آخر من الرحلة يسجل طاقور إعجابه بمصر فيقول: « إن القطر صحي جدا، وكل ما فيه من هواء وما، وتخم طيب كهم^{١٢٧٦}».

وأسمر الملك حنا الثاني ملك قبرص يدفع الجزية السنوية لمصر، وظل على ولائه للسلطان المملوكي، رغم اختلال أحوال بلاده وانحلال أمرها وضعف موارد، كما ابتليت قبرص بأغارات الجهاد في صيف ١٤٣٨ هـ، وانتشر الوباء بالجزيرة ومات بسببه أناس كثيرين^{١٢٧٧}. وعندما أرسل السلطان جقمق (١٤٣٨-١٤٥٣ م/٨٤٢-٨٥٧ هـ) حملته الأولى والثانية ضد جزيرة رودس عام ١٤٤٤ م/٨٤٤ هـ، وعام ١٤٤٣ م/٨٤٧ هـ، مرت الغزاة بقبرص، فأكرم حنا وفادتهم وزودهم بما احتاجوا إليه^{١٢٧٨}. وأرسل الجزيرة وهي جملة أبواب صوب أرسلت إلى بيروت ومنها حنت على الدواب إلى القاهرة^{١٢٧٩}.

كما شاهد طائفة الحلاقين الذين يطوون في شوارع القاهرة وقد علقوا المرايا في رقابهم، وهم يرددون في الشوارع منادين علي صاعتهم. وكذلك بعض السود تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة وهم يسببون في الشوارع بصحرون: « من يريد الزبانة »، فاستقر طاقور عن حقيقة أمرهم، فعرف أنهم يقومون بخدمة النساء اللاتي لا يرغبن النظافة سرا في الحمامات العامة^{١٢٨٠}.

وقد أثار دهشة الرحالة أن لكل حاجة تجارها في الشوارع يسألون عما إذا كان ثمة من يحتاج إليهم، وفي ذلك يقول حتى إن الطباخين ليخدوون حنة وذهايا حاملين المواقد والتيرلان وأطباق المشمش الممددة للبيخ، على حين يحمل سواهم صحائف الفاكهة^{١٢٨١}. وكانت الأسواق الخاصة بالماكول والمشارب في عصر الماليك لا يمكن إحصاء ما فيها من أنواع الأطعمة، فضلا عما بها من الأشخاص، وساعد علي ذلك أن الناس في تلك العصور لم يظهر طبامهم في منازلهم، بل اعتادت الغالبية العظمى منهم شراء ما يحتاجون إليه من الأطعمة المظنية التي تفيض بها الأسواق والطرفات^{١٢٨٢}.

ورأى طاقور عددا كبيرا من السقائين يرددون ويحيون لبيخ الشاء التي يحملونها علي ظهور الجمال والخمير أو في القرب على ظهورهم، وذلك لكثرة عدد الناس ولا سبيل إلى الماء إلا من الشهر^{١٢٨٣}. ولدى ابن بطوطة عدة السقائين علي الجمال في مصر بأثني عشر ألف سقايا^{١٢٨٤}.

وتضخ من كتابات طاقور أن الخسر كانت وسيلة النقل في القاهرة، وصنفها بأنها أكثر المطايا لطفا وأحسنها منظرا وأسرعها في المشي، وهي أصحابها بنجويرها باللحم والبراذع^{١٢٨٥}.

غادر طاقور مدينة القاهرة بعد أن استأذن السلطان في العودة، واستأذن أيضا مضيفه كبير المترجمين، الذي حملة بالهدايا لا سيما فطرين هديتين وبخارين وبعض العطور وأشيا، أخرى، وركب السيل ونزل في رشيد، ومنها وصل إلى الإسكندرية، التي وصفها بأنها مدينة رائعة، وبأنها ميناء بحري عظيم، ومكان كبير لاستقبال النصارى القادمين والزاحدين علي السوا^{١٢٨٦}. وزار المكاتب القديمة للذين ولدت بأحدهما القديسة كاترين وأستشهدت في الآخر، ورأى فيه سردايا سد القوم بابه، ويقال إن به العجلة التي شدوها إليها^{١٢٨٧}. وأشار طاقور إلى أن بالإسكندرية وفرة من القصب يصنعون منه التيل الجيد^{١٢٨٨}. وتغر القريزي أن التيوب المنسوجة بالإسكندرية لا نظير لها، وتحمل إلى أقطار الأرض^{١٢٨٩}.

ثم سافر طاقور برا إلى دمياط، ومكث فيها ثمانية أيام في انتظار وصول السفينة التي

متاجر الشرق، هنا في الوقت الذي تعاني فيه قبرص من سوء الأحوال الاقتصادية والمالية، بالإضافة إلى النفقات الطائلة التي يتحملها ملك قبرص في الإنفاق على ضيافة مندوبين السلطان، وإرسال الهدايا للسلطان وحاشيته، مما أدى إلى نموه في دفع الجزية السنوية لمصر وسداد ديونه. ولذلك أرسل مفوضا عنه لبحث تجديد نظام الجزية.

النواحي الاجتماعية: ذكر طاغور علي الجوزي الاجتماعية في حياة المصريين، ووصف أهل مصر بالكرم والجود. وأشار إلى اهتمام سلاطين المماليك بجزء الكشف الطبى على المماليك الذين يشترهم السلطان فور وصولهم إلى مصر. واستلقت نظره بعض جماعات الصوفية، والباعة الجائلين، وأصحاب الحرف الصغيرة كالحلاقين، والضباخين، والسقائين. وكشف لنا جانباً من القضاء في مصر ووصفه بالقسوة، وسندل من كتابات طاغور علي أهية دور المترجم في العلاقات السياسية والتجارية بين مصر والعالم الخارجي، وتقع قنة كبار المترجمين ببعض الزايات ومنهم أملاكاً بالقاهرة.

كما سجل جانباً عن اهتمام المماليك بالصيد ولعب الكرة، ووصف اللعب وتخطيطه وتوزيع اللاعبين.

واخبرنا طاغور بعض العادات والتقاليد المتبعة في الهند، كما سجل لنا طائفة من الروايات والأساطير في معتقدات الهند وحياتهم الاجتماعية.

النواحي الجغرافية: سجل طاغور وصفاً للأماكن التي زارها في مصر مثل القاهرة ودمياط والإسكندرية، وقدم لنا بعض المعلومات الجغرافية عن الصحراء المصرية، والجفاف وأهيتها في حفظ الآثار المصرية القديمة، والرياح، وتحدث عن النيل وفرعيه. وأهيمته في حياة المصريين. كما وصف المدن القبرصية، وأشار إلى انتشار الطاعون في بعض نواحي قبرص، وقارن بين مناخ مصر ومناخ قبرص، وأبدى إعجاباً بمصر، بينما وصف قبرص بأنها غير صحية.

وسجل طاغور ما شاهدته من مزارات دينية في مصر، وما يرتبط بها من ذكرى دينية يهودية ومسيحية، كما تحدث عن كرامات بعض القديسين والشهداء.

وبعد هذا العرض، يمكن القول بأن سفارة الرحالة طاغور إلى مصر عام ١٤٣٧م/١٨٤١هـ، أوضحت لنا جانباً من الدبلوماسية الملكية تجاه السفارات الراقدة إلى البلاط الملكي، فأخبرنا بكثير من المعلومات والإجراءات التي اتبناها المماليك مع سفارته منذ نزوله ميناء دمياط حتى مغادرته إلى جزيرة قبرص، خاصة فيما يتعلق براسم استقبال السفارة، وتحديد مكان نزولها، وتوزيع الأمن والأمان لها، وقواعد البروتوكول السلطاني، والآداب والتقاليد التي يتبناها السفير عند مقابلة السلطان، والتبويد التي وضعت علي السفارة، والجهد في الموضوع هو المعلومات التي سجلها طاغور عن أمر سفارته إلى مصر، قد لا نجد القليل في المصادر المعاصرة. والواضح أن المعلومات التي أوردتها تبدو سلبية في أغلبها. والحقيقة أن طاغور نجح في تحقيق الهدف من سفارته، وحصل علي موافقة السلطان برسباي في شأن تجديد نظام دفع الجزية المقررة علي قبرص، والحصول علي إعفاءات جبركية علي تجارة الملح القبرصي في بلاد الشام.

وسجل الرحالة طاغور كل ما سمعه أو خبر به أو شاهده أثناء سفارته في مصر، وأمدنا بمعلومات عن مصر والمجتمع المصري في عصر المماليك، وعن جزيرة قبرص، ننصف في أغلبها بالحقيقة والوضوح، بعضها يتفق مع ما جاء في الروايات الإسلامية المعاصرة، وبعضها يتفق مع ما جاء في روايات الرحالة والسفراء الذين وفدوا إلى مصر، وتتضح أهمية هذه السفارة في عدة نواحي:

النواحي السياسية: كان إخضاع جزيرة قبرص للسيادة المملوكية نتيجة حصبة لعمليات القرصنة ضد سواحل المماليك. وثقل سفارة طاغور من قبرص إلى مصر مرحلة هامة من مراحل العلاقات المصرية القبرصية. كانت فيها جزيرة قبرص من حصلة بلاد السلطان، وتؤكد ولا، ورفاء ملوك قبرص للسيادة المملوكية، وحرصهم على دفع الجزية بانتظام، وقدم لنا طاغور حقائق تاريخية تتعلق بهزيمة وأسر الملك جانيس ملك قبرص، وشروط وكيفية إطلاق سراحه، والتزام ملوك قبرص بتلك الشروط. وهي تتفق مع ما ورد في المصادر الإسلامية، والجديد هنا ما سجله طاغور عن مومنين سوارس - أحد أتباع الملك جانوسوفورجيه من مصر متذكراً في هيئة شامي، معرفة السلطان برسباي، وذهابه إلى جزيرة قبرص، لتدبير المبلغ المطلوب لغدية الملك جانيس وإطلاق سراحه من مصر. ومن جهة أخرى، أخبرنا طاغور بمعلومات تتعلق بالملك حنا الثاني ملك قبرص، كشفت عن شخصيته والأحوال السائدة في الجزيرة. ورغم ما قدمه طاغور لنا من معلومات إلا أنه لم يشر إلى الأحوال السياسية والاقتصادية السائدة في مصر وقت سفارته.

النواحي الاقتصادية: كشفت السفارة عن تراء مصر وأهمية موقعها وموانئها في استقبال

7- Pero Tafur, *Travels and Adventures (1435-1439)*, translated and edited with an introduction by Malcolm Letts, New York, London, 1926, p. 1

8- Randy Sandoval, *General Introduction, Pero Tafur: Travel of a Fifteenth Century Knight*, Juice, 2002, p. 1.
static.chass.colostate-pueblo.edu/history/seminar/tafur/sandoval.htm

١١- رحلة طايفور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة وتقديم الدكتور حسن عيسى، القاهرة، ٢٠٠٢، المقدمة، ص ١-٢ م.

Ramirez de Arellano, R., *Pero Tafur*, p. 276

٩- سان لوكار دي باراميدا Barrameda San Lucas de Barrameda ، يقع ميناء سان لوكار في شمال غربي قادس، في الجنوب الغربي من إسبانيا. عند مصب نهر الوادي الكبير Guadalquivir ، واسترد الفونسو العاشر ملك تشالام مدينة سان لوكار من المسلمين عام ١٢٩٤، وأصبحت خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين واحدة من أهم الموانئ التجارية التي تربط ساحل الأطلنطي بالبحر المتوسط.

Wikipedia Encyclopedia, en.wikipedia.org/wiki/Sanlucar=Barameda

١٠- طليغية Galicia، كان العرب يطلقون هذا اللفظ على طليغية Galicia و Leon وقسم من قشتالة القديمة، وكانت كورة طليغية تشتمل على أعمال كثيرة منها شقوبية ولينون وديوش وتبلونة، محمد الفاسي، *الأعلام الجغرافية الأندلسية*، مجلة البنية، السنة الأولى، العدد الثالث، المغرب، يوليو ١٩٩٢، ص ٢٩.

١١- جبل طارق Gibraltar، يقع عند الجزيرة الخضراء، وجبل طارق مرسى مكن من كل ريح، وكان أحد خلفاء نبي عبد المؤمن كمر بينا، مدينة علي جبل طارق، فندب إليها البنانين والتجارين وقطاع البحر للبيان والجهار من كل بلدة، وظلت فيه للتمية، واتخذ فيها الجامع وقصرا له، وقصورا محاوره لبيته، وأقطع أعبان وجوه البلاد فيه منازل، وسميت مدينة الفنج، ثم جاز إليها في سنة ١١٥٦هـ/١١٧٠م، بروفسال، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢١.

١٢- نبله Niebla، تقع في غرب الأندلس، ولها سور منيع، وتجرها بأنها من ناحية الجبل، ويجاز عليه في قنطرة إلى لبله، وبينها وبين البحر المتوسط ستة أميال. ويعني Niebla في الإسبانية الضباب، بروفسال، *المصدر نفسه*، ص ١٦٨-١٦٩، محمد الفاسي، *المرجع نفسه*، ص ٢٩-٣٠.

١٣- لبيد من التفاضيل، أنظر، محمد عبد الله عثمان، *المرجع السابق*، ص ١٦١.

١٤- طايفور، الرحلة، ص ١-٣.

الهوامش

١- قبرص ١ قبرص) تسمى باللغة الرومية شيرة Chypre ، وقبرص اسم النحاس لأن بها معدنه، والبحر يحيط بها مائتي ميل، والجبل أربعة آلاف ذراع، والتراخ أربعة وعشرون إصبعاً، والقرص بهذا الجبل ثلاثة أميال، وجزيرة قبرص من الإقليم الرابع من الإقليم السبعة، وفيها من المدن العريقة: النسران ومدينة القاب والمغروسة، والأفصية وهي سنتر الملك، وهي في وسط الجزيرة والبياني في السراجل، وسيرة جزيرة قبرص سيرة أيام شمس الدين المنطق، كتاب نخبة الدر في عجايب البر والبحر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨، ص ١٦٠-١٦١؛ أبو العباس، *المنجم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، ج ١٤، قدم له وعلق عليه محمد حنين شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٢، ص ١٢٣-١٢١.

٢- الجزيرة: في اللغة مشتقة من مادة اج ز ي، والجمع جزية، وهي ما يؤخذ من أهل التمه. مختار الصحاح، ج ١، ص ٤٤، يقول القزويني: ولما الجزيرة، تعرف في زنتا بالجزالي، القزويني، *خطط القزويني*، ج ١، فيل البحر للطبخ والنشر، عن طيبة بولاق، ١٣٧٠ هـ، ص ١٩٩، والجزالي، هي ما يؤخذ من أهل التمه من الجزيرة القوية على رقابهم في كل سنة، ابن عاتق، *كتاب قوانين البوادين*، جمعه وحققه عزيز سوريال حقيف، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، ١٩٩١م، ص ٣١٧، القائلندي، *صحح الأعرابي في صناعة الإرتسا*، ج ٣، القاهرة ١٩١٤، ص ٤٦٢-٤٦٣.

٣- طايفور، رحلة طايفور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة وتقديم الدكتور حسن عيسى، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٩٤.

٤- Ramirez de Arellano, Rafael, *Estudios biograficos Pero Tafur, Boletín de la Real Academia de la Historia*, tomo 41 (1902), pp. 273-274

٥- جيان، مدينة بالأندلس، بينها وبين بياض ستون ميلا، رجان في سفح جبل عال جدا، ولصحتها من القصب الموصوفة بالمصانيد، الحموي، صفة جزيرة الأندلس، متخية من كتاب الروض المطار في خبر الأقطار، نشر ليلى بروفسال، القاهرة ١٩٣٧، ص ٧٠-٧١.

٦- في بلاد الفترة لمضطرة من تاريخ غرناطة، تكرر الإغارات والحروب بين قشتالة وغرناطة ثم التهادن والسلم بينهما، وكثيرا ما سعى ملّاين غرناطة إلى عقد الهدنة مع قشتالة وتجهدها، وتوالى على حكم غرناطة بعد وفاة السلطان أبو الفجاج يوسف الثالث (١٤٠٧-١٤١٧م/ ٨١٠-٨٢٠هـ) عدة من الأمراء الضعفاء، وفي ولاية السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن نصر الملّك والأمرس لليرة الثالثة (١٤٣٧-١٤٤٢م/ ٨٤٥-٨٤٦هـ) عقدت الهدنة بين قشتالة وغرناطة، ومع ذلك اشتر الصراخ سجالا بين الطرفين حتى سقوط غرناطة في يد النصارى عام ١٤٩٢م/ ٨٩٧هـ، يزيد من التفاضيل أنظر: محمد عبد الله عثمان، *دولة الإسلام في الأندلس*، ج ٧، نهاية الأندلس وثاني العرب المنتصرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٢، ص ١٥٤-١٦١.

١٥ - الجزيرة الخضراء، Algeciras، وهي موسمي على مضيق جبل طارق، أسس العرب في أول فتحهم للأندلس عام ٧١١م، وبينها وبين مدينة جبل طارق ستة أميال (ثمانية عشر كيلومترا). وهي مدينة متحضرة لها سور حجارة، ولها ثلاثة أبواب ودار صناعة داخل المدينة. وبالجزيرة الخضراء إنشاء وإصلاح وسطها، وبينها وبين مدينة سبتة مجاز البحر، ويعرض هناك ثمانية عشر ميلا، وأمام المدينة جزيرة تعرف بجزيرة أم حكيم. الأندلس، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ليهن ١٨٦٤، ص ١٧٦-١٧٧؛ محمد الفاسي، المرجع نفسه، ص ٢٦.

١٦ - طاقور، الرحلة، ص ٣.

17 - Tafur, p. 276-277. Ramirez de Arellano (Rafael), Hero

١٨ - طاقور، الرحلة، ص ١٣-١٧

١٩ - طاقور، الرحلة، ص ٣٣-٣٥.

٢٠ - طاقور، الرحلة، ص ٥٢. كانت قبرص في ذلك الوقت من جهة بلاد السلطان الأشراف برسباي، سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والأعمال المطبية والحرمين الشريفين وقبرص وما يتبع ذلك وما يلتحق به، متوخج شامي مجبور، حويلات دمشق، نشر وتحقيق الدكتور حسن حنفي، القاهرة ١٩٦٨، ص ٧٥.

٢١ - للغة صفة: حينها، بقبرص، وقد وردت بهذا الاسم في المصادر العربية، وتعرف في الراجع الأجنبية باسم فاما جوستا Famagusta، ويصف الرحالة طاقور مدينة فاما جوستا بقلة سكانها لفساد هولاء، طاقور، الرحلة، ص ١٥٤ جوزيف نسيم يوسف، علاقة مصر بالمالك التجارية الإيطالية في ضوء وثائق وصحيف الأرشيف، ص ١٧٦، هـ ١. عقالة في كتاب أبو العباس القائليني وكتابه صبح الأعيان، القاهرة ١٩٧٢، ص ١٤٧-١٤٨، ٢.

٢٢ - نيقوسيا: هي عاصمة جزيرة قبرص، وقد وردت في المصادر العربية باسم الأقبصية، وه الأقبصية، وهو تسمية لأسمها اليوناني Lefkosa أو البركي Lefkosa. النعم الزاهرة في ملك مصر والظاهر، ج ١٤، ص ١٢٥، هـ ٢. وذكر طاقور أن نيقوسيا من أهم مدن ملكة قبرص وأصغها، وقد اعتاد الملوك عقد بلاطهم بها، كما أن فيها مساكن كبار رجالات المملكة، وتبعد مسافة عشرة فراسخ عن فاما جوستا، طاقور، الرحلة، ص ٥٤.

23 - Ramirez de Arellano | Rafael 1, Pero Tafur, p.274

اعتناء الملك جانوس (جانوش أو ميثوس بن جاكوا لويزان ملك قبرص (١٣٩٨-١٤٣٢م/١٠١٤-١٠٢٤هـ) إرسال مبلغ مائتي دوكت إلى كبير مترجمي السلطان برسباي بمصر، من أجل إطلاق سراحه من مصر عام ١٤٢٧م/١٠٣٠هـ، مقابل الخدمات التي قدمها له وقت أسره بقصر، واستقر الملك هنا يدفع له هذا

المبلغ استجابة إلى وصية أبيه التي نصت على إعطائه هذا القدر من المال مدى الحياة. طاقور، الرحلة، ص ٥٧، ٦٤.

٢٤ - طاقور، الرحلة، ص ٢-١.

25 - Randy Sandoval, General Introduction, Pero Tafur, p.1-2.

26 - Pero Tafur, Travels and Adventures, an introduction by Malcolm Lettis, p.1; Randy Sandoval, op. cit., p. 2

طاقور، رحلة طاقور، المقدمة، ص ١ - م.

27 - Pero Tafur, Travels and Adventures, an Introduction by Malcolm Lettis, p.6;

طاقور، الرحلة، المقدمة، ص ٤ - ع.

Randy Sandoval, General Introduction, Pero Tafur: Travel of a Fifteenth Century Knight, June, p. ٤.

28 - 2. op. cit. Wikipedia, Pedro Tafur, p. Randy Sandoval.

هيئة فرسان قلعة رباح Calatrava، جمعية دينية حربية أسسها رومان السريمان (الذين البندكتا في القرن الثاني عشر للميلاد، في قلعة رباح على الجبهة الجنوبية لقلعة، وكانت من الكه الأمامية التي تحمي مداخل قلعة). وكان القوسر السابع (١١٢٦-١١٥٧) قد استردها من المملوك عام ١١٤٧، وعهد بالقلعة عليها إلى فرسان الداوية ضد هجمات المسلمين، ثم عهد سانشو الثالث بالقلعة عليها إلى فرسان Raymond، رئيس دير السريمان في فييرو Fieiro بملكة ليرة Fratre وألف وكونتة جمعية من الإخوة الرافيين في البقاع عن النصرانية (١١٦٦). وأخذت جمعية فرسان رباح تنمو وتزداد أهميتها في مداقة المسلمين. محمد عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين المغرب والأندلس، عصر المرابطين، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٦٤، ص ٤١٩ - ٥٧٠، p://www.valticorders.org/orders/spanish/calatrav.htm

Moeller, Charles, Military Order of Calatrava, The Catholic Encyclopedia, Vol. 3. New York, 1908, http://www.newadvent.org/cathen/03149d.htm.

٢٩ - ملصقة Salamanca: مدينة تقع في مقاطعة لشبونة وتبعد في وسط شمال أسبانيا.

http://ar.wikipedia.org/wiki/

30 - Pero Tafur, Travels and Adventures, an Introduction by Malcolm Lettis, p. ١٥

هايد . تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ج ٢، ترجمة أحمد رضن محمد، القاهرة ١٩٩٤، ص ٢٧٩-٢٨٠؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، قورس والحروب الصليبية، تاريخ المصيرين، ٢٠٠٠،

الطبعة الثانية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٨٢-٨٣.

38 - Hazard, H. W., op. cit., pp.368-370;

هايد، تاريخ التجارة، ج ٢، ص ٢٨١-٢٨٣.

٣٩ - فغلا، مصطفى عبد الله شبيعة، الهجرات الأوربية في عصر سلاطين المماليك، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية آداب بني سويف، ٢٠٠٧، ص ١١٢.

40 - Ziada, M.M. The Mamluk Conquest of Cyprus, part 1, p. 91.

سعيد عبد الفتاح عاشور، قورس والحروب الصليبية، ص ٨٨.

٤١ - ابن حجر العسقلاني، إنباء القصر بأخبار المشرق في التاريخ، ٩ أجزاء، الطبعة الثانية، تحققت د. محمد عبد الصمد خان، بيروت ١٤٠٩ هـ، ١٩٨٩، ج ٧، ص ١١٦٥.

Hazard, H.W. (ed.), op. cit., pp. 371-372; Ziada, M.M., op. cit., part 1, p. 91.

42 - [ibid, p. 90;

قوريد من الفناصيل، أنظر: أبو الحسن، المصنف نفسه، ج ١٤، ص ٨٦، ١٠٣.

43 - Ziada, M.M., op. cit., part 1, p. 91;

سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرس والحروب الصليبية، ص ٨٨-٨٩.

٤٤ - خليل بن شاهين، زينة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك، صححه ونشره الأستاذ بولس رايس، باريس ١٨٩٤، ص ١٢٨.

Ziada, op. cit., Part 1, pp. 91-92.

٤٥ - ليماسول، ميناء قبرص، أطلق عليه العرب اسم و التمسرون، - المقريزي، استلوك لحرنة دول الملوك، ج ٤، ق ٢، حققه الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٢، ص ٦٨٩، ٣.

٤٦ - خليل بن شاهين، زينة كشف الممالك، ص ١٢٨، أبو الحسن، التجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٠٠-١٠٩، ولزبد من الفناصيل في حملة الأتلي، راجع: المقريزي، المصنف نفسه، ج ٤، ق ٢، ص ١٧١-١٧٢؛

Ziada, op. cit., part 1, p. 93-94;

طاغور، الرحلة، المقدمة، ص ١-١٥.

Randy Sandoval, op. cit., p. 1-2.

٣١ - الرحالة نيكولو دي كورتشي (١٢٨٥-١٤٤٩م)، هو رحلة بندهش، غادر البندقية حوالي ١٤١٩، عندما كان شابا، وذهب إلى دمشق وأقام فيها بعض الوقت وتعلم العربية، ثم رحل إلى بغداد ثم إيران وهناك تعلم الفارسية، ثم عبر بحر العرب إلى الهند، رحل إلى جنوب شرق آسيا، وعاش هناك سنوات طويلة ما يقرب من خمسة وعشرين سنة، مارس التجارة، وأصبح تاجرا معروفا من بغداد إلى الهند، وكان مجال رحلاته الهند وشامل Malabar، جزيرة سومطرة، والجزيرها، وخلال رحلة عودته إلى أوروبا، سر بالبحر الأحمر إلى جدة واضطر إلى اعتناق الإسلام، ثم ذهب إلى سانت كاترين، وهناك قابل القارص الأسياني بيرو طاغور، ثم رحل إلى القاهرة، حيث شغل وظيفة كبير مترجمي السلطان، وأخيرا عاد ليعتزل في الإسكندرية عام ١٤٤٤م، رحصل علي عفر إليها ليعيون الراج، وأمرها بأنها أن يترك تاريخه علي السكرتير البابوي بوجيو برسيوليني Poggio Bracciolini، طاغور، الرحلة، ص ٩٢-٩٣.

Anca Crivat-Vasile, El viaje de Nicolodel Conti en los relatos de Pero Tafur y Poggio Bracciolini, Revista de filología romanica, No.13, 1996, pp.231,247; en.wikipedia.org/wiki/Niccolò_de_Conti -

٣٢ - طاغور، الرحلة، ص ١٠، ٥٤.

٣٣ - موزين سوارس Moset Suarez، وهو قائد فنتالي، ولد في مدينة شقوبية Segovia، رحصل في رحلاته إلى قبرص، ودخل في خدمة الملك جانوس - رشارك في معركة خيرزكينا التي دارت بين جانوس وحيد السلطان برساي عام ١٤٣٦، وأبدي من الشجاعة في الدفاع ما أنقذ معه حياة الملك جانوس، ولكنه أخذ أسيرا معه، رحصل إلى مصر، وبعد إطلاق سراحهما، عينه الملك جانوس أميرال لقورس، طاغور، الرحلة، ص ٥٦، ويعرف موزين سوارس في المجلات المصرية بأنه ابن أخ سيد الكتيلان، ٥.

Ziada, M.M. The Mamluk Conquest of Cyprus In The Fifteenth Century, Bulletin of the Faculty of Arts, vol.1, part 1, May 1933, p. 111, no. 7).

٣٤ - طاغور، الرحلة، ص ٤٦-٥٧.

٣٥ - طاغور، المصدر السابق، ص ٦٦، ١٢٤.

٣٦ - طاغور، الرحلة، ص ١٠.

37 - Hazard, H. W., Editor, The fourteenth and fifteenth centuries, XI: The Kingdom of Cyprus, 1369-1459, (A History of the Crusades, volume III, Madison, Wisconsin, University of Wisconsin Press, 1975, . pp.362-366.

- ٥٥ - ابن حجر، إنباء الغسر، ج ٨، ص ١٠٠، خليل بن شاهين، المصدر نفسه، ص ١٤٢.
 ٥٦ - القزويني، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٢٢، أبو المحاسن، المصدر السابق، ج ١٤، ص ١٢٧-١٢٨، يزيد من التفاصيل راجع:

Mas Latrie, L'île de Chypre, Sa Situation Presente, Paris, 1879, p. 328-329.

Mas Latrie, Nouvelles Preuves de L'Hist. de Chypre, p. 38.

أبراهيم علي طرخان، مصر في عهد دولة أملاك المراكسة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٠٠-١٠١.

Ziada, op., cit., part I, pp. 101-103.

محمد عبد الفتاح عاشور، قيس والحروب الصليبية، ص 109-111.

٥٧ - ابن حجر، إنباء الغسر، ج ٨، ص ١٠٢، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٢٩.

Hazard, H. W. (ed.), op. cit., p. 373.

58 - Ibid., p. 373.

٥٩ - كورنيا Kerynia، مدينة قديمة صغيرة أسسها أتيل Achillas وسيت باسمه، وهي - رغم صغرها - منبعه الجاقب، محصنة الأسوار، ولها مرفأ طيب وإن لم يكن بالكبير، وأمامه سلسلة تهاطله وتفتح الدخول إليه، وتضم على هذا الناصر حراسة قوية، طائور، الرحلة، ص ١٠٣.

٦٠ - القزويني، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٢٢-٧٢٣، ابن حجر، المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٠٢-١٠٣، أبو المحاسن، المصدر نفسه، ص ١١٤.

٦١ - طائور، الرحلة، ص ١٠٣.

٦٢ - قاسم عيده قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة ١٤٩، أكتوبر، مايو، ١٩٩٠، ص ١٨٢.

٦٣ - القزويني، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٢٤-٧٢٥، ابن حجر، إنباء الغسر، ج ٨، ص ١٠٣-١٠٤.

٦٤ - ابن إياس، بديع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، ١٩٦٠، كتاب الشعب رقم ٩٣، ص ٣٢٦.

٦٥ - الدلائل المصرية من التعلات التي يتم التعامل بها وزنة كالذهب المصري، وهناك ما يأتي إلى مصر من التعلات المسكونة في غيرها من الممالك القزنجية، ويتم التعامل بها معادفة، وتعرف هذه التعلات باسم الدلائل الأفرنجية، نسبة إلى فرنسة أو فرنجية، وهناك نوع آخر من الدلائل يعرف باسم التمركات

محمد عبد الفتاح عاشور، قيس والحروب الصليبية، ص ٩٠-٩٢.
 ٤٧ - يزيد من التفاصيل عن الحملة الثانية، راجع، خليل ابن شاهين، زبدة كتب الممالك، ص ١٢٩-١٣٠، القزويني، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٦٨٤-٦٨٨، ٦٨٩-٦٩٥، ابن حجر، إنباء الغسر، ج ٨، ص ٧٢-٧٣، أبو المحاسن، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٠٩-١١٢، ١١٤-١١٥.

Mas Latrie, L. De, L'île De Chypre Sa Situation Presente et Ses Souvenirs du Moyen-Age. Paris, 1879, p. 328.

Hazard, H. W. (ed.), op. cit., p. 372.

Ziada, op. cit. part I, p. 96.

محمد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص ٩٢-١٠١.

٤٨ - القوس فاضل من أهل مدينة أيلس كان قد خرج بصحبة مركب مشحونة بجواديف من اللاذقية في رجب ٨٢٨ هـ / ١٤٢٥، حتى يصطحبها لفسر، فلما حاذت جزيرة أرواد خرج جماعة من القزنج برصون الاستيلاء عليها، فلما لهم المسلمون حتى تطلوا عن آخرهم، وعندما خسروا رجلاً، وأخذ منهم رجل واحد، تمكن من الفرار، وأخذ القزنج الجواديف وغيرها وجرؤوا المركب، القزويني، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٦٨٩.

٤٩ - القزويني، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٦٨٩.

Ziada, op. cit., part I, p. 92, 107, not. 16.

50 - Ibid., pp. 99-100.

محمد عبد الفتاح عاشور، أترجع نفسه، ص ١٠٤.

٥١ - ابن حجر، إنباء الغسر، ج ٨، ص ٩٧-٩٨، خليل بن شاهين، زبدة كتب الممالك، ص ١٤٢.

52 - Mas Latrie L. De, Nouvelles Preuves de L' Histoire de Chypre, Paris, 1874, p. 35. Ziada, op., cit., part I, p. 99.

٥٣ - ابن حجر، التعلات، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٩٧-٩٨، خليل بن شاهين، المصدر نفسه، ص ١٤٢.

٥٤ - القزويني، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٢٢-٧٢٣، أبو المحاسن، المصدر نفسه، ج ١٤، ص ١٢٥، ١٢٧.

Hazard, op. cit., p. 372

حماية أملاكهم فيها. تم فتحها جزيرة رودس عام ١٣٦١م / ٧١٠هـ، وازدادت قوتهم وسطورتهم، وبدأ يعرفون بقرصان رودس، وأخذوا يهاجرون إلى القبر القبري. وفي عام ١٥٢٢ هزمهم العثمانيون، فانتقل إلى جزيرة مالطة التي أصبحت مقرهم الرئيسي، وعرفوا باسم قرصان مالطة. أبو المعاسم، التوجه الزاهرة ج ١٤، ص ١٤١، ١. إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص ٩٨.

٧٧ - المقرزي، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٤١، ٧٤٣؛ أبو المعاسم، التوجه الزاهرة، ج ١٤، ص ١٤١ إبراهيم علي طرخان، المرجع السابق، ص ٩٠-٩١.

٧٨ - ابن حجر، إنباء الفسر، ج ٨، ص ١٠٥.

Ziada, op., cit., part II, p. 48;

سعيد عبد الفتاح عاشور، قبرص والحروب الصليبية، ص ١٢٠.

٧٩ - طاقور، الرحلة، ص ٥٧.

٨٠ - المقرزي السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٧٤١.

B1 - Ziada, op., cit., part II, p. 48;

سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص ١٢١.

٨٢ - طاقور، الرحلة، ص ٥٧.

83 - wikipedia Ency, Jaous of Cyprus.

٨٤ - أبطل السلطان برسباي الماملة بالذهب الإفرنجي عام ١٤٢٦م / ٨٢٩ هـ، وأن يضرب عموده ذهب عليه السكة الإسلامية، وشرع في ضرب الذهب الإفرنجي، وأن يتعامل الناس بالذخائر الأخرقية زة الدينار منها زنة الإفرنجي، ثم أتم برسباي الناس بحمل معدنهم من الإفرنجية إلى دار الضرب، أبو حجر، إنباء الفسر، ج ٨، ص ١٢٩، ١٥١؛ ابن تقيي بردي، التوجه، ج ١٤، ص ١١٩.

٨٥ - المقرزي، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٦٥؛ أبو المعاسم، المصدر نفسه، ج ١٤، ص ١٤٧.

٨٦ - المقرزي، السلوك ج ٤ ق ٢ ص ٧٩٢.

٨٧ - ابن حجر، إنباء الفسر، ج ٨، ص ١٠٤.

88 - Hazard, H. W. (ed.), op. cit., p. 375.

٨٩ - طاقور، الرحلة، ص ١٠٧.

٩٠ - المقرزي، السلوك، ج ٤ ق ٢ ص ٨٧٢-٨٧٤؛ أبو المعاسم، التوجه الزاهرة، ج ١٤، ص ١٩٥.

Mas Latrie, L'Île de Chypre, p. 331.

وهو لا يطلق إلا على الذخائر التي تضرب في الهندية نسبة إلى صاحبها الدوك أو الدويج. القلقندي، صبح الأخصى، في صناعة الإنشاء، ج ٢، ص ٤٤٠-٤٤١، وكان الدينار يساوي دوكا دويج، مايد، تاريخ التجارة، ج ٢، هـ ٢٩٨، ص ٢٥١.

٩٦ - المقرزي، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٢٩؛ ابن حجر، إنباء الفسر، ج ٨، ص ١٠٤؛ أبو المعاسم، التوجه الزاهرة، ص ١٣٧-١٣٨، حملات الروابيات قبسة الجربة السنوية المفروضة على جزيرة قبرص ما بين خمسة آلاف وخمسة آلاف دوكات، لمسجل الرحالة طاقدور نقلا عن رواية مؤرخين صراخس أن قبسة الجربة السنوية المفروضة على الملك جاتوس كانت ثمانية آلاف دوكات - طاقدور، الرحلة، ص ٥٧؛ بينما حددتها ماس لاتري، وحازارو، بخمسة آلاف دوكات.

Mas Latrie, Nouvelles Preuves de L'Histoire de Chypre, Paris 1874, p. 38;

Hazard, op.cit., p. 374.

٩٧ - ابن حجر، إنباء الفسر، ج ٨، ص ١٠٥.

٩٨ - طاقدور، الرحلة، ص ٥٦.

69 - Ziada, op cit , part II, pp. 45-46

٧٠ - طاقدور، الرحلة، ص ٥٦.

٧١ - مايد، تاريخ التجارة، ج ٢، ص ٢٥٠.

٧٢ - مايد، تاريخ التجارة، ج ٢، ص ٢٨٩-٢٩٠.

73 - Ziada, M.M, The Mamluk Conquest of Cyprus In The Fifteenth Century, part II, Bulletin of the Faculty of Arts, vol. II, part I, May 1974, Second Edition, Cairo 1953, part II, pp. 46-47.

٧٤ - طاقدور، الرحلة، ص ٥٦-٥٧.

٧٥ - المقرزي، السلوك، ج ٤، ق ٢، ص ٧٢٩؛ أبو المعاسم، التوجه الزاهرة، ج ١٤، ص ١٤٠.

٧٦ - كانت جزيرة رودس في ذلك الوقت تحت حكم الإسبانية أو قرمان القدس يوحنا Les Hospitaliers، وهؤلاء القرمان كانوا في الأصل أعضاء الهيئة العسكرية التابعة لمستشفى القديس يوحنا بالقدس، ويعرفون أحيانا قرمان القديس يوحنا أو بقرمان بيت القديس، وسماهم العرب القرمان الإسبانية. وبعد استرداد صلاح الدين لبيت المقدس عام ١١٨٧، انتقل الإسبانية إلى عكا، ثم إلى قبرص عام ١٢٩١. وكان للإسبانية أنطاقيات في قبرص عرفت باسم « دائرة الإسبانية بجزيرة قبرص»، ومركز هذه الدائرة مدينة كولوس قرب ليماسول، وهذا يقصر عناية الإسبانية بالستون القبرصية، إذ كانوا يملكون على

١٠٩ - أبو العباس، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٠٣.

١١٠ - مؤرخ مجهول، حوليات دمشقية، ص ٤١-٤٢، ١٥٩، مؤيد، تاريخ التجارة، ج ٣، ص ٣٥٢.

١١١ - بعد أن تعرضت دمياط لغزو الفرنج عام ١٢١٨م/٦٦٥هـ و ١٢٥٠م/٦٤٨هـ، اتفق المماليك البحرية على تخريب مدينة دمياط، خوفاً من مسير الفرنج إليها مرة أخرى. فسيروا إليها الحيازين والفتلة، فوقع الهمم في أسوارها في شبان عام ٦٤٨هـ، حتى خربت كلها، وصحبت آثارها، ولم يبق منها سوى الجامع القريزي، انظر: ج ١، ص ٤١٨.

١١٢ - طاقور، الرحلة، ص ٥٩-٦٠.

١١٣ - طاقور، المصدر نفسه، ص ٦١.

١١٤ - طاقور، المصدر نفسه، ص ٦١.

١١٥ - طاقور، المصدر نفسه، ص ٦٢.

١١٦ - ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة للسماة و تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج ١، طبعة مصر، ١٩٠٤، ص ١٦.

١١٧ - مخاضة، مادة رخ و ض، يضمها و مضاضة، و ومخاضة، و هو ما جاز فيه الناس مشاة رديها، وموضع الخوض في الماء، مختار الصحاح، ج ١، ص ٨١.

١١٨ - طاقور، الرحلة، ص ٦١-٦٢، قاسم عبده قاسم، النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٢١.

١١٩ - طاقور، الرحلة، ص ٦٢.

١٢٠ - الأخيرة : جمع غراب، وهي من المراكب الخيرية شديدة الأيسر، التي استعملها المسلمون والفرنج في المصير الوسطى في العبارة والفرج عن طريق البحر. تدعى سب تشبه هذا النوع من المراكب بالغراند، لرفتها وطولها وسوادها بالأظلمة المائعة للساء عنها كالزوت وشيرة، فصارت تشبه في سوادها الغراب من الطير لسوادها وسواد مناقيرها، أو لأن مقدم هيكلها كان على شكل رأس الغراب. درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المجمع، الإسكندرية، ١٩٧٤، ص ١٠٤.

١٢١ - الشواني : هي السفن الخيرية الكبيرة، واستخدمت في القتال البحري في البحر المتوسط والبلق، وتسمى في بعض النبل للخروج منها إلى ساء البحر المتوسط، وعليها أراجا وفلاغا للفتاغ والهمم، ولها حوالي مائة مجناب. ابن عاصي، كتاب قوانين الدواوين، ص ٣٤٠، درويش النخيلي، السفن الإسلامية، ص ٨٣-٨٤.

كما يلتفت النظر هنا ان قيمة الخيرة السنوية المقرضة على قبرص حددت بخمسة آلاف دينار، ولم تخبرنا المصادر التي تحت أيدينا بشئ عن انخفاض قيمة الخيرة التي فرضت على السلطان باتوس، فعمل الملك جانوس كان قد توسط لدى السلطان برساي لتقليص قيمة الخيرة لتراكم الدينون، وتوسر الدفع ورفأ أفراد السفطان من جزء من الخيرة بعد أن تأكد من استمرار ولاه طلك قبرص له.

٩١ - أبو العباس، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٩٧؛ مؤرخ شامي مجهول، حوليات دمشقية، ص ٤٣.

٩٢ - القريزي، السلوك، ج ٢، ص ٨٨٣؛ مؤرخ شامي مجهول، المصدر نفسه، ص ٤٣-٤٤.

٩٣ - القريزي، السلوك، ج ٢، ص ١٨٨٣؛ أبو العباس، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٩٨.

٩٤ - أبو العباس، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ١٩٨.

٩٥ - ابن حجر، إنباء الفصر، ج ٨، ص ٢٦٠.

٩٦ - القريزي، السلوك، ج ٢، ص ٩١٤، ٩١٥؛ مؤرخ مجهول، حوليات دمشقية، ص ١٩، ١٥٨.

97 - Zīdā, M. M., op. cit., part 11, pp. 50-51.

٩٨ - هايد، تاريخ التجارة، ج ٣، ص ٢٩٠.

٩٩ - طاقور، الرحلة، ص ٥٢.

١٠٠ - طاقور، الرحلة ص ٥٥-٥٦.

١٠١ - طاقور، الرحلة، ص ٥٧-٥٨.

١٠٢ - طاقور، الرحلة، ص ٥٩-٦٠.

١٠٣ - بخلا، مصطفي عبد الله شبيحة، الهجرات الأوربية في مصر من عصر سلاطين المماليك، رسالة وكوراء غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بني سويف، ٢٠٠٧، ص ٤٤.

١٠٤ - بخلا، مصطفي شبيحة، المرجع نفسه، ص ٥٠.

١٠٥ - طاقور، الرحلة، ص ٦٠.

١٠٦ - هايد، تاريخ التجارة، ج ٣، ص ٣٤٧.

١٠٧ - ابن حجر، إنباء الفصر، ج ٧، ص ٢١٤-٢١٥.

١٠٨ - الخوطة: الإحصاء. للأموال لدفع الضرائب عليها مثلا من تورنيا. محمد أحمد دهسان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر استلوكي، الطبعة الأولى، بيروت، دمشق، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م، ص ٦٥.

١٣٦ - الزركش، طرز الثوب من مواليده بشروط الذهب، ويزركش الثوب أي زركمه وقد يكون لجميع الثوب.
محمد أحمد دهشان، معجم الإقطاط التاريخية، ص ٨٦.

١٣٧ - طافور، الرحلة، ص ٦٨.

١٣٨ - المهمنار، هو الشخص الذي يتصدى لتلقي الرسل والعميان الزاردين على السلطان ويترجم دار الضيافة، وتتعدت في القيام بأمرهم. هذا المصطلح مركب من لفظين فارسيين: أمهنا ه مهمن ه يتبع المسين، ومعناه الضيف، والظاني ه دار ه وسعناه (مسك ه)، ويكون المعنى مسك الضيف، والمراد المنصدي لأمره. التلقيني، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٤٥٩.

١٣٩ - نجلاء مصطفي عبد الله شبيحة، الجواهرات الأوردية في مصر، ص ٤٨.

١٤٠ - طافور، الرحلة، ص ٦٨.

١٤١ - تقلا عن: سعيد عاشور، المعجم المصري، ص ٨٨.

١٤٢ - نجلاء، مصطفي شبيحة، الجواهرات الأوردية في مصر، ص ٤٨.

١٤٣ - ضلّة أو ضللات، من التكلمة العربية إضلل. ضلّة التي تدل على أنه قد ضل ذو وير طربل. وهو من فروع التظيفة. ويضخ من مواد مختلفة. بعضها من شعر الجمال. وكان شعر الماعز يستخدم في صنع أنواع أخرى من الضللات. وكانت متوفرة فخرص هي مركز صناعة الضللات، وخاصة في زاماجورينا وتيتوسيا. وتضمر فخرص ضللات إلى أسيا الصخرى ويصير وسوريا هابده. تاريخ التجارة، ج ٤، ص ٢١٦-٢١٧.

١٤٤ - كان الملح في جزيرة فخرص يستخلص على ضفاف المبحرئين الراقعين بالقرب من ليماسول ولازناكا (ملاجات)، تيدخل فيهما ماء البحر. وتترسب الملح تبة بعد تبخر المياه في حرارة الصيف وكانت هذه الملاجات الطبيعية في المصدر الوسطي أكثر ما هي عليه في الوقت الحاضر. رجحكر الملك إيتابها ويدهم. وكان الملح من السلع الرئيسية في تجارة فخرص. فايد. تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج ٢، ترجمة أسعد رضا محمد رضا، القاهرة ١٩٦٦، ص ٢٣٦.

١٤٥ - طافور، الرحلة، ٦٩.

١٤٦ - طافور، المصدر نفسه، ص ٦٩.

١٤٧ - التلقيني، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣٧٢، ج ٤، ص ٤٤.

١٤٨ - طافور، الرحلة، ص ٦٩.

١٤٢ - طافور، الرحلة، ص ٦٣؛ خامس عبده فاسم، السبل والمعجم المصري، ص ٨٨.

١٤٣ - نجلاء، مصطفي شبيحة، الجواهرات الأوردية، ص ٤٤.

١٤٤ - طافور، الرحلة، ص ٦٤.

١٤٥ - طافور، الرحلة، ص ٦٤. كان بلاط السلطان يدخر عبده من المترجمين، فقد روى ماندليل Mandville الذي مر بمصر سنة ١٣٣٦/١٣٣٧ أنه وجد بين حاشية السلطان أربعة يتكلمون الفرنسية بطلاقة. وإن السلطان نفسه (الناصر محمد) يتفهمها في سهولة. سعيد عبد الفتاح عاشور، المعجم المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٢، ص ٨٨.

١٤٦ - طافور، الرحلة، ص ٦٤-٦٥.

١٤٧ - طافور، الرحلة، ص ٦٥.

١٤٨ - طافور، الرحلة، ص ٦٥-٦٦.

١٤٩ - الجوامك جمع جامكية، وهي المصروف أو الزائب المربوط لشعر أو أكثر. سعيد عبد الفتاح عاشور، المعجم المائليكي في مصر والشام، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٦، ص ٤٢٩.

١٥٠ - طافور، الرحلة، ص ٦٦.

١٥١ - طافور، الرحلة، ص ٦٧.

١٥٢ - طافور، الرحلة، ص ٦٧-٦٨.

سيرر الملك ورجال له تخت الملك، وهو مشير من رتبه يصور إيزان السلطان الذي يجلس فيه، وهو على هيئة حناجر الجوامع إلا أنه مسند إلى الخائط. وهذا المشير يجلس على السلطان في يوم مهم كقدوم رسل الملوك عليه ونحو ذلك. التلقيني، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٧٩، ج ٤، ص ٧٠٦.

١٥٣ - التلقيني، صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٧٢-٣٧٦، القزويني، الخطط، ج ٣، ص ٢٧-٣٢، ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٢٦-٢٧.

١٥٤ - الدوادرة، وهو لقب على الذي يحصل دواة السلطان أو الأمير. وهو مركب من لفظين: أودهما عربي وهو الدواة، والراء التي يكتب منها. والرائي فارسي، وهو و داره، ومعناه مسد، ويكون المعنى مسك الدواة. التلقيني، صبح الأعشى، ج ٥، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٤٦٧.

١٥٥ - سعيد عبد الفتاح عاشور، المعجم المصري في عصر سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٢، ص ٨٧.

١٦٠ - الأخرى: مخازن يحمل إليها ما يرد من الفلات السلطانية. ابن ماضي، قوانين الدواوين، ص ٣٥٠.

١٦١ - القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٣٢٠-٣٢١.

١٦٢ - طاقور، الرحلة، ص ٧٢.

١٦٣ - طاقور، الرحلة، ص ٧٢.

١٦٤ - طاقور، الرحلة، ص ٧٢.

١٦٥ - أي سنة عشر لهما. طاقور، الرحلة، ص ٣٦٦، هـ ٦٧.

١٦٦ - طاقور، الرحلة، ص ٧٢.

١٦٧ - القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٣٢٩، ٣٤٨، ٣٧٢. تزيد من التفاصيل عن حدة تلك المنظر، انظر: القزويني، الخطط، طبعه بولاق، ج ١، ص ٥٣٥-٥٣٦؛ ج ٢، ص ٤١-٤٢، ٤٣٠.

١٦٨ - مقياس النيل عبارة عن عمود من الرخام الأبيض مشتم، يوضع في موضع يحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهذا العمود منفصل على اثنين وعشرين ذراعاً كل ذراع منفصل على أربعة وعشرين قصاً متساوية تعرف بالأصابع، ما عدا الإثني عشر ذراعاً الأولى فإنها منفصلة على ثمان وعشرين أصبغا لكل ذراع، ويبتدىء الزيادة من خاص بؤونة (بوتجة)، ثم يقاس في الخامس والعشرين منه، ويكرر كمال الزيادة وانتهاء منه في الثامن من باب (أكتوبر). وجرث المادة أن ينادى عليه بزيادة في اليوم السابع والعشرين من بؤونة. وقد جرت عادة صاحب القياس أنه يمشي قياسه زمن الزيادة في كل يوم وقت العصر، ثم ينادى عليه من القند بذلك الزيادة، ابن ماضي، كتاب قوانين الدواوين، ٧٤-٧٦، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٢٩٢-٢٩٤، ٢٩٧، القزويني، الخطط، ج ١، ص ١٠٨-٩٠.

١٦٩ - طاقور، الرحلة، ص ٧٢-٧٤.

١٧٠ - ابن بطوطة، حنفة النظار في عجائب الأمصار ومجائب الأسفار، ج ١، ص ٢٠-٢١.

١٧١ - طاقور، الرحلة، ص ٧٤.

١٧٢ - ابن بطوطة، حنفة النظار، ص ١٨.

١٧٣ - طاقور، الرحلة، ص ٧٤؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، المصنع المصري، ص ٨٩-٨٧.

١٧٤ - القلقشندي، صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٧.

١٤٩ - طاقور، الرحلة، ص ٦٩.
١٥٠ - طاقور، الرحلة، ص ٧٠.

١٥١ - اللسان الذي تسميه العامة اليسم، يتخذ منه دهن اللسان، وهو نبات يزرع بقعة مختصرة بأرض القرية، من ضواحي القاهرة على القرب من عين شمس، وينقي من شمر مخصوص هناك، يقال إن المسيح عليه السلام اغتسل بها حين قدمت به أمه إلى مصر، والتصاري تزم أنه حفرها ببقية وهو طفل، حين وضعت أمه هناك. ومن خاصتها أن اللسان لا يعيش إلا بانها ولا يوجد في بقية من بقاع الأرض غير حله البقية، وطول حله الأرض سهل في جبل، وشأنه أنه يفسد في شهر كيهك من أشهر القبطية، ويصنع ما يسيل من دهنه ويصفي ويطبخ ويحمل إلى خزنة السلطان، ثم يتخذ منه قدر معلوم إلى قلاع الشام والبيمارستان ليعمل في بعض الأدوية. ولوك النصارى من الجبهة والروم والفرنج يستهدونه من صاحب مصر ويهدونه بسبه، لا يعتقدونه فيه من أثر المسيح عليه السلام في البر، والتصاري كافة تعتقد فيه ما تعتقد، وترى أنه لا يتم تصير نصرا في حين يوضع شئ من هذا الحجر في ماء الممودية عند تغطيته فيها، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ٢٨٧، القزويني، الخطط، ج ١، ص ٤٣١.

١٥٢ - طاقور، الرحلة، ص ٧٠.

١٥٣ - ويذكر ابن ماضي أن في السابع عشر من شهر نوت (البرل) مشروط الليم ويستخرج دهنه. ويسر هو في الدنيا إلا في مصر. ابن ماضي، قوانين الدواوين، ص ٨١، ٢٧٧.

١٥٤ - طاقور، الرحلة، ص ٧٠-٧١.

١٥٥ - طاقور، الرحلة، ص ٧١.

١٥٦ - طاقور، الرحلة، ص ٧١.

١٥٧ - طاقور، الرحلة، ٧١-٧٢.

١٥٨ - طاقور، الرحلة، ص ٣٦٦، هـ ٦٤.

Cobham, C. D., *Excerpta Cyprica. Materials for a History of Cyprus*. Cambridge, 1908. reprint 1969, p.33; Anca Criva, *Los libros de viajes de la Edad Media Española, 2003, 2.Situaciones Descriptivas 1c) La descripción de los mirabilia*. <http://ebooks.uniluc.ro/filologie/AncaCriva/cap52b.htm>.....Cyprica: 1

١٥٩ - متف. وهي على اثني عشر ميلا من القسطنطية. وعدينة متف في جنوبي القسطنطية على القرب من ايلولة القروية بالبروشين من عمل الجزيرة. وهي المعروفة بصر القبية، القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٢٢٠.

- ١٨٨ - هو القس أو الكاهن يوحنا أو البربريوس John Prester كما يسميه الأوربيون، هو ملك الهند المسيحي والبرقي، وقد رويت الإشارة إليه أول مرة في كتاب لأرنو أسقف فيرنزج عام ١١٤٥ م، وتعتبر أسطورة الكاهن يوحنا من أكثر أساطير العصور الوسطى غموضاً ولها ما، وداومت طوال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، واستمرت بعد ذلك فترة طويلة من الزمن. وتعتبر عن رغبة الملوك المسيحيين في الغرب في القعود إلى إمبراطورية الكاهن يوحنا واكتسابها كعليف لهم في صراعهم ضد العرب والأتراك، وكان الباباوات مثلهم مثل الحكام للمسيحيين، واقنعوا تحت تأثير الإشاعات الدائرة حول وجود حاكم مسيحي في الطرف الآخر من العالم، يدعى الأب يوحنا، وقد ساد الاعتقاد بأن هذا الحاكم المسيحي ربما كان مسعفاً له يد العون لأولئك الذين يدافعون عن المسيحية في مواجهة الإسلام، تلك الأسطورة حملت الغرب اللاتيني يعتقد ان التنصرت كانوا يهتزون بالسحبة بينما كان الواقع خلاف ذلك ومن الأخطاء، الشائعة تلك التي تنص على بأن إمبراطورية الكاهن يوحنا هي بعينها إمبراطورية الحبشة في الحقيقة، والحقيقة أن مملكتها كانت في آسيا، وهي كثير من أن الأب يوحنا كان حاكماً للهند. وكذلك كان الأمر، ليس من السهل تحديد حقيقة هذا الشخص والمقاطعات الأسبورية التي كان يحكمها والوقت الذي عاش فيه. هينريك تسم يوتف نقاط التناقض والصراع بين أوروبا العصور الوسطى والشرق، مقالة في كتاب دورسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الإسكتندنوية ١٩٨٨، ص ١٢٧-١٢٨؛ فرنسيس رود، ماركو بولو: هل وصل إلى الصين، ترجمة فاضل جتكر، الطبعة الأولى، سورية، دمشق، ١٩٩٩، ص ٤٢-٤٤، ولهيد من التفاصيل أنظر: مصمود سبب عمران، أوروبا والمشرق، الإسكتندنوية ١٩٩٦، ص ٤-٦، ٢-٩، عادل هلال، العلاقات بين المشرق وأوروبا، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٧، ص ١٨-٢٢.
- ١٨٩ - طائفور، الرحلة، ص ٨٧، ٨٨.
- ١٩٠ - طائفور، الرحلة، ص ٩١-٩٠.
- ١٩١ - طائفور، الرحلة، ص ٨٥-٨٦.
- ١٩٢ - القريزي، الخطط، ج ١، ص ٩٢-٩٤، قاسم عبده قاسم، التهل والجمع المصري، ص ١٠٣-١٠٤.
- ١٩٣ - طائفور، الرحلة، ص ٩٠.
- ١٩٤ - جوزيف نسيب يوسف، توسع الشارع في الشرق الأوسط، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٩، ص ٢٧٦-٢٧٦.
- ١٩٥ - طائفور، الرحلة، ص ٨٦-٨٧.
- ١٩٦ - ابن بطوطة، تحفة النظار، ج ٢، ص ٢٥٦-٢٥٧.

- ١٧٥ - طائفور، الرحلة، ص ٧٥-٧٦.
- ١٧٦ - طائفور، الرحلة، ص ٧٦-٧٧.
- ١٧٧ - طائفور الرحلة، ص ٧٧.
- ١٧٨ - طائفور، الرحلة، ص ٧٥.
- ١٧٩ - رجا بقصد طائفور، صبا، الظهور، في الجنوب الغربي من شبه جزيرة سيناء، إذ يطلق عليه سانت كاترين، لأن هذا الجبل، دون سائر الجبال الأخرى هو الأقرب من دير سانت كاترين على جبل سيناء، وكان يستعمل المصانع الواردة من بلاد الهند، حامد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى، ج ٣، ص ٣٦٩.
- ١٨٠ - طائفور، الرحلة، ص ٧٨.
- ١٨١ - طائفور، الرحلة، ص ٨١.
- ١٨٢ - طائفور، الرحلة، ص ٧٨-٨٠.
- ١٨٣ - طائفور، الرحلة، ص ٨١.
- ١٨٤ - طائفور، الرحلة، ص ٨١.
- ١٨٥ - كانت القسبة كاترين السكندنوية هي إحدى ضحايا منطها الامبراطور مكسيمينوس دايا Maximinus Daia (٣٠٥-٣١٣ م)، الذي أكره بجلدها وتزين جسدتها، واقترح عليه حارس الحماص بأن لديه فكرة بها يلزم القنائة أو تصعيد القنائة وان تتزوجها، وهي أن تربط القنائة بحبال قوية يرفعونها على آلة بها عجلات تدور بحركة عكسية مزودة بأسان حديدية حادة، فحينما تبدأ العجلات تتحرك تحدث فرقة مخطئة، فتضطر القنائة إلى الاستسلام ولا تفر، وأمر الإمبراطور بالقبض على كاترين، وسلط جسدها ليرطها بالحبال ورفضها لينزلوها على الأسان الحديدية الحادة، لكن ما أن رفعوها حتى احتدت يد خنبة قطعت الجبال، وخرقت كاترين على الأرض بعيدا عن الآلة، وأد تقسم الجلاذون، معارفين وبعها ثانية خارت قواهم فسارت الآلة عليهم بأسانها الحديدية فتطمنت أجسامهم وماتوا، ثم أمر الإمبراطور بقطع رأسها، وتم ذلك واستشهدت في ٢٥ نوفمبر عام ٣٠٧ م، قاموس آيا، الكنيسة وقديسيها.
- ١٨٦ - طائفور، الرحلة، ص ٨٢.
- ١٨٧ - طائفور، الرحلة، ص ٨٤، ٨٨، ٨٩.

<http://popelortillos.net/ar/fathersdictionary/index.php>

٢١٢ - طافور، الرحلة، ص ٩٩. مدح الفرنج ولهم الصوري أصبه الإسكندرية كمدنية تجارية فعال بأنها ؛
أصلح ما تكون للتجارة الواسعة، ولها مينا كان يوصلها عن بعضها لسان من الأرض ضيق جنا. ولم
الصوري، الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥، ج ٤، ص
٦٩. وكانت السفن تتقدم مينائي الإسكندرية الشرقية والغربية، لأن كاتب المينا الشرقية قد اختصت
بمقن الأوربيين، بينما اختصت المينا الغربية بمقن المسلمين، وقد قصد بهذا المحافظة على الأمن.
هايد، ج ٣، ص ١٣٠، محمد صبحي عبد الحكم، مدينة الإسكندرية، القاهرة ١٩٥٨، ص ١٢٢.

٢١٤ - طافور، الرحلة، ص ٩٩.

٢١٥ - طافور، الرحلة، ص ٦٤.

٢١٦ - القزويني، الخطط، ج ١، ص ٣٠٣.

٢١٧ - طافور، الرحلة، ص ٩٩-١٠٠.

٢١٨ - طافور، الرحلة، ص ١٠١-١٠٢.

٢١٩ - طافور، الرحلة، ص ١٠١.

٢٢٠ - طافور، الرحلة، ص ١٠١-١٠٢.

٢٢١ - طافور، الرحلة، ص ١٠٢.

٢٢٢ - طافور، الرحلة، ص ٩٨.

٢٢٣ - سعيد عبد الفتاح عاشور، ليرس والحروب الصليبية، ص ١٢٢.

٢٢٤ - القزويني، السلوك، ج ٤، ق ٣، ص ١٢١٠؛ ابن حجر، أنباء الفهر، ج ١، ص ١٩٩-٢٠٣.

٢٢٥ - سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص ١٢٢.

١٩٧ - ابن بطوطة، تحفة النظائر، ج ٢، ص ٢٥٧.

198 - Maria Jose Rodilla, Espacios Sagrados y espacios míticos, La retroeca del viaje en las
Andanzas de Pero Tafur, revista casa del tiempo, 76, mayo 2005, p. 7-12.

١٩٩ - طافور، الرحلة، ص ٩٢-٩٧.

٢٠٠ - طافور، الرحلة، ص ٩٢-٩٣.

٢٠١ - طافور، الرحلة، ص ٩٧.

٢٠٢ - طافور، الرحلة، ص ٩٢. سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، ص ١٨٣-١٨٤.

٢٠٣ - القزويني، هي كلمة أصلية معناها الملقون. وهي طائفة صوفية يعلقون ذابوسهم وشواربهم وجامهم
وجوانبهم، وكانت هذه الفرقة مكرهة من الفقهاء، ويرجال الدين، نشأت في عهد الظاهر منصوص البندقداري،
وهو الذي شجعها وكان سبب انتشارها في الشام ومصر. وفي عام ٧٦١ هـ/١٣٥٩م ودى كتاب من
السلطان الملك الناصر حسن بن علاون بالوفاء القزوينية ترك جامهم وشواربهم وترك ذى الأجام
والجوس، وكان القزوينية عدة زوايا في دمشق ومصر، القزويني، الخطط، ج ٣، ٤٣١-٤٣٣؛ محمد
أحمد وهسان، معجم الألقاب التاريخية، ص ١٢٥؛ إبراهيم الكيلاني، مصطلحات تاريخية مستعملة في
العصور الثلاثة الأيمى والملوكي والمماليكي، مجلة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكداب العربي،
دمشق، العدد ٤٩، تشرين الأول و أكتوبر ١٩٩٢، ربيع الآخر ١٤١٣ هـ، حزب القادي.

٢٠٤ - ابن بطوطة، تحفة النظائر، ج ١، ص ١٦.

٢٠٥ - القزويني، الخطط، ج ٣، ص ٤٣٦؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، ص ١٨٤.

٢٠٦ - طافور، الرحلة، ص ٦٤.

٢٠٧ - طافور، الرحلة، ص ٩٧. سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري، ص ١٤١.

٢٠٨ - طافور، الرحلة، ص ٩٧.

٢٠٩ - سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص ٩٨، ١٢٩-١٣٠.

٢١٠ - طافور، الرحلة، ص ٩٨.

٢١١ - ابن بطوطة، تحفة النظائر، ج ١، ص ١٨.

٢١٢ - طافور، الرحلة، ص ٩٨.

الحميري (ت في أواخر القرن التاسع) عبد النعم المنبسط الحميري:

كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، صفة جزيرة الأندلس، نشر ليلى بروفنسال، القاهرة ١٩٣٧م.

السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، الإسكندرية ١٩٩٣م.

الفقنندي: (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أبو العباس أحمد بن علي:

صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٣، ٤، ٥، القاهرة ١٣٣٢هـ، ١٩١٤م.

القريني (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) تقي الدين أحمد بن علي:

* السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٤، ٧، حققه الدكتور سميد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٢م.

* كتاب المراعط والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط القرينية، ج ٢، دار التحرير للطبع والنشر، طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ.

جمال الدين الرمادي، ابن بطوطة، دائرة معارف الشعب، عدد ٤٩، القاهرة ١٩٥٩م.

جوزيف نسيم يوسف،

* لوس التاسع في الشرق الأوسط، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٩م.

* علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية في ضوء وثائق صبح الأعشى، منشورة في كتاب أبو العباس الفقنندي وكتابه صبح الأعشى، ٥، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ص ١٤٥ - ٢٠٠، المكتبة العربية ١٢٨، القاهرة ١٩٧٣م.

* نقاط التلاهي والصراع بين أوروبا العصور الوسطى والشرق، دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الإسكندرية ١٩٨٨م.

- خليل بن شاهين الظاهري (ت ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م)، غرس الدين:

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، صححه ونشره الأستاذ بولس راوس، باريس ١٨٩٤م.

- درويش الخليلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، الإسكندرية، ١٩٧٤م.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

- الإدريسي (ت حوالي ٥٤٨هـ / ١١٥٤م) أبو عبد الله محمد الشريف السبيعي، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ليسن ١٨٦٤م.

- إبراهيم الكيلاني، مصطلحات تاريخية مستعملة في العصور الثلاثة الأيوبية، المملوكية والعثمانية، مجلة التراث العربي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٤٩، تشرين الأول ١٩٩٧، ويتبع الأخر ١٤١٣هـ.

- إبراهيم علي طرخان، مصر في عصر المماليك الجراكسة، القاهرة، ١٩٦٠م.

- ابن إياس (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) أبو البركات محمد بن أحمد:

بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب، ١٩٦٠، كتاب الشعب رقم ٩٣.

- ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) أبو عبد الله محمد اللواتي:

رحلة ابن بطوطة المسماة بحجة النظار في عجائب الأمصار وعجائب الأسفار، ٥، طبعة مصر ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م.

- ابن حجر المسقلاني (ت ٨٥٣هـ) شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي:

إنباء القصر بآثار العمر في التاريخ، ٩ أجزاء، الطبعة الثانية، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان، بيروت، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

- ابن عاتق (٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) أبو المكارم أحمد بن الخطير أبي سعد:

كتاب فوائذ الدواوين، جمعه وحقق الدكتور عزيز سوريال عطية، مكتبة مينيولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

- أبو المحاسن (٨١٣-٨٧٤هـ) جمال الدين يوسف بن تفرى بردي الأتابكي:

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١٤، تقديم وعيديق محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٢م.

- البيهقي إسماعيل، النظم المائنة في مصر والشام زمن سلاطين المماليك، القاهرة ١٩٩٨م.

- محمد صبحي عبد الحكيم ، مدينة الإسكندرية ، القاهرة ١٩٥٨م.
- محمد عبد الله عنان:
- * عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، عصر المرابطين ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٦٤م.
- * دولة الإسلام في الأندلس ، ج ٧ ، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٣م .
- محمودة سعيد عمران ، أوروبا والقول ، الإسكندرية ١٩٩٦م .
- مؤرخ نامي مجهول ، حويلات وصفية ، نشر وتحقيق الدكتور حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٦٨ .
- نجلاء مصطفى عبد الله شبيحة ، الجبال الأيوبية في مصر في عصر سلاطين المماليك ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية آداب جامعة بني سويف ، ٢٠٠٧م .
- هابد ، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ، ج ٢ ، ج ١٣ ، ج ٤ ، ترجمة أحمد رضا محمد ، القاهرة ١٩٩١ ، ١٩٩٤م .
- ولهم الصوفى ، الحروب الصليبية ، ترجمة حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٥م ، ج ٤ .
- ثانيا : المصادر والمراجع الأجنبية:
- Anca Crivat-Vasile, El viaje de Nicolodel Conti en los relatos de Pero Tafur y Foggio Bracciolini, Revista de filologia romanica, No.13, 1996, pags. 231-252.
- http://revistas.ucm.es/ll/0212999x/articulos/RRFM9696E10231A.PDF
- Los libros de viajes de la Edad Media Española.
- http://cbooks.unibuc.ro/filologie/AncaCrivat/index.htm
- http://ebooks.unibuc.ro/filologie/AncaCrivat/cap52b.htm..... cypria;
- Cobham, Claude Delaval, Excerpta Cypria. Materials for a History of Cy-

- سعيد عبد الفتاح عاشور:
- * كتاب صبح الأعشى مصدرا لدراسة تاريخ مصر في العصور الوسطى ، ٤ ، مقالة منشورة في كتاب أبو العباس القلقشندي وكتابه صبح الأعشى ، ٩ ، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة ، ١٩٧٣م .
- * العصر المماليكي في مصر والشام ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
- * المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، القاهرة ، ١٩٩٢م .
- * قبرس والحروب الصليبية ، تاريخ المصريين ، ٣١٠ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
- شمس الدين دمشقي ، (٧٢٧هـ /) شمس الدين ابي عبد الله محمد بن ابي طالب الاتصاري الدمشقي:
- كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٨٨م .
- طاهر ، رحلة طاغور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي ، ترجمة وتقديم الدكتور حسن حبشي ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .
- عادل حلال ، العلاقات بين القبول وأوروبا ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٩٧م .
- فرنسيس رود ، ماركو بولو ، هل وصل إلى الصين ، ترجمة فاضل جتكر ، النبعة الأولى ، سورية - دمشق ، ١٩٩٩م .
- لاسم عبده قاسم:
- * النبل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٧٨م .
- * ماهية الحروب الصليبية ، عصر العروة ١٤٩ ، الكويت ، مايو ، ١٩٩٠م .
- قاموس آباء الكنيسة وقديسيها .
- http://popekirillos.net/ar/fathersdictionary/index.php
- محمد أحمد دهمان ، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ، الطبعة الأولى ، بيروت - دمشق ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- محمد الفاسي ، الأعلام الجغرافية الأندلسية ، مجلة البنية ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، ص ١٣٨٢هـ / يوليو ١٩٦٦م .

اعتمدت على الترجمة العربية للكاتب، رحلة شافور، في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة وتقديم د. حسن حسني، القاهرة 2002.

- Traveling to Jerusalem, Brief Biography, Colorado State University pueblo, Seminar Papers 1997-2003. D:\Traveling to Jerusalem. htm1
- Ziada, M.M, The Mamluk Conquest of Cyprus In The Fifteenth Century, Bulletin of the Faculty of Arts, University of Egypt, vol.1 , part 1, May 1933, pp. 90-113; part II, May 1934, Second Edition, Cairo 1953, pp. 43-66.
- Zacour, N. P.; Hazard, H. W. (ed.) / The impact of the Crusades on Europe, V: The Institutions of the Kingdom of Cyprus, pp. 150-174, 1989. <http://www/wisc/edu/wisconsinpress/books/1937.htm>
- Wikipedia Encyclopedia, en.wikipedia.org/wiki/Sanlúcar_de_Barrameda
- http://en.wikipedia.org/wiki/Janus_of_Cyprus,

prus. Cambridge. 1908 (reprint 1969).

<http://www.archive.org/details/excerptacypriam00cobhgooogExcerpta>

- Glubb, Sir John. Soldiers of Fortune: The Story of the Mamlukes, New York, 1973.
- Hazard, H. W., Editor, The fourteenth and fifteenth centuries, XI: The Kingdom of Cyprus, 1369-1489, pp. 361-395 (A History of the Crusades, volume, III, Madison, Wisconsin: University of Wisconsin Press, 1975. <http://digital.library.wisc.edu/1711.dj/History.CrusThree>
- Maria Jose Rodilla, Espacios Sagrados y espacios míticos, La rtorica del viaje en las Andancas de Pero Tafur, revista casa del tiempo, 76, mayo 2005, p. 7-12.
- Mas Latrie(L. De).Nouvelles Preuves de L'Histoire de Chypre, Paris, 1874.
- L'Île de Chypre, Sa Situation Presente Et Ses Souvenirs Du Moyen-Age, Paris, 1879.
- Moeller, Charles. «Military Order of Calatrava.» The Catholic Encyclopedia. Vol. 3. New York, 1908. <<http://www.newadvent.org/cathen/03149d.htm>> . - Rafael Ramirez de Arellano, Pero Tafur», in Boletn de la Real academia de la Historia, 41 (1902).
- Ramirez De Arellano, Rafael: Estudios biográficos. Pero Tafur. Boletín de la Real Academia de la Historia, tomo 41(1902); cuaderno IV, pp. 273 - 98.
- Randy Sandoval, General Introduction, Pero Tafur: Travel of a Fifteen Century Knight, June 2002. static.chass.colostate-pueblo.edu/history/seminar/tafur/sandoval.htm
- Tafur,(Pero) Travels and Adventures (1435-1439), translated and edited with an introduction by Malcolm Lettis, New York, London, 1926.

أ.د. علي بن محمد عودة الغامدي^(١)

أضواء جديدة

علي السفارة الثانية لملك السكسون أوتو الأول إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر بالأندلس

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

ويجد

تحدثت بعض المصادر الغربية عن مراسلات جرت بين الخليفة الأموي في الأندلس، عبد الرحمن الناصر ٣٠١-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦٦م، وبين ملك السكسون أوتو الأول (٣٧٤-٣٦٦هـ / ٩٣٦-٩٧٣م). وكان ذلك لبل ترويج أوتو امبراطوراً^(١).

وكان هدف المراسلات بالأساس سياسياً. وقد بدأ أوتو بهذه المراسلات يشكو فيها من غزوات إمارة إسلامية قائمة في جبال الألب على بلاده، وهي إمارة جبل القلالم التي يتحدث عنها ابن حوقل فيقول: «جبل القلالم الذي ينواحي إفريقية بأيدي المجاهدين عمارة وحرت ومياه وأراض تقوت من لبن إلبهم، فلما وقع عليه المسلمون عمروه، وصاروا في وجود الأفرنجية والتوصل إليهم بمنع لأنهم يسكرن في هذه الجبل، فلا طريق إليهم، ولا مُسَلِّق عليهم إلا من جهة هم منها آمنون، ومقداره في الطول نحو يومين»^(٢).

١- أسناد تاريخ المعتمد الأوسط من تاريخ - جامعة أم القرى - مكة المكرمة .

الإمارة، ويبدو أن الرسالة تضمنت دعوة أوتو لاعتناق الإسلام، ولكن الرواية الغربية تزعم أن رسالة الناصر تضمنت ١ تحديفاً وسياً ضد المسيح^{١٠١}.

وعلى الرغم من أن الرواية الغربية لم تورد نص رسالة عبد الرحمن الناصر إلى أوتو، ولكنت بالإشارة إلى أن الرسالة تضمنت تحديفاً وسياً ضد المسيح عليه السلام، فإن الأمر الذي لا شك فيه أن رسالة الناصر لا يمكن البتة أن تحتوي على سباب ضد المسيح، لأن الإسائة للمسيح ضد العقيدة الإسلامية نفسها التي كرّمها المسيح عليه وآله واعتبرته من أولي العزم من الرسل وأنه كان وجهها في الدنيا والآخرة. ولا يمكن أن تصدر ضده بسائة أو سب من خليفة مسلم^{١٠٢}. والراجح أن رسالة الناصر تضمنت دعوة الملك أوتو لاعتناق الإسلام، كما يبدو أن الناصر بين في رسالته زيف وخطأ اعتقائه النصراني في ألوهية المسيح، وأنه مثل آدم خالفه الله بكلمة منه، وما زعمته الرواية الغربية من تحريف وسب إنما هو وفق النظر النصراني الضال الذي يعتبر إنكار ألوهية المسيح نوعاً من التهديف.

ومهما يكن من أمر فيبدو أن المضمون الديني لرسالة عبد الرحمن الناصر أثار غضب مستشاري أوتو فاعتبروا إنكار ألوهية المسيح عليه السلام محرماً على دينهم، وأن الناصر بعيد جداً عن معرفة العقيدة الصحيحة، بزعمهم، وطورا أوتو على كتابة رد مضاد لرسالة الناصر. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تضمن الرد هجوماً بديهاً وسائراً على النبي صلى الله عليه وسلم، يبدو أنه اشتمل على بعض العبارات المذبذبة التي راحت في بعض كتب الجدل البيزنطية والأشبهانية المعادية للإسلام^{١٠٣}. وكلف أوتو سنة ١٠٣٤هـ/١٠٥٦م رئيس أحد الأديار من الرهبان يدعى يوحنا الجورزي Jhon of Gorze بحمل رسالته إلى الخليفة عبدالرحمن الناصر. وأمره بأن يدافع عن النصرانية في بلاط خليفة قروية. وكان يوحنا الجورزي متضلماً في علوم اللاهوت وبراعاً في فن الجدل، وأيدى يوحنا الجورزي حماسة شديدة في أداء تلك المهمة بل وأفصح عن رغبته للملك الجورزي أن يقصد تلك الرغبة من نفس يوحنا الجورزي قبل مسيره، إلا أن تلك الرغبة الجامعة محمد صلى الله عليه وسلم وشجب الإسلام أمام الخليفة ودعوته لنبذ الإسلام واعتناق النصرانية، تحاول أوتو أن يقصد تلك الرغبة من نفس يوحنا الجورزي قبل مسيره، إلا أن تلك الرغبة الجامعة ظلت تتلخج في صدره. وغادر يوحنا الجورزي سكونيا في صحبة راهب آخر حاملاً رسالة أوتو وهدايا شمية بخشبها الخليفة الخليفة عبدالرحمن الناصر جرياً على العادات الدبلوماسية بين ملوك ذلك العصر. رب وصلا إلى قروية أمثقالاً بحفارة من جانب موظفي الدولة، وأتررها في دار الضيافة الحكومية^{١٠٤}.

وهذه الإمارة الإسلامية هي التي يطلق عليها المصادر الغربية اسم فراكينسكوم Frazincum، وهو اسم القلعة التي كانت قاعدة هذه الإمارة، والراجح أن هذه القلعة كانت تقع في نفس الموقع الذي تقع عليه حالياً قرية جارد فريمت La Garde - Freimet في سفوح جبال الألب في جنوب فرنسا، إلى الشمال من ميناء طولون الفرنسي. ويرجع تأسيس هذه الإمارة إلى جماعة من المجاهدين المسلمين الأندلسيين يقدر عددهم بعشرين مجاهداً، خلفت الروح برحمتهم فوراً في سنة ١٠٧٨هـ/١٠٨١م على ساحل بروفانس Provence في خليج سان - ترويس Saint - tropes، فتولوا إلى البر ليلاً وأغاروا عن قرية ترويس، ثم صددا في إحدى جبال الألب وتسمى موروس Murus، وانتخبوا منه قاعدة ونوا قلعتهم الشهيرة، رخصوا رسولاً إلى الأندلس يبحث الرّاغبين في الجهاد على الاستحاق بهم، فتوافدت عليهم أعداد أخرى من الأندلس فسلخوا من أزهم وتوسعوا جميعاً في غاراتهم، ولم يلبثوا أن سيطروا على معظم الممرات التي تربط إيطاليا ببقية قارة أوروبا عبر جبال الألب ونحو المزيد من الحصون، ونحو مناطق كثيرة في شمال إيطاليا وخصوصاً فرنسا وألمانيا، وطلعت غزواتهم بحيرة جنيف، وفرضوا الأمنوات على الرّاغبين في المزيد سلام عبر جبال الألب من الفرنسيين، وظلوا زهاء خمس وثمانين سنة يشكلون قلقاً شديداً للقوى الأوروبية المتحددة لهم. وكانت نهاية هذه الإمارة الإسلامية العجيبة بسبب ما حدث ليلة السادس من شوال سنة ١٠٣٦هـ/ ١٠٧٢م، عندما أسر المجاهدون المسلمون عدداً من الروار الفرنسيين كانوا عائدتين من روما إلى فرنسا عبر ممرات جبال الألب، وكان على رأس أولئك الأسرى رئيس دير كلوني مايول Maiolus of Cluny، ولم يطلق المسلمون سراح مايول وأصحابه إلا بعد دفع فدية كبيرة. وكان لتلك الحادثة دوي هائل في الغرب، لا سيما في بيزنطيا ورومانس، فتقدّم المحاربون من تلك المناطق وغيرها وهاجموا إمارة فراكينسكوم، وبعد حرب ضروس دامت زهاء ثلاث سنن تمكن المحاربون الفرنسيون من اقتحام تلك القلعة في سنة ١٠٣٤هـ/١٠٧٥م وقتلوا معظم المسلمين من أهلها ومن بقي منهم على قيد الحياة فقد تعرضوا للاسترقاق وأجبروا على التنصر^{١٠٥}.

بعد أن ازدادت قوة أوتو في ألمانيا وسط نفوذه على لبارديا في إيطاليا دخل العديد من أمراء الاقطاع الجوارين لجبال الألب تحت نفوذه كإفصال إقطاعيين، ومن تلك الاقطاعيات التي أصبحت تدين بالسيمية لأوتو منطقة بيزنطيا^{١٠٦}. ولما كانت غزوات إمارة جبل القلح (فراكينسكوم) موجهة إلى تلك الإمارات وما يتبعها من مواقع وأديار فقد شكى الرهبان والأمراء إلى أوتو غارات مسلمي فراكينسكوم. وقد اعتبر أوتو تلك الإمارة الإسلامية تابعة لخليفة الأندلس عبد الرحمن الناصر، فأرسل إليه في سنة ١٠٥٣هـ/١٠٣٤م سفارة تطلب منه كف غارات فراكينسكوم، فرد عبد الرحمن الناصر بإرسال مبعوث بحصل رسالة بنفي قبيها مسؤوليته عن تلك

على الرسالة المرسله إليه، والتي اعتبرها مجديفة، وطلب الأسقف المستعرب من الراهب القليل من الواحية وقال له : (الناخذ بعين الاعتبار الظروف التي نعمل تحتها، إننا نثق في هذه الأشياء، بسبب ذنوبنا، لذلك نحن تحت سيطرة المسلمين الوثنيين، ونحن ممنوعون بكلمة الرسول^{١١٧} أن نقاوم السلطات. ولفظ جزء واحد من العزاء يبقى وهو أنه داخل شر هذه المصيبة فإنهم لا يتعنونا من اتباع ديانتنا وعندما ننتج المسيحية يجب معاملتنا باحترام ونهملونا، والأكبر كذلك أنهم يتدنسون في ذلك الطريق بواسطة اقتناعهم، حيث أنهم يرتضون بالكامل من اليهود . لذلك في الوقت الحالي يجب أن نحافظ على هذا التشاور، حيث أنه لا شيء من واجبات ديننا نتخطى عنه، فيجب أن نظلمهم في كل الأشياء، الأخرى، ونراقب أوضاعهم طالما أن هذه الأزمات لا تتعارض مع عقيدتنا)^{١١٨}.

ويمكن أن نلاحظ من عبارة هذا الأسقف الأسباني المستعرب، وهو الذي يُفترض أنه يعمل لحساب الناصر، أن نعرته الدينية تميل - رغم الواقعية - مع الرأي الغربي العام، حيث وصف المسلمين بالوثنيين، وهو الوصف الذي أصبح شائعاً في أوروبا في ذلك الحين. كما يمكن أن نلاحظ أن هذا الأسقف كان حريصاً على استمرار سياسة التسامح التي يسر عليها المسلمون إزاء التصاري، لذلك حاول أن يفتح الراهب البعوث يوحنا الجوزدي بالنخلة عن فكرة طلب الاستشهاد، لما قد يجره مثل ذلك التصرف من آثار سلبية على سياسة التسامح الإسلامي إزاء النصارى في الأندلس، لكن لا تندي من أين أتى الأسقف بهذا الزعم القائل بأن المسلمين يرتضون بالكامل من اليهود. فالمعروف أن اليهود في ذلك الحين كانوا أهل ذمة يدفعون الجزية للمسلمين في كل مكان يتواجدون فيه داخل العالم الإسلامي.

وكيفما كان الأمر، فلم يعمل الراهب يوحنا الجوزدي المنطق والواقعية التي تحدث بهما الأسقف المستعرب فرة فورا وبانفصال وقال للأسقف : (لو أن شخصاً غيرك كان أسقفاً لكان أفضل أن يقول هذه الأشياء، من أن تقررها أنت فالكيسة الكاثوليكية برمتها نشأت من المكروه وكذلك المستعربون -الأسبان- يجب أن يكونوا مطهرين روحياً)^{١١٩}. وبغض من هذا النص أن يوحنا الجوزدي لم يكن راضياً عن كلام الأسقف المستعرب، لأنه يريد أن يكون من ضراز المتصيين الأسبان أمثال سيرا بننور، وأولوخور، وألفارو، ولذلك لجده يُعقّب على كلامه بالاستئلال بالأية الأولى من الإصحاح الخامس من رسالة بولس إلى أهل غلاطية التي يقول نصها : (فانيؤا في الحرية التي حرزنا المسيح بها ولا ترتكوا بغير العبودية). كما استدل يوحنا الجوزدي بنصوص

وكان من ضمن موظفي الدولة الذين استقبلوا بعوث الملك أوتو موظف يهودي يعمل في بلاط الخليفة عبدالرحمن الناصر. وأسقف أسباني مستعرب كان يحظى بثقة^{١٢٠}. ويبدو أنها قد اكتشفا بعد اجتماعهما ومحادتهما مع الراهب يوحنا الجوزدي، معضون رسالة الملك أوتو إلى الناصر، وعرفا أن الراهب تحفه ورغبة قوية في السير على خطى حركة المنتمين المسعربين (أو حركة شهباء - قرطبة كما تسميها المصادر الغربية)^{١٢١} قبل نحو مئة سنة من سب النبي محمد صلى الله عليه وسلم وشجب الإسلام بحضرة الخليفة الناصر حتى يتال ما يعتبره الاستشهاداً). وقد أخبر الوظفان الخليفة الناصر بمضمون رسالة أوتو التي تشمل هجومياً مباشراً على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والرغبة التي تجيش في صدر الراهب يوحنا الجوزدي بسبب النبي صلى الله عليه وسلم وشجب الإسلام علناً أمام الخليفة حتى يصدر عليه الحكم بالإعدام فينال ما يعتقد استشهاده. ولم تكن تلك الحركة بعيدة عن ذهن الناصر فقد حدثت في عهد جده الثالث عبدالرحمن الأوسط (٢٠٦-٢٣٨هـ / ٨٢٢ - ٨٥٢م) وعده الثاني محمد الأول (٢٣٨ - ٢٧٢هـ / ٨٥٢ - ٨٨٦م). كما شهد عهد عبدالرحمن الناصر نفسه بعض ذبول تلك الحركة^{١٢٢}. لذلك لم يرغب في ذلك المصير اليائس لسفارة أكبر ملك قسراتي في أوروبا في ذلك الحين. ورتبة في محجب ذلك المصير رفض الناصر استقبال البيعة، ولما طالب البعوث يوحنا الجوزدي بالقبول بين يدي الخليفة، رفض الأخير الاستجابة لطلبه، وتجهج بأنه سبق أن أرسل رسولاً من لده إلى الملك أوتو فأحجزه عنده زها. ثلاث سنوات، وأن الناصر سوف يعمل الشيء نفسه مع بعثة يوحنا الجوزدي، وسوف يحجزه ثلاث أضعاف تلك المدة. وذكر يوحنا المتري John of Metz - الذي كان صديقاً للمبعوث يوحنا الجوزدي، كتب سرته بعد وفاته سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٤م - أنه من المعروف لديه أن (شريعة المسلمين المرعبة مخيم أي هجوم ضد دينهم، وأن عقوبة الموت تنتظر كل من يفعل ذلك بدون رحمة، وليس في مقدور أحد الشفاعة لمن يُجسَم على ذلك، وأن الملك والشعب مهووظون بعقبة واحدة، فينسا يُحايق الملك كل مسمي، ضد دينهم بالموت، فإنه نفسه إذا ما تأخر عن تنفيذ ذلك سوف يُقتل على الفور)^{١٢٣}. ومن الواضح أن قول يوحنا المتري بأن الملك سوف يُقتل في حالة تأخره في تنفيذ عقوبة الموت بمن سبي، للدين، تفسير غير صحيح لموقف عبدالرحمن الناصر الراض مقابل بعوث أوتو يوحنا الجوزدي.

وقد جرت مناقشة بين الأسقف المستعرب الذي يحظى بثقة الناصر وبين الراهب يوحنا الجوزدي حول القضية، حيث ذكر الأسقف الراهب بأن رسالة أوتو تعتبر طعنة انتقالية وداً سريعاً لاوعياً

محمد صلى الله عليه وسلم. فرد يوحنا على رسالة الخليفة مصرياً بأن من واجب الإخلاص للملك أوتو الذي كلفه بتسليم الرسالة للخليفة وأنه لا سوف يحافظ على إخلاصه دون انتهاك^{١١٦١}. ويرى يوحنا الجوردي أن الخليفة الناصر لم يفتب من جوابه ففرض الأمر على أعضاء مجلسه، فاقترح أحدهم أن رسلاً مختلماً مثل يوحنا رعا يكون حكيماً أيضاً، فليشرح هو بنفسه معزجاً من هذه الأزمات. ولما عُرض الأمر على يوحنا الجوردي اقترح حلاً مفيداً، وهو أن يبعث الخليفة الناصر رسلاً إلى الملك أوتو للحصول على رسالة أحسن وألطف بدلاً من تلك الرسالة الغيضة التي يحملها يوحنا حتى لا يحدث صدام ديني بين الجانبين، بحيث تتضمن الرسالة الجديدة بياناً رسمياً بالعقيدة النصرانية دون التعرض بالهجوم على الإسلام ونبية محمد صلى الله عليه وسلم^{١١٦٢}. ومن هذا المقترح يتضح لنا أن رغبة يوحنا بالاستشهاد قد خمدت، ولعل تلك الطريقة التي قصاها محتججاً في مكان معزول واللقاءات المتواصلة مع مندوبي الخليفة، وتقدمه في السن قد أسهمت في خضوع تلك النزعة الطائشة، ولذلك فإن اقتراحه بنطوي على الرغبة في أداء مهمته الدبلوماسية العالمية دون التسعي وراء الشهادة المزعومة التي هيئت عليه عند وصوله إلى قرطبة.

وكان أن وجد الخليفة عبد الرحمن الناصر في اقتراح يوحنا الجوردي معزجاً معزولاً لأزمة تلك البعثة التي طال مكوثها في قرطبة دون الشغل بين يديه. فاختار من لئله رسلاً يقوم بتلك المهمة إلى بلاط أوتو. وكان ذلك الرسول هو ريشوندو Recemundo أسقف البيرة، ويبدو أن الخليفة عبد الرحمن الناصر قد جمع في اختياره لرجل يمكنه تحقيق ذلك الحل الوسيط. إذ يذكر السفير يوحنا الجوردي أن ريشوندو زاره - بعد اختياره مجهولاً إلى أوتو - فسأله عن عادات وتقاليد ونظم مملكة أوتو، ومدى رخصته واعتداله مع شعبه، وهل هو صريح الغضب أم لا، وهل يتراجع عن قراراته، وهل يسلط صراجه ولن يحتجوه عنده مدة طويلة مثل يوحنا. وكل تلك المعلومات التي حصل عليها ريشوندو من يوحنا الجوردي ساعدته على النجاح في مهمته^{١١٦٣}.

غادر ريشوندو بلاد الأندلس وأجتاز فرنسا حتى وصل إلى بلاط أوتو في سكسونيا، وقابله وحصل منه على رسالة أفضل وألطف من تلك التي يحملها يوحنا الجوردي، ولا تتضمن أي إساءة إلى الإسلام. كما حصل منه على هدايا جديدة للخليفة الناصر. وأقن له أوتو بالعودة لكنه أنضى وقتاً طويلاً متروداً على دير جورز الذي يتسمى إليه السفير يوحنا، ثم عاد إلى قرطبة بعد أن استغرقت رحلته سنة كاملة. وحاول ريشوندو أن يُسلم رسالة أوتو وهديابه مباشرة إلى

أخرى يعترض بها على تصرفات بعض المستعربين في تعاملهم مع المسلمين، ويرغم يوحنا الجوردي -الذي أريد نصوص هذه المناقشة- أن الأسقف المستعرب ارتعب من تلك النصوص، فرد بشكل ضئيف وأهن قائلاً: (إن الضرورة تقضي). فأجابه يوحنا الجوردي مقرباً حيث قال: (أما أنا فسوف لن أوافق أبداً على تجاوز القوانين الإلهية بسبب الخوف أو الحب أو أية مصلحة فانية... أنا سوف أقاوم بصراحة، ولن أعرب عن الشهادة بلحق بصرف النظر عن حب الحياة نفسها)^{١١٦٤}.

وإذا تأملنا هذه الأقوال والاستدلالات التي كان يسوقها يوحنا الجوردي نجدها تتشابه إلى حد بعيد مع الاستدلالات والأقوال التي كان يسوقها الزاهد الأسباني أولوخير في التحريض والتبرير للحركة التي عرفت في المصادر الغربية بحركة شهداء قرطبة^{١١٦٥}. على أن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف تأثر يوحنا الجوردي بأراء أولوخير وتبريراته كما زعمه حركة «الشهداء»^{١١٦٦} الخليفة أننا لا نجد جواباً مباشراً على هذه المسألة، ولكن يمكن أن نستشف الجواب في أثر ما أحدثته تلك الحركة التي تسمى «حركة الشهداء» في قرطبة من صدق وأثر في سكسونيا البعيدة إذا ما عرفنا أن إخوة أولوخير قد هربوا من بلاد الأندلس بعد مقتل أخيم سنة ١٠٤٤هـ / ٨٥٩م وجأوا إلى بلاد السكسون في بافاريا في ألمانيا^{١١٦٧}. ويمكن أن نتصور ما قاموا به من نشر آراء، أخيم ودعاؤه في الأديرة الألمانية، وما حملوه معهم من صور مشوهة وآراء ملققة عن الإسلام ونبية محمد صلى الله عليه وسلم خصوصاً بعد أن أصبحوا متورطين بمقتل أخيم الذي قاد وبرز حركة الانتحاريين المسمومين في قرطبة، والتي يطلقون عليها في الغرب حركة «الشهداء قرطبة».

وخلال الفترة الطويلة التي أمعتها مغارة يوحنا الجوردي في قرطبة، في انتظار الإذن لها بمقابلة الخليفة عبد الرحمن الناصر، كانت السفارة تقضي معظم وقتها في مكان معزول عن الناس بأمر من الخليفة الناصر نفسه، وفي أحد الأيام سُخِّح للسفارة بالذهاب إلى الكنيسة، وبعث الخليفة - كما تقول الرواية الغربية - برسالة على الرق إلى المبعوث يوحنا الجوردي. فالتابته المخاوف من محرمات الرسالة، لذلك أجل قراءتها حتى الانتهاء من الصلاة في الكنيسة. وبعد قراءة الرسالة، زعم يوحنا الجوردي أن الخليفة الناصر هد في رسالته يقتل جميع نصارى الأندلس إذا ما أصر يوحنا على تسليم رسالة أوتو. ويبدو أن ذلك كان مجرد ضغط نفسي من الخليفة لإقناع يوحنا بالتخلي عن إصراره على تسليم رسالة أوتو التي تتضمن إساءات بالغة إلى الإسلام والتي نية

الخليفة الناصر، لكن الأخير أمره أن يسلم كل ذلك إلى يوحنا الجورزي مكافأة له على انتصاره الطويل^{١٢١}.

وهكذا تسلم يوحنا الجورزي رسالة أوتو وهياياه الجديدة من ريشموندو بعد انتظاره الطويل الذي دام زهاء ثلاث سنوات، وجرى الاتفاق على أن يحتفظ يوحنا رسالة أوتو القبية في كنيسة قرطبة، وسلم الناصر بدلاً عنها رسالة أوتو الجديدة التي جاء بها ريشموندو. وأخيراً صدر أمر الخليفة الناصر بالإذن ليوحنا الجورزي بمقابلته. وقد جرى له استقبال مهيب، حيث وصف يوحنا ذلك الاستقبال وصفاً حياً، فذكر أنه أخذ من صاحبة قرطبة التي أحتجز فيها مدة طويلة، ثم دخل إلى قرطبة حيث اصطفت على جانبي الطريق عساكر وجواهر كثيرة، وقرفاً عسكرية مدنية تمارس عروضاً بديعة لإظهار القوة، وعساكر أخرى تقوم بتدريبات عسكرية، وذلك على طول الطريق الذي يكتنفه القبار في منتصف الصيف، وعند مدخل القصر الكبير كانت الأرض مفرشة بالسجاد والقماش، وبعد أن أدخل القصر أخذ إلى غرفة صغيرة حيث كان الخليفة عبد الرحمن الناصر جالساً بمقوده (كما لو أنه كان إلهاً غير يمكن الوصول إليه سوى للبعض وكانت الجدران والأرضيات مغطاة بالملك منكمى على سرير فخم، فهم لا يستخدمون الكراسي مثل الآخرين، بل يتكئون على سرير أو أريكة يتعدثون، ويكونون وأرجلهم مترتبة فوق بعضها البعض)^{١٢٢}.

ولما مثل يوحنا بين يدي الخليفة رخصاً به، فلقم يوحنا هدايا ورسالة أوتو الجديدة، وتحدث بلهجة شديدة مع الخليفة متخلياً تماماً عن تلك الآراء المتعصبة التي كان يتحدث بها مع الأسقف المستعرب الذي طالبه بالواقعية بعيد وصوله إلى قرطبة، بل ومد له الخليفة يده - كما جرت العادة مع البيهوثين - فقبلها، ولم يعترض على شيء من مراسم الاستقبال التي قوبل بها سوى الاعتذار عن ارتداء خلعة الخليفة بحجة أنه راهب، لا يرتدي غير زي الرهبان. ولما تحدث يوحنا عن موضوع سفارته الأصلي وهو كيف غزوات إمارة فراكينسوم عن المناطق المجاورة، أخبر الناصر يوحنا أن تلك الإمارة ليست تابعة له، ولا تأتمر بأمره^{١٢٣}.

وبعد ذلك سأل الخليفة يوحنا الجورزي عن الملك أوتو، فبالغ يوحنا في حديثه عنه وعن قوة مملكته، وجرى الحديث بين الناصر وصعرت أوتو عن اختلاف نظم الحكم بين مملكة الناصر ومملكة أوتو، حيث أظهر الناصر عدم موافقته على النظم الاتطاعية السائدة في مملكة أوتو وغيرها من الممالك الأدرسية في ذلك الحين، والتي تتيح لأمراء الاقطاع ما يشبه السيادة الكاملة على إماراتهم، والتي قد تغربهم بالتزوع إلى الاستيلاء والاستقلال عن الملك. وبعد أن أنهى يوحنا

الجورزي مهمته لدى الخليفة استأذنه بالتقول إلى بلاده فأذن له بذلك فعاد إلى مسكونيا لبروي قصة رحلته^{١٢٤}.

وإذا تأملنا قصة هذه السفارة يمكن أن نخرج باللاحظات الختامية التالية:

أولاً :- أن العهد الديني قد طغى على الهدف السياسي الأصلي لبعثة يوحنا الجورزي وهو كيف غزوات إمارة فراكينسوم (جبل القلال) على المناطق الأدرسية المجاورة لها. فلم يرد في المناقشة التي جرت بين يوحنا واللوطف المستعرب التابع للناصر أي حديث عن ذلك الهدف، وأنصبت المناقشة - كما رأينا - على المضمون الديني للبعثة وكان ذلك هو السبب في تأخير هذه البعثة.

ثانياً :- أن الخليفة عبد الرحمن الناصر - بما عرف عنه من حكمة ومد نظر - توقع ما كانت تحويه الرسالة الأولى التي جعلها صعوث أوتو الراهب يوحنا الجورزي، لذلك لم يأذن له بالثقل بين يديه بعد وصوله إلى قرطبة، وظل يرسل المندوبين إلى يوحنا ليؤكد من صحة حديثه، ومعرفته بمضمون الرسالة على وجه الضبط. فاكشف صفة ما توقعه، بل وزيادة على ذلك تبين له نزعته صعوث أوتو لئيل ما يعتقد استهاداً عن طريق شجب الإسلام وسب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علناً وفي مجلس الخليفة نفسه وهو ما يجعله يأمر بقتله حسب الشريعة الإسلامية، الأمر الذي سيكون له عواقب مدمرة المدي على العلاقة بين الناصر ودولة أوتو بخاصة، وبين الناصر والعالم الغربي النصراني بعامة، لأنه لا يمكن له السكوت على ذلك، ولا بد له أن يحكم عليه بالحكم الشرعي، وهو الحكم السائد الذي سبق الحكم به على العشرات من أعضاء تلك الحركة المشار إليها. ولو سكت الخليفة عبد الرحمن الناصر على مثل تلك الإساءة بحضرته لاعتبارات سياسية، فإن ذلك قد يزعزع حكمه ويطيح بمكانته في نظر المسلمين. لذلك تجتنب الناصر حدوث تلك المقابلة، وأطال في احتجاز يوحنا الجورزي، حتى خمدت رغبته في الاستعمار - الذي يحسه استهاداً - بل واقترح بنفسه حلاً كان هو المخرج من الأزمة حيث أشار بإرسال رسول إلى أوتو للاتيان برسالة بديلة لا تتضمن الفدح في الإسلام وتنبه محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً :- لقد أرسلت حكومة قرطبة سلسلة من المندوبين إلى الراهب يوحنا الجورزي في مكان احتجازه للاستخبار عن مضمون رسالة أوتو، ولمعرفة نوايا الراهب يوحنا، ومحاولة التخفيف من غلوائه، وكما قد أشرنا إلى دور الأسقف المستعرب في ذلك. وكان التدب الأول في تلك السلسلة

الهوامش

- ١ - تحدثت بعض المصادر العربية عن تلك المرسلات بضموض وإبحار، فلم تشر إلى مصابيح تلك المرسلات. انظر على سبيل المثال: ابن عساري: البيان المغرب، بيروت، ١٩٨٠م، ج ٢ ص ٢١٨؛ تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ١٨٣. أما المصدر الغربي الأصلي الذي يعتمد عليه الباحث في إلقاء هذه الأضواء، المهدية على خاطرة الملك أوتو الثانية إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر، فهو ما كتبه يوحنا المتزي John of Metz الذي كان صديقاً ليوحنا الجورزي John of Gorze، مبعوث أوتو إلى الناصر والذي صنف كتاباً بعد وفاة يوحنا الجورزي سنة ٩٧٤م، وأورد فيه قصة تلك البعثة مضمناً على رواية صديقه الجورزي لها، انظر: Gorziensis auctore Johanne abate S. Arnulfi, ed. G.H., Vita Johannis abbatis Perz. (1841). In Monumenta German Hist. SS 4, p.371.
- ٢ - ابن حوقل: صورة الأرض، ط القاهرة، بدون تاريخ، ص ١٨٥.
- ٣ - Liutprand, Bishop of Cremona: Antipodosis, in the works of Liutprand of Cremona. Trans by F.A. Wright, London, 1950, pp. 33-189; Rudolf Glaber: Historica. Vol.1, in Monumenta German Hist. SS.7, pp. 54-55. Ex Syr: Vita. S. Maioli, in Monumenta German. Hist. SS 4, pp.652-653; Reinaud, M: Invasions des Sarazins ek France Libralite Oriens, Paris, 1964, pp. 158-209; P.A. Amargier: La Capture de Saint Maiel de Cluny et L'expulsion des Sarazins des Provence Revue Benedictine, 73:1963, pp. 319 - 325.
- ٤ - Palanter, Sidney A History of the Middle Ages, 284-1500, London, 1975, 1976, pp. 165-167.
- ٥ - Vita Johannis abbatis Gorziensis: op. cit. SS 4, p.369; Reinaud, op. cit. p.174; El-Hajji, Abdurrahman Ali: Andalusian Diplomatic Relations, Beirut, 1970, pp. 313-314; Daniel, Norman: The Arabs and Medieval Europe, London, 1975, p.65; Keidar, Benjamin Z: Crusade and Mission European Approaches toward the Muslims, Princeton, New Jersey, 1986, P. 38.
- ٦ - يمكن أن نستشهد في هذه النقطة برسالة هارون الرشيد، ١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٩م، إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السادس، ١٦٣١-١٧١٧هـ / ٧٨٠-٧٩٧م، والتي صاغها له العالم الفجة أبو الزين

موظفاً يهودياً يعمل في بلاط الناصر، ذكر يوحنا أنه أعطاهم فكرة واضحة عن العبادات المحلية في قرطبة، وأنه يجب عليهم مراعاة تلك العبادات فيما لو سمح لهم بالسجود في قرطبة، وأنه يجب عليهم الحفر في حديثهم مع الناس، والبعد عن الأحاديث والتصرفات السخيفة والطائشة، وعدم الإيحاء، إلى النساء، حتى عن طريق المزاح، لأن ذلك قد يجلب عليهم المصائب، كما ذكر يوحنا أن اليهودي حرص على معرفة مضمون الرسالة وأن يوحنا لم يخف عنه شيئاً من مضمونها. فصحح المصوب اليهودي لأراهب يوحنا بعدم تسليم الرسالة مطلقاً للخليفة، لكن يوحنا كان مصرأً على تقديم هدايا ورسالة أوتو بنفسه، ويبدو أن نتائج زيارة المصوب اليهودي لأراهب يوحنا الجورزي هي التي جعلت الخليفة الناصر يواصل احتجاجاً، ويقتنع عن مقابله، ويرسل المندوبين تبعاً إليه، حتى تمكن من الوصول معه إلى ذلك الخلل الوسيط في نهاية المطاف^(١٦).

رابعاً: - أن يوحنا الجورزي عندما روى قصة بعثته لصديقه يوحنا المتزي - الذي كتب سيرته بعد وفاته - حاول أن يجعل مواقفه ونصراته تبدو وكأنها عفوية طبيعية، بينما الحقيقة أن كثيراً من مواقفه كانت محسوبة طبعاً لأعراف وتقاليد الدبلوماسية في ذلك العصر^(١٧).

خامساً: - إذا كانت حكمة عبد الرحمن الناصر وبعد نظره قد أسهمت في تغيير موقف السفير يوحنا الجورزي، وجعله يشعر بإرسال رسالة أحسن وألطف بدلاً عن الرسالة القوية التي كان يحملها، وأن أوتو قد استجاب لذلك المقترح، مراعاة لتبعات السياسة، والمعاملات الدبلوماسية، فإن ذلك لا يعني تغييراً أو تعديلاً في الصور المشوهة و الأفكار الملققة عن الإسلام التي أخذت تروج وتتوطد وترسخ في سائر بلاد الفرنجة والألمانيا وكسبون والتي أسهمت بعد أكثر من قرن من الزمان في قيام الحروب الصليبية.

8- Daniel, op. cit., pp. 66-68; Auctor, E. The Jews of Moslem Spain, trans. A. Klein and J. Klein, Vol. 14 Philadelphia, 1973), p. 421

٨- انبثقت هذه الحركة نتيجة الكراهية الملمبة للإسلام التي انتشرت في الأندلس الأسبانية لاسيما في ناغار في الشمال وحول قرطبة، وهي الكراهية التي يعتمدها ثورمان دانيال بأنها: 1- بر من الكراهية لجند باستمرارا انظر: Daniel, op. cit., p. 49. وبدأت تلك الكراهية بصورة جلية بظهور الفتنة الأسبانية عن محمد صلى الله عليه وسلم في أول شهر الثامن الهجري/ أوائل القرن التاسع الميلادي في دبر بطونة في ناغار وهي مقالة تصور النبي صلى الله عليه وسلم بصورة مجاهرة للقرن وعاكسة لصفاته تماما، انظر بحث: الرزية الأزرية للعرب والإسلام خلال العصور الوسطى، مرجع سبق ذكره، ص 56، وكان أول من دعا إلى الاستشهاد ضد الإسلام في سبيل نصرته النصرانية، هو الراهب، سيبريانو Specta in deo رئيس دبر شيطش قروب قرطبة، وكان شديد التعصب والحقد على الإسلام، وهو المعلم الذي تمسك على يديه أولوغيو Eulogius ودول الغارو Paul Alvarez وهما لمتعصبان القوطيان اللذان حرضوا على قيام ما عرف بحركة (شهباء، لوطبدا)، وقد صنف سيبريانو عملاً متناوفاً للإسلام على هيئة لامية نصرانية على اعتراضات إسلامية، وذهب أن القرآن يصور الجنة وكأنها آية دعارة). وقد التقى القارو مع أولوغيو في مجلس أساذما سيبريانو وتصادقا وأحدث أفكارهما المتمايزة للإسلام ثم ذهب أولوغيو إلى بطونة وأحضر الفتنة الأسبانية، وزادت عنادته للإسلام، ثم شرع يكتب هو والغارو العديد من الكتب تحرض على الاستشهاد ضد الإسلام، وبدأت تلك الحركة بتعرضها في سنة 235هـ/850م عندما بدأ عدد من الرهبان يسمون النيس صلى الله عليه وسلم عمالاً في الأضرار والأماكن العامة، وعندما يؤخذون إلى القاضي يكرهون مقالاتهم الذميمة فيسخر الحكم الشرعي عليهم بالإعدام. وقد بلغ عدد من أعدم في تلك الحركة نحو ٥٠ شخصاً كان أولهم أولوغيو ومعه القارو، ودامت الحركة زهاء عشر سنوات. انظر:

Frank, F.R. Die Freiwilligen Martyrer von Cordova und das Verfallsjahr der Mazaraber zumnach den Schriften von Speralendo, Eulogius und Alvar. In Gesammlte Aufsätze zur Kulturgeschichte Spaniens, 13, 1959: 1-170. Pp. 50-56; Daniel, op. cit., pp. 23-48; Colbert, E.P. The Martyrs of Cordoba (650-859): A Study of the Sources, Washington, 1962. Pp. 157-162

١١- لقد أصبح لتلك الحركة ذبول على شكل حوادث متفرقة على النسط فعمد، استمرت بضعة لرون في بلدان مختلفة، ومن تلك الذبول التي حدثت زمن عبد الرحمن الناصر ما حدث سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٥م عندما جاء نائب غلاني من فونسا يدعى بيلاجيوس Pelagius ليُرسل إلى قرطبة سنة ٣١٤هـ/ ١٢٥م وحسب الإسلام ونهيه محمد صلى الله عليه وسلم جهاراً فعمرك وأعدم في السنة نفسها، وركفته الكنيسة إلى درجة قدسي، وكان لفتنله صدئي كبيراً في بلاد الكسور، ولا سيما من جانب الراهبة والتابعة الألبانية

محمد بن القيث، والذي بدأها بقوله: (من صباه طاردين أمير المؤمنين إلى قسطنطين عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى... ثم حمد الله على وعلا بجماعته والدعاء بالآية، ثم بين أن من واجبه تليح دعوى الإسلام والإعتراف إلى من لم يهلكه تلك الدعوة، ثم بسط فيها بشكل مسهب عقيدة التوحيد كما جاءت في القرآن الكريم، فبين توحيد الربوبية وتوحد الألوهية، ورضائية الله جل وعلا في آياته وصالته وأفعاله، وشرح كل ذلك بالأدلة القرية والحجج العائقة والتزيين القاطعة، ودحض من خلال عرض كل الدعوى القائمة بأن الله ابن أو شريك، ثم نقد بعد ذلك بالأدلة العقلية المنطقية العقيدة النصرانية القائمة بأن الله تعالى إله واحد حكيم من ثلاثة أقانيم هي الأب والابن وروح القدس، وناقشها وبرهن على تناقضها وتناقروا ودعم فسادها مع العقل والمنطق السليم، ثم عرض وشرح بعد ذلك أكثر من عشر مشاركات بيعت محمد صلى الله عليه وسلم يودت في العهدين القديم والجديد، ثم شرع بشرية وعبودية السيد المسيح لله سبحانه وتعالى مستقلاً بعداً من الآيات الواردة في الأناجيل المتناولة بين النصراني - وهذه الرسالة تلغ في أكثر من تسعين صفحة. انظر: رسالة أبي الريح محمد بن القيث التي بعث بها الخليفة الصاسي حازن الرشيد إلى قسطنطين ملك الروم: شرح وتعليق أحمد لطفي حسن، مطبعة الباني الحلبي وآلاده، عصر ١٢٥٥هـ/ ١٩٣٦م.

٧- عن كتب الجمل البيزنطية والأسبانية انظر بحث على محمد عودة القاضي: الرزية الأزرية للعرب والإسلام خلال العصور الوسطى، في كتاب العرب وأدبها عبر عصور التاريخ، ص ٢٦) ندوة عقدا اتحاد المؤرخين العرب بقره في القاهرة، ١٩٤٢هـ/ ١٩٩٦م، ص ٥٩-٦٨.

٨- Vita Iohannis abbatis Gorziensis: op. cit., SS4, p. 370; El - Hsajbi: op. cit., pp. 314-316; Reinaud, op. cit., p. 187; Daniel, op. cit., pp. 64-65

وقد زامن مرصد سكي يوحنا الجوزدي إلى قرطبة مع عودة ليشواند الكرومي من بعثت الأولى إلى القسطنطينية التي قام بها بالنيابة عن الموكيز بنجنا Berengar ليل أن يلتحق برينجار بالنسبة للملك أوتو، وقبل أن يتدخل الأخير في إيطاليا ويصبح إمبراطوراً. ويشيران هنا هو مؤلف كتاب الكافا، Antapodosis (انظر ما سبق جاشية رقم ٣) الذي يعتبر من أوسع المصادر الغربية القديمة التي تحدثت عن إمارة روكسينوم (جبل القلال) وقربانها على الشاطئ البحارة لها قرب جبال الألب، وبعد سنوات قليلة أصبح ليشواند على علاقة صداقة متينة مع أسلمير المشرب وشوندر Rechemundo فمُثقت البيرة (التي تسببه المصادر الغربية الأندلسية ونسج بن زيد)، وهو الذي أرسله الناصر إلى أوتو لإيجاد حل لمشكلة بعثة يوحنا الجوزدي - كما ستحدثت في الصفحات التالية - وقد التقى وشوندر وليشواند الكرومي في تلك الرحلة وانطقت بينهما تلك الصداقة حيث أهدى ليشواند كتابه المذكور إلى وشوندر، وذكره في بعض صفحات الكتاب عند حديثه عن الأندلس، انظر: 64-65: pp. Danhied: op. cit., Danhied: op. cit., ٤١-٤١/١٦٣١م)، تلغ القيث من لحسن الأندلس الربيب، ط بيروت ١٩٦٨م ج ٢ ص ١٨٩.

- Migne. *Patrologia Latina*. Vol. 115. Coll. 805, 847; Kedar: op. cit., p. 34 -١٨
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. p. 371; El-Hjji: op. cit., p. 317; Dan- -١٩
iel: op. cit., p. 67
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. Pp. 371-372; El-Hjji: op. cit., pp. 1-٢
317-318; Daniel: op. cit., p. 67
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. P. 372; El-Hjji: op. cit., p. 318; Daniel -٢١
: op. cit., pp. 67-68
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. Pp. 372-373; El-Hjji: op. cit., p. 318; -٢٢
Daniel: op. cit., p. 68
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. P. 373; Daniel: op. cit., p. 69 -٢٣
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. Pp. 373-374; Reinaud: op. cit., p. 193; -٢٤
El-Hjji: op. cit., p. 318; Daniel: op. cit., p. 69
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. Pp. 374-375; El-Hjji: op. cit., pp. 318-319; Daniel -٢٥
op. cit., p. 69
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. Pp. 370-375; El-Hjji: op. cit., pp. 316- -٢٦
317; Daniel: op. cit., p. 68; Ashraf: op. cit., pp. 421-422
- Daniel: op. cit., p. 69 . -٢٧

- موسيقيا من جامدريم Gandrhim . Hrotsvitha of Gandrhim . الترجمة سنة ١٩٦٩م / ١٠٠٠م. وكانت هذه
الراية قد اشتهرت بترانيمها الدينية في عهد مريم العذراء . فوضعت سيرة لها انتشر ببلجيوس تحت
عنوان الام القديس بيلاجيوس، وترجم هورتسفيثا في هذه السيرة أن النصارى في ألبانيا كانوا
يسب عقوبة الموت أن يسبوا المعبدات الوثنية الصنوعة من الذهب والرخام التي يبنيها الحكام المسلمون.
ولقد راجت هذه الصيغة الباطلة في البلاد الخاضعة للفرجة والسكسون . انظر :
- Passio S. Pelagii. Lines 56-58. in Hrotsvithae opera. editor. P. Winterfeld (1902). In
Monumenta Germanica Historica. Ser. rer. Germ. 34. 53.
- أما المهادة الثانية فهي التي حدثت بعد ست سنوات من حادثة بيلاجيوس، عندما اشترك رجل
فرنسي من غالباً 1 فرنسا يدعى فولفيرا Vulfura إلى ما يعتقد استهاداً فيها، إلى قرطبة سنة
319م/ 931م فب الإسلام علنا فحكم ورفض انقاذ نفسه بالدخول في الإسلام فأعدم في السنة
نفسها . انظر :
- Vita Argentee et Comitum eius Martyrum. editor Fabrega Grau. in Pasionario his-
panico (Siglos VII-XX). 2 vols (Madrid and Barcelona. 1953-1955). 2: 382-387.
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. P. 370; El-Hjji: op. cit., p. 316. -١٢
Daniel: op. cit., pp. 65-66
- ١٦- يشير بذلك إلى ما جاء في أعمال الرسل. سبوا في رسالة بطرس الأولى : الأصحاح الثاني، 23-18
وعلا حاء فيها قوله : (أيها الخنام كثرنا خاضعين بكل هيئة للسادة ليس للمصلحين المترفين فقط بل
للعدا. أيضاً ... القوي إذا قمتم لم يكن يشتم) .
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. Pp. 370-371; El-Hjji: op. cit., 316- -١٤
317; Daniel: op. cit., p. 66
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. P. 371; Daniel: op. cit., p. 66 . -١٥
- Vita Iohannis abbatis Gratiensis: op. cit., SS 4. P. 371; El-Hjji: op. cit., p. 317; Dan- -١٦
iel: op. cit., pp. 66-67
- ١٧- مقارنة أقوال واستدلالات يوحنا الجوزي مع أقوال واستدلالات أوليوسو يمكن الرجوع إلى المراجع
التالية:
- A . A . Dozy. R. Spanish Islam. Frank: op. cit., pp. 23-48; Daniel: op. cit., pp. 50-58;
history of the Moslem in Spain, trans by Francis Griffin Stokes. London. 1972. pp.
169-306.

أ.د يوسف بن علي العتقي^{١٦}

وفادة وليم هنرى شكسبير إلى الإمام
عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود
وأتموها في عقد معاهدة ١٣٣٤هـ / ١٩١٥م

قبل انطلاق شرارة الحرب العالمية الأولى انقضت أوروبا إلى معسكرين هما معسكر الحلفاء الذي يشمل بريطانيا وفرنسا وروسيا ، ومعسكر الوسط أو المحور ويضم ألمانيا والنمسا والمجر وتركيا ، وما زاد في الفجوة بين المعسكرين قيام ألمانيا بعقد معاهدة دفاع سرية مع تركيا وذلك في عام ١٩١٤م^{١٧}.

كانت بريطانيا في تلك الفترة قد وطدت سيطرتها في الخليج العربي ومنطقة البحر الأحمر وكانت في الوقت نفسه تخشى من التقارب الألماني العثماني الذي قد نسفله ألمانيا فتتخذ من الأراضي العثمانية مراكز تخمين لأسطولها وعمرا للوصول إلى مستعمراتها في الشرق الإقليمي^{١٨}.

أما الأوضاع في الجزيرة العربية قبل الحرب العالمية الأولى فقد كانت على النحو التالي: كانت حائل تحت حكم آل رشيد ونابغة بالولا ، للعثمانيين وعلى علاقة عدائية مع حكام نجد من آل سعود ، وكان الحجاز تحت حكم الأشراف ودين بالولا ، للدولة العثمانية ، وإلى جنوبيه في عسير يحكم الأدراسة تم الأتمة في اليمن ، ولم يكن للدولة العثمانية ذلك النفوذ القوي في تلك المناطق^{١٩}.

• أستاذ التاريخ الحديث بقسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى

استمرت علاقة شكسبير بالإمام عبد العزيز في ازدياد ، وظنى المقابلة الأولى عدة من الزيارات ولم يتوقف شكسبير عن إرسال التقارير إلى الجهات الرسمية البريطانية موضعا لها نخط العلاجات السمومية البريطانية كيف كانت وماذا يجب أن تكون عليه . وفى تقرير شكسبير المورخ فى ٨ أبريل ١٩١١م صورة واضحة عن المحاورات الطويلة التي تمت بين الطرفين ، وفيه وصف شكسبير الإمام عبد العزيز بأنه رجل صريح وكريم وقهر متعصب ، ويطمح أن تقوم بريطانيا بدعمه ضد العثمانيين ، كما أوضح التقرير بأن الإمام عبد العزيز ليس لديه طموحات فى توسيع أراضيه شمالاً أو غرباً أو فى أى اتجاه ما عدا الأحسا ، والقطيف ، وأنه لا يمانع فى أن يرى العلم البريطانى يعرف على مواطني الخليج بدلاً من العلم العثمانى ^(١٠١) .

وعندما يقوم شكسبير بزيارة للإمام فهو عادة ما يركز على معرفة الإمكانيات العسكرية لديه ، وفى زيارة للإمام فى شهر مايو سنة ١٩١١ فى تاج قدم بعد ذلك شكسبير لأسباده معلومات تفصيلية عن سلاح وعتاد الإمام وبين لهم أن جل سلاحه يعتمد على بنادق من نوع مارينى هنرى وهارتلى مشفرد ، إضافة إلى دقة الانضباط وحسن التنظيم بين أفرادهم ^(١٠٢) .

وفى تقرير آخر مرفوع إلى وزارة الخارجية البريطانية ذكر شكسبير أن ما يحتاج إليه سوى تشجيع السموديين لظفر الحامية العثمانية من الأحسا ، وعلى البريطانيين العمل على نفیسط الصعوبات العثمانية من أجل حماية سواحل الخليج من النفوذ العثمانى ، وفى حالة إقامة وكيل سياسى بريطانى فى القطيف أو العقير طبقاً لما يقترحه الإمام عبد العزيز فإن ذلك لا يبنى بالضرورة تورط بريطانيا فى الداخل ^(١٠٣) .

وعندما تاملت قوة الإمام عبد العزيز قدم شكسبير إلى حكومته تقريراً أوضح فيه ازدياد نفوذ وقوة الإمام عبد العزيز مقارنة بغيره من زعماء الجزيرة العربية . وأشار فيه إلى قيام الإمام بغارات ناجحة على عدد من القبائل مما اضطر ابن الزبيد إلى مهادنته ، إضافة إلى عدم تحرك شريف مكة بأية خطوات جدية تجاهه ^(١٠٤) . وكان شكسبير فى تقريره يطلب من سادة بلاده عدم تجاهل الإمام وأنه من المهم توطيد العلاقة معه ، وتجد مثل هذا التوجه لدى شكسبير فى النشرة الاختيارية الصادرة من الوكالة السياسية البريطانية فى الكويت فى نهاية شهر ديسمبر سنة ١٩١٢م ، حيث ورد فى النشرة وصول الرحالة ليشمان Leachman إلى بريدة بعد ساعات من مغادرة الإمام عبد العزيز لها غير أن الإمام أرسل أحد فرسانه لإحضار ليشمان إلى الرياض ، وغير شكسبير عن أمه بأن لا يصدر من ليشمان أى تصرف يمسى إلى الإمام عبد العزيز وأن يأخذ مطالبه على محمل الجد ^(١٠٥) .

كان الإمام عبد العزيز بن سعود يراقب الأوضاع بدقة ويتابع أولاً بأول تطورات الحرب العالمية الأولى ، وفى الوقت نفسه كان يخشى من تعاطف نفوذ بريطانيا فى الخليج العربى ، ولذلك انتهز فرصة اشتعال الحرب العظمى وأخذ يعمل على لم الشمل العربى فى جبهة موحدة ، فهاجر بالكتابة إلى الزعماء العرب طالبا منهم التعاون والتوجه من أجل الحفاظ على مصالح شعوب المنطقة ^(١٠٦) .

وكانت كل دولة تضع فى استراتيجيتها أن تحقق من الحرب ما يخدم مصالحها وأطماعها فالدولة العثمانية عززت من مقارها العسكرية فى الحجاز وعسر واليمن ، وقامت بتشجيع القبائل فى الجزيرة العربية من أجل مقاومة النفوذ البريطانى فى الخليج العربى ^(١٠٧) .

وكانت فرنسا ترغب فى الحصول على مناطق نفوذ فى الشرق الأوسط مثلها مثل بريطانيا ، وأما روسيا فركزت على تقليص نفوذ الدولة العثمانية فى مقابل الحصول على مناطق نفوذ على البحر الأسود والوصول بعد ذلك إلى المناطق النافذة فى البحر المتوسط ^(١٠٨) .

ولم تكن ألمانيا أثناء الحرب العالمية الأولى مهتمة كثيراً بأوضاع الجزيرة العربية ، ومع ذلك قامت بإيفاد بعض مندوبيها وضعهم أموالاً وهدايا إلى عدد من القبائل بهدف كسب تأييدهم والوقوف إلى جانبهم أثناء الحرب ^(١٠٩) .

وبالنسبة لبريطانيا فقد شعرت مع بداية اشتعال الحرب العازبة الأولى بأهمية توثيق علاقتها مع حكام الجزيرة العربية ، لاسيما وأنهائى تلك الفترة كانت صاحبة النفوذ الأقوى فى الخليج العربى وكذلك فى منافذ البحر ، ومن ثم لابد أن تحقق الأمن والاستقرار لمصالحها السياسية والاقتصادية ، وأن لا تعرضها لمطامح القوى العالمية المنافسة ^(١١٠) .

وانطلاقاً من هذا التوجه البريطاني ظهر على مسرح الأحداث تطلها السياسى هنرى ونبو شكسبير الوكيل السياسى البريطانى فى الكويت ليقوم بالأدوار البريطانية المطلوبة ، ويعمل على الاتصالات المباشرة وغير المباشرة مع زعماء الجزيرة العربية وعلى رأسهم الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ، وفى زيارة الأولى للإمام عبد العزيز فى شهر مارس سنة ١٩١١م أبلغ شكسبير الإمام عبد العزيز بأن بريطانيا ليس لها مصالح فى قلب الجزيرة العربية أو أى مكان آخر فيها ما عدا ساحل الخليج . كما قدم شكسبير فى الوقت نفسه بالتفصيل مع ابن زبيد والإمام يحيى والإدريسى بعض الشيرة على العثمانيين فى وقت واحد ، وقد نادى إلى علم شكسبير علم رضا الإمام عبد العزيز عن سيطرة العثمانيين على الأحسا ، والقطيف ^(١١١) .

وفي زيارة لشكسبير إلى الرياض في التاسع من شهر مارس ١٩١٤م أطلع المفوض البريطاني على استعدادات الإمام العسكرية لمواجهة أعدائه ، كما علم عن الرسائل التي ودت إلى الإمام من بعض الزعماء العرب المتطاعين معه ضد العثمانيين مثل محمد الإدريسي والإمام يحيى وابن شعلان شيخ قبيلة عنزة . وقد وجد العرب في الإمام عبد العزيز قائماً بيسر على غيره من الزعماء . وأن المستقبل معه ، وتوقع شكسبير أنه من حالة المواجهة بين الإمام والعثمانيين فإن الزعماء العرب سيتفوقون مع الإمام وستكون الجزيرة العربية موحدة بقيادته . وإذا لم تقوم الدولة العثمانية بتغيير سياستها بصورة جذرية فإنها ستفقد الجزيرة وعلى بريطانيا في هذه الحالة الاهتمام بطلب الإمام عبد العزيز والحرص على أن يكون في حالة عداء مع خصمها اللدود الدولة العثمانية^{١٢١} .

ولفترة الحكومة البريطانية بقوة العلاقة الشخصية بين الإمام عبد العزيز ووليم هنري شكسبير ارتأت وزارة الهند البريطانية الإيعاز لشكسبير بالعمل فيما يخص الاجراءات الخاصة التي يجب أن تتخذ من أجل حماية المصالح البريطانية في الخليج وأجزاء الجزيرة العربية وأن يقوم بالاتصال الشخصي بالإمام وممارسة أقصى تأثير عليه من أجل منع حدوث الاضطرابات داخل الجزيرة العربية وضمان امتناع العرب عن مساعدة الدولة العثمانية إذا نشبت الحرب بينها وبين بريطانيا^{١٢٢} .

وقد تمكن شكسبير من زيارة الإمام عبد العزيز والتفاهم معه حسب التوجهات البريطانية، ففي رسالة لشكسبير إلى بيرسي كوكس في الرابع من شهر يناير عام ١٩١٥م أوضح فيها أنه وصل إلى مخيم الإمام عبد العزيز قادماً من الكويت في اليوم الأخير من شهر ديسمبر سنة ١٩١٤م . وأن الموقف السياسي العام في وسط الجزيرة العربية كان متعاطفاً جداً مع البريطانيين ومعاوياً للألمان والعمانيين . وذكر شكسبير أن إعلان بريطانيا الخاص بعدم التعرض للمقدسات الإسلامية قد ساعد على احتواء النداء العثماني بإعلان الجهاد المقدس ضد بريطانيا . وسمح في الوقت نفسه للإمام عبد العزيز بالوقوف ضد العثمانيين . وبين شكسبير أن الإمام عبد العزيز عازم على هيئة ابن الرشيد وأنه يطبع في توزيع وثيقة ما ترضى إلى مستوى معاهدة مع الحكومة البريطانية ، تكون نصورها واضحة وتحدد التزام كل طرف تجاه الآخر^{١٢٣} .

كان شكسبير مهندس اتفاق عام ١٩١٥م بين الإمام عبد العزيز وبرطانيا ، يرى أن إبرام اتفاقية مع الإمام منبسطين لبرطانيا السيطرة على كل الساحل الغربي للخليج العربي فضلاً عن التحكم في إغلاق وسط الجزيرة العربية عن التدخلات الأجنبية وكان موقف الإمام عبد العزيز يرقى من جانبه أن عقد اتفاقية مع بريطانيا قد يحقق له تثبيت أركان دولته لاسيما وأن الدولة العثمانية تمر بحولمة سيئة وتخوض حروباً خاصة ضد الخلفاء .

استقبل الإمام ليشتمان وأندرش من علم حمله خطابات توصية من جهات رسمية^{١٢٤} ، وصرح ليشتمان بعد الزيارة بأنه قابل قويا ولبق في التعامل ، وعلى الرغم من نجاح هذه الزيارة إلا أن شكسبير لم يخف القول بأنه شعر بالغيرة من كل الرحالة الذين يتوجهون إلى الرياض حيث اعتبر نفسه الشخص الأجنبي الوحيد الذي يعرف الإمام عبد العزيز بشكل حقيقي^{١٢٥} .

وخلال فصل الربيع من عام ١٩١٣م وفد شكسبير على الإمام عبد العزيز وكان الإمام وأحواله متلهفين لسماع الأخبار عن الحرب العثمانية البلقانية لأن فرقة الدولة العثمانية تتبع الفرصة للتخلص من قبضتهم على الأحساء ، والقطيف ، وأثناء ذلك ، بينهما أوضاع الإمام رغبته في دعم بريطانيا من أجل طرد العثمانيين من الأحساء ، وكذلك إنقاذ الحجاز من حكم الشريف الذي تحالف مع العثمانيين ضده . وقد نقل شكسبير هذه المشاعر إلى حكومته وذكر بأنه شعر فعلاً برغبة الإمام في إجلاء العثمانيين عن الأحساء ، وطلب من حكومته أن تهتم بطلب الإمام ويشتون وسط الجزيرة العربية خاصة وأن نفوذ الإمام يستمع حتماً في المستقبل^{١٢٦} .

لم يحض سوى خمسة أيام حتى أرسل شكسبير تقريراً إلى بيرسي كوكس المقيم السياسي البريطاني في بوشهر مفاده أن الإمام عبد العزيز دخل المهرب على رأس ثلاثمائة رجل وأصبح العثمانيون إلى الداخل ثم استسلموا في النهاية . ثم أتبع الإمام ذلك باستيلائه على العقير . وقد أعجب شكسبير بتصرف الإمام واختياره الوقت المناسب لتحرير الأحساء . كله واستسلام الحامية العثمانية^{١٢٧} .

ورضى العثمانيون بالأمر الواقع وأرسلوا بمفاوضونه على الولا ، وأن يكون لهم معتمدون في القطيف والأحساء ، فرفض الإمام عبد العزيز ذلك وطلب أن تكون العلاقات رابحة فقط وأن تساعده الدولة العثمانية لقاء هذا الولا بالأسلحة والنفخية والمال^{١٢٨} .

أدركت بريطانيا ضرورة الاهتمام بالإمام قبل أن تهتم به الدولة العثمانية فأوقدت في العاشر من شهر مارس سنة ١٩١٤م مؤلفها شكسبير إلى الرياض من أجل التفاوض على كيفية الدعم العسكري في حالة هجوم العثمانيين على الأحساء ، والتنسيق أيضاً في حالة رغبة الإمام بالاتصال مع الحكومات الأجنبية عند الضرورة^{١٢٩} .

كان شكسبير يعرف تماماً حكمة تواعد الإمام عبد العزيز السياسية ، وكان دائماً يحذر الحكومة البريطانية من تجاهل الإمام ، وفي أكثر من مناسبة أوضح شكسبير لحكومته أن الإمام سيمتد نفوذه إلى حائل وسيكون سيد الجزيرة المترقب^{١٣٠} .

التي شكسبير بالإهمار في الخلق في أواخر شهر ديسمبر ١٩١٤م وبدأ مقارنات عقد الاتفاقية معه وسمى الإمام في هذه المفاوضات إلى أن تضمن نه بريطانيا الاستقلال الكامل في مقابل أن لا يدخل في أي علاقة مع دولة أجنبية أخرى . ولكن شكسبير من إقناع حكومته بضرورة عقد الاتفاقية . وأشار إلى أن الإمام عبد العزيز يضع الدولة العثمانية هدفا ثانيا في حالة تخلى بريطانيا عن الاتفاق معده ١٩١٤ . فلم تتورد الحكومة البريطانية عن المرافقة على عقد معاهدة ١٩١٣ في سبعة بنود على النحو التالي :

البند الأول :

« تعترف الحكومة البريطانية وتقر بأن محمداً والحسا والقطيف وسيلا وتوابعها والتي سيحدث فيها وتعيين أقطارها فيما بعد . ومراسيها على خليج فارس (العمري) هي بلاد ابن سعود وآبائه من قبل . وبهذا تعترف بأن ابن سعود المذكور حاكماً عليها مستقلاً . ورئيساً مطلقاً على قبائلها ، وبأبنائه وحلفائه بالإيرت من بعده . وأن لا يكون هذا المرشح منافياً للحكومة البريطانية بوجه من الوجوه . خاصة فيما يتعلق بهذه المعاهدة . »

البند الثاني :

« إذا حدث اعتداء ، من قبل إحدى الدول الأجنبية على أراضي الأقطار التابعة لابن سعود وحلفائه بدون مراجعة الحكومة البريطانية ويكون إعطائها الفرصة للمخاطبة مع ابن سعود وتسوية المسألة . فالحكومة البريطانية تعين ابن سعود بعد استشارته إلى ذلك القدر وعلى تلك الصورة اللذين تعتبرهما الحكومة البريطانية فعالين لحماية بلدانه ومصالحه . »

البند الثالث :

« يتفق ابن سعود ويعد بأن يتحاشى الدخول في مراسلة أو وفاق أو معاهدة مع أية أمة أو دولة أجنبية . وعلاوة على ذلك بأن يبلغ حالاً إلى معسدي السياسية من قبل الحكومة البريطانية كل محاولة من قبل أي دولي أخرى في أن تدخل في الأقطار المذكورة سابقاً . »

البند الرابع :

« يحسد ابن سعود بأن لا يسلم ولا يبيع ولا يهرن ولا يؤجر الأقطار المذكورة ولا قسماً منها ولا يمتازل عنها بطريقة ما . لا يبيع امتيازاً ضمن هذه الأقطار لدولة أجنبية بدون رضن الحكومة البريطانية . وأن يبيع مشورتها وألصا بدون استئنا . على شرط أن لا يكون ذلك مجعفاً بمصالح الخاصة . »

البند الخامس :

« يتعهد ابن سعود بحرية المرور في أقطاره على المسيل المؤدية إلى المواطن المباركة . وأن يحصى الحاج في مسيرهم إلى المواطن المباركة ورجوعهم منها . »

البند السادس :

« يتعهد ابن سعود كما تعهد أباه من قبل . بأن يتحاشى الاعتداء على أقطار الكويت والبحرين ومشايع قطر وسواحل عمان التي هي تحت حماية الحكومة البريطانية ولها صلات عديدة مع الحكومة المذكورة . وأن لا يتدخل في شؤونها . وتخزم الأقطار الخاصة بهؤلاء . متعين فيما بعد . »

البند السابع :

« تتفق الحكومة البريطانية وابن سعود على عقد معاهدة أكثر تفصيلاً من هذه الأمور التي لها مساس بالقرنين . »

ويظهر من خلال قراءة تصرف هذه المعاهدة أنها لم تكن معاهدة حماية ولكنها معاهدة مصالح متبادلة بين طرفين كل منهما يهدف إلى حماية مصالحه الخاصة به . فبريطانيا كانت تهدف إلى ضمان حياة الإمام عبد العزيز أثناء الحرب العالمية الأولى . والإمام عبد العزيز كان يواجه أعداء في الداخل والخارج ومن ثم فإن ضمان استقرار دولته الناشئة واعتزاز بريطانيا بها يعد في غاية الأهمية . حتى أن هذه المعاهدة حسب البند السابع منها تشير إلى الالتزام بتتود المعاهدة لفترة مؤقتة حيث سيتم عقد معاهدة أخرى أكثر تفصيلاً . وهذا ما حدث بالفعل عندما تم التوقيع على معاهدة جدة في شهر ذي القعدة سنة ١٤٤٥هـ مايو ١٩٢٧م بعد أن أصبح الإمام عبد العزيز حاكماً فعلياً على معظم أقاليم الجزيرة العربية بما فيها الحجاز ١٢٧١ .

١٦- رسالة من ولیم هنرى شكسبير الرقيب السياسى البريطانى من الكونت الى بيرس كوكس القيم السياسى البريطانى فى بيوتشر مؤرخة فى ٢ يناير سنة ١٩١٣م اسجلات الوكالة السياسية فى اليجرين UR1512

١٧- رسالة من شكسبير الى بيرس كوكس فى ١٥ مايو ١٩١٣م -104,107- IRFA, 104,107-1020 IRFA-371 (١٩١٤).

١٨- رسالة من شكسبير الى بيرس كوكس فى مايو ١٩١٣م (1820- F O 71-26) RSA 2,00:235-26

١٩- خبر النابن التركى . شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز . ج ١ . ص ٢١٣ .

٢٠- رسالة شكسبير الى بيرس كوكس فى بر شهر مؤرخة فى الرياض فى العاشر من شهر مارس ١٩١٤

(ERA 1,7:19-42)

٢١- رسالة من شكسبير الى هرزل سكرتير وزارة الهند البريطانية مؤرخة فى ٢١ مايو ١٩١٤ اسجلات الوكالة السياسية فى البحرين ١٨٩٩ . 1901-1901 (RSI)

٢٢- تقرير من شكسبير مرسل الى آرثر هرزل سكرتير وزارة الهند البريطانية فى ٢٦ يونيو ١٩١٤ م اسجلات المملكة العربية السعودية ١٨٢٠-1901-090343-RSA 2

٢٣- رسالة سرية من وزارة الهند البريطانية الى ولیم شكسبير مؤرخة فى ٥ أكتوبر ١٩١٤ م → FO71 (214)

٢٤- تقرير من شكسبير مرسل الى بيرس كوكس القيم السياسى البريطانى فى الخليج مؤرخ فى ٤ يناير ١٩١٥ اسجلات المملكة العربية السعودية ١٨٢٠-1901-399-404 (RSA 2 10, 399-404).

٢٥- عبد العزيز تيد (تفى إبراهيم) . السلام البريطانى فى الخليج ١٨٩٦-١٩٤٧م دراسة وثائقية ، ط١ الرياض : دار المريخ ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١م . ص ١٨٠-١٨١ .

٢٦- انظر نص المعاهدة فى سجلات وزارة الخارجية البريطانية FO 71-2482 فى كتاب امين سعيد . تاريخ العرة السعودية ج ٣ ص ٧٥-٧٦ وكذلك فى كتاب Hurwitz, J.G *Diplomacy in the and Middle East* . vol . 1 , pp . 16 , 18 Indian office Library and Record .

1191B

٢٧- من وارد التوسع فى معرفة العلاقات السعودية البريطانية فى طفا وكصوص فيرجع الى . برسف بن على النقى . دراسات متميزة فى العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور . الفصل السادس .

الهوامش

١- تركية الجار الله . موقف الملك عبد العزيز من الحرب العالمية الأولى ، القاهرة : دار القاهرة ، ٢٠٠٦م . ص ٨٦ .

٢- محمد محمود السرىسى . موقف بريطانيا فى البحر الأحمر فى الحرب العالمية الأولى سجلات العارة . العدد الثانى . السنة السادسة ، ربيع الأول ١٤٠٦ هـ ، ص ٧٩ .

٣- حافظ وعة ، جزيرة العرب فى القرن العشرين . القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، ١٩٤٦م . ص ١٦٨-١٧٠ .

٤- خير الدين التركى . شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز ، بيروت ، دار العلم للملايين . ج ١ . ط ٥ ، ١٩٩٢م . ص ٢١٦ .

٥- مطرطبات لسطنبرن . وثيقة وكية دائرة الأركان البحرية ، الشيعة الرابعة ، رقم ٢٨٧٩ .

٦- أ.ج. جوات . أوروبا فى القرن التاسع عشر والمشرقين ١٧٨٩-١٦٥٠م . القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٧م . ص ٨ .

٧- دو موئين لان . الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناضجة ، ترجمة وسمى ألى سى تعلقى فهد السارى الرياض : مؤسسة مينا ، ٤١٩ هـ ، ص ٧٠ / تركية الجار الله مقف الملك عبد العزيز من الحرب العالمية الأولى . ص ٥-٦ .

٨- محمد محمود السرىسى . موقف بريطانيا فى البحر الأحمر فى الحرب العالمية الأولى . مجلة البارة . العدد العاشر . السنة ٦ ، صبح الأول ١٤٠٦ هـ ، ص ٧١ .

٩- رسالة من ولیم هنرى شكسبير W.H. Shakespear الى بيرس كوكس Percy Cox فى الثامن عشر من شهر مارس سنة ١٩١١م وموجودة فى سجلات المملكة العربية السعودية RSA للجد الثانى فى الضمان ٢٠٣-٢٠٥ .

١٠- سجلات وزارة الخارجية البريطانية FO 1249-371

١١- نقابى الخليج العلمى السياسية ، المجلد الرابع ص ٥٩-٧١ PDPG .

١٢- المراسلات المبينة والسرية مع الهند / المجلد رقم ٢٤٨ ، ص ٢٧ and 7 (P and 7)

١٣- تقارير الخليج العلمى السياسية . ج ١ ص ١١-١١٣ .

١٤- رسالة من آرنبولد ولسن Arnold Wilson الى شكسبير مؤرخة فى ديسمبر ١٩١٢م (سجلات الوكالة السياسية فى الكويت (R.L.SI51250d)

١٥- الصدر السابق .

المؤلفات والدوريات :

- * أمين سعد ، تاريخ الدولة السعودية - بيروت : دار الكتاب العربي ، ج ٣ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٤ .
- * الثقفى ، يوسف على ، دراسات متميزة في العلامات بين الشرق والغرب على مر العصور ، مكة المكرمة : مطبعة الصفا ، ط ١ ، ١٤٠٩ هـ .
- * الجار الله ، تركية حمد ، موقف الملك عبد العزيز من الحرب العالمية الأولى - القاهرة : دار القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .
- * جرائد ، أ.ج. أوروبا في القرنين التاسع عشر والعاشرين ١٧٨٩ - ١٩٥٠ م القاهرة : مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٧ م .
- * حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين - القاهرة : طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، ١٩٤٦ .
- * درمولين كان ، الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة ، ترجمة ويسى آى سى تعليق فهد السارى ، الرياض : مؤسسة مريتا ، ١٤١٩ هـ .
- * الزركلى ، خير الدين ، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز ، بيروت : دار العلم للملايين ، ج ١ ، ط ٥ ، ١٩٩٢ م .
- * السروجى ، محمد محمود ، موقف بريطانيا في البحر الأحمر في الحرب العالمية الأولى ، مجلة الدارة ، العدد الثاني لسنة السادسة ربيع الأول ١٤٠١ هـ .
- * Hurwitz , J.G. Diplomacy in the Near and Middle East Voi II . New York : 1956
- * عبد العزيز عبد الفتى ليراض ، السلام البريطاني في الخليج ١٨٩٩-١٩٤٧ م ، دراسة وثائقية ، ط ١ ، الرياض : دار الريح ، ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨١ م .

قائمة المصادر والمراجع

- الوثائق :
- * سجلات وزارة الخارجية البريطانية 1249-71.F.O
- * سجلات وزارة الخارجية البريطانية 2482-71.F.O
- * سجلات وزارة الخارجية البريطانية 1820-71.F.O
- * سجلات وزارة الخارجية الهندية Indian Office Library and Record
- * المراسلات السياسية والسرية مع الهند مجلد رقم ٢٤٨ LP and
- * رسالة من وليم هنرى شكسبير إلى بيرسى كوكس ١٨ مارس ١٩١١ م (سجلات الملكة العربية السعودية R.S.A) (R 15-5-25)
- * رسالة من وليم شكسبير إلى وليم شكسبير ٣١ ديسمبر ١٩١٢ م (سجلات الوكالة السياسية في الكويت (R 15-5-25)
- * رسالة من وليم شكسبير إلى بيرسى كوكس ٦ يناير ١٩١٣ م (سجلات الوكالة السياسية في البحرين (R 15-2)
- * رسالة من شكسبير إلى بيرسى كوكس ٢٠ مايو ١٩١٣ م 225-26١ : RSA 2.08
- * رسالة من شكسبير إلى بيرسى كوكس ١٠ مارس ١٩١٤ م (R.F.A 1.7: 19-42)
- * رسالة من شكسبير إلى آرثر هرتزل سكرتير وزارة الهند البريطانية ٢١ مايو ١٩١٤ م (سجلات الوكالة السياسية في البحرين ١٨٩٩-١٩٥١ م (R1 15|2)
- * تقارير الخليج العمى السياسية ، ج ٤ ، PDPG
- * تقرير مرسل من شكسبير إلى آرثر هرتزل سكرتير وزارة الهند البريطانية في ٢٦ يونيو ١٩١٤ م (سجلات الملكة العربية السعودية ١٨٢٠-١٩٩٠ م 2.09 : R.S.A)
- * تقرير من شكسبير مرسل إلى بيرسى كوكس القيم السياسي البريطاني في الخليج العمى في ٤ يناير ١٩١٥ م (سجلات الملكة العربية السعودية ١٨٢٠-١٩٩٠ م) (R.S.A. 12.10)
- * محفوظات اسطنبول ، وثيقة تركية بدائرة الأركان الخيرية الشعبية الرابعة ، رقم ٢٨٧٩ .

العدد 2000
العدد 2000
العدد 2000
العدد 2000

العدد 2000
العدد 2000
العدد 2000
العدد 2000

العدد 2000
العدد 2000
العدد 2000
العدد 2000

رقم الإيداع / ١٦٩٥٩ / ٢٠١٠ م
الترقيم الدولي 7-322-273-978-978 I.S.B.N.

العدد 2000
العدد 2000
العدد 2000
العدد 2000

العدد 2000
العدد 2000
العدد 2000
العدد 2000